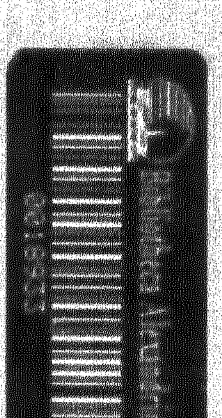


دار الكتب المصرية

القسم الأدبي



تأليف

أبى الفرج الاصفهانى

الجزء التاسع

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٣٦

الطبعة الأولى بمطبعـة دار الكتب المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء التاسع
من كتاب الأغانى

ذكر أخبار كثيّر ونسبه

نسبه

هو، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدىّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابىّ، أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عُوَيمر بن مَخْلَد (1) ابن سعيد بن سُبَيع (2) بن جَعْثمة بن سعد بن مُلَيح (3) بن عمرو وهو خُزاعة بن ربيعة وهو يحيى بن حارثة بن عمرو وهو مُزَيْقِيا بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغِطْرِيف بن امرئ القيس البِطْريق بن ثعلبة البُهْلول [بن مازن] (4) بن الأَزْد وهو دِرْء (5) — وقيل دِرَاء ممدودا — بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ ابن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان.

وأخبرنا أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن إسحاق الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا أبو صخر بن أبى الزَّعْراء الخُزَاعىّ عن أُمّه ليلى بنت كُثَيِّر قالت:

---

(1) كذا فى وفيات الأعيان لابن خلكان وتجريد الأغانى، وسيأتى فى النسب الذى يذكره عن ليلى بنت كثير: «... بن عامر بن مخلد بن سبيع ...». وفى الأصول هنا: «عويمر بن مخارق بن سعيد ...».
(2) كذا ورد هذا الاسم فى الأصول وفى وفيات الأعيان وتجريد الأغانى والسيرة لابن هشام فى نسب آمنة بنت خلف. وقال أبو ذر بن مسعود الخشنى فى كتابه على السيرة (ج 1 ص 80 طبع مطبعة هندية) صوابه: «يثيع» بالياء المثناة من تحت والثاء المثلثة. (3) فى الأصول: «مليح بن عمرو بن خزاعة ...» وهو تحريف. (راجع فى القاموس وشرحه مادة ملح والنسب الآتى الذى روى عن ليلى ابنته). (4) زيادة من وفيات الأعيان وتجريد الأغانى. (5) فى الأصول: «درى». والتصويب عن القاموس.

هو كثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن مُخَلَّد بن سُبَيْع بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر . وأمه جُمْعة بنت الأَشْيَم بن خالد بن عُبيد ابن مُبَشِّر بن رِيَاح بن سيالة بن عامر بن جِعْثِمةَ بن كعب بن عمرو بن رَبيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر . وكانت كنية الأشْيَم جدِّه أبى أمّه أبا جُمُعة ؛ ولذلك قيل له ابن أبى جُمُعة .

وكان له ابن يقال له ثَوَاب من أشعر أهل زمانه، مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له .

ومات كثيِّر سنة خمس ومائة فى ولاية يزيد بن عبد الملك . وليس له اليوم ولد إلا من بنته ليلى . ولليلى بنته ابنٌ يكنى أبا سَلَمة شاعر، وهو الذى يقول :

صــــوت

وكان عزيزًا أن تَبِيتِى وبيننا * حجابٌ فقد أمسيتِ منِّى على شهرِ
ففى القرب تعذيبٌ وفى النأى حَسْرةٌ * فياوَيْحَ نفسى كيف أصنع بالدهرِ

فى هذين البيتين غناء لمقاسة . ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر عن حَبَش .

كنيته وطبقته فى الشعراء ونحلته

ويكنى كثيّر أبا صخر . وهو من فحول شعراء الإسلام ، وجعله ابن سَلّام فى الطبقة الأولى منهم وقرن به جريرًا والفرزدقَ والأخطلَ والرّاعىَ . وكان غاليًا فى التشيُّع يذهب مذهب الكَيْسانيّة(١)، ويقول بالرَّجْعة والتَّناسخ، وكان مُحَمَّقًا مشهورا بذلك . وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيّرهم ذلك لجلالته فى أعينهم ولطف محلّه فى أنفسهم وعندهم . وكان من أتْيَهِ الناس وأذهبِهم بنفسه على كل أحد .

---

(١) الكيسانية : فرقة من الشيعة الإمامية ، وهم أصحاب كيسان مولى على بن أبى طالب . (انظر الحاشية رقم ٣ فى ج ٧ ص ٢٣١ من هذه الطبعة) .

الحديث عنه وعن شعره

أخبرني به[1] أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني هارون بن عبد الله الزّهريّ قال حدّثني سليمان بن فُلَيح قال : سمعت محمد بن عبد العزيز (يعني ٱبن عمر بن عبد الرحمن بن عوف) يقول ماقصّد القصيدَ ولا نعت الملوكَ مثلُ كثيّر .

٥ أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلَاء قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم الموصليّ حدّثني إبراهيم بن سعد قال : إني لأروى لكُثَيّر ثلاثين قصيدة لو رُقِي بها مجنون لأفاق .

٢٨ / ٨

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزبير قال حدّثني بعض أصحاب الحديث قال : كنّا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث النفس[2] ، فنسأله عن شعر كثيّر فتطيب نفسه ويحدّثنا .

١٠

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عمر بن أبي بكر المؤمّليّ[3] عن عبد الله بن أبي عُبيدة قال :

من لم يجمع من شعر كُثَيّر ثلاثين لاميّةً فلم يجمع شعرَه . قال الزبير قال المؤمّليّ : وكان ٱبن أبي عُبَيدة يُملي شعر كُثَيّر بثلاثين دينارا . قال وسئل عمّي مصعب : مَنْ أشعرُ الناس؟ فقال : كُثَيّر بن أبي جمعة ، وقال : هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامّتهم (يعني الشعراء) ، ولم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثيّر .

١٥

أخبرني أبو خَليفة الفضل بن الحُبَاب إجازةً قال حدّثنا محمد بن سَلّام الجُمَحيّ قال :

(١) وردت هذه الكلمة « به » في جميع الأصول . (٢) المراد بخبث النفس : غثيانها .

٢٠ (٣) كذا في حـ . وفي سائر الأصول : « الموصلي » . (انظر الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة ، والمشتبه ص ٣٠٠ طبع أوربا) .

كان كثيِّر شاعر أهل الحجاز، وهو شاعر فحل، ولكنه منقوصُ حظِّه بالعراق.

أخبرنى أبو خَليفة قال أخبرنا ابن سَلّام قال سمعت يونس النحوىّ يقول : كُثَيِّر أشعرُ أهلِ الإسلام . قال ابن سَلّام : وسمعت ابن أبى حَفْصة يُعْجِبه مذهبه فى المديح جدًّا، ويقول : كان يستقصى المديح، وكان فيه مع جودة شعره خَطَلٌ وعُجْب . ٥

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى محمد بن إسماعيل الجَعْفَرىّ قال أخبرنى إبراهيم بن إبراهيم بن حسين بن زيد قال :

سمعت المِسْوَر بن عبد الملك يقول : ما ضَرَّ مَنْ يروى شعر كثيِّر وجميل ألّا تكون عنده مغنِّيتان مُطْرِبتان .

أخبرنى حبيب بن نصر المُهَلَّبى وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قالا حدّثنا ١٠ عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم عن المدائنىّ عن الوَقّاصِىّ قال :

رأيت كثيِّرا يطوف بالبيت، فمَنْ حدّثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكَذِّبْه ؛ وكان اذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول : طَأْطِئ رأسَك لا يُصِبْه السقف .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى إسحاق ابن إبراهيم عن المدائنىّ، وعن ابن حبيب عن أبيه عن جدّه عن جدّ أبيه عبد العزيز ١٥ وأُمُّه جمعة بنت كثيِّر قال :

قال [جريرٌ][1] لكثيِّر : أىُّ رجلٍ أنت لولا دَمامتك ! فقال كثيِّر :

إن أكُ قَصْدًا[2] فى الرجال فإنّنى * اذا حلّ أمرٌ ساحتى لطويلُ

(١) التكملة من تجريد الأغانى .

(٢) فى الأصول : « قصيرا » والتصويب عن تجريد الأغانى . والقصد : الربعة من الرجال . ٢٠

ما كان بينه وبين الحزين الديلي

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ عن الوقّاصيّ قال، وأخبرنا الحرميّ ابن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الدّيليّين قال :

٥ التقى كُثَيِّر والحَزِين الدِّيليّ[1] بالمدينة في دار ابن أزْهَر في سوق الغنم، فضمّهما المجلس . فقال كثير للحزين : ما أنت شاعرٌ يا حزين، إنما توصِل الشيء الى الشيء. فقال له الحزين : أتأذن لي أن أهجوك ؟ قال نعم . وكان كثيّر قال قبل ذلك وهو ينتسب الى بني الصَّلْت[2] بن النَّضْر بن كنانة :

أليس أبي بالنَّضْر أو ليس إخوتي * بكلِّ هِجَانٍ من بني الصَّلْت أزْهَرا

١٠ فإن لم تكونوا من بني الصَّلْت فاتركوا * أَرَاكًا بأذيال الخمائل[3] أخضرا

قال : فلما أذن كثيّر للحَزِين أن يهجوه قال الحَزِين :

لقد عَلِقتْ زُبَّ الذُّبَابِ كُثَيِّرًا * أساوِدُ[4] لا يُطْنِينه وأراقِمُ

قصيرُ القميصِ فاحشٌ عند بيته * يَعَضُّ القُرادُ بأسْته وهو قائمُ

وما أنتُمُ منّا ولكنّكم لنا * عبيدُ العصا ما ابتلّ في البحر عائمُ

١٥ وقد عَلِم الأقوامُ أن بني اسْتِها * خُزَاعةَ أذنابٌ وأنّا القَوادِمُ

(١) اسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك، والحزين لقبه، من شعراء الدولة الأموية، حجازي مطبوع ليس من فحول طبقته . وكان هجاء خبيث اللسان ساقطا يرضيه اليسير ويتكسب بالشعر وهجاء الناس . (انظر ترجمته في ج ١٤ ص ٧٦ من الأغاني طبع بلاق) . (٢) الصلت بن النضر: أبو خزاعة .

(٣) كذا في نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه . والخميلة : المنهبط الغامض من الرمل، وهي مكرمة ٢٠ للنبات . وفي الأصول : «الحمائل» بالحاء المهملة .

(٤) الأساود: الحيات . ولا يطنينه : لا يبقين عليه ؛ يقال : رماه الله بأفعى لا تطني أي لا يفلت لديغها . والأرقم : أخبث الحيات وأطلبها للناس .

وواللهِ لــولا اللهُ ثم ضِرَابُنــا * بأسيافنا دارتْ عليهــا المَقاسمُ
ولولا بنو بكر لَذَلَّتْ وأُهلِكتْ * بطعنٍ وأفنتْهــا السيوف الصوارمُ

قال : فقام كثيِّر لحمل عليه فلَكَزه . وكان الحزين طويلا أيِّدًا . فقال له الحزين : أنت عن هذا أعجــز ، واحتمله فكان فى يده مثــلَ الكُرَة ، فضرب به الأرض ، فخلّصه منه الأزهريّون . فبلغ ذلك [أبا][1] الطُّفيــل عامر بن واثلة وهو بالكوفة ؛ فأقسم لئن ملأ عينيه من كثيِّر ليضربنّه بالسيف أو لَيطعُننّه بالرمح . وكان خِنْدِفُ الأَسدىّ صديقا لأبى الطُّفيل ؛ فطلب الى أبى الطفيل فى كثيِّر وٱستوهبه إيّاه فوهبه له . والتقيا بمكة وجلسا جميعا مع عمــر بن علىّ بن أبى طالب ، فقــال : أمَا والله لو لا ما أعطيتُ خِنْدِفًا من العهد لَوَفيت لك . فذلك قول كُثَيِّر فى قصيــدته التى يرثِى فيها خِنْدِفا :

ينــال رجالًا نفعُه وهو منهــمُ * بعيــدٌ كعَيُّــوقِ[2] الــثُّريَّا المُحَلِّقِ

تهدده أبو الطفيل واستوهبه خندف الأسدىّ

أخبرنى أحمــد بن عبــد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

أنكر على الأحوص ضراعته فى الاستجداء

قال كُثَيِّر : فى أىّ شعرٍ أعطى هؤلاء الأحوصُ عشرةَ آلافِ دينــار ؟ قالوا : فى قوله فيهم :

وما كان مالى طــارفًا من تجــارةٍ * وما كان ميراثًا من المــال مُتْــلَدَا
ولكــن عطايَا من إمامٍ مُبَارَكٍ * مَلَا الأرضَ معروفًا وجُودا وسُودَدَا

(١) التكلة عن ترجمته فى الأغانى (ج ١٣ ص ١٦٦ طبع بلاق) وشرح القاموس (مادة طفل) . وهو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جابر بن خميس ، له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر بعده طويلا ، كان مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وروى عنه وكان من وجوه شيعته .
(٢) العيوق : كوكب أحمر مضىء بحيال الثريا فى ناحية الشمال ، و يطلع قبل الجوزاء .

فقال كثيِّر: إنه لَضرِعٌ قبَّحه الله! ألَا قال كما قلتُ:

صـــوت

دَعْ عنكَ سَلْمَى إذ فاتَ مَطْلَبُها * وآذكُرْ خليلَيْكَ(١) من بنى الحَكَمِ

ما أعطيانى ولا سألتُهما * إلّا وإنّى لحاجزى كَرَمى

إنّى متى لا يكن نوالُهما * عندى بما قد فعلتُ أحتشمِ ٥

مُبْدِى الرِّضا عنهما ومُنصرِفٌ * عن بعض ما لو فعلتُ لم أُلَمِ

لا أَنْزُرِ النائلَ الخليلَ إذا * ما آعتلّ نَزْرَ الظُّؤورِ لم تَرِمِ(٢)

عروضه من المُنْسَرِح. غنّى فى هذا الشعر يونس ثانىَ ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق. وغنّى فيه الغَرِيض ثانىَ ثقيلٍ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. وفيه لحن من الثقيل الأوّل يُنسب إلى مَعْبَد، وليس ١٠ بصحيح له. قال الزُّبير بن بكّار فى تفسير قوله: "لا أنزر النائل الخليل" يقول: لا أُلِحّ عليه بالمسألة؛ يقال: نَزَرتُه أَنْزُره إذا ألححتَ عليه. والظُّؤور: المتعطِّفة على [غير](٣) أولادها.

حديثه مع عبد الملك فى استقطاعه أرضا له

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنى الزُّبير قال حدّثنا المؤمَّلىّ عن أبى عُبيدة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن ١٥ خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال:

٣٠/٨

دخل كثيِّر على عبد الملك بن مَرْوان فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ أرضًا لك يقال لها غُرَّب(٤) ربما أتيتُها وخرجت اليها بولدى وعيالى فأصبنا من رُطَبها وتَمْرها بشراء

(١) فى الأصول: «خليلك» ويعنى بهما عبد الملك وعبد العزيز ابنى مروان بن الحكم.

(٢) ترم: تحن وتعطف. وأصله "ترأم" سهلت الهمزة ثم حذفت لالتقاء الساكنين؛ فان آخر الفعل ٢٠ ساكن بالجازم وحرك بالكسر للقافية. (٣) التكملة عن معاجم اللغة. (٤) غرب: ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بنى نمير. وغرب أيضا: جبل دون الشام فى ديار بنى كلب وعنده عين ماء تسمى غربة. هذا ما ورد فى معجم البلدان لياقوت. ولعله يعنى هنا موضعا آخر.

مرّة وطُعْمة مرّة . فإن رأى أمير المؤمنين أن يُعَمِّرَنِيها[1] فعل . فقال له عبد الملك : ذلك لك . فندّمه الناس وقالوا له : أنت شاعرُ الخليفة ولك عنده منزلة، فهلّا سألتَ الأرض قَطيعةً! . فأتى الوليدَ فقال: إنّ لى إلى أمير المؤمنين حاجةً فأجْلِسْنى قريباً من البِرْذَوْن . فلما ٱستوى عليه عبد الملك قال له : إيهٍ! وعلم أنّ له إليه حاجةً . فقال كثيِّر :

جَزَتْكَ الجوازِى عن صديقك نَضْرةً * وأدناك ربِّى فى الرَّفيق المُقَرَّبِ
فإنّك لا يُعْطَى عليك ظُلَامةً * عدوٌّ ولا تنأى عن المتقرِّب
وإنّك ما تَمنَعْ فإنك مانعٌ * بحقٍّ، وما أعطيتَ لم تتعقّبِ

فقال له : أترغَب غُرَّبا؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : ٱكتبوها له، ففعلوا .

هجاء الحزين له فى مجلس ابن أبى عتيق

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنى الزُّبير قال حدّثنا عمر بن أبى بكر المؤمّلى قال حدّثنى عبد الله بن أبى عُبيدة قال :

كان الحزين الكِنَانىّ قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين فى كل شهر، منهم ٱبنُ أبى عتيق . فجاءه لأخذ درهميه على حمارٍ له أعْجَف — قال : وكثيِّر مع ابن أبى عتيق — فدعا ابنُ أبى عتيق للحزين بدرهمين . فقال الحزين لابن أبى عَتيق : مَنْ هذا معك؟ قال : هذا أبو صخر كثيِّر بن أبى جمعة — قال : وكان قصيرًا دميما — فقال له الحزين : أتأذَن لى أن أهجوه ببيت من شعر؟ قال : لا ! لعمرى لا آذَن لك أن تهجو جليسى، ولكنى أشترى عِرْضه منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما . فأخذهما ثم قال : لا بدّ من هجائه ببيت . قال : أوْ أشترى ذلك منك بدرهمين آخرين، ودعا له بهما . فأخذهما ثم قال : ما أنا بتاركه حتى أهجوه . قال : أوْ أشترى

(١) يقال : عمر فلان فلانا كذا إذا جعله له طول عمره .

ذلك منك بدرهمين . فقال له كُثَيِّر : إيذَن له ، ما عسى أن يقول فى بيت! فأذِن له ابن أبى عتيق . فقال :

قصيرُ القميصِ فاحشٌ عند بيته * يَعَضّ القُرَادُ بِآستِه وهو قائمُ

قال : فوثب كثيِّر إليه فلكزَه ، فسقط هو والحمار ، وخلّص ابنُ أبى عتيق بينهما ، وقال لكثيِّر قبحك الله ! أتأذَن له وتَسْفَهُ عليه ! فقال كثيِّر : أوَ أنا ظننتُه أن يبلُغ بى هذا كلَّه فى بيت واحد ! .

ادعى أنه قرشى فرده الشعراء وسبه الكوفيون

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة ولم يتجاوزه ، وأخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن الخضر الخُزَاعىّ عن ولد جُمعة بنت كثيِّر أنه وجد فى كتب أبيه التى فيها شعر كُثَيِّر : أنّ عبد الملك ابن مروان قال له : ويحك! اِلْحَقْ بقومك من خُزاعة ؛ فأخبرَ أنه من كِنَانة قريش ، وأنشد كثيِّر قولَه :

أليس أبى بالصَّلْتِ أم ليس إخوتى * بكل هِجانٍ من بنى النَّضْر أزهَرَا

فإن لم تكونوا من بنى النَّضْرِ فاتركوا * أراكًا بأذناب القَوابلِ(١) أخضرا

أبَيْتُ التى قد سُمْتَنى ونَكِرْتُها * ولو سُمْتَها قبلى قَبِيصةَ(٢) أنكرا

لَبِسنا ثيابَ العَصْبِ فاختلط السَّدَى(٣) * بِنا وبهم والحَضْرَمِىَّ المُخَصَّرا

(١) تقدمت فيه رواية أخرى : "بأذيال الخمائل" . (راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧ من هذه الترجمة) . (٢) هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعى الكعبى أبو سعيد وأبو اسحاق ، ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم . وتوفى سنة ٨٦ (عن شرح القاموس مادة قبص) .

(٣) كذا فى كتاب السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٦١ طبع أوربا) والروض الأنف للسهيلى . والعصب : برود يمنية يعصب غزلها (أى يجمع ويشد) ثم يصبغ وينسج فيأتى موشيا لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ . قال السهيلى فى كتابه الروض الأنف فى معنى هذا البيت : «يريد أن قدودنا من قدودهم ، فسدى أثوابنا مختلط بسدى أثوابهم . والحضرمى : النعال المخصرة التى تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين» .

فقال له عبد الملك : لا بُدّ أن تُنشد هذا الشعر على منبَري الكوفة والبَصْرة، وحمله وكتب إلى العراق فى أمره[1] . قال عمر بن شَبّة فى خبره خاصّة : فأجابته خُزاعة الحجاز الى ذلك . وقال فيه الأحوص — ويقال : بل قاله سُراقة البارقىّ — :

٣١ / ٨

لَعَمْرِى لقد جاء العراقَ كُثَيِّرٌ * بأحدوثةٍ من وَحْيِه المُتَكَذِّبِ

أيزعمُ أنّى من كِنانةَ أوّلى * وما لِىَ من أُمٍّ هناك ولا أبِ

٥

فإنْ كنتَ حُرًّا أو تخاف مَعَرّةً * فَخُذْ ما أخذتَ من أميرك وآذهبِ

فقال كثيّر يجيبه — وفى خبر الزُّبير : قال هذا لأبى عَلْقمة الخُزاعىّ — :

أيا خُبَثُ أكرِمْ كِنانةَ إنّهم * مَواليك إنْ أمرٌ سما بك معلق

— وفى رواية الزُّبير : " أبا عَلْقَمٍ "—

بنو النَّضْرِ تَرْمِى من ورائك بالحصى * أُولُو حَسَبٍ فيهم وفاءٌ ومَصْدَقُ

١٠

يُفيدونكَ المالَ الكثيرَ ولم تَجِدْ * لُملكهمُ شِبْهًا لَوَ انّك تصدُق

اذا ركبوا ثارتْ عليك عَجاجةٌ * وفى الأرضِ من وقع الأسِنّة أَوْلَقُ[2]

فأجابه الأحْوَص بقوله :

دَعِ القومَ ما حَلّوا ببطن قُرَاضِمٍ[3] * وحيث تَفَشّى[4] بيضُه المتفلِّقِ

فإنّك لو قاربتَ أو قلتَ شُبْهةً * لذى الحقّ فيها والمخاصِم مَعْلَق

١٥

عذرناك أو قلنا صدقتَ وإنما * يُصدَّق بالأقوال من كان يصدُق

ستأبَى بنو عمرٍو عليك وينتمى * لهم حسبٌ فى جِذْمِ[5] غسّانَ مُعْرِقُ

فإنّك لا عمرًا أباك حَفِظتَه * ولا النَّضْرَ إن ضيّعتَ شيخَك تَلْحَقُ

(١) وردت هذه العبارة فى جـ : «وكتب فى أمره» . وفى سائر الأصول : «وكتب به إلى العراق فى أمره» . (٢) الأولق : الجنون . (٣) قراضم : موضع بالمدينة . (٤) كذا فى معجم ياقوت فى الكلام على قراضم . وفى الأصول : «تفشي» بالغين المعجمة . (٥) الجذم : الأصل .

٢٠

ولم تُدْرِكِ القــومَ الذين طلبتَهــم * فكنتَ كما كانَ السِّقاءُ المعلَّق
بجِذْمة ساقٍ ليس منــه لِحاؤها (١) (٢) * ولم يَكُ عنهـا قلبُـه يتعـــلّق
فأصبحتَ كالمُهْرِيق فضلةَ مائه * لبادِى سَرابٍ بالمَـــلا (٣) يترقـــرقُ

قال : فخرج كثيِّر فأتى الكوفةَ، فرُمِى به إلى مســجد بارِق . فقالوا له : أنت من أهل الحجاز؟ قال نعم. قالوا : فأخْبِرْنا عن رجل شاعرٍ ولِدَ زِناً يُدعى كُثَيِّرا . قال: سبحان الله! أمَا تسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان! قالوا : هو ما قاله لنفسه . فانسلَّ منهم وجاء الى والى الكوفة حسّان بن كَيْسان، فطيّره على البريد . وقال عمر ابن شَبّة فى خبره : إنّ سُرَاقة البارقىّ هو المُخاطِب له بهذه الشتيمة و إنه عرّفه وقال له : إن قلتَ هــذا على المنبر قتلتْك قَحْطان وأنا أوّلُهم؛ فانصرف الى منزله ولم يَعُدْ الى عبد الملك .

نبــذة عن سراقة البارق وقصته مع المختار حين أسر

وكان سُرَاقةُ هذا شاعرا ظريفا . فأخبرنى عمِّى قال حدّثنى الكُرَانىّ عن النَّضْر ابن عمر عن الهَيْثم بن عَدِىّ (٤) عن الأعمش عن إبراهيم قال :

كان سُرَاقة البارقىّ من ظُرَفاء أهل العراق ، فأسَره المختار يومَ جَبَّانة السَّبِيع (٥)، وكانت للمختار فيها وقعةٌ مُنْكَرة، فجاء به الذى أسرَه الى المختار فقال له : إنّى أسرتُ هذا . فقال له سُرَاقة : كذَب! ما هو الذى أسرنى، إنما أسرَنى غلامٌ أسود على بِرْذَوْن أبْلَقَ عليــه ثيابٌ خضرٌ، ما أراه فى عسكرك الآن، وسلّمنى اليــه . فقال المختار : أمَا إنّ الرجل قد عاين الملائكةَ ! خَلُّوا سبيلَه فخَلَّوْه؛ فهرب فأنشأ يقول :

(١) كذا فى جـ . والجذمة : القطعة . وفى سائر الأصول : «بخدمة ساق» . و يتعلق : لعل صوابه «يتفلق» . أى ولم يكن قلبه منشقا عنها . (٢) اللحاء : قشر الشجرة . (٣) الملا : الصحراء .
(٤) فى حـ هنا : «عمــرو» . (٥) جبانة السبيع : محلة بالكوفة مضافة الى السبيع وهى قبيلة؛ وكانت وقعة المختار بن أبى عبيد الثقفى بها حين خرج للثأر من قتلة الحسين بن على بن أبى طالب . (الطبرى ق ٢ ج ٢) .

أَلَا أبلِغْ أبا إسحاق أنّى * رأيتُ البُلْقَ دُهْمًا مُصْمَتاتِ (١)

أُرِى عَيْنَىَّ ما لم تُبْصِراه * كِلانا عالِمٌ بالتُّرَّهاتِ

كفرتُ بدينكم وجعلتُ نذرًا * علىَّ قتالَكم حتى المماتِ

كان يرى أن ابن الحنفية لم يمت وكان ذلك رأى السيد

أخبرنا الحرمىّ قال أخبرنا الزُّبَير قال أخبرنا عمرو (٢) ومحمد بن الضّحاك قالا :
كان كثيِّر يتشيّع تشيُّعا قبيحا، يزعم أنّ محمد بن الحنفيّة لم يمت . قال : وكان ذلك رأىَ السيِّد، وقد قال فيه (يعنى السيّد) شعرا كثيرا، منه : ٥

أَلَا قُلْ للوَصِىّ فدتْك نفسى * أطلتَ بذلك الجبلِ المُقاما

أضرّ بمَعْشَرٍ والَوْكَ منّا * وسمَّوْك الخليفةَ والإماما

وعادَوْا فيك أهلَ الأرضِ طُرًّا * مُقامُك عنهمُ ستّين عاما

وما ذاق ابنُ خَوْلةَ (٣) طعمَ مَوْتٍ * ولا وارتْ له أرضٌ عظاما ١٠

لقد أَوْفَى بمُورِق شِعْبِ رَضْوَى * تُراجِعه الملائكةُ الكلاما

وإنّ له به لمَقِيلَ صدقٍ * وأنديةً تحدِّثه كِرَاما

هدانا الله إذ جُرْتُمْ لأمرٍ * به ولديه نَلْتمِس التَّماما

تمامَ مَوَدّةِ المهدىِّ حتّى * تَرَوْا راياتِنا تَتْرَى نِظاما

وقال كُثَيِّر فى ذلك : ١٥

أَلَا إنّ الأئمّةَ من قُرَيْشٍ * وُلاةَ الحقِّ أربعةٌ سواءُ

علىٌّ والثلاثةُ من بَنِيه * همُ الأسباطُ ليس بهم خَفاءُ

فسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وبِرٍّ * وسِبْطٌ غيّبته كَرْبَلاءُ

(١) كذا فى الطبرى (ق ٢ ص ٦٦٥) وبه يستقيم الروىّ . وفى الأصول « ... عنى * بأن البلق دهم مصمتات » . ومصمت : لا يخالط لونه لون آخر . أى أن دهمتها خالصة لا يشوبها لون آخر . ٢٠

(٢) فى حـ : « عمر » . (٣) خولة : اسم أم محمد بن الحنفية .

وسِبْطٌ لا تراه العينُ حتّى * يقودَ الخيلَ يقدُمها اللّواء[1]
تغيّب لا يُرَى عنهم زماناً * برَضْوَى عنده عسلٌ وماء

شعره فى ابن الحنفية حين سجنه ابن الزبير فى سجن عارم

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا الحارث بن محمد عن المَدائنىّ عن أبى بكر الهُذَلىّ قال :

كان عبد الله بن الزُّبَير قد أُغْرِى ببنى هاشم يتبعهم بكل مكروه ويُغْرِى بهم ويخطُب بهم على المنابر ويصرِّح ويعرِّض بذكرهم . فربما عارضه ابن عبّاس وغيره منهم . ثم بدا له فيهم فحبس ابنَ الحنفيّة فى سجن عارمٍ[2]، ثم جمعه وسائرَ من كان بحضرته من بنى هاشم، فجعلهم فى مَحْبِس وملأه حطبًا وأضرم فيه النار . وقد كان بلغه أنّ أبا عبد الله الجَدَلىّ[3] وسائر شيعة ابن الحنفيّة قد وافَوْا لنُصرته ومحاربة ابن الزبير، فكان ذلك سبب إيقاعه به . وبلغ أبا عبد الله الخبرُ فوافَى ساعةَ أُضْرِمت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم، وأخرج ابن الحنفيّة عن جِوار ابن الزُّبير منذ يومئذ .
فأنشدنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال أنشدنا محمد بن حبيب لكثيِّر يذكر ابن الحنفيّة وقد حبسه[4] ابن الزُّبير فى سجن يقال له سجن عارِم :

مَنْ يَرَ هذا الشيخَ بالخَيْفِ من مِنًى * من الناسِ يعلَمْ أنّه غيرُ ظالِمِ
سَمِىُّ النبىِّ المصطفى وابنُ عمِّه * وفكّاكُ أغلالٍ ونفّاعُ غارِمِ
أَبَى فهو لا يَشْرِى هدًى بضلالةٍ * ولا يتّقِى فى الله لومةَ لائِمِ
ونحن بحمد الله نتلو كتابَه * حُلُولًا بهذا الخَيْفِ خَيْفِ المحارِمِ
بحيث الحمامُ آمِنُ الرَّوْعِ ساكنٌ * وحيث العدوّ كالصديق المُسالِمِ

(١) كذا فيما تقدم (ج ٧ ص ٢٤٦ من هذه الطبعة) . وفى الأصول هنا : « يتبعها » .
(٢) سجن بمكة . (٣) هو أبو عبد الله الجدلى عبدة بن عبد، أرسله المختار بن أبى عبيد نجدة لبنى هاشم لما حبسهم ابن الزبير، كما هو ظاهر فى القصة . (انظر الطبرى ق ٢ ص ٦٩٣ — ٦٩٥) .
(٤) فى الأصول : « وقد حبسهم » .

فما فَرَحُ الدُّنيا بباقٍ لأهلِه * ولا شِدَّةُ البَلْوَى بضربة لازِمِ

تُخَبِّرُ مَنْ[1] لاقيتَ أنك عائذٌ * بل العائذُ المظلوم فى سجن عارمِ

أنشد علىّ بن عبد الله شعرا له فى ابن الحنفية وحديثه معه

حدّثنى أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانىّ قال حدّثنا يحيى بن الحسن العَلَوىّ قال حدّثنا الزُّبير بنُ بَكّار، وأخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى محمد بن إسماعيل الجعفرىّ عن سعيد عن عُقْبَة الجُهَنىّ عن أبيه قال :

سمعتُ كثيِّرًا يُنشد علىَّ بن عبد الله بن جعفر قولَه فى محمد بن الحنفيّة :

أقَرَّ اللهُ عينِى إذ دعانى * أمينُ الله يلطُف فى السؤالِ

وأثنَى فى هواىَ علىَّ خيرًا * وساءَلَ عن بَنِىَّ وكيف حالى

وكيف ذكرت حال أبى خُبَيْبٍ * وزَلَّةَ فعلِه عند السُّؤالِ

هو المَهْدِىّ خَبَّرَنَاهُ كَعْبٌ[2] * أخو الأحبارِ فى الحِقَبِ الخوالى

فقال له علىّ بن عبد الله : يا أبا صخر، ما يُثنى عليك فى هواك خيراً إلا من كان على مثل مذهبك . قال : أجَلْ بأبى أنت وأمى! . قال : وكان كثيِّر كَيْسانيًّا[3] يرى الرَّجْعة . قال الزُّبَيْر : أبو خبيب عبد الله بن الزُّبير، كناه بابنه خُبَيْب وهو أكبر ولِده، وكان كثيِّر سيِّئَ الرأى فيه . قال الزُّبير : فأخبرنى عمِّى قال : لمّا قال كثيِّر :

هو المهدىّ خَبَّرَنَاه كعبٌ * أخو الأحبار فى الحِقَبِ الخوالى

(١) يريد عبد الله بن الزبير، وكان يدّعى أنه عائذ بالبيت فلا يحل قتاله .

(٢) هو كعب الأحبار بن ماتع ويكنى أبا إسحاق ، وهو من حمير من آل ذى رعين، وكان على دين يهود فأسلم وقدم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى توفى بها سنة اثنتين وثلاثين فى خلافة عثمان بن عفان. (انظر طبقات ابن سعد ج ٧ ق ٢ ص ١٥٦ طبع أوربا) .

(٣) فى ح : «خشبيا» . والخشبية : قوم من الجهمية يقولون إن الله تعالى لا يتكلم وإن القرآن مخلوق . وقال ابن الأثير : هم أصحاب المختار بن أبى عبيد ، ويقال : هم ضرب من الشيعة . وفى سبب تسميتهم بالخشبية خلاف ذكره شارح القاموس فى مادة خشب .

فقيل له : ألقيتَ كعبا ؟ قال : لا . قيـل : فلِمَ قلتَ "خبّرناه كعب" ؟ قال : بالتـوهّم .

غلوه فى التشيع والقول بالرجعة وأخبار له فى ذلك

قال : وكان كثيِّر شيعيًّا غاليا يزعم أن الأرواح تتناسخ، ويحتجّ بقول الله تعالى : ﴿فى أىِّ صورةٍ ما شاء ركّبك﴾ (١) ويقول : ألا ترى أنه حوّله من صورة فى صورة! .

٥ قال : فحدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمّلىّ عن عبد الله بن أبى عُبَيْدة قال : خِنْدِفٌ الأسدىّ الذى أدخل كثيِّرا فى الخشبيّة .

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى إبراهيم بن المُنْذِر الحِزامىّ عن محمد ابن مَعْن الغِفارىّ قال :

كنّا بالسَّيالة (٢) فى مَشْيَخةٍ نتحدّث، إذا بكثيِّر قد طلع علينا مُتّكئا على عصا .

١٠ فقال : كنّا ببَيْداء (٣) بأشراف السَّيالة وبهذه الناحية، فما بقى موضع ببيداء إلا وقد جئته (٤)، فاذا هو على حاله ما تغيّر وما تغيّرت الجبال ولا الموضع الذى كنّا نطوف فيه، وهذا يكون حتى نَرجع اليه . وكان يُؤمن بالرَّجْعة .

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى يحيى بن محمد قال :

دخل عبـد الله بن حسن على كثيِّر يعوده فى مرضه الذى مات فيه . فقال له

١٥ كثيِّر : أَبْشِرْ! فكأنّك بى بعد أربعين ليلة قد طلعتُ عليك على فرس عتيق . فقال له عبد الله بن حسن : مالك عليك لعنة الله! فوالله لئن متّ لا أشهدُك ولا أعودك ولا أُكلّمك أبدا .

كان أبو هاشم يجلس أخباره

٣٤/٨ أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى يحيى بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز أحسَبه عن ابن الماجِشون قال :

٢٠ (١) لعله : «الى صورة» . (٢) السيالة : موضع بجوار المدينة، قيل : هى أوّل مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة . (٣) بيداء : يريد بها موضعا بعينه . (٤) فى الأصول : «فما بقى موضع ببيداء فيه الا وقد جئته ... الخ» . وظاهر أن كلمة «فيه» مقحمة من الناسخ .

وكان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علىّ قد وضع الأرصاد على كثيّر فلا يزال يؤتى بالخبر من خبره، فيقول له إذا لقيه : كنتَ فى كذا وكنت فى كذا، إلى أن جرى بين كثيّر وبين رجل كلامٌ فأُتى به أبو هاشم . فأقبل به على أدراجه (١) ؛ فقال له أبو هاشم : كنتَ الساعةَ مع فلان فقلتَ له كذا وكذا وقال لك كذا وكذا . فقال له كثيّر : أشهد أنك رسول الله .

كان يقول من الأطفال من آل البيت إنهم الأنبياء الصغار

أخبرنا محمد بن جعفر النحوىّ قال حدّثنا محمد، وأخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا محمد بن إسماعيل عن موسى بن عبد الله فيما أحسَب قال :

نظر كثيّر الى بنى حسن بن حسن وهم صغار فقال : بأبى أنتم ! هؤلاء الأنبياء الصغار . وكان يرى الرَّجْعة . وروى علىّ بن بشر بن سعيد الرازىّ (٢) عن محمد بن حُمَيْد عن أبى زُهير عبد الرحمن بن مَغْراء الدَّوْسىّ عن محمد بن عُمَارة قال :

مرّ كثيّر بمعاوية بن عبد الله بن جعفر وهو فى المكتب، فأكبّ عليه يقبّله وقال : أنت من الأنبياء الصغار وربِّ الكعبة !

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال حدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز قال حدّثنى إبراهيم بن داجَة قال :

كان كثيّر شيعيًّا، وكان يأتى ولدَ حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه، فيهب لهم الدراهم ويقول : وابأبى الأنبياء الصغار ! . وكان يؤمن بالرّجعة . فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو أخوهم لأُمّهم ، : يا عمّ هَبْ لى ؛ فيقول : لا ! لستَ من الشجرة .

---

(١) لعله " فأقبل على أدراجه " يريد أنه حضر لوقته لم يلو على شىء ؛ فتكون كلمة "به" من زيادة النساخ . (٢) فى ح : " على بن سعيد بن بشر الرازى " .

كان عمر بن عبد العزيز يعرف بحبه صلاح بنى هاشم وفسادهم

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال حدّثنى الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى عثمان بن عبد الرحمن عن إبراهيم بن يعقوب بن أبى عُبيد الله قال :

قال عمر بن عبد العزيز : إنى لأعرف صُلّاح بنى هاشم من فُسّادهم بحبّ كثيّر: مَنْ أحبّه منهم فهو فاسد، ومن أبغضه فهو صالح؛ لأنه كان خَشَبيًّا يقول بالرجعة .

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِىّ[1] عن أبى لَهيعة عن رَجَاء بن حَيْوَة قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : إن مما أعتبر به صُلّاح بنى هاشم وفُسّادهم حُبّ كثيّر، ثم ذكر مثلَه .

قال لعمته إنه يونس بن متى

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا علىّ بن صالح عن ابن دَأْب قال: كان كثيّر يدخل على عمّة له بَرْزَةٍ[2] فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها . فقال لها يومًا : لا والله ما تعرفيننى ولا تُكرميننى حقّ كرامتى ! قالت : بَلَى والله إنى لأعرفك . قال : فمَنْ أنا؟ قالت : ابن فلان وابن فلانة، وجعلت تمدح أباه وأُمّه . فقال : قد عرفتُ أنك لا تعرفيننى . قالت : فمَنْ أنت؟ قال : أنا يونس بن متّى .

كان عاقا لأبيه

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى أبى قال :

كان كثيّر عاقًّا لأبيه[3]، وكان أبوه قد أصابته قُرْحَةٌ فى إصبع من أصابع يده . فقال له كثيّر : أتدرى لِمَ أصابتك هذه القرحة فى إصبعك؟ قال : لا أدرى . قال : مما ترفعها الى الله فى يمين كاذبة .

(١) الدراوردى : نسبة شاذة الى دارابجرد (و يقال : درابجرد) : بلد بفارس ومحلة بنيسابور أيضا . (راجع لب اللباب فى تحرير الأنساب للسيوطى) . (٢) البرزة : المرأة الكهلة التى لا تحتجب احتجاب الشواب وهى مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس الى الناس وتحدثهم . (٣) فى الأصول : «بأبيه» .

ضافه مزنى وذمه بأنه لم يقم لصلاة الصبح

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن الغِفارىّ عن أبيه وغيره قال حدّثنى رجل من مُزَيْنة قال :

ضِفْتُ كثيِّرا ليلةً وبتُّ عنده ثم تحدّثنا ونِمْنا . فلما طلع الفجر تضوّر[1]، ثم قمت فتوضّأت وصلّيت وكثيِّر راقد فى لِحافه . فلما طلع قَرْن الشمس تضوّر ثم قال : يا جارية اْسْجُرى لى ماء . قال قلتُ : تبًّا لك سائرَ اليوم ! أو هــذه الساعةَ هذا ! وركبتُ راحلتى وتركته . قال الزبير : أسْخِنى لى ماء .

٣٥/٨ ٥

كان يهزأ به ويصدق ما يسمع عن نفسه

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز ابن عِمْران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شِهاب عن طَلْحة بن عُبَيد الله قال :

ما رأيتُ قطُّ أحمقَ من كثيِّر . دخلت عليه يومًا فى نفر من قريش وكنّا كثيرا ما نتهزّأ به ، وكان يتشيّع تشــيُّعا قبيحا . فقلت له : كيف تجِدُكَ يا أبا صخر ؟ وهو مريض، فقال : أجدنى ذاهبا . فقلت : كلَّا! فقال : هــل سمعتم الناس يقولون شيئا؟ فقلت : نعم ! يتحدّثون أنك الدجّال . قال : أمَا لئن قلتَ ذاك إنِّى لأجد فى عينى ضعفا منذ أيّام .

١٠

كان تياها ويستحمقه فتيان المدينة لذلك

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز ابن عِمْران :

١٥

أن ناسًا من أهل المدينــة كانوا يلعبون بكثيِّر فيقولون وهو يسمع : إن كثيِّرا لا يلتفت من تِيهه . فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكِبْر ويمضى فى قميص .

(١) التضوّر : التلوّى .

سأله عبد الملك عن شيء وحلفه بأبي تراب

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلم بن قُتَيْبة قال : بلغني أن كثيّرا دخل على عبد الملك بن مروان، فسأله عن شيء فأخبره به . فقال : وحقّ عليّ بن أبي طالب إنه كما ذكرتَ ؟ قال كثيّر : يا أمير المؤمنين ، لو سألتني بحقّك لصدَقْتُك . قال : لا أسألك إلا بحقّ أبي تُرَاب (١) . فحلف له به فرضي .

تمثل عبد الملك بشعر له حين منعته عاتكة من الخروج لحرب مصعب وحديثه معه عن هذه الحرب

٥ أخبرنا الفضل بن الحُبَاب أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال أخبرني عثمان بن عبد الرحمن ، وأخبرنا محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحَبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة ، وأخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا المُؤَمّلي عن ابن أبي عُبَيْدة ، قالوا جميعا :

١٠ لما أراد عبد الملك الخروجَ الى مُصْعَب لاذتْ به عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهي أمّ ابنه يزيد ، وقالت : يا أمير المؤمنين ، لا تخرج السنةَ لحرب مُصْعَب ، فإنّ آل الزُّبير ذكروا خروجك ، وابعث اليه الجيوش ، و بكتْ و بكى جواريها معها . وجلس وقال : قاتل الله ابنَ أبي جُمعة ! فأين قوله :

صوت

١٥ إذا ما أراد الغَزْوَ لم تَثْنِ هَمَّه * حَصَانٌ عليها عِقدُ دُرٍّ يَزِينُها

نهتْه فلما لم تَرَ النَّهْيَ عاقَه (٢) * بكتْ فبكى مما شجاها قَطِينُها

— غنّاه ابنُ سُرَيْج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق — والله لكأنه

(١) أبو تراب : لقب علي بن أبي طالب عليه السلام ، لقبه بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن عليا دخل على فاطمة رضي الله عنهما ثم خرج فاضطجع في المسجد . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أين ابن عمك ؟ قالت : في المسجد . فخرج اليه صلى الله عليه وسلم فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب

٢٠ الى ظهره ؛ فجعل عليه الصلاة والسلام يمسح التراب عن ظهره و يقول له : اجلس يا أبا تراب (مرتين) . (عن شرح القسطلاني على صحيح البخاري ج ٦ ص ١٣٨) . (٢) القطين : الخدم والأتباع والحشم .

يرانى ويراكِ يا عاتكة؛ ثم خرج. قال محمد بن جعفر النحوىّ فى خبره — ووافقه عليه عمر بن شبّة —: فلما خرج عبد الملك نظر الى كثيّر فى ناحية عسكره يسير مُطْرِقًا؛ فدعا به وقال: لأعْلَمُ ما أسكتك وألقى عليك بَثَّك؛ فإن أخبرتُك عنه أتصدُقنى؟ قال نعم! قال: قل وحقّ أبى تُراب لتصدُقَنِّى؛ قال: والله لأصدُقَنَّكَ. قال: لا أوْ تحلفَ به، فحلَف به. فقال تقول: رجلان من قريش يلقى أحدُهما صاحبَه فيحاربُه، القاتل والمقتول فى النار، فما معنى سيرى مع أحدهما الى الآخر ولا آمَن سهمًا عائرا لعلّه أن يصيبَنى فيقتلَنى فأكونَ معهما! قال: والله يا أمير المؤمنين ما أخطأتَ. قال: فارجِعْ من قريب؛ وأمر له بجائزة.

٣٦ / ٨

بكى لقتل آل المهلب فزجره يزيد وضحك منه

أخبرنا وكيع قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال حدّثنا أبو تمّام الطائىّ حَبيب بن أَوْس قال حدّثنى العَطّاف بن هارون عن يحيى بن حمزة قاضى دِمَشْق قال حدّثنى حَفْص الأَمَوىّ قال:

كنت أختلف إلى كثيّر أتروّى شعرَه. قال: فوالله إنى لعنده يومًا إذ وقف عليه واقف فقال: قُتِل آلُ المُهلَّب بالعَقْر[1]. فقال: ما أجَلَّ الخطبَ! ضحّى آلُ أبى سُفيان بالدّين[2] يوم الطَّف، وضحّى بنو مَرْوان بالكَرَم يوم العَقْر! ثم انتضحتْ عيناه باكيا. فبلغ ذلك يزيدَ بن عبد الملك فدعا به. فلما دخل عليه قال: عليك لعنةُ الله! أتُرابيّة[3] وعَصَبيّة! وجعل يضحك منه.

(١) هو عقر بابل قريب كربلاء من الكوفة قتل عنده يزيد بن المهلب بن أبى صفرة سنة ١٠٢، وكان خلع طاعة بنى مروان ودعا الى نفسه وأطاعه أهل البصرة والأهواز وواسط وخرج فى مائة وعشرين ألفا. فندب له يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة فوافقه بالعقر من أرض بابل فأجلت الحرب عن قتله. (عن معجم البلدان لياقوت). (٢) كذا فى وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٦١٨). وفى الأصول: «بالدمن» وهو تحريف. والطف: أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية، فيها كان مقتل الحسين ابن على رضى الله عنه. (٣) يعنى أنه من شيعة أبى تراب، وهو لقب على بن أبى طالب كما أسلفنا.

سأله عبد الملك عن أشعر الناس فأجابه

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى محمد عن أبيه قال :

قال عبد الملك بن مروان لكثيّر : مَنْ أشعرُ الناس اليومَ يا أبا صخر؟ قال : مَنْ يروى أميرُ المؤمنين شعرَه . فقال عبد الملك : أمَا إنّك لمنهم .

جواب عبد الملك له وقد سأله عن شعره

أخبرنا وَكيع قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزّيات قال حدّثنا حمّاد ابن إسحاق عن ابن أبى عَوْف (١) عن عَوَانة قال :

٥

قال كثيّر لعبد الملك : كيف ترى شعرى يا أمير المؤمنين ؟ قال أراه يسبِق السحرَ، ويغلِب الشعر .

كان عبد الملك يروى أولاده شعره

أخبرنا عمّى عن الكُرَانىّ عن النّضر بن عمر قال :

كان عبد الملك بن مروان يُخْرِج شعرَ كثيّر الى مؤدّب ولده مختوما يروّيهم إياه ويردّه .

١٠

نزل مرعى لإبله فضيق عليه أهله فذم جوارهم

أخبرنا الحرمىّ قال أخبرنا الزُّبير قال حدّثنا عبد الله بن خالد الجُهَنىّ :

أن كثيّرا شبّ فى حِجْر عمٍّ له صالح، فلما بلغ الحُلُم أشفق عليه أن يَسْفَه، وكان غير جيِّد الرأى ولا حسنِ النظر فى عواقب الأمور . فاشترى له عمّه قطيعًا من الإبل وأنزله فَرْشَ مَلَل (٢) فكان به ، ثم ارتفع فنزل فَرْعَ المِسْوَر بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عَوْف من جبل جُهَيْنة الأصغر، وكان قبل المسور لبنى مالك بن أَفْصَى، فضيّقوا على كثيّر وأساءوا جُواره، فانتقل عنهم وقال :

١٥

(١) فى جـ : «عن أبى عوف عن عوانة» .

(٢) فى الأصول : « فرش مالك » . والتصويب عن القاموس وشرحه . وفرش ملل : واد بين عميس الحمائم وصخيرات الثمامة بالقرب من ملل قرب المدينة ، يقال له الفرش وفرش ملل، أضيف الى ملل لقربه منه . وهذه كلها مواضع نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مسيره الى بدر . (راجع القاموس وشرحه مادة فرش ومعجم البلدان لياقوت فى الكلام عن فرش) .

٢٠

أبَتْ إبِـلِى ماءَ الرَّداة[1] وشَفَّها * بنو العمّ يحمون النَّضِيحَ[2] المُبَرَّدا

وما يمنعون المـاء إلّا ضَنانةً * بأصلاب عُسْرى[3] شوكها قد تخدّدا

فعادتْ فلم تَجْهَدْ على فضل مائه * رِياحًا ولا سُقْيًا ابن طَلْقِ بنِ أسعدا

قال : ويُرْوَى أنه أوّل شعر قاله .

روايتـه عن بدء قوله الشعر

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عمّى قال :

قال كثيّر : ماقلتُ الشعر حتى قُوِّلْتُه . قيل له : وكيف ذاك؟ قال : بينا أنا يوما نصفَ النهار أسير على بعيرٍ لى بالغَمِيم[4] أو بقاع حَمْدان[5]، إذا راكبٌ قد دنا منّى حتى صار الى جنبى؛ فتأمّلته فاذا هو من صُفْر[6] وهو يجرّ نفسه فى الأرض جرًّا . فقال لى : قل الشعر وألقاه علىّ . قلت : مَنْ أنت ؟ قال : أنا قَرِينك من الجنّ . فقلتُ الشعر .

عزة عشيقته وأول عشقه لها

ونُسِب كثيّر لكثرة تشبيبه بعَزّة الضَّمْرِيّة اليها[7]، وعُرِف بها فقيل كثيّر عَزّة . وهى عزّة بنت حُمَيل[8] بن وَقّاص . أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى محمد بن الحسن قال :

أبو بَصْرة الغِفَارىّ[8] المحدّث وآسمه حُمَيْل بن وَقّاص هو أبو عَزّة التى كان ينسُب بها كثيّر . وكان ابتداء عشقه إيّاها — على أنه قد قيل : إنه كان فى ذلك

(١) الرداة : الصخرة . (٢) النضيح : الحوض . وفى الأصول : «النصيح» بالصاد المهملة وهو تصحيف . (٣) العسرى (بفتح العين وضمها) : البقلة إذا يبست . ورواية لسان العرب (مادة عسر) : «بأطراف عسرى» . (٤) الغميم : موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة . (٥) ظاهر أنه موضع بعينه . (٦) الصفر : النحاس . (٧) عبارة ا ، م : «ونسب كثير الى عزة لكثرة تشبيبه بعزة الضمرية وغزله فيها فقيل ... الخ» . (٨) اختلف فى اسم أبى بصرة هذا فقيل : هو حميل (بالحاء المهملة مصغرا) وقيل جميل (بالجيم) وكل ذلك مضبوط محفوظ . وهو أبو بصرة حميل (أو جميل) ابن بصرة بن وقاص بن حبيب بن غفار؛ له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه أبو هريرة . وفى الأصول : «حميد بن وقاص» وهو تحريف . (راجع الاستيعاب فى معرفة الأنساب) .

كاذبًا ولم يكن بعاشق ، وذلك يُذكر بعد خبره معها — فيما أخبرنى به الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى عبد الله بن إبراهيم السعدىّ قال حدّثنى إبراهيم بن يعقوب بن جَميع الخُزَاعىّ :

٣٧/٨

أنه كان أوّل عشق كثيّرٍ عَزّةَ أن كثيّرًا مرّ بنسوة من بنى ضَمْرة ومعه جَلَبُ غنمٍ ، فأرسلن اليه عزّة وهى صغيرة؛ فقالت : يقلن لك النسوة[1] : بِعْنا كَبْشًا من هذه الغنم وأَنْسِئْنا بثمنه الى أن ترجع؛ فأعطاها كبشا وأعجبته . فلما رجع جاءته آمرأة منهنّ بدراهمه؛ فقال : وأين الصبيّة التى أخذت منّى الكبش؟ قالت : وما تصنع بها ! هذه دراهمك . قال : لا آخذ دراهمى إلا ممن دفعتُ الكبش اليها . وخرج وهو يقول :

قضى كلُّ ذى دَيْنٍ فوفّى غَريمَه * وعَزّةُ ممطـولٌ مُعَنًّى غَريمُها

قال : فكان أوّلَ لقائه إياها .

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزبير[2] قال حدّثنى عبد الرحمن بن الخضر بن أبى بكر ابن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبى جَنْدَل[3] عن أبيه عبد العزيز الخزاعىّ — وأمّه جمعة بنت كثيّر — عن أمه جمعة عن أبيها كثيّر :

أنّ أوّل علاقته بعزّة أنه خرج من منزله يسوقُ خَلْفَ[4] غنمٍ الى الجار[5]؛ فلما كان بالخَبْت وقف على نسوةٍ من بنى ضَمْرة فسألهنّ عن الماء؛ فقلن لعزّة وهى جارية

---

(١) إثبات نون النسوة هنا لغة ضعيفة . (٢) لعله : «عن أبى بكر بن عبدالعزيز» الخ .

(٣) فى الأصول : «عبد الرحمن بن جندل» . وقد أصلحناه مما يأتى فى الصفحة التالية .

(٤) يحتمل أن يكون : «يسوق جلب غنم» . (٥) الجار : موضع على ثلاث مراحل من المدينة بساحل البحر . والخبت فى الأصل : المطمئن من الأرض فيه رمل ، أو هو الوادى العميق الوطىء ينبت ضروب العضاه ، واسم لعدة مواضع .

حين كَعَب ثدياها : أرشديه الى المـاء ، فأرشدته وأعجبته . فبينا هو يسق غنمه إذ جاءته عزّة بدراهم ، فقالت : يقلن لك النسوةُ : بِعْنا بهـذه الدراهم كبشًا من ضَأْنك : فأمر الغلامَ فدفع اليها كبشا ، وقال : رُدِّى الدراهم وقولى لهنّ : إذا رحتُ بكنّ آقتضيتُ حقِّى . فلما راح مرّ بهنّ ، فقلن له : هذا حقُّك فخذه . فقال : عَزّةُ غَريمى (١) ، ولست أقتضى حقِّى إلّا منها . فمزَحن معه وقلن : ويحك ! عزّة جارية صغيرة وليس فيها وفاء لحَقّك فأحِلْه على إحدانا فإنها أملأُ به منها وأسرع له أداء . فقال : ما أنا بمُحيل حقّى عنها . ومضى لوجهه ، ثم رجع اليهنّ حين فرغ من بيع جَلَبِه فأنشدهنّ فيها :

نظـرتُ اليهـا نظـرةً وهى عاتِقٌ * على حين أن شبّت و بان نُهـودها
وقد درّعوها وهى ذات مُؤَصَّـدٍ * مَجُوبٍ ولمّـا يَلْبَس الدِّرْعَ رِيـدُها (٢)
من الخَفِـراتِ البِيض وَدّ جليسُها * إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدها

فى هذا البيت وأبياتٍ أُخَر معه غناءٌ يذكر بعد تمـام هذا الخبر وما يضاف اليه من جنسه . وأنشدهنّ أيضا :

قضى كُلُّ ذى دَيْنٍ فوفّى غريمَـه * وعَزّةُ ممطـولٌ مُعَـنًّى غريمُها

فقلن له : أبيتَ إلّا عزّةَ ! وأبرزنها اليه وهى كارهة . ثم أحبّته عزّة بعد ذلك أشدّ من حبِّه إيّاها . قال الزُّبير : فسألت محمد بن أبى بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الخُزَاعىّ المعروف بأبى جَنْدَل عن هذا الحديث ، فعرفه وحدّثنيه عن أبيه عن جدّه عبد العزيز بن أبى جندل عن أُمّه جمعة بنت كثيّر عن أبيها .

---

(١) فى الأصول : «غريمتى» . وفعيل بمعنى مفعول إذا ذكر موصوفه يستوى فيه المذكر والمؤنث .

(٢) المؤصـد : صدار تلبسه الجارية (الفتاة الصغيرة) فاذا أدركت درّعت . والمجوب : الذى جعل له جيب . وريدها : تربها ولدها . والأصل فيه « الرئد » بالهمز .

سؤال عبد الملك لعزة عن كثير وسبب إعجابه بها

وأخبرني عمّي الحسن بن محمد الأصفهانيّ رحمه الله قال حدّثني محمد بن سعد الكُرَانيّ قال حدّثنا النَّضْر بن عمرو قال حدّثني عمر بن عبد الله بن خالد المُعَيطيّ، وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيم قال حدّثني إبراهيم ابن إسحاق الطَّلْحيّ، وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني يعقوب بن عبدالله الأَسَديّ وغيره، قال الزبير وحدّثني محمد بن صالح الأسلميّ قال:

٣٨ / ٨

دخلتْ عزّة على عبد الملك بن مَرْوان وقد عَجُزَتْ؛ فقال لها أنت عزّة كثيّر! فقالت: أنا عزّة بنت حُمَيْل. قال: أنت التي يقول لك كُثَيِّر:

لِعَــزّة نارٌ ما تَبُــوخُ(١) كأنهــا * إذا ما رَمَقْناها من البعدِ كوكبُ

فما الذي أعجبه منكِ؟ قالت: كلَّا يا أمير المؤمنين! فوالله لقد كنتُ في عهده أحسن من النار في الليلة القَرّة. وفي حديث محمد بن صالح الأسلميّ: فقالت له: أعجبه منّي ما أعجب المسلمين منك حين صيّروك خليفة. قال: وكانت له سِنٌّ سوداء يخفيها؛ فضحك حتى بدتْ. فقالت له: هذا الذي أردتُ أن أُبديه. فقال لها: هل تروين قول كثيّر فيك:

وقــد زعمتْ أنّي تغيّرتُ بعــدَها * ومَنْ ذا الّذي يا عــزُّ لا يتغــيّر

تغــيّر جسمي والخليقــةُ كالّتي * عَهِــدْتِ ولم يُخْــبَرْ بسرّك مُخْبِر

قالت [لا(٢) !] ولكني أروي قوله:

كأنّي أنادي صخرةً حين أعرضتْ * من الصُّمِّ لو تمشي بها العُصْمُ زَلّتِ

صَفُوحًا(٣) فمــا تلقاكَ إلّا بخيــلةً * فمَنْ مَلّ منها ذلك الوصــلَ مَلّتِ

فأمر بها فأُدخلت على عاتكة بنت يزيد — وفي غير هذه الرواية: أنها أدخلتْ على أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان — فقالت لها: أرأيتِ قول كثيّر:

(١) تبوخ: تسكن. (٢) هذه الكلمة ساقطة من ب، س. (٣) صفوحا: معرضة صادّة.

قضى كلُّ ذى دَينٍ فوفّى غريمَه * وعزّة ممطولٌ معنًّى غريمُها

ما هذا الذى ذكره؟ قالت : قبلةٌ وعدتُه إياها . قالت : أنجزيها وعلىّ إثمها .

قصة غلام له مع عزة و إعتاقه بسبب ذلك

أخبرنا الحسن بن الطيِّب البَجَلىّ الشُّجاعىّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبىّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال روى آبن جُعْدُبة عن أشياخه ، وأخبرنا الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو بكر بن يزيد ابن عِياض بن جُعْدُبة عن أبيه :

أنّ كثيِّرا كان له غلام تاجر، فباع من عَزّة بعض سِلَعه ومَطَلَتْه مُدّةً وهو لا يعرفها . فقال لها يومًا : أنت والله كما قال مولاى :

قضى كلُّ ذى دَينٍ فوفّى غريمَه * وعزّة ممطولٌ معنًّى غريمُها

فانصرفت عنه خَجِلة . فقالت له آمرأة : أتعرف عزّة؟ قال : لا والله ! . قالت : فهذه والله عزّة . فقال : لا جَرَمَ والله لا آخذ منها شيئا أبدا ولا أقتضيها . ورجع الى كثيِّر فأخبره بذلك ، فأعتقه ووهب له المال الذى كان فى يده .

لقيت قسيمة بنت عياض عزة ووصفتها

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى يعقوب بن حكيم السُّلَمىّ عن قسيمة بنت عِياض بن سعيد الأسلميّة، وكنيتها أمّ البنين ، قالت :

سارت علينا عزّة فى جماعة من قومها بين يدى يَرْبُوع وجُهَيْنة ، فسمعنا بها، فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن، فجئناها فرأينا آمرأةً حُلْوةً حُمَيْراء(١) نظيفة ، فتضاءلنا لها ، ومعها نسوةٌ كلهن لها عليهن فضلٌ من الجمال والخَلْق ، إلى أن تحدّثتْ ساعةً فإذا هى أبرع الناس وأحلاهم حديثا ، فما فارقناها إلّا ولها علينا الفضلُ فى أعيننا ، وما نرى فى الدّنيا آمرأةً تروقها(٢) جمالًا وحسنًا وحلاوة .

(١) أى بيضاء . والعرب يقولون الأحمر والحمراء فى نعت الآدميين و يريدون الأبيض والبيضاء .
(٢) لعله : «تفوقها» .

سأل عبد الملك كثيرا عن أعجب خبر له مع عزة فذكر له ملاقاتها له مع زوجها اذ أمرها بشتمه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى فضل اليزيدىّ عن إسحاق الموصلىّ عن أبى نصر (شيخ له) عن الهيثم بن عدىّ :

أنّ عبد الملك سأل كثيّرا عن أعجب خبر له مع عزّة، فقال :

حججتُ سنةً من السنين وحجّ زوج عزّة بها، ولم يعلم أحد منّا بصاحبه. فلمّا كنّا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن تُصلح به طعامًا لأهل رُفقته، فجعلتْ تدور الخيامَ[1] خيمةً خيمةً حتى دخلتْ الىّ وهى لا تعلم أنها خيمتى، وكنت أبرى أسهمًا لى. فلما رأيتها جعلت أبرى وأنا أنظر اليها ولا أعلم حتى بريتُ عظامى مرّات ولا أشعر به والدم يجرى. فلما تبيّنتْ ذلك دخلتْ إلىّ فأمسكتْ يدى وجعلتْ تمسح الدم عنها بثوبها، وكان عندى نِحى[2] من سمن، فحلفتُ لتأخذنّه، فأخذتْه وجاءت الى زوجها بالسمن. فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمتْه، حتى حلف لتَصْدُقنّه فصدَقتْه، فضربها وحلف لتشتمنّى فى وجهى. فوقفتْ علىّ وهو معها فقالت لى: يآبنَ الزانية وهى تبكى، ثم آنصرفا. فذلك حين أقول :

يُكلّفها الخنزيرُ شتْمِى وما بها * هَوَانِى ولكن للمليك آستذلّتِ

نسبة ما فى هذه القصيدة من الغناء :

صوت

خَليلَيَّ هذا رَسْمُ عَزّة[3] فاعْقِلَا * قَلُوصَيْكما ثم ابْكِيَا حيث حلّتِ

وما كنتُ أدرِى قبل عَزّةَ ما البكا * ولا مُوجِعاتِ القلب[4] حتّى تولّتِ

(١) نصب "الخيام" إما على حذف حرف الجر، وإما على تضمين "تدور" معنى تجوز المتعدّى.

(٢) النحى : زق للسمن. (٣) فى كتاب الشعر والشعراء : «ربع عزة».

(٤) فى جـ وكتاب الشعر والشعراء : «موجعات الحزن».

فليتَ قَلُوصِى عنــد عزّة قُيِّــدتْ * بحبــلٍ ضعيفٍ بانَ منهـا فضلّت

وأصبح فى القــوم المقيمين رحلُها * وكان لهـا باغٍ ســوَاىَ فبلّت(١)

فقلتُ لهـا يا عزّ كلُّ مُصيبــةٍ * إذا وُطِّنَتْ يومًا لهـا النفسُ ذلّت

أَسيئى بنـا أو أَحْسِنِى ، لا ملومةٌ * لدينـا ولا مَقْلِيّــةٌ إنْ تَقَلّتِ(٢)

هَنِيئًا مَرِيئًـا غــيرَ داءٍ مُخَامِــرٍ * لِعَــزّةَ من أعراضنا ما آسْتَحلّت

تَمَنَّيتُهـا حــتّى إذا ما رأيتُهـا * رأيتُ المنـايا شُرَّعًا قــد أظلّت

كأنّى أُنادى صخرةً حين أعرضتْ * من الصُّمِّ لو تمشى بها العُصْمُ زلّت

صَــفُوحًا فمـا تلقاكَ إلّا بخيــلةً * فمَنْ مَلّ منهـا ذلك الوصلَ ملّت

أصاب الرَّدَى مَنْ كان يهوى لكِ الرَّدَى * وجُنّ اللواتى قلن عَزّةُ جُنّت

عروضه من الطويل . غنّى معبد فى الخمســة الأُوَل ثقيــلًا أوّل بالوسطى . وغنّى إبراهيم فى الثالث والرابع ثقيــلا أوّل بالبنصر عن عمرو ، وغنّى فى "هنيئا مريئـا" والذى بعده خفيفَ رملٍ بالوسطى . وغنّى إبراهيم فى الخامس وما بعده ثانىَ ثقيل ؛ وذكر الهشامىّ أنّ لآبن سُرَيج فى "هنيئا مريئا" وما بعــده ثانى ثقيــل بالبنصر . وذكر أحمد بن المكىّ أن لإبراهيم فى "كأنى أنادى" والذى بعده وفى "أسيئى بنا أو أحسنى" هزجا بالســبّابة فى مجــرى البنصر ؛ ولإسحاق فيــه هزج آخر به(٣) . ولعَرِيبَ فى "كأنى أنادى" أيضا رمل . ولإسحاق فى "وما كنت أدرى" ثقيــل أوّل . وله فى "أصاب الردى" ثقيل أوّل آخر ، وقيل : إن لإبراهيم فى "فقلت لها يا عزّ" خفيفَ ثقيل ينسب إلى دَحْمان و إلى سِيَاط .

(١) يقال : بلت مطيته على وجهها إذا ذهبت فى الأرض ضالة . (٢) تقلى : تبغض . أى لا هى ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت أى تبغضت . خاطبها أوّلا ثم غايب أى ذكرها بضمير الغيبة .

(٣) لعله : «بها» أى بالسبابة فى مجرى البنصر .

اجتمعا ذات ليلة ووصف ذلك صديق له

أخبرني الحرميّ وحبيب بن نَصْر قالا حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا يعقوب بن حكيم عن إبراهيم بن أبي عمرو الجُهَنيّ عن أبيه قال :

سارت علينا عزّة في جماعة من قومها، فنزلتْ حِيَالَنا . فجاءني كثيِّر ذات يوم فقال لي : أُريد أن أكون عندك اليوم فأذهبَ الى عزّة ؛ فصرتُ به الى منزلي . فأقام عندي حتى كان العِشاء ، ثم أرسلني اليها وأعطاني خاتمَه وقال : اذا سلَّمتَ فستَخْرُج اليك جارية ، فادفع إليها خاتمي وأعلِمْها مكاني . فجئت بيتها فسلّمتُ فخرجتْ إليّ الجارية فأعطيتها الخاتم . فقالت : أين الموعد ؟ قلت : صَخَراتُ أبي عُبَيْد الليلةَ ، فواعدتها هناك ؛ فرجعتُ اليه فأعلمتُه . فلما أمسى قال لي : انْهَضْ بنا ؛ فنهضْنا[1] فجلسنا هناك نتحدّث حتى جاءت من الليل فجلستْ فتحدّثا فأطالا ، فذهبت لأقوم . فقال لي : الى أين تذهب ؟ فقلت : أُخَلِّيكما ساعةً لعلكما تتحدّثان ببعض ما تكتُمان . فقال لي : اجلس ! فوالله ما كان بيننا شيء قطُّ . فجلستُ وهما يتحدّثان وإنّ بينهما لَثُمَامةً[2] عظيمة هي من ورائها جالسة حتى أسحَرْنا ، ثم قامت فانصرفت ، وقمت أنا وهو ، فظلّ عندي حتى أمسى ثم انطلق .

سامته سكينة بجمله فلما رأى عزة معها تركه لهم

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد الله بن سعيد بن أبَان بن سعيد بن العاصي قال :

خرج كثيِّر في الحاجّ بجمل له يبيعه ، فمرّ بسُكَيْنة بنت الحسين ومعها عَزّة وهو لا يعرفها . فقالت سُكَينة : هذا كثيِّر فسُومُوه بالجمل ؛ فساموه فاستام مائتي درهم فقالت : ضَعْ عنّا فأبى . فدعتْ له بتمر وزُبْد فأكل ؛ ثم قالت له : ضع عنا كذا وكذا (لشيء يسير) فأبى . فقالوا : قد أكلتَ يا كثيِّر بأكثر مما نسألك ! . فقال :

(١) في جـ : «فضينا» . (٢) كذا في تجريد الأغاني . والثمام : نبت ضعيف شبيه بالخوص . وفي الأصول : «لهامة» وهو تحريف .

ما أنا بواضعٍ شيئا . فقالت سُكينة : اكشِفوا ، فكشفوا عنها وعن عزّة . فلما رآهما استحيا وانصرف وهو يقول : هو لكم هو لكم ! .

مَنْ ذكر أن كثيِّرا كان يكذِب فى عشقه

قال بعض الرواة إنه لم يكن صادقا فى عشقه

أخبرنا أبو خَليفة قال حدّثنا ابن سَلّام قال :

كان كثيِّر مدّعيا ولم يكن عاشقا ، وكان جميلٌ صادقَ الصّبابة والعشق . ٥

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبىّ قالا حدّثنا عمر ابن شبّة قال زعم[1] إسحاق بن إبراهيم أنه سمع أبا عُبَيْدة يقول : كان جميلٌ يصدُق فى حبه ، وكان كثيِّر يكذِب .

ومما وجدناه فى أخباره ولم نسمعه من أحد أنه نظر إلى عزّة ذات يوم وهى منتقبة تميس فى مِشْيتها ، فلم يعرِفها كثيّر ، فاتّبعها وقال : ياسيّدتى ! قِفِى حتّى أكلّمك فإنى لم أر مثلك قطُّ ، فمَنْ أنتِ ويحكِ ؟ قالت : ويحكَ ! وهل تركت عزّة فيك بقيّة لأحد ؟ قال : بأبى أنت ! والله لو أنّ عزّة أمَةٌ لى لوهبتها لك . قالت : فهل لك فى المُخَالَلة ؟ قال : وكيف لى بذلك ؟ قالت : أنَّى وكيف بما قلتَ فى عزّة؟! قال : أقلبه فأُحوّله اليك . فسفَرت عن وجهها ثم قالت : أغدرًا يا فاسق وإنك لهكذا ! فأُبْلِس[2] ولم ينطق وبُهت . فلما مضت أنشأ يقول : ١٠ ١٥

ألَا ليتنى قبل الذى قلتُ شِيبَ لى * من السمّ جَدْحاتٌ[3] بماء الذّرارِح

فمتُّ ولم تعلم علىّ خيانة * وكم طالبٍ للربح ليس برابح

أبوءُ بذنبى إننى قد ظلمتُها * وإنى بباقى سرِّها غيرُ بائح

٤١ / ٨

(١) فى ج : «زعم لى إسحاق بن إبراهيم ... الخ» . (٢) أبلس : سكت وتحير .

(٣) فى ب ، س : «بخضخاض» . وفى سائر الأصول : «بخدخاد» . والتصويب عن تجريد الأغانى . والجدحة اللتة ؛ يقال : جدح السويق : إذا لته . والذرارح : دويبات أعظم من الذباب شيئا مجزعة مبرقشة بحمرة وسواد وصفرة لها أجنحة تطير بها وهى سم قاتل . ٢٠

لقى عزة فى طريقه الى مصر وتعاتبا

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنى عمر بن شبّة قال زعم ابن الكلبىّ عن أبى المقوّم قال أخبرنى سائب راوية كثيّر قال :

خرجتُ معه نريد مصر، فمررنا بالماء الذى فيه عزّة فاذا هى فى خِباء، فسلّمنا جميعا؛ فقالت عزّة : وعليكَ السلام ياسائب . ثم أقبلتْ على كثيّر فقالت : ويحك! ألَا تتّقى الله! أرأيتَ قولك :

بآيةِ ما أتيتُـكِ أُمَّ عمـرٍو * فقمتِ لحاجتى والبيتُ خالى

أخلوتُ معك فى بيت أو غير بيت قطُّ ؟ ! قال : لم أقُلْه ، ولكننى قلتُ :

فأقسم لو أتيتُ البحـرَ يومًا * لأشربَ ما سـقتْنى من بِلَالِ

وأقسم إنّ حُبّـكِ أمَّ عمـرٍو * لَداءٌ عنـد(١) منقطَع السُّعَالِ

قالت : أمّا هذا فنعَمْ . فأتينا عبدَ العزيز(٢) ثم عُدْنا؛ فقال كثيّر: عليكِ السلامُ ياعزّة . قالت : عليك السلام يا جمَلُ . فقال كثيّر :

صـــوت

حيّتْكَ عزّةُ بعـد الهجر فانصرفتْ * فحَيِّ ويحـكَ مَنْ حيّاك يا جمـلُ

لو كنتَ حيّيتَها ما زلتَ ذامِقَـةٍ(٣) * عندى وما مَسّكَ الإدلاجُ والعملُ

ليتَ التحيّـةَ كانت لى فأشكُرَها * مكانَ يا جمـلُ حُيِّيتَ يا رجـلُ

ذكر يونس أنّ فى هذه الأبيات غناءً لمَعْبَد . وذكر الهشامىّ أنّ فيها لبُثَيْنة خفيفَ رملٍ بالبنصر . وذكر حَبَشٌ أنّ فيها للغَرِيض خفيفَ ثقيل أوّل بالوسطى، ولإبراهيم ثانىَ ثقيل بالوسطى .

(١) كذا فى تجريد الأغانى . و يعنى بمنقطع السعال : الصـدر . وقد ورد هذا الشعر فى كتاب الشعر والشعراء هكذا : «لدى جنبى ومنقطع السعال» . وفى الأصول : «لداء عند منقطع السؤال» وهو تحريف .

(٢) يريد عبد العزيز بن مروان والى مصر من قبل أخيه عبد الملك بن مروان .

(٣) المقة : المحبة .

قصته مع أم الحويرث الخزاعية وحديث عشقه لها

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنى علىّ بن محمد البرمكىّ قال حدّثنى إبراهيم بن المهدىّ قال :

قدِم علىَّ هشامُ بن محمد الكلبىّ فسألته عن العشّاق يومًا فحدّثنى قال : تعشّق كثيّرٌ آمرأةً من خُزَاعة يقال لها أُمّ الحُوَيْرِث فنسب بها ، وكَرِهتْ أن يُسَمّع بها ويفضَحها كما سمّع بعزّة ؛ فقالت له : إنك رجلٌ فقير لا مالَ لك ، فآبتغِ مالًا يعفِّى[1] عليك ثم تعالَ فاخطُبْنى كما يخطُب الكِرَام . قال : فاحلفى لى ووثِّقى أنك لا تتزوّجين حتى أَقْدَمَ عليك ، فحلفتْ ووثّقت له . فمدح عبدَ الرحمن بن إبريق الأزدىّ[2] ، فخرج اليه ، فلقيته ظِباءٌ سوانح ولقى غرابًا يفحَص التراب بوجهه ؛ فتطيّر من ذلك حتى قدِم على حىٍّ من لِهْبٍ[3] فقال : أيُّكم يَزْجُر؟ فقالوا : كلُّنا ، فمَنْ تريد؟ قال : أعلمُكم بذاك . قالوا : ذاك الشيخ المنحنى الصُّلْب . فأتاه فقصّ عليه القصة ؛ فكرِه ذلك له وقال له : قد تُوُفِّيتْ أو تزوّجتْ رجلا من بنى عمّها . فأنشأ يقول :

صــــوت

تيمّمتُ لِهْبًا أبتـغى العـلمَ عنـدهم * وقـد رُدَّ عـلمُ العائفـين الى لِهْبِ

تيمّمتُ شـيخًا منهـمُ ذا بَجَالةٍ[4] * بصيرًا بزجر الطـيرِ منحنىَ الصُّلْبِ

فقلت له ماذا تـرى فى سَـوانحٍ * وصوتِ غُرابٍ يفحَص الوجهَ بالتُّرْبِ

فقـال جرى الطـيرُ السَّنيح ببَيْنِها * وقال غرابٌ جَدَّ مُنْهَمِـرُ السَّكْبِ

فإلّا تكن ماتتْ فقـد حال دونَها * سـواكَ خليـلٌ باطنٌ من بنى كَعْبِ

— غنّاه مالك من رواية يونس ولم يجنّسه — قال : فمدح الرجلَ الأزدىّ ثم أتاه فأصاب منه خيرًا كثيرا ، ثم قدِم عليها فوجدها قد تزوّجت رجلا من بنى كعب ،

(١) أى يصلحك ويحل الغنى منك محل الفقر . (٢) فى تجريد الأغانى : « عبد الرحمن ابن الأبرش الأزدى » . (٣) لهب : قبيلة من اليمن معروفة بالعيافة وزجر الطير . (٤) ذا بجالة : يبجله الناس ويعظمونه .

فأخذه الهُلاس[1]، فكُشِح[2] جَنْباه بالنار. فلما اندمل[3] من علّته وضع يده على ظهره فاذا هو برَقْمتين، فقال : ما هذا؟ قالوا : إنه أخذك الهُلاس وزعم الأطِبّاء أنه لاعِلاجَ لك إلا الكَشْح بالنار فكُشِحْتَ بالنار. فأنشأ يقول :

صـــوت

عفا الله عن أُمّ الحُوَيْرِث ذنبَها * عـلامَ تُعَنّيني وتَكْمِي[4] دوائيـا

فلو آذنوني[5] قبـل أن يرقُوا بها * لقلتُ لهم أُمّ الحُوَيْرث دائيـا

— فى هذين البيتين لمالك ثقيلٌ أوّل بالوسطى. ولابن سُرَيج رملٌ بالبنصر كلاهما عن عمرو والهشامىّ. وقيل : إن فيهما لمعبد لحنا — وقد أخبرنى بهذا الخبر أحمد ابن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة ولم يتجاوزاه بالرواية فذكر نحو هذا وقال فيه : إنه قصد ابن الأزرق بن حَفْص بن المُغيرة المخزومىّ الذى كان باليمن، وإنه فعل ذلك بعد موت عزّة. وسائر الخبر متقارب.

سأله ابن جعفر عن سبب هزاله فأجابه

وأخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى محمد بن إسماعيل الجعفرىّ عن محمد بن سليمان بن فُلَيْح أو فليح بن سليمان — أنا شككتُ — عن أبيه عن جدّه قال :

جاء كثيّر الى عبد الله بن جعفر وقد نَحِل وتغيّر. فقال له عبد الله : مالى أراك متغيرا يا أبا صخر؟ قال : هذا ما عملتْ بى أُمّ الحُوَيْرِث، ثم ألقى قميصه فاذا به قد صار مثل القَشّ وإذا به آثار من كَيّ، ثم أنشده :

* عفا الله عن أُمّ الحويرث ذنبَها *

الأبيـات.

---

(١) الهلاس : داء يهزل الجسم أو هو السل. (٢) الكشح : الكىّ بالنار. (٣) أى تماثل وتراجع للبرء. (٤) تكمى : تستر. (٥) كذا فى تجريد الأغانى. وفى الأصول : «ولولا ذنوبى» وهو تحريف.

أغرت عزة به بثينة لتتبين حاله

أخبرنى عمى قال حدّثنى ابن أبىّ قال حدّثنى الحِزَامىّ عمن حدّثه من أهل قُدَيْد[1] :

أنّ عزّة قالت لبُثَيْنة : تَصدَّى لكثيّر وأطمعيه فى نفسك حتى أسمع ما يجيبك به . فأقبلت اليه وعزّة تمشى وراءها مختفية ؛ فعرَضت عليه الوصلَ ؛ فقاربَها ثم قال :

رَمتْنى على عَمْدٍ بُثَيْنةُ بعد ما * تولّى شَبابى وآرْجَحَنّ[2] شبابُها

وذكر أبياتًا أُخَرَ[3] سقط من الكتاب ذكرُها . فكشفتْ عزّةُ عن وجهها ؛ فبادرها الكلامَ ثم قال :

ولكنّما تَرْمِينَ نفسًا مريضةً * لِعَزّةَ منها صَفْوُها ولُبَابُها

فضحكتْ ثم قالت : أَوْلَى لك بها قد نجوتَ ؛ وآنصرفتا تتضاحكان .

قال لأهله إذ بكوا فى مرضه سأرجع بعد أيام

أخبرنا الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى عبد الرحمن ابن عبدالله الزُّهْرىّ قال :

بكى بعضُ أهل كثيّر عليه حين نزل به الموت . فقال له كُثَيّر : لا تبكِ ، فكأنّك بى بعد أربعين ليلةً تسمع خَشْفَةَ[4] نَعْلى من تلك الشُّعْبة راجعًا اليكم .

مات هو وعكرمة فى يوم واحد سنة ١٠٥

أخبرنى الفضل بن الحُبَاب أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنى ابن جُعْدُبة وأبو اليَقْظان عن جُوَيْرية بنِ أسماء قال :

مات كثيّر وعِكْرِمةُ مولى آبن عبّاس فى يوم واحد ، فآجتمعت قُرَيش فى جنازة كثيّر ، ولم يوجد لِعكْرِمة مَنْ يحمله .

---

(١) قديد : اسم موضع قرب مكة . (٢) ارجحن شبابها : يريد اهتز نضارة وحسنا .
(٣) فى ح : « وذكر بيتا آخر سقط من الكتاب » . (٤) خشفة النعل : صوتها .

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عمر بن مُصْعَب قال حدّثنى الواقدىّ قال حدّثنى خالد بن القاسم البَيَاضىّ قال :

٤٣ / ٨

مات عِكرِمةُ مولى ابن عبّاس وكثيِّر بن عبد الرحمن الخُزَاعىّ صاحبُ عزّة فى يوم واحد فى سنة خمس ومائة ، فرأيتُهما جميعًا صُلِّى عليهما فى يوم واحد بعد الظهر فى موضع الجنائز، فقال الناس : مات اليومَ أفقهُ الناس وأشعرُ الناس .

ما جرى فى جنازته بين أبى جعفر الباقر وزينب بنت معيقب

وقال ابن أبى سعد الوَرّاق حدّثنى رَجَاء بن سَهْل أبو نصر الصاغانىّ قال حدّثنا يحيى بن غَيْلان قال حدّثنى المُفَضَّل بنُ فَضَالة عن يزيد بن عُرْوة قال :

مات عكرمة وكثيِّر عَزّة فى يوم واحد ، فأُخْرِجتْ جِنازتاهما ، فما علمتُ تخلَّفتِ امرأةٌ بالمدينة ولا رجلٌ عن جِنازتيهما . قال : وقيل مات اليوم أشعرُ الناس وأعلمُ الناس . قال : وغلَب النساء على جنازة كثيِّر يَبْكِينه ويذكُرْنَ عزّةَ فى نُدْبتهنّ له . قال : فقال أبو جعفر محمد بن علىّ[1] : أَفرِجُوا لى عن جِنازة كثيِّر لأرفَعها . قال : فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل يضربهنّ محمد بن علىّ بكُمِّه ويقول : تَنَحَّيْنَ يا صَوَاحِباتِ يوسف . فانتدَبتْ له امرأةٌ منهنّ فقالت : يآبنَ رسولِ الله لقد صَدَقتَ ، إنّا لصواحباتُ يوسف وقد كنّا له خيرًا منكم له . قال : فقال أبو جعفر لبعض مَواليه : احْتفِظْ بها حتى تجيئنى بها إذا انصرفْنا . قال : فلما انصرف أُتِىَ بتلك المرأة كأنها شَرَارةُ النار . فقال لها محمد بن علىّ : أنت القائلةُ إنّكن ليوسفَ خيرٌ منّا؟ قالت : نعم ! تُؤْمِننى غضبَك يآبنَ رسول الله؟ قال : أنت آمنةٌ من غضبى فأبينى. قالت : نحن يابنَ رسول الله دعوناه الى اللذّات من المَطْعَم

(١) هو محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى أبو جعفر المدنى المعروف بالباقر توفى سنة ١١٤ هـ .

والمَشْرَب والتمتّع والتنعّم ، وأنتم معاشرَ الرجال ألقيتموه فى الجُبّ وبِعتُموه بأبخس الأثمان وحبستموه فى السِّجن . فأيُّنا كان عليه أَحْنَى وبه أَرْأف[1] ؟ ! فقال محمد : لله دَرُّكِ ! ولن تُغالَبَ امرأةٌ إلّا غلبتْ . ثم قال لها : أَلَكِ بعلٌ ؟ قالت : لى من الرجال مَنْ أنا بعلُه . قال : فقال أبو جعفر : صَدَقتِ ، مثلُكِ من تَمْلِك بعلَها ولا يملكها . قال : فلما انصرفتْ قال رجلٌ من القوم : هذه زينب بنت مُعَيْقِب[2] . ٥

نسبة ما فى هذه الأخبار من الغناء :

صوت

نظرتُ اليها نَظْرةً وهى عاتِقٌ * على حينِ أنْ شبّتْ وبانَ نُهودُها
نظرتُ اليها نظرة ما يسُرُّنى * بها حُمْرُ أنعامِ البلادِ وسُودُها
وكنتُ إذا ما جئتُ سُعْدَى بأرضِها * أرى الأرضَ تُطْوَى لى ويدنو بعيدُها ١٠
من الخَفِراتِ البيضِ وَدَّ جَليسُها * إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدُها

عَرُوضه من الطويل . البيت الأول لكثيِّر ، والثانى والثالث لنُصَيْب من قصيدته التى أوّلها :

* لقد هجرت سُعْدَى وطال صدودُها *

غنّى فى البيت الثانى والثالث جَحْدَرٌ الراعى خفيفَ رَمَلٍ بالبنصر . وغنّى فيهما ١٥ الهُذَلِىّ رملًا بالوسطى . وغنّى فى الثالث والرابع دِعامة ثقيلًا أوّل بالبنصر .

عمر الوادى يأخذ صوتا عن راعى غنم فى شعر له

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال قال عمر الوادىّ ، وأخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى مَكينٌ العُذْرىّ قال :

(١) فى الأصول : «فأينا كان به أحنى وعليه أرأف» . والتصويب عن تجريد الأغانى .
٢٠
(٢) فى جـ : «معيقيب» .

سمعت عمر الواديَّ يقول : بينا أنا أسيرُ بين الرَّوْحاء والعَرْج إذ سمعتُ إنساناً يغنّي غناءً لم أسمع قطُّ مثلَه فى بيتَيْ كثيرّ :

٤٤ / ٨

وكنت إذا ما جئتُ سُعْدَى بأرضها * أرى الأرض تُطْوَى لى ويدنو بعيدُها

من الخَفِرات البِيض وَدّ جليسُها * اذا ما ٱنقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدها

٥ قال : فكِدت أسقط عن راحلتى طرباً ، وقلت : والله لألتمسنّ الوصولَ الى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائى ، فتيمّمتُ سَمْتَه(١) فإذا راعٍ فى غنم ، فسألته إعادته علىّ . قال : نعم ! ولو حضرنى قِرًى أَقْرِيكَه ما أعدتُه ، ولكنّى أجعله قِرَاك ، فربما تَرَنّمتُ به وأنا غَرْثانُ فأشبَع ، وعطشانُ فأَرْوَى ، ومستوحِشٌ فآنَس ، وكَسْلانُ فأنشَط . قال : فأعادهما علىّ حتى أخذتُهما ، فما كان زادى حتى ولجتُ ١٠ المدينةَ غيرَهما .

(١) سمته : ناحيته وجهته .

أخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

كان عالما ومغنيا ونسب غناءه لجاريته شاجى ترفعا

هو عُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحُسين، ويكنى أبا أحمد . وله محلٌّ من الأدب والتصرُّف فى فنونه وروايةِ الشعر وقولهِ والعلمِ باللغة وأيّامِ الناس وعلومِ الأوائل من الفلاسفة فى المُوسِيقِى والهندسة وغير ذلك مما يَجِلُّ عن الوصف ويكثُر ذكره . وله صنعةٌ فى الغناء حسنةٌ مُتْقَنة عجيبة تدلّ على ما ذكرناه هاهنا من توصُّله الى ما عجَز عنه الأوائل من جَمْع النَّغَم كلِّها فى صوت واحد تتبَّعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها . وكان المعتضِد بالله، رحمة الله عليه، ربما كان أراد أن يصنع فى بعض الأشعار غناءً وبحضرته أكابرُ المغنِّين مثل القاسم بن زُرْزُور وأحمد بن المكّىّ ومَنْ دونهما مثل أحمد بن أبى العَلَاء وطبقتِهم، فيعدِل عنهم اليه فيصنَع فيها أحسنَ صَنْعة، ويترفَّع عن إظهار نفسه بذلك، ويُومئُ الى أنه من صَنْعة جاريته شَاجِى[1]، وكانت إحدى المُحْسنات المبرِّزات المُقَدَّمات، وذلك بتخريجه وتأديبه، وكان بها مُعْجَبًا ولها مُقَدِّما .

كان المعتضد يتفقده لما رقت حاله وطلب منه جاريته ليسمع غناءها فأرسلها له

فأخبرنى أحمد بن جَعْفر جَحْظة قال : لمّا اختلت حالُ عُبَيْد الله بن عبد الله ابن طاهر كان المعتضد يتفقّده بالصِّلات الفَيْنَةَ بعد الفَيْنَة . واتّفق يومًا كان فيه مصطبِحًا أن غُنِّى بصوتٍ الصنعة فيه لشاجى جاريةِ عُبَيد الله، فكتب اليه كتابا يُقْسِم أن يأمرها بزيارته ففعل . قال: فحدّثنى مَنْ حضر من المغنِّيات ذلك المجلسَ بعد موت المعتضد قالت : دخلتْ إلينا وما منّا إلّا من يَرْفُل فى الحُلِىِّ والحُلَل وهى فى أثواب ليست كثيابنا، فاحتقرناها؛ فلمّا غنّت احتقرنا أنفسنا . ولم تزل تلك حالَنا حتى صارت فى أعيننا كالجبل وصرنا كلا شىء . قال : ولمّا انصرفتْ أَمَر لها

(١) فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ٦٦) : «ساجى» بالسين المهملة .

المعتضد بمال وكسوة . ودخلتْ الى مولاها بجعل يسألها عن أمرها وما رأت مما استظرفت وسمعتْ مما استغربتْ . فقالت : ما استحسنتُ هناك شيئا ولا استغربته من غناء ولا غيره إلا عودًا من عود محفور[1] فإنّى استظرفتهُ . قال جحظةُ : فما قولُكَ فيمن يدخل دارَ الخلافة فلا يمدّ عينَه لشىء يستحسنه فيها إلا عودًا ! .

كانت شاجى جاريتـه تلحن للمعتضد بعض الشعر

٥ قال محمد بن الحسن الكاتب وحدّثنى النُّوشَجانىّ قال :

كان المُعْتَضِد إذا استحسن شعرًا بعث به الى شَاجِى جارية عُبيد الله بن طاهر فتغنِّى فيه . قال : وكانت صنعتها تسمَّى فى عصره غناء الدار .

ماتت شاجى فرثاها

قال محمـد بن الحسن : وماتت شاجى فى حياة عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر وكان عليلا، فقال يرثيها — وله فيه صنعةٌ من خَفيف الثَّقيل الأوّل بالوسطى — :

٤٥ / ٨

١٠ يَميـنًـا يقينًا لـو بُليتُ بفقـدها * وبى نَبْضُ عِرْقٍ للحياة أو النُّكْسِ

لأَوْشكْتُ قتلَ النفس قبل فِراقها * ولكنها ماتت وقد ذهبتْ نفسى

له كتاب الآداب الرفيعة فى الغناء

ومن نادر صنعة عُبيد الله وجيِّد شعره قوله — وله فيـه لحنان ثقيلٌ أول وهَزَجٌ، والثقيل الأوّل أجودُهما — :

فأَنفِقْ إذا أيسرتَ غيرَ مقـتِّرٍ * وأَنفِقْ على ما خَيَّلتْ حين تُعْسِرُ

١٥ فلا الجُودُ يُفنِى المالَ والمالُ مقبلٌ[2] * ولا البخلُ يُبقِى المـالَ والجَدّ مُدْبِرُ

وأشعاره كثيرةٌ جيّدة كثيرةُ النادرِ والمُخْتـارِ . وكتابه فى النَّغَم وعِلَل الأغانى المسمَّى "كتابَ الآداب الرفيعة" كتاب مشهور جليل الفائدة دالٌّ على فضل مؤلِّفه .

قص عليـه الزبير ابن بكار قصـة فاستحسنها وأمر له بمـال

أخبرنى جَحْظـة قال حدّثنى الحَـرَمىّ بن أبى العَـلَاء قال حدّثنى موسى بن هارون، فيما أُرَى، قال :

٢٠ (١) كذا فى ا ، م ونهاية الأرب . وفى سائر الاصول : « مفحور » وهو تحريف .

(٢) الرواية المشهورة : « والجد مقبل » .

كنتُ عنــد عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد جاءه الزُّبير بن بَكّار فأعلمه أن المتوكِّل أو المعتزّ — وأُراه المعتزّ — بعث إلى أخيه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمر بإحضاره وتقليده القضاء . فقال له الزُّبير بن بكّار : قد بلغتُ هــذه السِّنّ وأتولى القضاء ! أو بعــد ما رويتُ أنّ من ولى القضاءَ فقــد ذُبِح بغير سِكّين ! فقال له : فتلحَق بأمير المؤمنين بسُرّ مَنْ رَأَى ، فقال له : أفعــل . فأمر له بمــال ينفقه ، وبظَهْرٍ يحمله ويحمل ثَقَلَه . ثم قال له . إن رأيت يا أبا عبد الله أن تُفيدنا شيئا قبل أن نفترق! قال : نعم! انصرفتُ من عُمْرة المحرَّم ، فبينا أنا بأُثَايَةِ(١) العَرْج ، إذا أنا بجمــاعة مجتمعة ، فأقبلتُ اليهم وإذا رجل كان يقنِص الظباء وقد وقع ظبي فى حِبَالته فذبحه ، فانتفض فى يده فضرب بقرنه صدرَه فنَشِب القرن فيه فمات . وأقبلت فتاة كأنها المَهَاةُ ، فلما رأتْ زوجها ميِّتا شَهَقتْ ثم قالت :

يا حُسْنُ لو بَطَلٌ لكنّه أجل * على الأُثاية ما أَوْدَى به البطلُ
يا حُسن جَمَّع أحشائى وأَقلقها * وذاك يا حسن لولا غيرُه جَلَلُ
أضحتْ فتاةُ بنى نَهْــدٍ عَلَانِيَــةً * وبعلُها بين أيدى القوم محتَمَلُ

قال : ثم شهقت فماتت . فمــا رأيتُ أعجبَ من الثلاثة : الظبى مذبوح ، والرجل جريح ميت ، والفتاة ميتة [حرى](٢) . فأمر له عُبيد الله بمال آخر. ثم أقبل الى أخيه محمد بن عبد الله بعــد خروج الزبير فقال : أمَا إنّ الذى أخذناه من الفائدة فى خبر حُسْن وفى قولها(٣) :

* أضحت فتاةُ بنى نَهْد علانيةً *

---

(١) الأثاية : موضع فى طريق الجحفة بينه و بين المدينة خمسة وعشرون فرسخا وهو بين الرويثة والعرج ، مر به النبي صلى الله عليه وسلم فى خرجة له الى مكة وهو محرم . ورواه بعضهم "أثاثة" بثاء مثلثة أخرى كما ورد فى الأصول ، ورواه آخرون "أثانة" بالنون . وكلاهما خطأ . (راجع معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى) . (٢) زيادة عن جـ . (٣) فى الأصول : «وفى قوله» . والتصويب عن تجريد الأغانى .

– تريد ظاهرة – أكثرُ عندى مما أعطيناه من الحِباء والصِّلة . وقد أخبرنى الحسين بن علىّ عن الدمشقىّ عن الزبير بخبر حُسْن فقط، ولم يذكر فيه من خبر عُبيد الله شيئا .

لحنه فى شعر ابن هرمة يجمع النغم العشر

٤٦ / ٨

ومن الأصوات التى تجمع النَّغَمَ العشرَ :

٥

صـــوت

وهو يجمع النَّغَمَ العشر كلَّها على غير تَوَالٍ :

و إنّك إذ أطمعتنى منك بالرِّضا * وأيأستنى من بعد ذلك بالغضبْ

كمُمْكِنَةٍ من ضَرْعِها كفَّ حالبٍ * ودافقةٍ من بعد ذلك ما حَلَبْ

عروضه من الطويل . الشعر لإبراهيم بن علىّ بن هَرْمة . والغناء فى هذا اللحن

١٠ الجامع للنَّغَم لعُبيد الله بن عبد الله بن طاهر، خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى فى مجراها وعليها آبتدأ الصوت .

أثبت فى كتابه نقد أبى نواس لشعر لابن هرمة وشعر لجرير

وقال عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات حدّثنى بعض أصحابنا عن أبى نُوَاس أنه قال : شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما فى غير موضعه . فلو أُخذ البيتُ الثانى من شعر أحدهما فجُعِل مع بيت الآخر، وأُخذ بيتُ ذاك فجُعل مع هذا لصار

١٥ متّفقا معنًى وتشبيها . فقلت له : أنّى ذلك؟ فقال : قول جَرير للفرزدق :

فإنك إذ تهجو تميماً وترتشى * تَبَابِينَ[1] قيس أو سُحُوق العمائم

كمُهْرِيقِ ماءٍ بالفَلاةِ وغَرّه * سرابٌ أذاعته رياح السَّمائم

وقول آبن هَرْمة :

و إنّى وتركى نَدَى الأكرمينَ * وقَدْحِى بكفَّىَّ زَنْداً[2] شَحَاحا

٢٠ (١) التبابين : جمع تبان وهو سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين . والسحوق : جمع سحق، وهو الثوب الخلق البالى . (٢) كذا فى أكثر الأصول واللسان مادة شح . وزند شحاح : لا يورى . وفى ب، س هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول : «زنادا شحاحا» .

كتاركةٍ بيضَها بالعَــراء * ومُلْبِسةٍ بيضَ أخرى جَناحا

فلو قال جرير :

فإنك إذ تَهْجــو تميًّا وتَرْتشِى * تَبَابِينَ قَيْسٍ أو سُحُوق العمائم

كتاركةٍ بيضَها بالعَــراء * ومُلْبِسةٍ بَيْضَ أخرى جَناحا

لكان أشبه منه ببيته . ولو قال آبنُ هَرْمة مع بيته :

وإنى وتركى ندى الأكرمين * وقــدحى بكَفّىَّ زَنْدا شَحاحا

كمُهْرِيق ماءٍ بالفــلاة وغَرَّه * سرابٌ أذاعته رياح السمائم

كان أشبهَ به . ثم قال : ولكن آبن هَرْمة قد تلافى ذلك بعدُ فقال :

وإنك إذ أطمعتِنى منــك بالرضا * وأيأستِنى من بعد ذلك بالغضبْ

كممكنةٍ من ضرعها كفَّ حالب * ودافقةٍ من بعــد ذلك ما حلبْ

وقد أتى عُبيدالله بن عبدالله بهذا الكلام بعينه فى "الآداب الرفيعة"(١) . وإنما أخذه من أبى نُوَاس على مارُوِى عنه .

وما يجمع النغم العشر صوت ابن أبى مطر فى شــعر نصيب

ووجدتُ فى كتابٍ مؤلَّف فى النَّغَم غيرِ مسمَّى الصانع : أنّ من الأصوات التى تجمع النَّغَمَ العشرَ صوتَ آبنِ أبى مَطَر المكىِّ فى شعر نُصَيْب وهو :

صــــوت

أَلَا أيهــا الرَّبْــعُ المُقِــيمُ بعُنْبُبٍ(٢) * سَقَتْكَ السَّوَاقِى من مُرَاحٍ ومَعْزَبِ

بذى هَيْذَبٍ(٣) أمّا الرُّبَى تحت وَدْقه * فتَرْوَى وأمّا كُلُّ وادٍ فيَزْعَبُ

(١) فى الأصول هنا : «الآداب التسعة» وهو تحريف ، وقد تقدّم اسم هذا الكتاب .

(٢) عنبب (بضم العين وسكون النون وضم الباء الأولى كما رواه السكرى ، وفى أمثلة سيبويه أنه بفتح الباء) : موضع . (٣) أورد صاحب اللسان هذا البيت فى مادة «رعب» بالراء المهملة . ورعب وزعب بمعنى ، يستعملان لازمين فيقال رعب الوادى أو زعب اذا تملأ ، ومتعديين فيقال رعب السيل الوادى أو زعبه اذا ملأه . وروى فى البيت أيضا « فيروى » بضم الياء وكسر الواو ، وبنصب « كل » على أن تكون «الربى» « وكل واد » مفعولين مقدمين . (راجع اللسان فى مادة رعب) .

عروضه من الطويل . ويروى "الربع الخلاء بعُنْبُبٍ" أى الخالى . وعُنْبُب : موضع، ويروى "سقتك الغوادى من مَرَادٍ" . والمَرَاد : الموضع الذى يُرتاد فيرْعَى فيه الكلأ . والمُرَاحُ(١) : الموضعُ الذى تَرُوح اليه المواشى وتَبيت فيه . وفى الحديث أنه رخَّص فى الصلاة فى مُرَاح الغنم ونَهى عنها فى أَعْطانِ الإبل . والمَعْزَب : الموضع الذى يعزُب فيه الرجلُ عن البيوت والمنازل . وأصل العُزوب : البُعْد يقال عزَب عنه رأيُه وحلمُه أى بعُد، والعَزَب مأخوذٌ من ذلك . وهَيْدَبُ السماءِ أطرافٌ(٢) تراه فى أذنابه كأنه معلّق به . قال أَوْسُ(٣) بن حَجَر :

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُه * يكاد يدفعُــه مَنْ قام بالراحِ

ويزعَب : يطفَــح ، يقــال : زعَبه السيلُ إذا مَلأَه(٤) . الشعرُ لنُصَيْب يقوله فى عبد العزيز بن مروان .

وفد نصيب على عبد العزيز بن مروان ومدحه فأجازه

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى جميع بن علىّ النُّمَيرِىّ عن عبد الله ابن عبد العزيز بن مُحْجَن بن النُّصَيْب ، قال الزبير وكتب إلىّ بذلك عبد الله بن عبد العزيز يذكره عن عوضة بنت النُّصَيْب قالت :

وفَد أبِى على عبد العزيز بن مَرْوان بمصر، فوقف على الباب فآستأذن فلم يُؤْذَن له . فأرسل اليه حاجبَه فقال: آستنشِدْه، فإن كان شعره رديئا فآرْدُدْه، وإن كان جيّدًا

(١) هذا المعنى للمراح بضم الميم . وأما بفتحها فهو الموضع الذى يروح اليه القوم أو يروحون منه كالمغدى للموضع الذى يغدى منه أو إليه . (٢) كذا فى الأصول . ولعل صوابه : «أطراف تراها فى أذنابه كأنها معلقة به» . والمراد بالسماء السحاب . (٣) لقد ورد فى اللسان فى مادتى «هدب وسف» أن هذا البيت يروى أيضا لعبيد بن الأبرص .

(٤) فى الأصول : «اذا علاه» والتصويب عن معاجم اللغة . وقول المؤلف «يطفح» تفسير لمعنى الفعل لازما . وقوله بعد ذلك : «يقال زعبه السيل إذا ملأه» تفسير لمعناه متعديا . فكان ينبغى أن يكون «ويقال ... الخ» بالواو للدلالة على أنه لازم ومتعد .

فأَدْخِلْه . فقال نُصَيْب : قد جلبنا شيئا للأمير، فإن قبله نشرناه عليه وإلّا طويناه ورجعنا به . فقال عبد العزيز : إنّ هذا لكلامُ رجلٍ ذَهِنٍ، فأدخَلَه . فلمّا واجهه أنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

أَلَا هل أتى الصقرَ بنَ مَرْوان أنّنى * أُرَدُّ لدَى الأبوابِ عنـــه وأُحْجَبُ

وأنّى ثَوَيتُ اليومَ والأمسِ قبــلَه * على الباب حتى كادت الشمسُ تغرُبُ

وأنّى إذا رمتُ الدخــولَ تَرُدُّنى * مهـابةُ قَيْسٍ والرِّتَاجُ المُضَبَّبُ[١]

قال : وكان حاجب عبد العزيز يُسمى قَيْسًا . قال : وتشبيب هذه القصيدة :

ألَا أيهــا الرَّبْعُ المقــيمُ بعُنْبُبٍ * سقتْك السّواقى من مُرَاحٍ ومَعْزَبِ

قال : فلمّا دخل على عبد العزيز أُعجِب بشعره وأَوْجَهَه[٢]، وقال للفرزدق : كيف تسمع هذا الشعر؟ قال : حسنٌ إلّا من لغته . قال : هــذا والله أشعرُ منك ! . قال : وقال نُصَيْب فيها أيضا :

وأهــلى بأرضٍ نازحون وما لهــمْ * بهــا كاسبٌ غــيرى ولا مُتَقَلَّبُ

فهــل تُلْحِقَنِّيهــمْ بعَبْــلٍ مُوَاشِكٍ[٣] * على الأينِ من نُجْبِ ٱبنِ مَرْوانَ أَصْهَبِ

أبو بَكَرَاتٍ إنْ أردتُ ٱفتحالَه * وذو ثَبَتَاتٍ بالرَّدِيفَيْنِ مُتْعَبُ

فقال له عبد العزيز : أُدخُلْ على المَهَارِى[٤] فخُذْ منها ما شئت، فلو كنتَ سألتَ غيره لأَعْطِيتَه . فدخل فردّه الجمّال . فقال عبد العزيز : دَعْه فإنمــا يأخذ الذى تَعِبت، فأخــذه .

(١) رتاج مضبب : مجعولة له ضبة . (٢) أوجهه : جعله وجيها وشرفه .

(٣) العبل : الضخم . والمواشك : السريع . والأين : الإعياء والتعب . وفى هذا البيت إقواء .

(٤) المهرية : إبل منسوبة الى مهرة بن حيدان وهو أبو قبيلة .

قال الزّبير وحدّثنى بعض أصحابنا عن محمد بن عبد العزيز قال :

نزل عبد العزيز بن عبد الوهّاب على المَهْدى بعُنْبُب من وادى السّراة الذى عنَى نُصَيْب بقوله :

* ألَا أيها الرَّبْعُ الخَلاءُ بعُنْبُبِ *

والمَهْدى[1] هو الذى يقول فيه الشاعر : ٥

اسلمى يا دارُ من هِنْدٍ * بالسُّوَيْقاتِ الى المَهْدى

صوت

صوت له يجمع ثمانى نغم وقد مدحه إسحاق

وهو يجمع من النَّغَم ثمانيا :

يا مَنْ لِقَلْبٍ مُقْصِرٍ * ترك المُنَى لِفَواتها

٤٨ / ٨

وتظلّف النفس التى * قد كان من حاجاتها ١٠

وطِلَابُكَ الحاجاتِ مِنْ * سَلْمَى ومِنْ جاراتها

كتَطَرُّد العَنْسِ الذَّمُو * لِ الفَضْلَ من مَثْنَاتِها[2]

قوله : "يا من لقلب مقصر" تأسُّف على شبابه ؛ ويدلّ على ذلك قوله :

وتظلّف النفس التى * قد كان من حاجاتها

يقال : اظلِف نفسَك عن كذا أى امنعها منه لئلا يكون لها أثر فيه . وهو مأخوذ ١٥ من ظَلَف[3] الأرض وهو المكان الذى لا أثر فيه . قال عوف بن الأحوص :

ألم أَظْلِفْ[4] عن الشعراء عِرْضِى * كما ظُلِفَ الوَسِيقةُ بالكُرَاعِ

---

(١) الظاهر أنه اسم موضع ولم نقف عليه . (وسويقة) : اسم لمواضع كثيرة . ولعل «السويقات» موضع بعينه . (٢) ناقة ذمول : تسير سيرا سريعا لينا . والمثناة : الحبل . (٣) أى المكان الصلب الذى لا يبقى فيه أثر للشى . (٤) أى عميت عليهم أثرى . وقوله : « كما ظلف الوسيقة بالكراع » ٢٠ قال ابن الأعرابى : هذا رجل سل إبلا فأخذ بها فى كراع من الأرض لئلا تستبين آثارها فتتبع . (عن لسان العرب مادة ظلف) .

الوَسيقة : الجماعةُ من الإبل . يعنى أنها تُساق فلا يوجد لها أثر فى الكُرَاع ، وهو مُنْقَطَع الجبل . قال الشاعر :

أمستْ كُرَاعُ الغَمِيمِ(1) مُوحِشَةً * بعد الذى قد خلا ، من العَجَبِ

وقوله :

كتَطَرُّدِ العَنْسِ الذَّمُو * لِ الفضلَ من مَثْنَاتها

يقول : طِلَابُك هذه الحاجاتِ ضلالٌ وتتابعٌ كتطرُّد العَنْس (وهى الناقة المذكَّرة الخَلْق) الفضلَ من مَثْنَاتها . والتطرُّد : التتبُّع ، ومثله قول الشاعر :

خَبَطتُ الصِّبَا خَبْطَ البعيرِ خِطَامَهُ * فلم أَنْتَبِهْ للشَّيْبِ حتى عَلَانِيَا

الشعر لمُسافر بن أبى عَمرو بن أميّة بن عبد شمس . والغناء لابن مُحْرِز ثانى ثقيل مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق . وهذا الصوت يجمع من النَّغَم ثمانيا ، وكذلك ذكر إسحاق ووصف أنه لم يجمع شيءٌ من الغناء قديمِه وحديثِه إلى عصره من النغم ما جمعه هذا الصوت ، ووصف أنه لو تلطَّف متلطِّف لأن يجمع النَّغَم العشر فى صوت واحد لأمكنه ذلك ، بعد أن يكون فَهِماً بالصناعة طويلَ المُعاناة لها و بعد أن يُتعب نفسَه فى ذلك حتى يصحّ له . فلم يقدر على ذلك سوى عُبيد الله بن عبد الله إلى وقتنا هذا .

(1) كراع الغميم : موضع بين مكة والمدينة .

ذكر مُسَافِر ونسبه

نسبه وهو أحد السادات المعروفين بأزواد الركب

مسافر بن أبى عمرو بن أُمَيّة، ويكنى أبا أميّة . وقد تقدّم نسبه وأنساب أهله . وأُمُّه آمنة بنت أَبَان بن كُلَيْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة ، وهى أمّ أبى مُعَيْط أَبَان بن عمرو بن أُمَيّة . وأبو مُعَيْط ومُسَافِرٌ أخوان لأب وأمّ ، وهما أخوا عُمومتهما أبى العاصى وأخويه من بنى أُمَيّة الذين أُمُّهم آمنة ؛ لأنّ أبا عمرو تزوّجها بعد أبيه . وكان سيِّدا جَوَادًا ، وهو أحد أَزْوَاد الركب[١] ؛ وإنما سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا لا يَدَعون غريبًا ولا مارَّ طريقٍ ولا محتاجًا يجتاز بهم إلا أنزلوه وتكفّلوا به حتى يظعَن .

مناقضاته عمارة ابن الوليد

وهو أحد شعراء قُرَيْش ، وكان يُناقض عُمَارة[٢] بن الوليد الذى أمر النّجَاشيُّ السواحر فسحرْنَه . فمن ذلك قول عُمَارة :

خُلِق البِيضُ الحِسَانُ لنا * وجِيَادُ الرَّيْطِ والأُزُرُ
كابِرًا كنّا أحقَّ به * حين صِيغَ الشمسُ والقمرُ

وقال مسافر يردّ عليه :

أعُمَارَ بنَ الوليد وقد * يذكر الشّاعِرُ مَنْ ذَكَرَهْ
هل أخو كأسٍ مُحَقِّقُها * ومُوَقٍّ صحبَه سُكُرَهْ
ومُحَيِّيهمْ إذا شَرِبوا * ومُقِلٌّ فيهم هَذَرَهْ

(١) أزواد الركب : ثلاثة نفر من قريش : مسافر بن أبى عمرو بن أمية ، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصىّ ، وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . سموا بذلك لأنه لم يكن يتزوّد معهم أحد فى سفره وكانوا يطعمون كل من يصحبهم و يكفونه الزاد . وكان ذلك خلقا من أخلاق قريش ؛ ولكن لم يسم بهذا الاسم إلا هؤلاء الثلاثة . (راجع ما يعول عليه فى المضاف والمضاف اليه) . (٢) سيأتى الكلام عنه فى هذه الترجمة .

خُلِق البِيضُ الحِسانُ لنا * وجِيادُ الرَّيْطِ والحِبَرَهْ
كابِراً كنّا أحقَّ به * كلُّ حىٍّ تابعٌ أَثَرَهْ

خطب هندا بنت عتبة ولما تزوجت أبا سفيان مرض واعتل حتى مات

وله شعر ليس بالكثير . والأبيات التى فيها الغناء يقولها فى هند بنت عُتْبة بن ربيعة ابن عبد شَمْس ، وكان يهواها . فخطَبها الى أبيها بعد فِراقها الفاكِهَ بن المُغيرة ، فلم ترضَ ثروتَه ومالَه . فوفد على النُّعْمان يستعينه على أمره ثم عاد ، فكان أوّلَ مَنْ لقيه أبو سُفْيان ، فأعلمه بتزويجه من هند . فأخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنى عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى ابن أبى سَلَمة عن هشام ، قال ابن عمّار وقد حدّثناه ابنُ أبى سَعْد عن علىّ بن الصبّاح عن هشام ، قال ابن عمّار وحدّثنيه علىّ ابن محمد بن سليمان النَّوْفَلىّ عن أبيه — دخل حديثُ بعضهم فى بعض — :

أنّ مسافر بنَ أبى عمرو بن أُميّة كان من فِتْيان قريش جمالاً وشعراً وسخاء . قالوا : فعشِق هنداً بنت عُتْبة بن ربيعة وعشِقته ، فاتُّهم بها وحملتْ منه . قال بعض الرواة : فقال معروف بن خَرَّبُوذ : فلما بانَ حَمْلُها أو كاد قالت له : اخرُجْ ، فخرج حتى أتى الحِيرةَ ، فأتى عمرَو بن هند فكان يُنادمه . وأقبل أبو سُفْيان بن حَرْب الى الحِيرة فى بعض ما كان يأتيها ، فلقى مُسافِراً ، فسأله عن حال قريش والناس ، فأخبره وقال له فيما يقول : وتزوجتُ هنداً بنت عُتْبة . فدخله من ذلك ما اعتلّ معه حتى استَسْقَى[1] بطنُه . قال ابن خَرَّبُوذ : فقال مُسافِرٌ فى ذلك :

ألَا إنّ هنداً أصبحتْ منك مَحْرَماً * وأصبحتَ من أدنى حُمُوّتِها حَمَا
وأصبحتَ كالمقمور جَفْنَ سلاحه * يقلِّب بالكَفَّيْنِ قوساً وأسهُمَا

فدعا له عمرُو بن هند الأطبّاءَ ، فقالوا : لا دواء له إلّا الكَىّ . فقال له : ما ترى ؟ قال : افعَلْ . فدعا له الذى يُعالجه فأحمَى مَكاوِيَه ، فلما صارت كالنار قال : ادْعُ

(١) استسقى بطنه : اجتمع فيه ماء أصفر . وهو المعروف بمرض الاستسقاء .

أقوامًا يُمسكونه . فقال لهم مسافر : لستُ أحتاج الى ذلك . فجعل يضع المكاوىَ عليه . فلما رأى صبْرَه ضَرَط الطبيبُ ؛ فقال مسافر :

* قد يَضْرِطُ العَيْرُ والمِكواةُ فى النارِ *

— فجرتْ مثلًا — فلم يَزِدْه إلا ثِقَلًا . فخرج يُريد مكة . فلما انتهى الى موضع يقال له هُبَالةُ[1] مات فدُفِن بها ، ونُعِي الى قُرَيش . فقال أبو طالب بن عبد المطّلب يرثيه :

لما مات رثاه أبو طالب

ليتَ شِعْرِى مُسَافِرَ بنَ أبى عمـ * ـرٍو ولَيْتٌ يقولها المحـزونُ

رجَع الركبُ سالمين جميعًا * وخليلى فى مَرْمَسٍ[2] مدفونُ

بُورِكَ الميّتُ الغريبُ كما بو * رك نَضْرُ[3] الرَّيْحانِ والزيتونُ

بيتُ صِدْقٍ على هُبَالَةَ قد حا * لت فيافٍ من دونه وحُزونُ

مِدْرَهٌ يدفع الخصومَ بأيْدٍ * وبوجهٍ يَزِينُه العِرْنِينُ

٥٠ / ٨

صوت

كَمْ خليلٍ رُزِئتُه وآبنِ عَمٍّ * وحَميمٍ قضتْ عليه المَنُونُ

فتعزّيتُ بالتأسّى وبالصبـ * ـرِ وإنّى بصاحبى لضنينُ

غنّى فى هذين البيتين يحيى المكّىّ ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى من رواية آبنه والهشامىّ .

وأنشدنا الحرمىّ قال أنشدنا الزبير لأبى طالب بن عبد المطّلب فى مسافر بن أبى عمرو :

ألَا إنّ خيرَ الناسِ غيرَ مُدَافَعٍ * بسَرْوِ سُحَيْمٍ[4] غيّبتْه المقابرُ

(١) قال البكرى فى معجم ما استعجم : إن هبالة : موضع لبنى عقيل . وقال ياقوت فى كتابه «معجم البلدان» بعد كلام : وقال أبو زياد : هبالة وهبيل من مياه بنى نمير . ثم ذكر موت مسافر بن أبى عمرو بها ورثاء أبى طالب بن عبد المطلب له . (٢) المرمس : القبر . (٣) كذا فى معجم ياقوت . وفى الأصول : «نضح الرمان» . والنضح : البلل . ولعله يعنى به العصير . (٤) كذا فى جـ ونسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . وسرو سحيم : موضع . وفى سائر الأصول : «بسرو لنجم» وهو تحريف .

تُبَكِّى أباها أُمُّ وَهْبٍ وقد نأى * وريسانُ[1] أمسى دونه ويُحَابِرُ
على خير حافٍ من مَعَدٍّ وناعلٍ * إذا الخيرُ يُرْجَى أو إذا الشرُّ حاضرُ
تَنَادَوْا ولا أبو أُمَيَّــة فيهمُ * لقد بَلَغتْ كَظَّ النفوسِ الحناجرُ[2]

قال وقال النَّوْفلىّ : إنّ البيتين :

* ألَا إنّ هندًا أصبحتْ منك مَحْرَما *

والذى بعده لهشام بن المُغيرة ، وكانت عنـده أسماء بنت مُخَرِّمَةَ النَّهْشَليّة ، فولدت له أبا جهل وأخاه الحارث ، ثم غضب عليها فجعلها مثلَ ظهر أمّه — وكان أوّلَ ظِهَار كان — فجعلته قريشٌ طلاقا . فأرادت أسماء الآنصراف الى أهلها ، فقال لها هشام : وأين الموعد ؟ قالت : الموسم . فقال لهـا ابناها : أقيمى معنا فأقامت معهما . فقال المغيرة بن عبـد الله وهو أبو زوجها : أمَا والله لأُزوجنّك غلامًا ليس بدون هشام ، فزوجهـا أبا ربيعـة ولدَه الآخر ، فولدت له عَيَّاشا وعبـدَ الله . فذلك قول هشام :

تُحَدِّثنا أسمـاءُ أن سوف نَلْتقِى * أحاديث طَسْمٍ[3] ، إنما أنت حالمُ

وقــوله :

أَلَا أصبحتْ أسماءُ حِجْرًا مُحَرَّمًا * وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتِها حَمَا

قال النَّوْفلىّ فى خبره وحدّثنى أبى : أنه إنمـا كان مسافر خرج الى النُّعمان بن المنذر يتعرّض لإصابة مال ينكح به هندًا ، فأكرمه النعمانُ وآستظرفه ونادمه وضرب عليه قُبَّةً من أَدَمٍ حمراءَ ، وكان الملك إذا فعل ذلك برجل عُرِف قدرُه منه ومكانُه عنده . وقدِم أبو سُفْيان بنُ حَرْب فى بعض تجاراته ، فسأله مسافر عن حال الناس بمكة ،

(١) فى م : «ديسان» . ويحابر : اسم قبيلة . (٢) يريد لقد بلغت القلوب الحناجر لكظ النفوس أى لكربها وامتلائها بالهم والحزن . (٣) طسم : إحدى القبائل العربية القديمة البائدة .

فذكر له أنه تزوّج هندا ؛ فاضطرب مسافر حتى مات . وقال بعض الناس : إنه آستسقى بطنُه فكُوِى فمات بهذا السبب . قال النّوفلىّ : فهو أحد مَنْ قتله العشق.

خبر طلاق هند بنت عتبة من الفاكه بن المغيرة

فأمّا خبر هند وطلاقُ الفاكهِ بنِ المُغيرة إيّاها، فأخبرنى به أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال حدّثنى ابن أبى سعد قال حدّثنى أبو السُّكَيْن زكريّا بن يحيى بن عمرو بن ٥ حِصْن بن حُمَيْد بن حارثة الطائىّ قال حدّثنى عمّى زَحْر[1] بن حِصْن عن جَدّه حُمَيْد ابن حارثة قال :

كانت هند بنت عُتْبة عند الفاكِه بن المُغيرة، وكان الفاكه من فِتْيان قُريش، وكان له بيتٌ للضيافة بارزٌ من البيوت يغشاه الناس من غير إذن . فخلا البيتُ ذات يوم، فاضطجع هو وهند فيه ثم نهض لبعض حاجته . وأقبل رجلٌ ممّن كان يغشى ١٠ البيت فولجه؛ فلما رآها رجع هاربًا؛ وأبصره الفاكه فأقبل اليها فضربها برجله

٥١/٨

وقال : مَنْ هذا الذى خرج من عندك !؟ قالت : ما رأيت أحدًا ولا انتبهتُ حتى أنبهتنى . فقال لها : آرجعى الى أُمّك . وتكلّم الناس فيها، وقال لها أبوها : يا بُنَيّة! إنّ الناس قد أكثروا فيكِ ، فأنبئينى نَبَأكِ ، فإن يكن الرجل عليك صادقًا دَسَستُ عليه من يقتله فتنقطع عنك المقالة ، وإن يك كاذبًا حاكمتُه الى بعض كُهّانِ اليمن . ١٥ فقالت : لا والله ما هو علىّ بصادق . فقال له : يا فاكه، إنك قد رميتَ بنتى بأمرٍ عظيم، فحاكِمْنى الى بعض كُهّان اليمن . فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم وخرج عُتْبة فى جماعة من عبد مَنَاف ومعهم هند ونِسْوة . فلمّا شارفوا البلادَ وقالوا غدًا نَرِد على الرجل تنكّرتْ حال هند . فقال لها عُتْبة : إنّى أرى ما حلّ بك من تنكّر الحال، وما ذاك إلا لمكروهٍ عندكِ . قالت : لا والله يا أبتاه ما ذاك لمكروه، ولكنّى أعرف ٢٠ أنكم تأتون بَشَرًا يخطئ ويصيب، ولا آمنه أن يَسِمَنِى مِيسَمًا يكون علىّ سُبّةً . فقال

(١) فى الأصول : «أبو زحر» وهو خطأ . (راجع شرح القاموس مادة زحر) .

لها : إنى سوف أختبره لك؛ فصَفَر بفرسه حتى أدْلَى[(١)]، ثم أدخل فى إحليله حبّة بُرّ وأوكأ عليها بسَيْر. فلما أصبحوا قدِموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم . فلما قعدوا قال له عُتْبة : جئناك فى أمرٍ وقد خبأتُ لك خَبْئًا أختبرك به فانظر ما هو؟ قال : ثَمَرةٌ فى كَمَرة[(٢)] . قال : إنى أريد أبْيَنَ من هذا . قال : حَبّة بُرٍّ فى إحليل مُهْر . قال : صَدَقتَ، أنظُرْ فى أمر هؤلاء النسوة . فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول : انْهَضِى، حتى دنا من هند فقال لها : انهضى غير رَسْحاء[(٣)] ولا زانية، ولَتَلِدِنَّ مَلِكا يقال له مُعاوية . فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها؛ فنثرتْ يدَها من يده وقالت : إليكَ عنّى! فوالله لأَحرِصُ أن يكون ذلك من غيرك ؛ فتزوّجها أبو سُفْيان .

وقد قيل : إنّ بيتَىْ مسافر بن أبى عمرو أعنى :

* ألا إنّ هندًا أصبحت منك محرما *

لابن عَجْلان[(٤)] .

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى عبد الله بن علىّ بن الحسن عن أبى نَصْر عن الأصمعىّ عن عبد الله بن أبى سَلَمة عن أيُّوبَ عن ابن سِيرِين قال :

خرج عبد الله بن العَجْلان فى الجاهليّة فقال :

ألا إنّ هندًا أصبحت منك مَحْرَما * وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتِها حَمَا

فأصبحتَ كالمقمورِ جَفْنَ سلاحه * يُقَلِّب بالكَفَّين قوسًا وأَسْهُما

(١) أدلى الفرس وغيره : أخرج جرذانه ليبول أو يضرب . (٢) الكمرة : رأس الذكر .
(٣) الرسح : خفة العجيزة ولصوقها . (٤) هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب ، شاعر جاهلى وهو أحد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم . وكان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم على ذلك ، فتزوجت زوجا غيره فمات أسفا عليها . (انظر ترجمته فى الأغانى ج ١٩ ص ١٠٢ طبعة بلاق) .

شعر لمسافر في الفخر

ثم مدّ بهما صوته فمات . قال ابن سيرين : فما سمعتُ أن أحدًا مات عشقًا غيرهذا .
ومما يغنّى فيه من شعر مسافر بن أبي عمرو وهو من جيِّد شعره قوله يفتخر :

صـــوت

ألم نَسْقِ الحَجيجَ ونَنْـ * ـحَرِ المِـذْلاقةَ الرُّفُـدا[1]
وزمزمُ من أُرومتنا * ونفقأ عينَ مَنْ حَسَـدا
وإنّ مناقبَ الخـيرا * ت لم نُسْـبَق بها عَدَدَا
فإنْ نَهْـلِكْ فلم نمـلك * وهـل من خالدٍ خَلَدا

غنّاه ابنُ سُرَيج رَمَلًا بالخِنْصر في مجرى البِنْصر عن إسحاق . وفيه لسائب خاثر لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى من رواية حمّاد . وفيه للزُّفّ ثقيل بالوسطى .

ما كان بين عمرو وعمارة لدى النجاشي

٥٢ / ٨

فأما خبر عمارة بنِ الوليد والسبب الذى من أجله أمر النّجاشىُّ السواحرَ فسحرتْه

فإن الواقدىّ ذكره عن عبد الله بن جعفر بن أبي عَوْن قال :

كان عُمَارة بن الوَليد المخزومىّ بعد ما مشتْ قُرَيش[2] بعُمَارة الى أبي طالب خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السَّهْمىّ ، وكانا كلاهما تاجرين ، الى النجاشىّ ، وكانت

(١) كذا في اللسان (مادتى ذلق ورفد) . والمذلاقة : يريد بها النوق السريعة السير وفى الأصول : « الدلافة » وهو تحريف . والرفد : جمع رفود وهى التى تملأ الرفد (وهو بالفتح والكسر القدح الضخم) من النوق فى حلبة واحدة . (٢) قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أباطالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه وإجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغنى : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله . نخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدا فهو لك وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فانما هو رجل كرجل . فقال : والله لبئس ما تسوموننى ! أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبدا» . (سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٦٩)

أرض الحبشة لقريش مَتْجَراً ووَجْهاً ، وكلاهما مُشرِكٌ شاعرٌ فاتكٌ وهما فى جاهليّتهما ؛ وكان عُمارة مُعْجَبا بالنساء صاحبَ محادثة[١] ؛ فركبا فى السفينة لياليَ فأصابا من خمر معهما . فلما انتشى عُمَارةُ قال لامرأة عمرو بن العاص : قبّليني . فقال لها عمرو : قبّلى ابنَ عمّك فقبّلته . وحذِر عمرو على زوجته فرصَدها ورصدتْه ، فجعل إذا شرب معه أقلّ عمرٌو من الشراب وأَرَقَّ لنفسه بالماء مخافةَ أن يسكر فيغلبه عُمارةُ على أهله . وجعل عُمارة يُراودها على نفسها فامتنعتْ منه . ثم إنّ عمرًا جلس الى ناحية السفينة يبول ، فدفعه عُمارة فى البحر . فلمّا وقع فيه سبَح حتى أخذ بالقَلْس[٢] فارتفع فظهر على السفينة . فقال له عمارة : أمَا والله لو علمتُ يا عمرو أنك تُحسن السِّباحة ما فعلتُ . فاضطغنها عمرو وعلم أنه أراد قتله . فمضيا على وجههما ذلك حتى قدِما أرضَ الحبشة ونزلاها . وكتب عمرو بن العاص الى أبيه العاص أنِ اخلَعْنى وتبرَّأ من جَريرتى الى بنى المُغيرة و جميع بنى مخزوم . وذلك أنه خشِى على أبيه أن يُتبَع بجريرته وهو يَرْصُد لعُمارة ما يَرْصُد . فلما ورد الكتابُ على العاص بن وائل مشى فى رجال من قومه منهم نُبيْه ومُنبِّه ابنا الحجّاج[٣] الى بنى المغيرة وغيرِهم من بنى مخزوم فقال : إنّ هذين الرجلين قد خرجا حيث علِمتم ، وكلاهما فاتكٌ صاحبُ شرّ ، وهما غير مأمونين على أنفسهما ولا ندرى ما يكون . وإنّى أبرأ إليكما من عمرو ومن جريرته وقد خلعتُه . فقالت بنو المغيرة و بنو مخزوم : أنت تخاف عمراً على عمارة! وقد خلعنا نحن عُمارةَ وتبرّأنا إليك من جريرته ، فخلِّ بين الرجلين . فقال السَّهْميّون[٤] : قد قبِلنا ،

(١) يحتمل أن تكون : «صاحب مخادنة» . والرجل يوصف بأنه حدث نساء كما يوصف بأنه خدنهن .
(٢) القلس : حبل غليظ من حبال السفن . (٣) هما نبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم ، كانا من أشراف قريش ، ماتا على الشرك فى غزوة بدر ؛ قتل الأوّل حمزة بن عبد المطلب ، والثانى أبو اليسر أخو بنى سلمة . (السيرة ج ١ ص ٣٢٤ ، ٤٣٦ ، ٤٧٥ ، ٥١٠) .
(٤) السهميون : قوم عمرو بن العاص ، و بنو سهم من هصيص بن كعب بن لؤى .

فابعثوا مناديًا بمكة أنّا قد خلعناهما . وتبرّأ كلُّ قوم من صاحبهم ومما جرّ عليهم ، فبعثوا مناديا ينادى بمكة بذلك . فقال الأسود بن المطّلب : بَطَل والله دمُ عُمَارة بن الوليد آخرَ الدهر ! . فلما اطمأنّا بأرض الحبشة لم يلبَث عُمَارة أن دبّ لامرأة النجاشىّ فأدخلته فاختلف اليها . فجعل اذا رجع من مَدْخَله يخبر عمرو بن العاص بما كان من أمره . فجعل عمرو يقول : ما أُصَدِّقك أنك قدَرتَ على هذا الشأن ، إنّ المرأة أرفع من ذلك . فلما أكثر على عمرو مما كان يُخبره ، وقد كان صدّقه ولكن أحبّ التثبُّت ، وكان عُمَارة يغيب عنه حتى يأتيَــه فى السَّحَر ، وكان فى منزلٍ واحد معــه ، وجعل عمارة يدعوه الى أن يشرب معه فيأبى عمرو ويقول : إنّ هذا يشغَلك عن مَدْخَلك ، وكان عمرو يريد أن يأتيه بشىء لا يستطيع دَفْعَه إنْ هو رفَعه الى النجاشىّ . فقال له فى بعض ما يذكُره له من أمرها : إنْ كنتَ صادقًا فقل لها تَدْهُنك من دُهْن النجاشىّ الذى لا يَدَّهِنُ به غيرُه فإنّى أعرفه ، لو أتيتَنى به لصدّقتك . ففعل عُمَارة [فجاء](١) بقارورة من دُهْنه ، فلمّا شمّه عرَفه . فقال له عمرو عند ذلك : أنت صادقٌ ! لقد أصبتَ شيئا ما أصاب أحدٌ مثلَه قطُّ من العرب ونلتَ من امرأة الملك شيئا ما سمعنا بمثل هذا — وكانوا أهلَ جاهليّة — ثم سكت عنه ، حتى اذا اطمأنّ دخل على النجاشىّ فقال : أيها الملك ! إنّ ابن عمِّى سفيهٌ ، وقد خشيتُ أن يعرّنى(٢) عندكَ أمرُه ، وقد أردتُ أن أُعْلِمَك شأنَه . [ولم أفعل](٣) حتى استثبتُّ أنّه(٤) قد دخل على بعض نسائك فأكثر . وهذا من دُهْنك قد أُعْطِيَه ودهَنَنى منه . فلما شمّ النجاشىُّ الدُّهْن قال : صدَقتَ ، هــذا دُهْنى الذى لا يكون إلّا عند نسائى . ثم دعا بعُمَارةَ

(١) زيادة عن تجريد الأغانى . (٢) عره : لطخه بعيب .
(٣) التكملة عن تجريد الأغانى . (٤) فى الأصــول : « حتى استثبت وأنه ... » . بزيادة الواو .

ودعا بالسواحر، فجرّدوه من ثيابه فنفخْن فى إحليله، ثم خلّى سبيلَه فخرج هاربا[(١)] .
فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافةُ عمرَ بنِ الخطّاب . فخرج اليه عبد الله بن أبى ربيعة — وكان اسمه قبل أن يسلم بَحيرًا فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله — فرصَده على ماء بأرض الحبشة ، وكان يَرِدُه مع الوحش، فورد؛ فلما وجد رِيحَ الإنس هرَب؛ حتّى إذا أجهده العطشُ ورَد فشرب حتى تملأ[(٢)]، وخرجوا فى طلبه . فقال عبد الله بن أبى ربيعة : فسعيت اليه فالتزمته ، فجعل يقول لى : يا بَحيرُ أرسِلْنى ! يا بَحير أرسلنى ! إنى أموت إن أمسكتمونى . قال عبد الله : وضغطتُه[(٣)] فمات فى يدى مكانَه . فواراه ثم انصرف . وكان شَعره قد غطّى على كل شىء منه .

قال الواقدىّ عن ابن أبى الزِّناد : وقال عمرو لعُمارة : يا فائد، إن كنتَ تحبّ أن أصَدِّقك بهذا أو أقبلَه منك فأتنى بثوبين أصفرين . فلمّا رأى النجاشىّ الثوبين قال له عمرو : أتعرِف الثوبين ؟ قال نعم .

وقال الواقدىّ عن ابن أبى الزِّناد عن أبيه ، قال النجاشىّ لعُمارة : إنّى أكره أن أقتل قُرَشيّا ، ولو قتلتُ قرشيًّا لقتلتك، فدعا بالسواحر .

شعر عمرو بن العاص فى عمارة

فقال عمرو بن العاص يذكر عُمَارة وما صنع به — قال الواقدىّ أخبرنى ابن أبى الزِّناد أنه سمع ذلك من ابن ابنه عمرو بن شُعَيْب بن عبد الله بن عمرو يذكره لجدّه — :

(١) فى تجريد الأغانى « فخرج هاربا هائما على وجهه مع الوحش . ومتى رأى الإنس هرب منهم وطلع له شعر غطى جميع بدنه . ولم يزل كذلك مدة أيام النبى صلى الله عليه وسلم وأيام أبى بكر رضى الله عنه وصدرا من خلافة عمر رضى الله عنه ، فخرج اليه ... الخ » . (٢) كذا فى تجريد الأغانى . وتملأ الرجل من الطعام والشراب : امتلأ . وفى الأصول : « ملأ » . (٣) كذا فى أ ، م وفى سائر الأصول : « وضبطته » .

تَعَلَّمْ عُمَارُ أنّ من شرّ شيمة * لمثلك أن يُدْعَى ابنُ عَمٍّ له ابْنَمَا

وإنْ كنتَ ذا بُرْدَيْنِ أحْوَى مُرَجَّلاً * فلستَ براعٍ[1] لابن عمك مَحْرَمَا

إذا المرءُ لم يترك طعامًا يُحِبُّه * ولم يَنْهَ قلبًا غاويًا حيث يَمَّمَا

قضَى وَطَرًا منه يسيرًا وأصبحتْ * اذا ذُكِرتْ أمثالُها تملأُ الفما

فليس الفتى ولو أَتَمَّتْ[2] عروقُه * بذى كرمٍ إلّا بأن يتكرّما

صَحِبتُ من الأمر الرفيق طريقه * ووليّتُ غَيَّ الأمرِ مَنْ قد تلوّما

مِن الآن فَانْزِعْ عن مَطاعِمَ جَمّةٍ * وعالِجْ أمورَ المجد لا تتندّما

شعر خولة بنت ثابت فى عمارة

قال إسحاق وحدّثنى الأصمعىّ : أنّ خَوْلَة بنتَ ثابت أُختَ حسّان قالت فى عُمارة لمّا سُحِر :

يا ليلتى[3] لم أنَمْ ولم أكَدِ * أقطَعُها بالبكاء والسَّهَدِ

أبكى على فِتيةٍ رُزِئتُهُمُ * كانوا جِبالى فأوهنوا عَضُدِى

كانوا جمالى ونُصْرتى وبهم * أمنع ضَيْمِى وكلَّ مُضْطَهِدِ

فبعدَهم أرقُب النجومَ وأذْ * رِى الدمعَ والحزنُ والجٌ كَبِدِى

قال الأصمعىّ واجتاز ابنُ سريج بطُوَيْس ومعه فِتيةٌ من قريش وهو يغنّيهم فى هذا الصوت، فوقف حتى سمعه، ثم أقبل عليهم فقال : هذا والله سيِّد مَنْ غنّاه .

٥٤/٨

هذه الأصوات التى ذكرتُها الجامعةُ للنَّغَم العَشْر والثمانى النَّغَمِ[4] منها هى المشهورة المعروفة عند الرُّواة وفى روايات الرُّواة وعند المغنِّين .

كان عبيد الله يراسل المعتضد على لسان جواريه

وكان عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر يُراسِل المعتضد بالله اذا استزار جواريَه على ألسنتهن ومع ذوى الأُنس عنده من رُسله : مع أحمد بن الطَّيِّب وثابت بن قُرَّة

(١) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : « براء » . (٢) أتمت عروقه : بلغت تمامها فى الكرم . (٣) فى الأصول : « يا ليتى » وهو تحريف . (٤) فى الأصول : « الثمانى نغم » بدون أداة التعريف فى المضاف اليه .

الطائى، يذكر النَّغَم وتفصيلَ مجاريها ومعانيها حتى فَهِم ذلك . فصنع لحناً بجمع النَّغَم العشر فى قول دُرَيْد بن الصِّمّة :

يا ليتنى فيها جَذَعْ * أَخُبُّ فيها وأَضَعْ

وصنع صنعةً مُتْقنة جيّدة، منها ما سمعناه من المُحْسِنين والمُحْسِنات ومنها ما لم نسمعه، يكون مبلغُها نحوَ خمسين صوتا . وقد ذكرتُ من ذلك ما صلَح فى أغانى الخلفاء . ٥

كان المكتفى يراسله فى الغناء

ثم صنع مثل ذلك للمكتفِى بالله[1] لرغبته فى هذه الصناعة . فوجدتُ رقعةً بخطه كتب بها الى المكتفى نسختُها : "قال إسحاقُ بن إبراهيم حين صاغ عند أبى العبّاس عبد الله بن طاهر بأمره لحنَه فى :

يومَ تُبْدِى لنا قُتَيْلةُ عن جِيـ * ـدٍ تَلِيعٍ[2] تَزِينُه الأطواقُ

وشَتِيتٍ كالأُقْحُوانِ جَلاه الطَّلُّ فيه عُذوبةٌ واتِّساقُ ١٠

إنى نظرتُ مع إبراهيم وتصفّحتُ غناءَ العرب كلَّه، فلم نجد فى جميع غناء العرب صوتًا أطول إيقاعًا من :

عادَكَ الهمُّ ليلةَ الإيجافِ[3] * من غزالٍ مُخَضَّبِ الأطرافِ

ولحنه خفيفُ ثقيلٍ لابن مُحْرِز؛ فإن إيقاعه ستة وخمسون دَوْرًا . ثم لحنِ مَعْبَد :

هُرَيْرَةَ وَدِّعْها وإن لامَ لائمُ * غداةَ غدٍ أمْ أنتَ للبَيْنِ واجمُ ١٥

وهو أحد سبعتِه[4] . ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ، ودَوْر إيقاعِه ستّةٌ وخمسون دَوْرًا، إلا أن صوت ابن مُحْرِز سُدَاسىٌّ فى العَرُوض من الخفيف، وصوتَ مَعْبَد ثُمَانِىٌّ من الطويل؛ فصوتُ ابن محرز أعجبُ لأنه أقصر . وما زلنا حتى تهيّأ لنا شعرٌ رُبَاعىٌّ فى سيِّدنا أميرِ المؤمنين أطال الله بقاءه، دَوْرُ ايقاعِه ستّة وخمسون دَوْرا ، وهو يجمع من النَّغَم

(١) فى الأصول : «بالمكتفى» وهو تحريف . (٢) تليع : طويل . (٣) الايجاف : سرعة السير . (٤) أي أحد أصواته السبعة وهي مدنه المعروفة . وفى الأصول : «أحد سبعاته» . ٢٠

العَشِير ثمانيًّا، وهـذا ظريف جِدًّا بديع لم يكن مثلُه . وأمّا الصوت الذى فى تهنئة النَّوْرُوز فلأنفسنا عمِلناه، إذ لم يكن لنا مَنْ يدبّر مثلُ هذا معه غيرُه . وقد كتبنا شعره وشعر الآخر، وإيقاعُ كلّ واحد منهما خفيفُ ثقيل ، والصنعةُ فيهما تُستَظْرَف :

٥ جُمِع الخلائفُ[1] كلّهم لجميع ما[2] * بلَغوا وأُعْطُوا فى الإمام المكتفِى

وله الهدايا ألفُ نَوْرُوزٍ وهـ * ـذا الشعرُ منها لحنُه لم يُعْرَفِ

والآخر :

دولةُ المكتفِى الخليـ * ـفةِ تُفْنِى مَدَى الدُّوَلْ

يومُ عِيدٍ ويومُ عُرْ * سٍ فما بعدَها أمَلْ

١٠ الصنعةُ فى البيت الأوّل خاصّةً تدور على ستة وخمسين إيقاعا " .

هكذا وجدت فى الرقعة بخط عُبَيد الله . وما سمعتُ أحدًا يغنّى هذين الصوتين ، وقد عرضتهما على غير واحد من المتقدّمين ومن مغنّيات القصور فما عرَفهما أحدٌ منهن . وذكرتهما فى الكتاب لأنّ شريطته تُوجب ذكرهما .

٥٥ / ٨

الأرمال المختارة والكلام عنها

الأرمال الثلاثة المختارة

١٥ أخبرنى يحيى بن علىّ ومحمد بن خَلَف وَكيع والحُسَين بن يحيى قالوا حدّثنا حمّاد ابن إسحاق قال حدّثنى أبى، قال أبو أحمد رحمه الله وأخبرنى أبى أيضا عن إسحاق، وأخبرنا علىّ بن عبد العزيز قال حدّثنا عُبَيد الله بن خُرْدَاذْبه قال قال إسحاق : أجمع العلماء بالغناء أن أحسن رَمَلٍ غُنِّى رَمَلُ :

* فلم أرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظرٍ *

---

٢٠ (١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «الخلائق» بالقاف .

(٢) كذا فى الأصول ولعله : «بجميع» .

ثم رملٌ :

* أفاطمَ مَهْـلًا بعضَ هـذا التدلُّلِ *

ولو عاش ٱبنُ سُرَيج حتى يسمع لحنِى الرملَ :

* لعلَّكَ إن طالت حياتُك أن تَرَى *

لاستحيا أن يصنع بعـده شيئا . وفى روايتَىْ وَكيع وعلىِّ بن يحيى "ولعـلم[1] أنى نعم الشاهد له" .

٥

نسبة الأصوات وأخبارها :

صـــــوت

الصوت الأوّل من هذه الأرمال فى شعر ابن أبى ربيعة

فـلم أرَ كالتَّجْمير منظرَ ناظـرٍ * ولا كليالِى الحَجِّ أَفْلَتْنَ ذا هوَى

فكم من قَتيـلٍ ما يُبـاءُ[2] به دمٌ * ومن غَلِقٍ رهنًا اذا لَفَّـه مِنَى

١٠

ومن مالئٍ عينيه من شَىْءِ غيره * اذا راح نحوَ الجمرةِ البِيضُ كالدُّمَى

يُسَحِّبْنَ أذيالَ المُرُوطِ بأسْؤُقٍ[3] * خِدَالٍ وأعجـازٍ مآ كِمُهـا[4] رِوَا

عروضه من الطويل . الشـعر لعمرَ بنِ أبى رَبيعة . والغناء لابن سُرَيج رملٌ بالبنصر . وقد كان عَلّويه فيما بلغنا صـنَع فيه رملًا ، وفى "أفاطم مهلا" خفيفَ رملٍ ، وفى "لعلّك إن طالت حياتُك" رملا آخر ، ولم يصنع شيئا وسقطت ألحانُه فيها فمـا تكاد تُعرف . وهـذه الأبيات يقولها عمرُ بن أبى رَبيعة فى بنت مَرْوانَ ابنِ الحَكَم .

١٥

(١) لعل الواو من زيادات النساخ . (٢) أباء فلان القتيل بالقاتل : قتله به . يريد : كم من قتيل يطل دمه ولا يؤخذ له بثأر . وغلق الرهن فى يد المرتهن يغلق غلقا : لم يقدر الراهن على افتكاكه فى الوقت المشروط . يريد : كم من قلوب أسيرة لا يقدر أصحابها على افتكاكها . (٣) الأسؤق : جمع ساق . والخـدال : الممتلئة . (٤) المآكمة : العجيزة .

٢٠

ابن أبي ربيعة وأم عمرو بنت مروان

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا ابن كُنَاسة عن أبي بكر بن عيّاش قال :

حجّت أمُّ عمرو بنتُ مروان ، فلما قضتْ نُسُكها أتت عمرَ بن أبي ربيعة وقد أخفتْ نفسَها في نساءٍ معها ، فحادثته ثم ٱنصرفت ، وعادت اليه مُنْصَرَفَها من عرفات وقد أَثْبتها . فقالت له : لا تذكُرْني في شعرك ، وبعثت اليه بألف دينار . فقبِلها ٥ واشترى بها ثيابًا من ثياب اليمن وطِيبا فأهداه اليها فردّتْه . فقال : إذًا واللهِ أُنْهبه الناسَ فيكونُ مشهورا ، فقبلتْه . وقال فيها :

أيُّها الرائحُ المجِــدُّ ٱبتكارًا * قـد قضَى من تِهامةَ الأوطارَا
مَنْ يكن قلبُــه الغــداةَ خليًّا * ففؤادى بالخَيْفِ أَمْسَى مُطَارَا
١٠ ليت ذا الدهرَ كان حتمًا علينا * كلَّ يومين حِجّــة وٱعتمارَا

قال ٱبنُ كُنَاسة قال ٱبن عيّاش : فلما وَجَّهتْ منصرفةً قال فيها :

فكم من قتيلٍ ما يُباء به دمٌ * ومن غَلِقٍ رهنًا إذا لفّه مِنَى

٥٦/٨

قال : ويُروى " ومن غَلِقٍ رهنٍ " كأنه قال ومن رهنٍ غلِقٍ ؛ لا يُجعل من نعت الرهن . كأنه جعل الإنسان غَلِقا وجعله رَهْنا ؛ كما يقال : كم من عاشقٍ مُدْنَف ، ١٥ ومن كَلِيفٍ صَبٍّ .

قال الزُّبَير وحدّثني مُسْلِم بن عبد الله بن مُسْلِم بن جُنْدَب عن أبيه قال : أنشده ٱبنُ أبي عَتيق فقال : إنّ في نفس الجمل ما ليس في نفس الجمّال .

قال : وقال عبد الله بن عمر ، وقد أنشده عمر بن أبي ربيعة شعرَه هذا : يٱبن أخى ! أَمَا ٱتَّقيتَ اللهَ حيث تقول :

٢٠ ليت ذا الدهرَ كان حتما علينا * كلَّ يومين حِجّــةً واعتمارَا

فقال له عمر بن أبي ربيعة : بأبي أنت وأمي ! إني وضعت لَيْتًا حيث لا تُغنى .

أمر عمـر بن عبـد العزيز بنفيه ثم خلاه لما تاب

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، وأخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله عن إسحاق، وأخبرنى ببعض هذا الخبر الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكار قال حدّثنا مُصعَب بن عثمان :

أنّ عمـر بن عبد العزيز لمّـا ولىَ الخلافةَ لم تكن له همّةٌ إلا عمرَ بنَ أبى ربيعة والأحوصَ . فكتب الى عامله على المدينة : «قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشرّ . فإذا أتاك كتابى هذا فاْشدُدْهما واحمِلْهما إلىّ» . فلما أتاه الكتاب حملهما اليه . فأقبل على عمر فقال له هِيه !

فلم أر كالتَّجْمِيرِ منظـرَ ناظـرٍ * ولا كليالى الحجّ أَفْلَتْنَ ذا هوَى
وكم مالئٍ عينيه من شىءِ غيرِه * إذا راح نحوَ الجمرةِ البِيضُ كالدُّمَى

فإذا لم يُفْلت النـاس منك فى هـذه الأيام فمتى يُفلتون ! أمَا والله لو اهتممتَ بأمر حَجّك لم تنظر الى شىءٍ غيرك ! ثم أمر بنفيه . فقال : يا أمير المؤمنين، أوَ خيرٌ من ذلك؟ قال : وما هو؟ قال : أعاهد الله ألّا أعود الى مثل هذا الشعر ولا أذكُرَ النساء فى شعرٍ أبدًا وأجدّدَ توبةً على يديك . قال : أوَ تفعل ؟ قال نعم . فعاهد الله على توبةٍ وخلّاه . ثم دعا بالأحوص فقال هيه !

نفى الأحوص ولم يطلقـه إلا يزيد ابن عبد الملك

اللهُ بينى وبين قَيِّمِها * يهرُب منِّى بها وأَتَّبِـعُ

بل اللهُ بين قيِّمها وبينـك ! ثم أمر بنفيـه الى بِيش،(1) وقيل الى دَهْلَك وهو الصحيح، فنُفِى اليها، فلم يزل بها . فرحل الى عمَر عدّةٌ من الأنصار فكلّموه فى أمره وسألوه أن يُقْدِمه وقالوا له : قد عرفتَ نسبه وقِدَمَه وموضعه وقد أُخرج الى بلاد

(1) بيش : مِن بلاد اليمن قرب دهلك . ودهلك جزيرة فى بحر اليمن، مرسى بين بلاد اليمن والحبشـة، بلدة ضيقة حرجة حارة وهى تجاه مصوع . وكان بنو أميـة اذا سخطوا على أحد نفوه اليها . (عن معجم البلدان لياقوت) .

الشرك ، فنطلب اليك أن تردّه إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قومه .
فقال لهم عمر : مَن الذى يقول :

فما هو إلا أن أَراها فُجَاءةً * فأُبْهَتَ حتى ما أكاد أُجيرُ

— وفى رواية الزبير "أُجِيب" مكان "أُجِير" (١) — قالوا : الأحوص . قال :
٥ فمن الذى يقول :

أدُورُ ولولا أَنْ أَرَى أُمَّ جعفرٍ * بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أَدورُ
وما كنتُ زَوّارًا ولكنّ ذا الهوى * إذا لم يَزُرْ لابدّ أن سيزورُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

كأنّ لُبْنَى صَبِيرُ (٢) غاديةٍ * أو دُمْيةٌ زُيِّنت بها البِيَعُ
١٠ اللهُ بينى وبين قَيِّمها * يهرُب منّى بها وأتّبِعُ

قالوا : الأحوص . قال : إنّ الفاسق عنها يومئذ لمشغول، والله لا أردّه ما كان لى سلطان . فمكث هناك بعد ولاية عمر صدرًا من ولاية يزيد بن عبد الملك ثم خلّاه . قال : وكتب إلى عمر بن عبد العزيز من موضعه — قال الزُّبير : أنشدنيها عبد الملك ابن عبد العزيز ابن بنت الماجِشُون قال أنشدنيها يوسف بن الماجشون يعنى
١٥ هذه الأبيات — :

أيا راكبًا إمّا عَرَضتَ فبلِّغنْ * هُدِيتَ أميرَ المؤمنين رسائلى
وقُلْ لأبى حفصٍ إذا ما لَقِيتَه * لقد كنتَ نفّاعًا قليلَ الغوائل
أفِى اللهِ أنْ تُدْنُوا ابنَ حزم (٣) وتقطَعوا * قُوَى حُرُماتٍ بيننا ووَصَائِل (٤)

---

(١) نسب هذا البيت لعروة بن حزام . (انظره فى ترجمته ج ٢٠ ص ١٥٦ من الأغانى طبع بلاق) .
٢٠ (٢) الصبير : السحابة البيضاء . (٣) يريد به أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم والى المدينة لعمر ابن عبد العزيز . (٤) فى حـ : «ووسائلى» والوصائل : جمع وصيلة ، وهى ما يوصل به الشىء .

فكيف ترى للعيش طِيباً وَلَذّةً * وخالُك أمسى مُوثَقاً فى الحبائِلِ
وما طمِع الحَزْمِىُّ فى الجاه قبلها * الى أحدٍ من آل مَرْوان عادِلِ
وشَى وأطاعوه بنا وأعانَه * على أمرنا مَنْ ليس عنّا بغافِلِ
وكنتُ أَرَى أنّ القرابة لم تَدَعْ * ولا الحُرُماتِ فى العصور الأوائِلِ
الى أحدٍ من آل مَرْوان ذى حِجًى(١) * بأمرٍ كرهناه مقالًا لقائِلِ
يُسَرّ بما أَنْهَى العدوُّ و إنه * كنافلةٍ لى من خِيار النوافِلِ
فهل يَنْقُصَنّى القوم أن كنتُ مُسْلِماً * بريئًا بلائى فى ليالٍ قلائِلِ
ألَا ربَّ مسرورٍ بنا سيَغيظه * لدى غِبّ أمرٍ عضُّه بالأنامِلِ
رَجَا الصُّلحَ منّى آلُ حَزْمِ بن فَرْتَنَى * على دِينهم جهلًا ولستُ بفاعِلِ
ألَا قد يُرَجُّون الهوانَ فإنهم * بنو حَبِقٍ(٢) ناءٍ عن الخير فائِلِ
على حين حَلّ القول بى وتنظَّرت * عقوبتَهم منّى رءوسُ القبائِلِ
فمَنْ يك أَمْسَى سائلًا بشماتةٍ * بما حلَّ بى أو شامتًا غيرَ سائلِ
فقد عَجمتْ منّى العواجمُ ما جدًا * صبورًا على عضّات تلك التلاتِلِ(٣)
إذا نال لم يَفْرَحْ وليس لنَكْبةٍ * إذا حدثتْ بالخاضع المتضائِلِ

قال الزبير : وقال الأحوص أيضا :

هَلَ انت أميرَ المؤمنين فإنّنى * بودِّك من ودِّ العباد لقانِعُ
متمِّمُ أجرٍ قد مضَى وصنيعةٍ * لكم عندنا أو ما تُعَدّ الصنائعُ
فكم من عدوٍّ سائلٍ ذى كَشَاحَةٍ * ومنتظرٍ بالغيب ما أنت صانعُ

فلم يُغن عنه ذلك ولم يُخَلِّ سبيله عمرُ ، حتى ولِى يزيدُ بن عبد الملك فأقدمه وقد غنّته حَبَابةُ بصوت فى شعره .

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « ذى حمى » . (٢) الحبق ، الضراط .
(٣) التلاتل : الشدائد .

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال هشام بن حسّان :
كان السبب فى ردّ يزيد بن عبد الملك الأحوصَ أن جميلة غنّته يوماً :

كريمُ قريشٍ حين يُنْسَبُ والّذى * أقرّتْ له بالملك كَهْلًا وأمرَدا

فطرِب يزيد وقال : وَيْحك ! مَنْ كريمُ قريشٍ هذا ؟ قالت : أنت يا أمير المؤمنين ،
٥ ومَنْ عَسَى أن يكون ذلك غيرَك ! قال : ومَنْ قائلُ هذا الشعرَ فىّ ؟ قالت :
الأحوص وهو منفىّ . فكتب بردّه وحَمْلِه اليه وأنفذ إليه صِلاتٍ سنيّة . فلمّا قدِم
اليه أدناه وقرّبه وأكرمه . وقال له يوما فى مجلس حافل : والله لو لم تَمُتَّ الينا بحقٍّ
ولا صِهْرٍ ولا رَحِمٍ إلّا بقولك :

وإنى لأستحييكمُ أن يقودَنى * إلى غيركم من سائر الناس مَطْمَعُ

١٠ لكفاك ذلك عندنا . قال : ولم يزل ينادمه وينافس به حتى مات . وأخبار الأحوص
فى هـذا السبب وغيره قد مضت مشروحةً فى أوّل ما مضى من ذكره وأخباره ؛
لأن الغرض ها هنا ذكر بقية خبره مع عمر بن أبى ربيعة فى الشعرين اللّذين أنكرهما
عليهما عمرُ بن عبد العزيز وأُشخِصا من أجلهما .

٥٨ / ٨

سليمان بن عبد الملك ونفيه ابن أبى ربيعة الى الطائف

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال : قال مصعب بن
١٥ عبد الله قال :

حجّ سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ، فأرسل الى عمرَ بن أبى ربيعة فقال له :
ألستَ القائل :

فكم من قتيـــلٍ ما يُباء به دمٌ * ومن غَلِقٍ رهنًا اذا لفّـــه مِنَى
ومن مالئٍ عينيه من شىء غيره * إذا راح نحوَ الجمرة البيضُ كالدُّمَى
٢٠ يسحبن أذيالَ المُرُوط بأسؤقٍ * خِدالٍ وأعجازٍ مآ كمُها رِوَا

أوانسُ يسلُبن الحليم فؤادَه * فيا طُول ما شوقٍ و ياطول مُجتلَى[1]

قال نعم . قال : لا جرم والله لا تحضُر الحجّ العامَ مع الناس ! فأخرجه الى الطائف .

ابن أبى عتيق وغناء ابن سريج

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبى حدّثنى ابنُ الكَلْبىّ عن أبى مسكين وعن صالح بن حسّان قال :

٥

قدِم ابنُ أبى عَتيق الى مكة فسمع غناء ابن سُرَيج :

فلم أر كالتجمير مَنْظَرَ ناظرٍ * ولا كليالى الحجّ أفلتنَ ذا هوى

فقال : ما سمعت كاليوم قطُّ ، وما كنت أحسَب أن مثل هذا بمكة ، وأمر له بمال وحدَره معه الى المدينة ، وقال : لأصغِّرَنَّ[2] الى مَعْبَد نفسه ولأُهدينّ الى المدينة شيئا لم ير أهلها مثلَه حسنًا وظَرفا وطيب مجلس ودماثة خُلق و رقّة منظر ومِقّةً[3] عند كل أحد . فقدِم به المدينةَ و جمع بينه و بين معبد . فقال لابن سُريج : ما تقول فيه؟ قال : إن عاش كان مغنِّى بلاده .

١٠

أبو السائب وابن سريج

وقال إسحاق وحدّثنى المدائنى عن جرير قال : قال لى أبو السائب يومًا : ما معك من مُرْقِصات ابن سريج؟ فغنّيته :

* فلم أر كالتجمير منظرَ ناظرٍ *

١٥

فقال : كما أنت حتى أَتَحرّم لهذا بركعتين .

الوليد بن عبد الملك يأمر والى المدينة أن يشخص اليه ابن سريج

حدّثنى الحسين قال قال حمّاد قرأت على أبى وحدّثنى أبو عبد الله الزُّبيرى قال : كتب الوليد بن عبد الملك الى عامل مكة أن أَشخِصْ الىّ ابنَ سُريج . فورد الرسول الى الوالى ، فمرّ فى بعض طريقه على ابن سُرَيج وهو جالس بين قَرْنَىْ بئرٍ وهو يغنّى :

٢٠

* فلم أر كالتجمير منظر ناظر *

---

(١) كذا فى أ وديوانه طبع مطبعة السعادة ص ١٦ . وفى سائر الأصول : «و ياطول ما اجتلى» .

(٢) فى جميع الأصول : « لأقصدن » وقد صححها الأستاذ الشنقيطى فى نسخته كما صححناها .

(٣) المقة : المحبة .

فقال له الرسول : تالله ما رأيتُ كاليوم قطُّ ولا رأيت أحمقَ ممّن يتركك و يبعث الى غيرك . فقال له ابن سُرَيج : أمَا والله ما هو بقَدَمٍ ولا ساقٍ، ولكنه بِقِسَمٍ وأرزاق . ثم مضى الرسول وأوصل الكتاب، و بعث الوالى الى ابن سريج فأحضره . فلما رآه الرسول قال : قد عجبت أن يكون المطلوبُ غيرَك .

عبد الله بن الزبير يعجب لسماع غناء ابن سريج

٥٩ / ٨

٥ أخبرنى الحرمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى قال رَقِيَ عبد الله بن الزُّبَيْر أبا قُبَيس[(1)] ليلًا، فسمع غناءً فنزل هو وأصحابه يتعجّبون وقال: لقد سمعت صوتا إن كان من الإنس إنه لعجب، و إن كان من الجن لقد أعطوا شيئًا كثيرًا . فاتّبعوا الصوت فاذا ابن سُرَيج يتغنّى فى شعر عمر :

* فلم أر كالتجمير منظر ناظر *

ثانى الأرمال الثلاثة فى شعر امرئ القيس

١٠ ومن هذه الأرمال الثلاثة :

صوت

أفاطمُ مهلًا بعضَ هذا التدلُّل * و إن كنتِ قد أزمعتِ صُرمى فأَجملى
أَغرَّكِ منّى أنّ حبَّكِ قاتلى * وأنّك مهما تأمرِى القلبَ يفعل

الشعر لامرئ القيس . والغناء فى هذين البيتين من الرمل المختار لإسحاق بالبنصر.

١٥ وفى هذين البيتين مع أبيات أُخر من هذه القصيدة ألحانٌ شتّى لجماعة نذكرها هاهنا ومن غنّى فيها، ثم نُتْبِع ما يُحتاج الى ذكره منها ، وقد يُجمع سائر ما يغنّى فيه من القصيدة معه :

شىء من معلقته وشرحه

قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ * بِسَقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُول فحَوْمَلِ
فتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يعف رسمُها * لِما نَسَجتْها من جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ
٢٠ أفاطمُ مَهْلًا بعضَ هذا التَّدلُّل * و إن كنتِ قد أزمعتِ صُرمِى فأجْمِلى

(١) أبو قبيس : جبل بمكة .

وإن كنتِ قد ساءتكِ منّى خَليقةٌ * فسُلّى ثيابى من ثيابكِ تَنْسُلِ
أغَرَّكِ منّى أنّ حُبّكِ قاتلى * وأنّكِ مهما تأمُرِى القلبَ يفعل
وما ذَرَفتْ عيناكِ إلّا لتضربى * بسَهمَيْكِ فى أعشار قلبٍ مُقَتَّلِ
تسلّتْ عَمَاياتُ الرجالِ عن الصِّبا * وليس فؤادى عن هواكِ بمُنْسَلى
ألا أيّها اللّيلُ الطويل ألَا انْجلِ * بصبحٍ وما الإصباحُ فيكَ بأمْثَلِ ٥
وبيْضةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِباؤها * تمتّعتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعْجَلِ
تجاوزتُ أحراسًا اليها ومَعْشَرا * علىَّ حِراصًا لو يُسِرُّون مَقْتَلى
ألَا ربَّ يومٍ صالحٍ لك منهما (١) * ولا سِيما يومٌ بدارةِ جُلْجُلِ
ويوم عقرتُ للعَذارَى مطيّتى (٢) * فَواعَجبى من رَحْلِها المتحمَّلِ
وقد أغتدى والطيرُ فى وُكُناتها * بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ ١٠
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معًا * كجُلْمود صخرٍ حطّه السيلُ من عَلِ
فقلت لها سِيرِى وأرخى زِمامَه * ولا تُبعدينا من جَناكِ المُعَلَّلِ

عروضه من الطويل . وسِقْط اللوى مُنْقَطَعه . واللِّوى : المستدقّ من الرمل حيث يستدق فيخرج منه الى اللّوى . والدَّخول وحَوْمَلُ وتُوضِحُ والمِقْراة : مواضع ما بين إمَّرَة (٣) الى أسود العين . وقال أبو عبيدة فى سقط اللوى وسقط الولد وسقط النار ١٥

(١) الضمير فى « منهما » مرجعه فى قوله :

كدأبك من أم الحويرث قبلها * وجارتها أم الرباب بمأسل

ويروى : « صالح لك منهم » يعنى النساء وأهلهن . قال التبريزى : وأجود الروايات : « ألا رب يوم لك منهن صالح » على ما فيه من الكف ، وهو حذف النون من مفاعيلن . (راجع شرح التبريزى للعلقات طبع أوربا) . (٢) لما نحر ناقته للعذارى اقتسمن متاع راحلته : تحمل هذه حشيته ٢٠ وتلك طنفسته فكان ذلك مثار عجبه . (٣) إمرة : منزل فى طريق مكة من البصرة بعد القريتين الى جهة مكة ، وبعد رامة وهى منهل . وأسود العين : جبل بنجد يشرف على طريق البصرة الى مكة .

سَقْط وسُقْط وسِقْط ثلاث لغات. وقال أبو زيد : اللوى : أرض تكون بين الحَزْن والرمل فصلًا بينهما . وقال الأصمعيّ : قوله «بين الدَّخول فحومل» خطأ ولا يجوز إلا بواو «وحومل»؛ لأنه لا يجوز أن يقال : رأيت فلانا بين زيد فعمرو، إنما يقال وعمرٍو؛ ويقال : رأيتُ زيدا فعمرا إذا رأى كلَّ واحد منهما بعد صاحبه . وقال غيره : يجوز «فحومل» كما يقال : مُطِرْنا بين الكوفة فالبصرة، كأنه قال: من الكوفة الى البصرة، يريد أن المطر لم يتجاوز ما بين هاتين الناحيتين؛ وليس هـذا مثل بين زيد فعمرو. ويَعْفُ رسْمها : يدرُسْ . ونسجتْها : ضربتْها مقبلة ومدبرة فعفتها . يعني أن الجنوب تعفى هـذا الرسم إذا هبّت وتجيء الشمأل فتكشفه . وقال غير أبي عُبَيدة: المِقْرَاة ليس اسم موضع إنما هو الحوض الذى يُجمع فيه المـاء . والرسم : الأثر الذى لا شخص له . ويروى « لمـا نسجته » يعني الرسم . ويقال عَفَا يعفو عُفُوًّا وعَفَاءً؛ قال الشاعر :

* على آثار مَنْ ذهب العَفَاءُ *

يعني محو الأثر . وفاطمة التي خاطبها فقال "أفاطم مهلا" بنت العُبَيْـد بن ثَعْلَبة ابن عامر بن عوف بن كِنانة بن عَوْف بن عُذْرة، وهي التي يقول فيها :

* لَا وأبيك ابنة العامرىّ (١) *

"وأزمعتِ صُرمى"، يقال أزمعت وأجمعت وعزمت وكله سـواء . يقول : إنْ كنتِ عزمتِ على الهجر فأجملي . ويقول الأسير : أجْمِلوا في قتلي، قتلةً أحسنَ من هـذه، أي على رفق وجميل . والصُّرْم: القطيعة، والصَّرم المصدر؛ يقال :

---

(١) يريد قوله :

فلا وأبيك ابنة العامرىّ * لا يدعى القوم أنى أفر

في قصيدته التي مطلعها :

أحار بن عمرو كأنى خمر * ويعدو على المرء ما يأتمر

صرمته أصرمه صَرْماً مفتوحٌ إذا قطعته، ومنه سيف صارم أى قاطع، ومنه الصِّرام[(١)]، ومنه الصرائم وهى القطع من الرمل تنقطع من معظمه . وقوله : " سُلِّى ثيابى من ثيابك" كنايةٌ، أى اقطعى أمرى من أمرك . وقوله تَنْسُلِ : تَبِنْ عنها . ويقال للسنّ اذا بانت فسقطتْ والنَّصْلِ اذا سقَط : نَسَل ينسُل، وهو النسيل والنُّسَال . وقال قوم : الثياب : القلب . وقوله : " وما ذرفت عينـاك " أى ما بكيتِ إلا لتضربى بسهميكِ فى أعشـار قلب مُقَتَّل . قال الأصمعىّ : يعـنى أنك ما بكيت إلا لتخرقى قلبـا مُعَشَّرا، أى مُكَسَّرا؛ شبهه بالبُرْمَة اذا كانت قِطَعا، ويقال : برمةٌ أعشار . قال : ولم أسمع للأعشار واحدا . يقول : لتضربى بسهميك أى بعينيك فتجعلى قلبى مخرَّقا فاسـدا كما يُخَرِّق الجابر أعشـار البرمة ؛ فالبرمة تجبر اذا أخرقت وأصلحت، والقلب لا يجبر. قال : ومثله قوله :

* رمتْك ابنةُ البكرىِّ عن فرع ضالةٍ *

أى نظرتْ اليك فأقرحتْ قلبك . وقال غير الأصمعىّ وهو قول الكوفيين : إنمـا هذا مثل أعشار الجَزُور، وهى تنقسم على عشرة أنْصِباء، وضربتِ فيها بسهميكِ المُعَلَّى[(٢)] وله سبعة أنْصِباء والرقيب وله ثلاثة أنْصِباء؛ فأراد أنها ذهبت بقلبه كلّه . مقتَّل أى مذلَّل؛ يقال بعير مقتَّل أى مذلَّل . تسلّت : ذهبت . يقال : سلوت عنه وسَلِيتُ إذا طابت نفسُك بتركه . قال رؤبة :

* لو أشرب السُّلْوانَ ما سَلِيتُ *

(١) الصرام (بفتح الصاد وكسرها) : جذاذ النخل أى أوان إدراكه .

(٢) سهـام الميسر عشرة وهى : الفــذ والتوءم والضريب ويقـال له الرقيب والحلس (بالكسر) والنافس والمسبل (بضم الميم وكسر الباء) والمعلى، وثلاثة ليس لهـا شىء وهى الوغد والسفيح والمنيح . قال ابن الانبـارى : فأما الفذ فله سهم واحد إن فاز وعلى صاحبه غرم سهم ان خاب . والتــوءم له سهمان ان فاز وعليه سهمان إن خاب ... وهكذا على الترتيب .

والعَمايات : الجَهالات . عدّ الجهل عمى . والصِّبا : اللعب . قال ابن السِّكِّيت : صَـبَا يصبو صَـبْواً وصُبُوّاً وصَـباءً وصِباً[1] . انجلى : انكشف . والأمر الجلىّ : المنكشف . وقوله : أنا ابنُ جَلَا أى أنا ابن المكشوف الأمر المشهور غير المستور؛ ومنه جِلاء العروس وجِلاء السيف . وقوله "فيك بأمثل" يقول : إذا جاءنى الصباح وأنا فيك فليس ذلك بأمثل؛ لأن الصبح قد يجىء والليل مظلم بعدُ . يقول : ليس الصبح بأمثل وهو فيك، أى يريد أن يجىء منكشفا منجليا لا سواد فيه . ولو أراد أن الصباح فيك أمثل من الليـل لقال : منك بأمثل . ومثـله قول حُمَيْد بن ثَوْر فى ذكر مجىء الصبح والليل باق :

فلمـا تجلَّى الصبح عنها وأبصرتْ ❊ وفى غَبَش الليل الشخوصُ الأباعدُ

غبش الليـل : بقيّته . هـذا قول يعقوب بن السِّكِّيت . "وبيضةِ خِدْر" شبّه المرأة بالبيضة لصفائها ورقّتها . "غير مُعْجَل" أى لم يُعجلنى أحدٌ عما أريده منها . والخِبـاء : ما كان على عمودين أو ثلاثة . والبيت : ماكان على سـتة أعمدة الى تسـعة . والخيمة : من الشَّـعَر . وقوله : "يُسِرُّون مقتـلى"، قال الأصمعىّ : يُسِرُّونه؛ وروى غيره : يُشِرُّون بالشين المعجمة أى يظهرونه . وقال الشاعر :

فمـا برِحـوا حتى أتى اللهُ نصرَه ❊ وحتى أُشِرَّتْ بالأكُفِّ الأصابع[2]

أى أُظْهِرتْ . وقال غيرهما : لو يُسِرّونه : من الإسرار أى لو يستطيعون قتلى لأَسَرّوه من الناس وقتلونى . قال أبو عُبَيدة : "دارة جُلْجُل" فى الحِمَى؛ وقال ابن الكلبىّ :

(١) فى الأصول : «صبيا»، والتصويب عن كتب اللغة .

(٢) ورد هذا البيت فى اللسان (مادة شرر) هكذا :

فما برحوا حتى رأى الله صبرهم ❊ وحتى أشرت بالأكف المصاحف

وذكر أنه لكعب بن جعيل أو لحصين بن الحمام المرى يذكره يوم صفين . يريد : وحتى نشرت المصاحف ورفعها أصحاب معاوية بالأكف على أطراف الرماح .

هى عند عين كِنْدة . ويروى سِمَا مخففةً وسِمًّا مُشدَّدةً . ويقال : رُبَّ رجل ورُبْتَ رجل وربَّتْ رجل[(١)] . ومن القرّاء من يقرأ ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الذين كَفَرُوا ﴾ مخففة . وقرأ عليه رجل "رُبَّمَا" فقال له : أظنُّك يُعجبك الرُّبُّ[(٢)] .

ويروى :

* فيا عجبا من رحلها المتُحَمَّل *

أى يا عجبا لسفهى وشبابى يومئذ . ويروى :

* وقد أغتدى والطير فى وَكَرَاتها *

بالراء . قال أبو عبيدة : والأُكُنات فى الجبال كالتَّمَاريد[(٣)] فى السهل ، والواحدة أُكْنَة وهى الوُقُنات ، والواحدة أُقْنَة ، وقد وَقَن يَقِن . وقال الأصمعىّ : إذا أوَى الطيرُ الى وَكْره قيل وَكَر يكِر ووَكَن يَكِنُ ، ويقال : إنه جاءنا والطير وُكَّنٌ ما خرجن . والمنجرد : القصير الشَّعَرة ، وذلك من العِتْق . والأوابد : الوحش ، وتأبّدت : توحّشت ، وتأبّد الموضع إذا توحّش . وقيد الأوابد : يعنى الفرس . يقول : هو قيدٌ لها لأنها لا تفوته كأنها مقيّدة . والهيكل : العظيم من الخيل ومن الشجر ، ومنه سمِّى بيت النصارى الهيكلَ . وقال أبو عُبَيْدة : يقال : قيد الأوابد وقيد الرِّهان ، وهو الذى كأن طريدته فى قيد له اذا طلبها ، وكأنّ مُسابِقَه فى الرِّهان مُقَيَّد . قال أبو عبيدة : وأوّل من قيّدها امرؤ القيس . والمُنْجَرِد : القصير الشَّعَرة الصافى الأديم . والهيكل الذكر ، والأنثى هيكلة ، والجمع هياكل ، وهو العظيم العَبْل الكثيف اللِّين . وقوله "مِكَرٍّ مِفَرٍّ" يقول : إذا شئتُ أن أكُرّ عليه وجدته ، وكذلك إذا أردتُ أن أفِرّ عليه أو أُقبِلَ أو أدْبِر . والجُلْمود : الصخرة . ووصفها بأن السيل

(١) وفيها لغات أخرى غير ذلك . (٢) الرب : مايطبخ من التمر .
(٣) التماريد : جمع تمراد (بالكسر) وهو برج صغير للحمام .

حطّها من عَلِ لأنها اذا كانت فى أعلى الجبـل كان أصلب لها . "من عَلِ" : من فوقٍ . ويقال من عَلِ ومن علُ ومن عَلَا ومن عَلْوُ ومن عالٍ ومن عَلْوِ ومن مُعَالٍ .
وقوله «سِيرِى وأرخى زمامه» أى هَوِّنى عليـك الأمرَ ولا تُبالى أَعُقِر أم سَـلِم .
"وجناك" كلُّ شيء اجتنيته من قُبْلَة وما أشبه : ذلك هو الجَنَى، وهو من الإنسان
٥ مثل الجَنَى من الشجر أى ما اجتُنِى من ثمره . والمُعَلّل : المُلَهّى .

غَنّى فى "قفا نبك"، و"أفاطم مهلا"، و"أغرّك" و"وما ذرفتْ عيناكِ" معبد لحنا من الثقيل الأوّل بالسَّبّابة فى مجرى الوسطى . وغنّى معبد أيضا فى الأوّل والرابع من هذه الأبيات خفيفَ رمل بالوسطى . وغنّى سعيد بن جابر فى الأربعة الأبيات رملًا . وغنّت عَرِيبُ فى :

١٠ * أغرّكِ منى أن حبّك قاتلى *

وبعده شعر ليس منه وهو :

٦٢ / ٨

فلا تَخْرِجى من سفك مهجة عاشقٍ * بَلَى فاقتـلى ثم اقتـلى ثم فاقتـلى (١)
فلا تَدَعى أن تفعلى ما أردتِه * بنا، ما أراكِ اللهُ من ذاك فافْعَلِى

ولحنُها فيها خفيفُ رمل . وغنّى ابن محرز فى "تسلّت عَمايات الرجال" وبعده "ألا
١٥ أيها الليل الطويل" ثانىَ ثقيل بالوسطى . وغنّى فيهما عبـد الله بن العباس الرَّبيعىّ ثانى ثقيل آخر بالسبّابة فى مجرى البنصر . وغنّت جميلة فى "تسلت عمايات الرجال" وبعـده "ألا رب يوم لك" لحنا من الثقيل الأوّل عن الهشامى . وغنّت عَزّة الميلاءُ فى "تسلّت عمايات الرجال" وبعده "ويوم عقرت للعذارى مطيّتى" ثقيلا أوّل آخر عن الهشـامىّ . وغنّت حُميـدة جارية ابن تُفّاحة فى "وبيضـةِ خِدْرٍ"
٢٠ و"تجاوزت أحراسا" لحنـا من الثقيل الأوّل بالوسطى . ولطُوَيس فى "قفانبك"

(١) لعل صوابه : « ثمت اقتلى » لقبح اجتماع حرفى عطف متواليين .

وبعده "فتوضح فالمقراة" ثقيل أوّل آخر. وفى "أفاطم مهلا" و"أَغَرَّك منى
أن حبّك قاتلى" ليزيد بن الرحّال هزج. ولأبى عيسى بن الرشيد فى "وقد أغتدى"
و"مِكَرٍّ مِفَرٍّ" ثقيل أوّل. ولفُلَيْح فى "قفا نبك" وبعده "أغرّك منّى" رمل.
وقيل: إن لمعبد فى "وبيضة خدر" لحناً من الثقيل الأوّل، وقيل: هو لحن
حُميدة. ولعريبَ فى هذين البيتين خفيف ثقيلٍ من رواية أبى العُبَيْس. وغنّى ٥
سَلّام بن الغَسّال — وقيل بل عُبَيْدةُ أخوه — فى "وإن كنت قد ساءتك منى"
و"أغرّك منى" رملًا بالوسطى. وغنّى فى "فقلت لها سيرى وأرخى زمامه"
سَعْدويه بن نصر ثانىَ ثقيل. وغنّى فى "قفا نبك" وبعده "فتوضح فالمقراة" إبراهيم
الموصلىّ ثقيلا أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن ابن المكّىّ. وزعم حبش أن
لإسحاق فيهما ثقيلا. وغنّى فى "أغرّك منى" و"وما ذرفت" ابن سُرَيْج خفيفَ ١٠
رمل بالوسطى من رواية ابن المكّىّ، وقيل: بل هو من منحوله. وغنّى بُدَيْح مولى
ابن جعفر فى "وما ذرفت عيناك" بيتا واحدا ثقيلا أوّل مطلقا فى مجرى الوسطى
عن ابن المكّىّ. فجميع ما جمع فى هذه المواضع مما وجد فى شعر "قفا نبك" من
الأغانى صحيحها والمشكوك فيه منها اثنان وعشرون لحنا: منها فى الثقيل الأوّل تسعة
أصوات، وفى الثقيل الثانى ثلاثة أصوات، وفى الرمل أربعة أصوات، وفى خفيف ١٥
الرمل صوتان، وفى الهزج صوت، وفى خفيف الثقيل ثلاثة أصوات.

ذكر امرئ القيس ونسبه وأخباره

نسبه من قبل أبويه

قال الأصمعىّ : هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آكلِ المُرَار بن معاوية بن ثَوْر وهو كِنْـدة . وقال ابن الأعرابىّ : هو امرؤ القيس بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور وهو كندة . وقال محمد بن حبيب : هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث الملك ابن عمرو بن حُجْر آكلِ المُرَار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يَعْرُب بن ثَوْر بن مُرْتِـع[1] بن مُعَاوية بن كِندة . وقال بعض الرُّواة : هو امرؤ القيس بن السِّمْط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن ثَوْر وهو كِندة . وقالوا جميعا : كندة هو كندة بن عُفَير بن عدىّ بن الحارث بن مُرّة ابن أُدَدَ بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجُب ابن يَعْرُب بن قَحْطان بن عابر بن شالَخ بن أَرْفَخْشَـذ بن سام بن نوح . وقال ابن الأعرابىّ : ثور هو كِنْدة بن مُرْتِـع بن عُفَيْر بن الحارث بن مُرَّة بن عَدِىّ بن أُدَد ابن زيد بن عمرو بن مِسْمَع بن عَرِيب بن عمرو بن زيد بن كهلان .

٦٣ / ٨

وأُمّ امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زُهَير أُخت كُلَيْب ومُهَلْهِل ابنى ربيعة التغلبيَّيْن . وقال من زعم أنه امرؤ القيس بن السِّمط : أمّه تَمْلِك بنت عمرو بن زُبَيْد بن مَذْحِج رهط عمرو بن معد يكرب . قال من ذكر هذا وأنّ أمّه تملك : قد ذكر ذلك امرؤ القيس فى شعره فقال :

ألَا هل أتاها والحوادثُ جَمّـةٌ * بأن امرأ القيس بن تَمْلِكَ بَيْقَرا

بَيْقَـر أى جاء العـراقَ والحَضَر . ويقـال : بيقر الرجلُ اذا هاجر . وقال يعقوب ابن السِّكِّيت : أمّ حُجْر أبى امرئ القيس أُمّ قطَام بنت سَلَمة امرأةٌ من عَنَزة[2] .

(١) ضبطه الحافظ فى التبصير كمحسن وضبطه الصاغانى فى العباب كمحدّث .

(٢) صححها الشنقيطى فى نسخته : « من كندة » .

كنيته ولقبه

ويُكْنَى آمرؤ القيس، على ما ذكره أبو عُبيدة، أبا الحارث . وقال غيره : يكنى أبا وَهْب . وكان يقال له الملك الضِّلِّيل، وقيل له أيضا ذو القُروح . وإياه عنى الفرزدقُ بقوله :

وهَب القصائدَ لى النوابغُ إذ مَضَوْا * وأبو يزيد وذو القروح وجَرْوَلُ

يعنى بأبى يزيد المُخَبَّل السَّعْدىّ، وَجَرْول الحُطيئة .

مولده ومنزله

قال : وُلد ببلاد بنى أسد . وقال ابن حَبيبَ : كان ينزل المُشَقَّر من اليمامة . ويقال : بل كان ينزل فى حصن بالبحرين . وقال جميع من ذكرنا من الرُّواة :

سبب تسمية آبائه بأسمائهم

إنما سمِّى كِنْدةَ لأنه كَنَد أباه أى عقّه . وسمّى مُرْتِعٌ بذلك لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مَرْتَعًا له ولماشيته . وسمِّى حُجْرٌ آكلُ المُرَار بذلك لأنه لما أتاه الخبر بأن الحارث بن جَبَلة كان نائما فى حِجْر امرأته هند وهى تَفْليه جعل يأكل المُرَار (وهو نبت شديد المرارة) من الغيظ وهو لا يدرى . ويقال : بل قالت هند للحارث وقد سألها : ما تَرَيْنَ حُجْرًا فاعلا؟ قالت : كأنّكَ به قد أدركك فى الخيل وهو كأنه بعيرٌ قد أكل المُرَار . قال : وسمِّى عمرو المقصورَ لأنه قد قُصِرَ[2] على مُلْك أبيه أى أُقعد فيه كَرْها .

قصة جده الحارث ابن عمرو مع قباذ وابنه أنوشروان

أخبرنى بخبره، على ما قد سُقْته ونظَمْتُه، أحمدُ بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبة ولم يتجاوزه، ورَوى بعضه عن علىّ بن الصَّبّاح عن هشام ابن الكلبىّ، وأخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه، قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد عن علىّ بن الصَّبَّاح عن هشام بن الكلبىّ، قال آبن أبى سعد وأخبرنى دارِم بن عِقال بن حَبيب الغَسّانىّ أحدُ ولد السَّمَوْءل بن عاديا عن أشياخه، وأخبرنا إبراهيم بن أيُّوب عن ابن قُتَيبة، وأخبرنى محمد بن العباس اليَزيدىّ

(٢) فى الأصول : « اقتصر » .

قال حدّثني عمّي يوسف عن عمه إسماعيل، وأضفت الى ذلك رواية ابن الكلبيّ مما لم أسمعه من أحد ورواية الهَيْثم بن عَدِيّ ويعقوبَ بن السِّكِّيت والأَثْرَم وغيرهم، لما في ذلك من الاختلاف، ونسبتُ رواية كلّ راوٍ إذا خالف روايةَ غيره اليه، قالوا :

كان عمرو بن حُجْر وهو المقصور ملكا بعد أبيه، وكان أخوه معاوية وهو الجَوْن[1] على اليمامة، وأمُّهما شُعْبة بنت أبي مُعاهِر بن حَسّان بن عمرو بن تُبَّع . ولما مات مَلَك بعده ابنُه الحارث، وكان شديدَ الملك بعيد الصِّيت . ولما ملك قُبَاذُ بن فَيْروز خرج في أيام ملكه رجل يقال له مَزْدَك فدعا الناسَ الى الزندقة وإباحة الحُرَم وألّا يمنع أحد منهم أخاه ما يريده من ذلك . وكان المُنْذِر بن ماء السماء يومئذ عاملا على الحِيرة ونواحيها . فدعاه قُبَاذُ الى الدخول معه في ذلك فأبى . فدعا الحارثَ بن عمرو فأجابه، فشدّد له مُلْكه وأَطْرد[2] المُنْذرَ عن مملكته وغلَب على ملكه . وكانت أمُّ أَنُوشِرْوانَ بين يدي قُبَاذَ يوما، فدخل عليه مَزْدَك . فلما رأى أمَّ أنوشروان قال لقباذ : ادفعها لي لأقضيَ حاجتي منها؛ فقال : دونكها . فوثب اليه أنوشروان فلم يزل يسأله ويَضْرَع إليه أن يهب له أمّه حتى قبّل رجلَه فتركها له؛ فكانت تلك في نفسه . فهلَك قُبَاذُ على تلك الحال، وملك أَنُوشِرْوانُ فجلس في مجلس المُلْك . وبلغ المنذرَ هلاكُ قباذَ فأقبل الى أنوشروان وقد علم خلافَه على أبيه فيما كانوا دخلوا فيه . فأذِن أنوشروانُ للناس، فدخل عليه مَزْدَك ثم دخل عليه المنذر . فقال أنوشروان : إني كنت تمنّيت أمنيّتين أرجو أن يكون الله قد جمعهما لي . فقال مَزْدَك : وما هما أيها الملك؟ قال : تمنّيت أن أملِك فأستعملَ هذا الرجل الشريفَ (يعني المنذر) وأن أقتل هؤلاء الزنادقة . فقال له مزدك : أوَ تستطيع أن تقتل

(١) كذا في شرح القاموس ونسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه . وفي الأصول : «الجوف» بالفاء وهو تحريف .

(٢) أي أمر بطرده .

النــاس كلّهم؟ ! قال : إنك لهاهنا يا بنَ الزانيــة ! والله ما ذهب نَتْنُ ريح جَوْرَبك من أنفى منذ قبّلتُ رجلكَ الى يومى هذا ! وأمر به فقُتل وصُلب، وأمر بقتل الزنادقة فقتل منهم ما بين جَازِر(1) الى النَّهْرَوان الى المدائن فى ضَحْوة واحدةٍ مائة ألف زنديق وصلبهم؛ وسُمّى يومئــذ أنوشروان . وطلب أنوشروان الحــارثَ بن عمرو؛ فبلغه ذلك وهو بالأنبار، وكان بها منزلُه — وإنما سمّيت الأنبارَ لأنه كان يكون بها أَهْراءُ(2) الطعام وهى الأنابير — فخرج هاربًا فى هجائنه وماله وولده فمرّ بالثَّوِيَّة(3)؛ وتبعه المنذرُ بالخيل من تَغْلِبَ و بَهْراءَ(4) و إيادٍ، فلحق بأرض كَلْب(5) فنجا، وانتهبوا ماله وهجائنه . وأخذت بنو تغلب ثمــانيةً وأربعين نفسًا من بنى آكل المُرَارِ؛ فقُدِم بهم على المنذر فضرب رقابَهم بجَفَــر الأملاك فى ديار بنى مَرِينا(6) العِباديّين بين دَيْر هند والكوفة . فذلك قول عمرو بن كُلْثوم :

فآبُوا بالنِّهــاب وبالسَّــبَايَا * وأُبْنَــا بالملوك مُصَــفَّدِينا

وفيهم يقول امرؤ القيس :

ملوكٌ من بنى حُجْرِ بن عمرو * يُساقون العَشِــيّةَ يُقْتَــلونا
فلو فى يوم معركةٍ أُصيبوا * ولكن فى ديار بنى مَرِينَــا
ولم تُغْسَلْ جماجُمهم بغِسْــلٍ(7) * ولكــن فى الدماء مُرَمَّلينا(8)
تَظَلُّ الطــيرُ عاكفةً عليهم * وتنتزع الحواجبَ والعيــونا

(1) كذا فى معجم البلدان لياقوت . وجازر : قرية من نواحى النهروان . وفى أ ، م : « جاذر » بالذال المعجمة . وفى سائر الأصــول : « حاذر » بالحاء المهملة وهو تحريف . والنهروان : ثلاث، أعلى وأوسط وأسفل، وهى كورة واسعة بين واسط و بغداد من الجانب الشرقى .

(2) كذا فى نســخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه . والأهراء : الأكوام . وفى الأصــول : «أهداء الطعام» بالدال وهو تحريف .

(3) الثوية : موضع قريب من الكوفة، وقيل بالكوفة .

(4) بهراء : قبيلة اليمن .

(5) كذا فى أ، م، وهو موضع بين قومس والرى . وفى سائر الأصول : «أرض كايب» وهو تحريف .

(6) بنو مرينا : قوم من أهل الحيرة .

(7) الغسل : ما يغسل به الرأس من خطمى وطين وأشنان ونحوه .

(8) مرملين : ملطخين .

قالوا : ومضى الحارث فأقام بأرض كَلْب . فكلب يزعمون أنهم قتلوه . وعلماء كِندة تزعم أنه خرج إلى الصيد فألَظَّ[1] بتَيْسٍ من الظِّباء فأعجزه ، فآلَى أَلِيَّةً ألّا يأكل أوّلا إلا من كبده . فطلبته الخيل ثلاثًا فأُتى بعد ثالثة وقد هلك جوعا ، فشُوِى له بطنه ، فتناول فِلْذةً من كبده فأكلها حارّة فمات . وفى ذلك يقول الوليد بن عَدِىّ الكِنْدىّ فى أحد بنى بَجيلة :

فشوَوْا فكان شِواؤهم خَبْطًا له * إن المنيَّة لا تُجِلّ جَليلا

٦٥/٨

وزعم ابن قُتَيبة أن أهل اليمن يزعمون أن قُباذ بن فيروز لم يُمَلِّك الحارث بن عمرو وأن تُبَّعًا الأخير هو الذى ملّكه . قال : ولما أقبل المنذر الى الحِيرة[2] هرب الحارث وتبعتْه خيلٌ فقتلت ابنَه عمرًا وقتلوا ابنه مالكا بهِيتَ[3] . وصار الحارثُ الى مُسْحُلانَ[4] فقتلته كلب . وزعم غير ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حَتْفَ أنفِه .

الحارث بن عمرو وتمليكه أولاده على قبائل العرب

وقال الهيثم بن عَدِىّ حدّثنى حمّاد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد عن سَعْيَة[5] ابن عَرِيض من يهود تَيْماء قال : لمّا قتل الحارثُ بن أبى شَمِر الغسّانىّ عمرَو بن حُجْر ملّك بعده ابنَه الحارث بن عمرو ، وأُمُّه بنت عَوْف بن مُحَلِّم بن ذُهْل بن شَيْبان ونزل الحِيرة . فلما تفاسدت القبائلُ من نِزار أتاه أشرافهم فقالوا : إنّا فى دينك ونحن نخاف أن نتفانى فيما يحدُث بيننا ، فوجِّهْ معنا بنيك ينزلون فينا فيكُفُّون بعضَنا عن بعض . ففرّق ولدَه فى قبائل العرب ، فملّك ابنه حُجْرا على بنى أَسَد وغَطَفَان

(١) ألظ به : لزمه وألح عليه ليصطاده . (٢) كذا فى جـ وهو المناسب لما سبق فى هذه القصة . وفى سائر الأصول : «من الحيرة» وهو تحريف . (٣) هيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الأنبار . (٤) مسحلان : موضع . (٥) هو أخو السموءل .

وملّك آبنه شُرَحْبيل قتيل يوم الكُلَاب[1] على بَكْر بن وائل بأَسْرها وبنى حَنْظَلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم والرِّباب[2] . وملّك آبنه مَعْديكَرِب وهو غَلْفاء[3] (سُمِّى بذلك لأنه كان يُغَلِّف رأسه) على بنى تَغْلِب والنَّمِر بن قاسط وسعد بن زيد مَنَاة وطوائف من بنى دارم [ابن مالك] بن حَنْظَلة والصنائع وهم بنو رُقَيَّة قومٌ كانوا يكونون مع الملوك من شُذَّاذ العرب . وملّك آبنه عبدَ الله على عبد القيس ، وملّك آبنه سَلَمة على قيس . ٥

مقتل حجر أبى امرئ القيس

وقال آبن الكلبىّ حدّثنى أبى : أنّ حُجْراً كان فى بنى أسد ، وكانت له عليهم إتاوةٌ فى كل سنة مؤقّتة ؛ فغبر[4] ذلك دهرًا . ثم بعث اليهم جابيَه الذى كان يَجْبيهم ، فمنعوه ذلك — وحُجْرٌ يومئذ بتِهامة — وضربوا رُسله وضَرَّجوهم[5] ضَرْجًا شديدا قبيحا . فبلغ ذلك حجراً ، فسار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة ، فأتاهم

(١) الكلاب (بضم أوله) : اسم ماء بين الكوفة والبصرة ، وقيل ماء بين جبلة وشمام . وكان ١٠ للعرب يومان مشهوران بيوم الكلاب . فأما الأول فان الحارث بن عمرو فرق أولاده على القبائل ملوكا كما ذكر المؤلف ؛ فلما مات تداعت القبائل وتحزبت فوقعت حرب بين ولديه شرحبيل وأصحابه ، وسلمة وأصحابه ، فقتل شرحبيل يومئذ . وقد أشار إليه امرؤ القيس فى قصيدته التى مطلعها :

أرانا موضعين لحتم غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

فقال : ١٥

وأعلم أننى عما قليل * سأنشب فى شبا ظفر وناب

كما لاقى أبى حجر وجدى * ولا أنسى قتيلا فى الكلاب

وأما الكلاب الثانى فكان بين بنى سعد والرباب ، وبين بنى الحارث بن كعب وقبائل اليمن ، قتل فيه عبد يغوث بن صلاءة الحارثى بعد أن أسر ، وقال وهو مأسور قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أيا راكبا إما عرضت فبلغن * نداماى من نجران أن لا تلاقيا

(راجع معجم البلدان لياقوت) . ٢٠

(٢) فى ب ، س ، حـ : « ... وبنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة وطوائف من بنى دارم بن تميم » بزيادة « وطوائف من بنى دارم » وأعلم عليها فى حـ بالمداد الأحمر كأنه ترميج لها .

(٣) كذا فى نسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه واللسان (مادة غلف) ومعجم البلدان (فى الكلام على الكلاب) . وفى الأصول « غلفى » . وغلف رأسه : لطخه بالمسك . (٤) غبر : لبث وبقى . ٢٥ وفى الأصول : « فعمر » . (٥) ضرجه : أدماه أى جعل دمه يسيل من الضرب .

وأخذ سَرَاتهم، فجعل يقتلهم بالعصا — فسُمّوا عبيدَ العصا — وأباح الأموال، وصيّرهم الى تهامة، وآلى بالله ألّا يُساكنوهم فى بلد أبداً، وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كِنْدة بن فَزَارة الأَسَدىّ (١) وكان سيّدا، وعَبِيد بن الأَبْرَص الشاعر. فسارت بنو أسد ثلاثًا. ثم إنّ عَبِيدَ بن الأبرص قام فقال: أيّها الملك ٱسمع مقالتى:

٥ يا عينُ (٢) فابكى ما بنى * أسدٍ فهم أهلُ النَّدَامهْ
أهلَ القِبَابِ الحُمْرِ والنَّ * عَمِ المؤبَّلِ (٣) والمُدَامــه
وذوى الجيــاد الجُــرْدِ والأَسَــل المُثَقَّفة المُقامــه
حِــلًّا أبيتَ اللّعْنَ حِلًّا (٤) إنّ فــيما قلتَ آمــه
فى كلّ وادٍ بين يثْـ * ـرِبَ فالقصورِ الى اليمامه
١٠ تطريبُ عانٍ أو صِــيا * حُ مُحَرَّقٍ أو صوتُ هامه
ومنعتَهــم نجدًا فقــد * حَلُّوا على وَجَــلٍ تِهَامه
بَرِمتْ بنو أســدٍ كما * بَرِمتْ ببيضتها الحمــامه
جعلتْ لها عُودين من * نَشَمٍ (٥) وآخر من ثُمَامه
إمّا تركتَ تركتَ عَفْـ * ـواً أو قتلتَ فلا مَلَامهْ
١٥ أنت المليــكُ عليهــمُ * وهمُ العبيــدُ الى القيامه
ذَلُّوا لسَوْطك مثــلَ ما * ذلّ الأُشَيْقِرُ (٦) ذُو الخِزَامه

٦٦
٨

---

(١) فى حـ وتجريد الأغانى: «ابن كلدة». (٢) فى كتاب الشعر والشعراء: «يا عين ما فابكى بنى ... الخ». (٣) المؤبل: المقتنى. (٤) حلا أبي تحلل من يمينك. والآمة: العيب. (٥) النشم: شجر جبلى تتخذ منه القسىّ. والثمامة: نبت بالبادية. (٦) الأشيقر: تصغير
٢٠ الأشقر وهو الأحمر من الدواب. والخزامة: حلقة من شعر تجعل فى وترة أنف البعير يشد بها الزمام؛ فإن كانت من صفر فهى برة. وفى الأصول: «الحزامة» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

قال : فرقّ لهم حُجْر حين سمع قولَه ، فبعث فى أثرهم فأقبلوا . حتى إذا كانوا على مَسيرة يوم من تِهامة تكهّن كاهنُهم ، وهو عَوْف بن رَبيعة بن سَوادة[1] بن سعد بن مالك بن ثَعْلَبة بن دُودان بن أَسَد بن خُزَيْمة ، فقال لبنى أسد : يا عِبادى ! قالوا : لَبَّيْكَ رَبَّنا . قال : مَنِ الملكُ الأَصْهَب ، الغَلّاب غيرُ المُغَلَّب ، فى الإبل كأنها الرَّبْرَبُ ، لا يعلَق رأسَه الصَّخَب ، هذا دَمُه يَنْثعِب[2] ، وهذا غدًا أوّل من يُسْلَب . قالوا : مَنْ هو يا رَبّنا ؟ قال : لولا أن تجيش نفسٌ جَاشِية ، لأخبرتكم أنه حُجْرٌ ضاحية . فركبوا كلَّ صعبٍ وذَلُول ؛ فما أشرق لهم النهارُ حتى أتَوْا على عسكر حُجْر فهجَموا على قبّته . وكان حُجّابه من بنى الحارث بن سَعْد يقال لهم بنو خَدّان بن خَنْثَر منهم معاوية بن الحارث وشَبيب ورُقَيّة ومالك وحبيب ، وكان حجر قد أعتق أباهم من القتل . فلمّا نظروا الى القوم يريدون قتلَه خيّموا عليه ليمنعوه ويُجيروه . فأقبل عليهم عِلْباءُ ابن الحارث الكاهلىّ ، وكان حُجْر قد قتل أباه ، فطعَنه من خَلَلهم فأصاب نَسَاه فقتله . فلما قتلوه قالت بنو أسد : يامعشرَ كِنانة وقيس ، أنتم إخوانُنا وبنو عمّنا ، والرجلُ بعيدُ النسب منّا ومنكم ، وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه . فانتهبوهم فشَدُّوا على هجائنه فمزّقوها ولفّوه فى رَيْطة بيضاء وطرَحوه على ظهر الطريق . فلمّا رأته قَيْسٌ وكِنانة انتهبوا أسلابَه . ووثَب عمرو بن مسعود فضمّ عِيالَه وقال : أنا لهم جارٌ .

قال ابن الكلبىّ : وعدّة قبائل من بنى أسد يدّعون قتلَ حُجْر ويقولون : إنّ عِلْباءَ كان الساعىَ فى قتله وصاحبَ المشورة ولم يقتله هو .

قال ابن حبيب : خَدّان فى بنى أسد وخَدّان فى بنى تميم وفى بنى جَديلة بالخاء مفتوحةً ، وخُدّان مضمومة فى الأزد ، وليس فى العرب غير هؤلاء .

---

(١) فى ح « سواءة » . (٢) كذا فى تجريد الاغانى . وانثعب الدم : جرى . وفى ب ، س : « يتشعب » . وفى سائر الأصول : « ينشعب » وهما تحريف .

قال أبو عمرو الشّيبانىّ: بل كان حُجْرٌ لمّا خاف من بنى أسد استجار عُوَيْر بن شَجْنة أحد بنى عُطَارِد بن كعب بن سعد ين زَيْد مَنَاة بن تميم لبلته هند بنت حُجْر وعِياله . وقال لبنى أسد لمّا كَثَرُوه : أمّا إذا كان هذا شأنكم فإنى مرتحلٌ عنكم ومُخَلِّيكم وشأنكم؛ فواعدوه على ذلك . ومال على خالد بن خَدّان أحد بنى سَعْد بن

٥ ثَعْلبة . فأدركه عِلْباءُ بن الحارث أحد بنى كاهل فقال: ياخالد اقتُلْ صاحبَك لا يُفاتْ فيَعُرَّكَ[1] وإيّانا بشرّ، فامتنع خالد . ومرّ عِلْباءُ بقِصْدة[2] رُمْح مكسورة فيها سِنانها، فطعَن بها فى خاصرة حُجْر وهو غافل فقتله . ففى ذلك يقول الأسَدىّ :

وقِصْدةُ عِلْباءِ بن قَيْس بن كاهلٍ * مَنيّةُ حُجْر فى جوار ابن خَدّانِ

وذكر الهَيْثَم بن عَدِىّ أنّ حُجْرًا لمّا استجار عُوَيْر بن شَجْنة لبنيه وقَطِينه[3] تحوّل

١٠ عنهم فأقام فى قومه مدّةً، وجمع لبنى أسد جمعًا عظيما من قومه وأقبل مُدِلًّا بمن معه من الجنود . فتآمرت بنو أسد بينها وقالوا: والله لئن قهركم هذا لَيَحْكُمَنّ عليكم حكم الصبىّ ! فما خيرُ عيش يكون بعد قهرٍ وأنتم بحمد الله أشدُّ العرب! فموتوا كراما . فساروا الى حُجْر وقد ارتحل نحوَهم فلقُوه فاقتتلوا قتالًا شديدا . وكان صاحب أمرهم عِلباء بن الحارث ؛ فحمل على حُجْر فطعنه فقتله ، وانهزمت كِنْدةُ وفيهم يومئذ

١٥ امرؤ القيس فهرَب على فرس له شَقْراء وأعجزهم، وأسروا من أهل بيته رجالًا وقتلوا وملئوا أيديهم من الغنائم، وأخذوا جوارىَ حُجْر ونساءه وما كان معه من شىء فاقتسموه بينهم .

وقال يعقوب بن السِّكِّيت حدّثنى خالد الكِلابىّ قال : كان سببُ قتلِ حُجْر أنه كان وَفَد الى أبيه الحارث بن عمرو فى مرضه الذى مات فيه وأقام عنده حتى هلَك،

٢٠ ثم أقبل راجعًا الى بنى أسد وقد كان أغار عليهم فى النِّساء وأساء ولايتَهم، وكان يُقَدِّم

(١) عرّ فلان فلانا بشر: أصابه به . (٢) القصدة: القطعة . (٣) القطين هنا : الخدم والحاشية .

٦٧/٨

بعضُ ثَقَله أمامَه ويُهيّأ نُزُلُه ثم يجىء وقد هُيّئ له من ذلك ما يُعجبه فينزل، ويُقدّم مثل ذلك الى ما بين يديه من المنازل فيُضْرَب له فى المنزلة الأخرى . فلما دنا من بلاد بنى أسَد وقد بلَغهم موت أبيه طمِعوا فيه . فلما أظلّهم وضُرِبت قِبابُه ٱجتمعت بنو أسَد إلى نَوْفَل بن رَبيعة بن خَدّان؛ فقال: يابنى أسد! مَنْ يتلقّ هذا الرجلَ منكم فيقتطعَه ؟ فإنى قد أجمعتُ على الفتك به . فقال له القوم : ما لذلك أحدٌ غيرك . فخرج نَوْفَل فى خيله حتى أغار على الثَّقَل فقتَل مَنْ وجد فيه، وساق الثَّقَل وأصاب جاريتين قَيْنَتين لحُجْر ، ثم أقبل حتى أتى قومَه . فلما رأوا ما قد حدَث وأتاهم به عرفوا أنّ حجرا يُقاتلهم وأنه لا بدّ من القتال ، فحشَد الناسُ لذلك . وبلغ حُجْرًا أمرُهم، فأقبل نحوَهم . فلما غشِيهم ناهضوه القتالَ وهم بين أبْرَقَيْن من الرمل فى بلادهم يُدْعَيان اليوم أبرقَىْ حُجْر، فلم يلْبثوا حُجْرًا أن هزَموا أصحابَه وأسَروه فحبسوه . وتشاور[1] القوم فى قتله ؛ فقال لهم كاهن من كَهَنتهم بعد أن حبَسوه ليَرَوْا فيه رأيَهم : أىْ قومِ! لا تعجَلوا بقتل الرجل حتّى أزجُرَ لكم . فٱنصرف عن القوم لينظر لهم فى قتله . فلمّا رأى ذلك عِلْبَاءُ خشِى أن يتواكلوا فى قتله ؛ فدعا غلامًا من بنى كاهل ، وكان ابنَ أخته وكان حُجْرٌ قتل أباه زوجَ أُخت علباء ، فقال : يا بُنَىّ ، أعندك خيرٌ فتثأرَ بأبيك وتنالَ شرفَ الدهر، وإنّ قومك لن يقتلوك ؟! . فلم يزل بالغلام حتى حرّبه[2]، ودفع اليه حديدةً وقد شحَذها وقال : ادخل عليه مع قومك ثم اطعَنه فى مقتله . فعمَد الغلام الى الحديدة فخبأها ثم دخل على حُجْر فى قُبّته التى حُبس فيها . فلما رأى الغلامُ غفلةً وثَب عليه فقتله ؛ فوثب القوم على الغلام . فقالت بنو كاهل : ثأرُنا وفى أيدينا . فقال الغلام : إنما ثأرتُ بأبى ، فخَلَّوْا عنه . وأقبل كاهنُهم المُزْدجِر فقال : أىْ قومِ! قتلتموه ! مُلْكُ شهر، وذُلُّ دهر . أمَا والله لا تحظَوْن عند الملوك بعده أبدًا .

---

(١) فى الأصول : «وشاور القوم» . (٢) حربه : حرشه .

وصيته لبنيه عند موته

قال ابن السِّكِّيت: ولما طعن الأسدىّ حُجْرًا ولم يُجْهِز عليه، أوصى ودفع كتابه الى رجل وقال له: انطلق الى ابنى نافع — وكان أكبرَ ولده — فإن بكى وجزِع فالْهُ عنه، واستقرِهم واحدًا واحدًا حتى تأتى امرأ القيس — وكان أصغرَهم — فأيُّهم لم يجزَع فادفع اليه سِلاحى وخيلى وقُدورى ووصيّتى. وقد كان بيَّن فى وصيّته مَنْ قتله وكيف كان خبره. فانطلق الرجل بوصيّته الى نافع ابنه؛ فأخذ التراب فوضعه على رأسه. ثم استقراهم واحدًا واحدًا فكلُّهم فعل ذلك، حتى أتى امرأَ القيس فوجده مع نديم له يشرَب الخمر ويُلاعبه بالنَّرْد؛ فقال له: قُتِل حُجْر. فلم يلتفت الى قوله؛ وأمسك نديمُه. فقال له امرؤ القيس: اضربْ فضرب. حتى إذا فرَغ قال: ما كنتُ لأُفسد عليك دَسْتَك. ثم سأل الرسولَ عن أمر أبيه كلِّه فأخبره. فقال: الخمرُ علىّ والنساء حرامٌ حتى أقتُل من بنى أسد مائة وأَجُزَّ نواصىَ مائة[1]. وفى ذلك يقول:

امرؤ القيس يثأر بأبيه

٦٨ / ٨

أرِقتُ ولم يأرَقْ لِمَا بىَ نافعُ * وهاج لِىَ الشوقَ الهمومُ الروادعُ

وقال ابن الكلبىّ: حدّثنى أبى عن ابن الكاهن الأسدىّ: أنّ حُجْرًا كان طرَد امرأ القيس وآلَى ألّا يقيم معه أَنَفةً من قوله الشعر، وكانت الملوك تأنف من ذلك، فكان يسير فى أحياء العرب ومعه أخلاطٌ من شُذّاذ العرب من طيّئ وكَلْب وبَكْر ابن وائل؛ فإذا صادف غَديرًا أو روضةً أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه فى كل يوم؛ وخرج إلى الصيد فتصيّد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنّته قِيانُه. ولا يزال كذلك حتى يَنْفَدَ ماءُ ذلك الغدير ثم ينتقل عنه إلى غيره. فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدَمُّون من أرض اليمن، أتاه به رجلٌ من بنى عِجْل يقال له عامر الأعور أخو الوَصّاف. فلما أتاه بذلك قال:

[1] يريد: حتى أقتل منهم مائة وآسر مائة. وكان من عادات العرب أنه إذا أسر الرجل منهم آخر وأراد أن يمن عليه جز ناصيته (وهي الشعر فى مقدّم الرأس) وأطلقه، فتكون الناصية عنده فخرا.

تَطَاوَلَ الليلُ على دَمُّونْ * دَمُّونُ إنّا معشرٌ يمانونْ

* وإنّنا لأهلها مُحِبُّونْ (١) *

ثم قال: ضيّعنى صغيرًا وحمّلنى دمَه كبيرا . لاصَحْوَ اليوم ولا سُكْرَ غدا . «اليومَ خمرٌ، وغدًا أمر» فذهبتْ مثلا . ثم قال:

خليلَّى لا فى اليومِ مَصْحًى لشاربٍ * ولا فى غدٍ إذ ذاك ما كان يُشْرَبُ

٥

ثم شرب سبعًا . فلمّا صحا آلى ألّا يأكلَ لحمًا، ولا يشربَ خمرًا، ولا يدّهِنَ بدُهْن، ولا يصيبَ آمرأةً، ولا يغسلَ رأسه من جنابة، حتى يُدرِك بثأره . فلما جَنّه الليل رأى برقًا فقال:

أرِقتُ لبرقٍ بليلٍ أهَلّْ * يُضىء سَنَاه بأعلَى الجبلْ

أتانى حديثٌ فكذّبتُه * بأمرٍ تَزَعْزَعُ منه القُلَلْ

١٠

بقتل بنى أسَدٍ ربَّهم * ألَا كلُّ شىءٍ سواه جَلَلْ (٢)

فأين رَبيعةُ عن ربّها * وأين تميمٌ وأين الخَوَلْ

ألَا يحضُرون لدى بابه * كما يحضُرون اذا ما أكل

وروى الهَيْثم عن أصحابه أنّ آمرأ القيس لمّا قُتِل أبوه كان غلامًا قد ترعرع، وكان فى بنى حَنْظَلة مقيمًا لأنّ ظِئْرَه كانت آمرأةً منهم . فلما بلغه ذلك قال:

١٥

يا لَهْفَ هندٍ إذ خَطِئْنَ (٣) كاهلا * القاتلينَ المَلِكَ الحُلَاحِلَا (٤)

---

(١) كذا فى شرح القاموس (مادة دمن) ومعجم البلدان لياقوت . وفى الأصول: «وإنما لأهلها محبون» .

(٢) جلل: ها هنا بمعنى هين . (٣) كذا فى ديوانه ونسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه . وخطئ ها هنا بمعنى أخطأ . وكاهل أبو نخذ من بنى أسد، وهو كاهل بن دودان بن أسد بن خزيمة . (راجع ديوان امرئ القيس ص ٧٨ نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١ أدب ش . وفى الأصول: «حظين» بالحاء المهملة والظاء المعجمة . (٤) الحلاحل: السيد الكريم . وقد ورد هذا الرجز فى نسخ ديوانه مختلفا فى ترتيب شطراته . ويريد بالضمير فى خطئن الخيل وبالقاتلين بنى أسد .

٢٠

تالله لا يذهب شيخى باطلا * يا خيرَ شيخ حَسَبًا ونائلا
وخيرَهم — قد علموا — فواضلا * يَحْمِلْننا والأَسَلَ النّواهلا [١]
وحىَّ صَعْبٍ والوَشِيجَ الذّابلا * مُسْتَثْفِراتٍ بالحصى جَوافلا [٢]

يعنى صَعْبَ بنَ علىّ بن بكر بن وائل . معنى قوله "مستثفرات بالحصى" : يريد أنها
٥ أثارت الحصى بحوافرها لشدّة جريها حتى ارتفع الى أثفارها [٣] فكأنها استَثْفَرَتْ به .

٦٩ / ٨

هند بنت حجر يجيرها عوير ابن شجنة

وقال الهَيْثم بن عَدِىّ: لمّا قُتل حُجْر انحازت بنتُه وقَطِينُه الى عُوَيْر بن شَجْنة .
فقال له قومه : كُلْ أموالَهم فإنهم مأكولون ، فأبى . فلما كان الليلُ حمل هندا
وقَطِينَها وأخذ بخِطام جملها وأشْأم بهم فى ليلة طَخْياء مُدْلَهِمّة . فلما أضاء البرقُ
أبدى عن ساقيه وكانتا حَمْشَتَيْن [٤] . فقالت هند: مارأيت كالليلة ساقَىْ وافٍ . فسمعها
١٠ فقال يا هند : هما ساقا غادرٍ شرٍّ . فرمى بها النِّجادَ حتى أطلعها نَجْرانَ ، وقال لها :
إنى لست أُغْنِى عنكِ شيئا وراء هذا الموضع ، وهؤلاء قومك ، وقد برئتْ خفَارتى .
فمدحه امرؤ القيس بعدّة قصائد ، منها قوله فى قصيدة له :

أَلَا إنّ قوماً كنتمُ أمسِ دونَهم * هم منعوا جاراتِكم آلَ غُدْرانِ [٥]
عُوَيْرٌ ومَنْ مثلُ العُوَيْرِ ورَهْطِه * أَبَرُّ بميثاقٍ وأَوْفَى بجيرانِ
١٥ هم أبلغوا الحىَّ المُضَيَّعَ أهلَه * وساروا بهم بين الفُرات ونَجْرانِ

---

(١) ورد بدل هذا الشطر فى إحدى نسخ الديوان قوله :

* نحن جلبنا القرح القوافلا *

والقرح : (بضم القاف وتشديد الراء مفتوحة) جمع قارح ، وهو من الخيل ما كان فى الخامسة من سنه .
والقوافل : الضوامر . (٢) جوافل : مسرعات ، يقال : جفل وأجفل اذا أسرع .
٢٠ (٣) الأثفار : جمع ثفر (بالتحريك) وهو السير الذى فى مؤخرة السرج تحت ذنب الدابة .
وأما الثفر (بفتح فسكون وبضم فسكون) فهو لجميع ضروب السباع ولكل ذات مخلب كالحياء للناقة .
(٤) حمشتين : دقيقتين . (٥) آل غدران (بالضم) : بطن من العرب .

وقــولُه :

أَلَا قَبَّــح اللهُ البَرَاجِــمَ كلَّها * وجــدَّع يَرْبوعًا وعفَّــر دارِما

فمــا فعلوا فعلَ العُوَيْرِ ورهطِه * لدى باب حُجْرٍ إذ تجرّد قائمــا

وقال ابن قُتَيبة فى خبره : إنّ القصة المذكورة عن عُوَيركانت مع أبى حَنْبَل وجارية ابن مُرّ . قال ويقال : بل كانت مع عامر بن جُوَيْن الطائىّ وإن ابنتــه أشارت ٥ عليه بأخذ مال حُجْر وعياله ؛ فقام ودخل الوادىَ ثم صاح : أَلَا إنّ عامر بن جوين غدر ، فأجابه الصّدى مثلَ قوله ؛ فقال ما أقبح هــذا من قول ! ثم صاح : أَلَا إنّ عامر بن جُوَين وَفَى ، فأجابه الصَّدَى بمثل قوله ؛ فقال : ما أحسن هذا ! ثم دعا ابنتَــه بجَذَعةٍ [1] من غنم فآحتلبها وشرب وآستلقَى على قفاه وقال : والله لا أغدُر ما أَجْزأَتْنى جَذَعةٌ . ثم نَهَض وكانت ساقاه حَمْشَتَين ؛ فقالت ابنته : والله ما رأيتُ ١٠ كاليوم ساقَىْ وافٍ . فقال : وكيف بهما إذا كانتا ساقَىْ غادرٍ ! هما والله حينئذ أقبح .

امــرؤ القيس يستعدى بكرا وتغلب على بنى أسد

وقال ابن الكلبىّ عن أبيه ويعقوبُ بن السِّكِّيت عن خالد الكلابىّ :

إن آمرأ القيس ارتحل حتى نزل بكْرا وتَغْلِبَ ، فسألهم النصرَ على بنى أسد . فبعث العيونَ على بنى أسد فنَذِروا [2] بالعيون ولجئوا الى بنى كِنانة . وكان الذى أنذرهم بهم عِلْباء بن الحارث . فلما كان الليلُ قال لهم عِلباءُ : يا معشرَ بنى أسد تعلمون ! ١٥ والله إنّ عيونَ آمرئ القيس قد أتتكم ورجعتْ اليه بخبركم ، فارحَلوا بليل ولا تُعْلِموا بنى كنانة ، ففعلوا . وأقبل آمرؤ القيس بمن معه من بكر وتَغْلِب حتى انتهى الى بنى كِنانة وهو يحسَبهم بنى أسد فوضع السِّلاحَ فيهم وقال : يا لثارات الملك ! يا لثارات الهُمام ! فخرجت اليه عجوزٌ من بنى كِنانة فقالت : أَبَيْتَ اللَّعنَ ! لسنا لك بثأر ،

(١) الجذعة : الفتية . (٢) نذروا : علموا فحذروا . ٢٠

نحن من كنانة، فدونكَ ثأرَكَ فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس. فتبِع بني أسد ففاتوه ليلتَهم تلك — فقال في ذلك:

ألا يالَهْفَ هنـدٍ إثْرَ قومٍ * همُ كانوا الشفاءَ فلم يُصابوا

وقاهم جَـدُّهم[1] ببني أبيهم * وبالأَشْقَيْنَ ما كان العقابُ

وأَفْلتهنّ عِلْبـاءٌ جَريضًا[2] * ولو أدركْنَه صَفِرَ الوِطابُ

يعني ببني أبيهم[3] بني كنانة؛ لأن أسدًا وكنانة ابنيْ خُزيمة أَخَوان.

٧٠/٨

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال:

سمعت رجلا سأل يونس عن قوله "صفِر الوِطابُ"، فقال: سألنا رُؤْبةَ عنه فقال: لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصَفِرتْ وِطابُه من اللَّبن. وقال غيره: صَفِرَ الوِطابُ أي إنه كان يُقتَل فيكون جسمه صِفْرًا من دمه كما يكون الوطاب صفرا من اللَّبن.

١٠

—[وأدركهم][4] ظُهرًا وقد تقطَّعتْ خيلُه وقطع أعناقَهم العطش، وبنو أسد جامُّون[5] على الماء، فنَهَد إليهم فقاتلهم حتى كثُرت الجرحى والقتلى فيهم، وحَجَز الليلُ بينهم، وهَرَبت بنو أسد. فلما أصبحتْ بَكْرٌ وتَغْلِبُ أَبَوْا أن يَتْبعوهم وقالوا له: قد أصبتَ ثأرَك. قال: والله ما فعلتُ ولا أصبتُ من بني كاهـل ولا من غيرهم

١٥

(١) الجد: الحظ. والأشقين: جمع أشق، أي وقى بني أسد حظهم إذ وقع العقاب بالأشقين بني أبيهم وهم كنانة. (٢) أفلتهن جريضا أي أفلتهن بعد جهد ومشقة. والأصل في الجرض: الغصص بالريق. وظاهر أن مرجع الضمير في «أفلتهن» و «أدركنه» الخيل التي كروا بها عليهم.

(٣) في الأصول: «يعني بأبيهم بني كنانة» وهو غير مستقيم. (٤) التكملة عن تجريد الأغاني.

(٥) كذا في ا، م. وجامون: مجتمعون مستريحون. وفي تجريد الأغاني: «جاثمون». وفي سائر الأصول: «حامون» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

٢٠

من بنى أسد أحدًا . قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشئوم . وكرهوا قتالهم بنى كنانة[1] وانصرفوا عنه . ومضى هاربًا لوجهه حتى لحق بحِمْيَر .

يلجأ إلى عمرو ابن المنذر

وقال ابن السِّكِّيت حدّثنى خالد الكلابىّ : أن امرأ القيس لمّا أقبل من الحرب على فرسه الشَّقْراء لجأ الى ابن عمّته عمرو بن المُنْذر — وأمّه هند بنت عمرو بن حُجْر ابن آكل المُرَار، وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه وتفرّق مُلْك أهل بيته، وكان عمرو يومئذ خليفةً لأبيه المنذر ببَقّة وهى بين الأنبار وهِيتَ — فمدحه وذكر صِهْرَه ورَحِمَه وأنه قد تعلّق بحباله ولجأ اليه . فأجاره، ومكث عنده زمانا . ثم بلغ المنذرَ مكانُه عنده فطلبه، وأنذره عمرو فهرَب حتى أتى حِمْيَر .

يستنصر أزدشنوءة

وقال ابن الكلبىّ والهَيْثم بن عَدِىّ وعمر بن شَبَّة وابن قُتَيْبة :

فلمّا امتنعتْ بكرُ بن وائل وتَغْلِب من اتّباع بنى أسد خرج من فَوْره ذلك إلى اليمن فآستنصر أَزْدَشَنُوءَة، فأبَوْا أن ينصروه وقالوا : إخواننا وجيرانُنا . فنزل بقَيْلٍ يُدْعَى مَرْثَد الخير بن ذى جَدَن الحِمْيرىّ، وكانت بينهما قرابة، فآستنصره واستمدّه على بنى أسد، فأمدّه بخمسمائة رجل من حِمْيَر، ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم ، وقام بالمملكة بعده رجلٌ من حمير يقال له قَرْمَل بن الحميم وكانت أمّه سوداء، فردّد امرأَ القيس وطوّل عليه حتى همّ بالآنصراف وقال :

ومرثد الخير الحميرى

وقرمل بن الحميم

و إذ نحن ندعو مَرْثَد الخير ربَّنا * و إذ نحن لا نُدْعَى عَبِيدًا لقَرْمَلِ

فأنفذ له ذلك الجيشَ ، وتبعه شُذَّاذٌ من العرب ، واستأجر من قبائل العرب رجالًا ، فسار بهم إلى بنى أسد . ومرّ بتَبَالَةَ[2] وبها صنم للعرب تعظّمه يقال له

(١) أظن أن صوابه : «بنى أسد» .

(٢) تبالة : موضع بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة .

ذو الخلصة[1]، فاستقسم[2] عنده بقداحه وهى ثلاثة الآمر والناهى والمتربص، فأجالها فخرج الناهى، ثم أجالها فخرج الناهى، ثم أجالها فخرج الناهى؛ فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال: مصصت بظر أمك! لو أبوك قتل ما عقتنى. ثم خرج فظفر ببنى أسد. ويقال: إنه ما استقسم عند ذى الخلصة بعد ذلك بقدح حتى
٥ جاء أمر الله بالإسلام وهدمه جرير بن عبد الله البجلى.

طلبه المنذر فهرب ونزل بالحارث ابن شهاب

قالوا: وألح المنذر فى طلب امرئ القيس ووجه الجيوش فى طلبه من إياد وبهراء وتنوخ ولم تكن لهم طاقة، وأمده أنوشروان بجيش من الأساورة فسرحهم فى طلبه. وتفرقت حمير ومن كان معه عنه. فنجا فى عصبة من بنى آكل المرار حتى نزل بالحارث بن شهاب من بنى يربوع بن حنظلة، ومع امرئ القيس أدراع خمسة:
١٠ الفضفاضة والضافية والمحصنة والخريق[3] وأم الذيول كن لبنى آكل المرار يتوارثونها ملكا عن ملك. فقلما لبثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث إليه المنذر مائة من أصحابه يوعده بالحرب إن لم يسلم إليه بنى آكل المرار فأسلمهم؛ ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند (بنت امرئ القيس) والأدرع والسلاح ومال

ثم نزل على سعد بن الضباب الإيادى

كان بقى معه؛ فخرج على وجهه حتى وقع فى أرض طيئ[4]؛ وقيل: بل نزل قبلهم على
١٥ سعد بن الضباب الإيادى سيد قومه فأجاره.

(١) ذو الخلصة: مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج، وكان سدنتها بنى أمامة من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن. (الأصنام لابن الكلبى ص ٤٣). (٢) الاستقسام بالأزلام: طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم.

(٣) فى ا، م: «الخريق». وفى تجريد الأغانى: «الحريق».

٢٠ (٤) كذا فى تجريد الأغانى. وفى الأصول: «قبله».

قال ابن الكلبيّ : وكانت أُمّ سعد بن الضِّباب تحت حُجْر أبى امرئ القيس فطلّقها وكانت حاملا وهو لا يعرف ، فتزوّجها الضِّباب فولدت سعداً على فراشه ، فلحق نسبُه به . فقال امرؤ القيس يذكر ذلك :

يُفاكهنا سعدٌ ويُنْعِمُ بالنّـا * ويغدو علينا بالجِفَان وبالجُزُرْ (١)

ونعرف فيه من أبيه شمائلاً * ومن خاله ومن يزيدَ ومن حُجُرْ

سماحةَ ذا وبِرَّ ذا ووفاء ذا * ونائلَ ذا إذا صحا وإذا سكِرْ

والمعلى بن تيم

ثم تحوّل عنه فوقع فى أرض طيِّئ (٢) فنزل برجل من بنى جَدِيلةَ يقال له المعلَّى بن تَيْم . ففى ذلك يقول :

كأنّى إذ نزلتُ على المُعَلَّى * نزلتُ على البواذخ من شَمَامِ (٣)

فما مَلِكُ العراقِ على المُعَلَّى * بمقتدرٍ ولا مَلِكُ الشآمِ

أقرَّ حَشَى امرئ القيس بن حُجْرٍ * بنو تَيْمٍ مصابيحُ الظلامِ

قالوا : فلبث عنده واتّخذ إبلاً هناك . فغدا قومٌ من بنى جَدِيلةَ يقال لهم بنو زيد فطردوا الإبل . وكانت لامرئ القيس رواحل مُقَيَّدة عند البيوت خوفاً من أن يَدْهَمه أمرٌ ليسبق عليهن . فخرج حينئذ فنزل ببنى نَبْهان من طيّئ ، فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الإبل فأخذتهن جَدِيلة ، فرجعوا إليه بلا شىء . فقال فى ذلك :

ثم ببنى نبهان

وأعجبنى مَشْىُ الحُزُقَّة خالدٍ * كمشى أتانٍ حُلِّئتْ بالمناهلِ (٤)

(١) ورد هذا الشطر فى ديوانه هكذا : * بمثنى الزقاق المترعات وبالجزر* . (٢) فى الأصول : «من أرض طيئ» وهو تحريف . وعبارة تجريد الأغانى . «ثم تحول عنه فنزل بأرض طيئ عند رجل ... » .

(٣) شمام : اسم جبل لباهلة . (٤) هذه رواية الديوان . والحزقة : القصير الذى يقارب الخطو . وحلئت : منعت عن الماء وطردت مرة بعد مرة . وفى الأصول :

* عجبت له مشى الحزقة خالد *

فدع عنك نَهْباً صِيحَ فى حَجَراتِه (١) * ولكن حديثًا ما حديثُ الرَّواحل

ففرّقت عليه بنو نَبْهان فِرْقًا (٢) من مِعْزًى يحلُبها . فانشأ يقول :

إذا ما لم تجِدْ إبلًا فمِعْزًى * كأن قُرُونَ جِلَّتِها (٣) العِصِيُّ

إذا ما قام حالبُها أَرَنَّتْ (٤) * كأن القومَ صبَّحهم نَعِيُّ

٥ فتملأُ بيتَنا أَقِطًا (٥) وسَمْنًا * وحَسْبُك من غِنًى شِبَعٌ ورِيُّ

فكان عندهم ما شاء الله . ثم خرج فنزل بعامر بن جُوَيْن واتخذ عنده إبلًا ، وعامرٌ يومئذ أحد الخُلَعاء الفُتّاك قد تبرّأ قومُه من جرائره ، فكان عنده ما شاء الله ، ثم همّ أن يغلبه على أهله وماله ؛ ففطَن امرؤ القيس بشعر كان عامر ينطق به وهو قوله :

ثم نزل بعامر بن جوين

فكم بالصَّعيد (٦) من هِجَانٍ مؤبَّلَةْ * تسير صِحاحًا ذاتَ قيد ومُرْسَلَهْ

١٠ أردتُ بها فَتْكًا فلم أَرْتَمِضْ (٧) له * ونَهْنَهتُ نفسى بعدما كدتُ أفعلَهْ (٨)

---

(١) الحجرات : النواحى . يقول : دع النهب الذى صاح المنتهب فى نواحيه وأخذه ، وحدثنى حديث الرواحل وهى الإبل التى ذهبت بها ما فعلت . (راجع اللسان فى مادة حجر وشرح ديوانه) .

(٢) الفرق : القطيع من الغنم والبقر والظباء ، وقيل : هو ما دون المائة من الغنم . ومن جعل الألف فى "معزى" للتأنيث منع من الصرف ، ومن جعلها للالحاق صرف ، وهو الأرجح .

١٥ (٣) الجلة : المسان (بفتح الميم وتشديد النون كبيرات السن) . ويروى هذا الشطر فى ديوانه :

* ألا إلا تكن إبل فمعزى *

(٤) رواية الديوان فى هذا البيت :

إذا مشت حوالبها أرنت * كأن الحى صبحهم نعى

ببناء الفعل (مشت) للمجهول . ومشت حوالبها : مسحت بالكف ليدر اللبن . والحوالب : العروق التى ٢٠ تدر اللبن فى الضرع واحدها حالب . وأرنت : صوتت . ويحتمل أن تكون المعزى هى المرنة ، وأن يكون الإرنان صوت الشخب الذى يقع فى الإناء من كثرة اللبن . (٥) الأقط : شىء يتخذ من اللبن المخيض مثل الجبن . (٦) كذا فى تجريد الأغانى . وفى جـ : « فكم من سعيد » . وفى سائر النسخ : « فكم بالصحيح » وهما تحريف . (٧) ارتمض : حزن ، أى فلم أحزن ولم آسف له . ونهنه : كف . (٨) نصب الفعل على تقدير « أن » أى بعد ما كدت أن أفعله ، وهو شاذ .

٧٢/٨

وكان عامر أيضا يقول يعرّض بهند بنت آمرئ القيس :

أَلَا حَيِّ هنـــدًا وأطلالَهَـا * وتَظْعانَ هنـــدٍ وتَحْـالا لَهَـا
هَمَمتُ بنفسىَ كلَّ الهُموم * فأَوْلَى لنفسىَ أَوْلَى لهـا (١)
سأحمـــل نفسى عـــلى آلة (٢) * فإمّا عليهـا وإمّا لهـا

٥

هكذا رَوى آبنُ أبى سعد عن دارِم بن عِقال، ومن الناس من يَرْوِى هذه الأبياتَ للخَنْساء فى قصيدتها :

أَلَا ما لِعَيْـــنِى أَلَا ما لَهَـا * لقد أَخْضَلَ الدمعُ سِرْبالَهَا

ثم بحارثة بن مر

قالوا : فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه وخافه على أهله وماله، تغفّله وانتقل إلى رجل من بنى ثُعَل يقال له حارِثة بن مُرّ فآستجار به . فوقعت الحربُ بين عامر وبين الثُّعَلىّ، فكانت فى ذلك أمورٌ كثيرة . قال دارِم بن عِقال فى خبره : فلمّا وقعت

١٠

الحربُ بين طيِّئ من أجله، خرج من عندهم فنزل برجل من بنى فَزارة يقال له

نزل بعمرو بن جابر فدله على السموءل

عمرو بن جابر بن مازِن، فطلب منه الجوارَ حتى يَرَى ذاتَ عَيْبه (٣). فقال له الفَزارىّ : يا بنَ حُجْر، إنى أراكَ فى خَلَلٍ من قومك وأنا أَنفَسُ (٤) بمثلك من أهل الشرف، وقد كدتَ بالأمس تؤكل فى دار طيِّئ، وأهلُ البادية أهلُ بَرٍّ لا أهل حصون تمنعهم،

١٥

وبينك وبين أهـل اليمن ذُؤبانٌ من قَيْس، أفلا أدلُّك على بلد ! فقد جئتُ قَيْصَرَ وجئتُ النُّعْمانَ فلم أَرَ لضيفٍ نازل ولا لُمجتَدٍ مِثلَه ولا مثلَ صاحبه . قال : من هو وأين منزلُه ؟ قال : السَّمَوءلُ بتَيْماء، وسوف أضرب لك مَثَلَه، هو يمنع ضعفك حتى ترى ذاتَ عَيْبِك، وهو فى حِصْن حَصين وحَسَبٍ كبير . فقال له امرؤ القيس

(١) أولى لك : كلمة توعد وتهديد، وقد تكون كلمة تلهف، يقولها الرجل اذا حاول شيئا فأفلته من بعد ما كاد يصيبه . (٢) الآلة هنا : الحالة . (٣) يريد : ينظر فى أمره ويصلح من شأنه .
(٤) أنفس به : أضنّ به .

٢٠

وكيف لى به ؟ قال : أوصلك إلى من يُوصلك إليه ؛ فصحِبه إلى رجلٍ من بنى فَزَارة يقال له الرَّبِيع بن ضَبُع الفَزَارى[(١)] ممن يأتى السموءل فيَحْمِله ويُعْطيه . فلمّا صار اليه قال له الفَزَارىّ : إنّ السموءلَ يعجبه الشعر . فتعالَ نتناشدْ له أشعارا . فقال آمرؤ القيس : قل حتى أقول . فقال الربيع :

٥ قُلْ للمنيَّـــة أىَّ حِينٍ نلتــقى * بفِناء بيتِك فى الحَضِيض المَزْلَقِ

وهى طويلة يقول فيها :

ولقد أتيتُ بَنِى المُصاصِ مُفَاخِرًا * وإلى السمــوءل زُرْتُه بالأَبْلَقِ

فأتيتُ أفضلَ مَنْ تحمَّل حاجةً * إن جئتــه فى غارمٍ أو مُرْهَقِ

عرفتْ له الأقوامُ كلَّ فضيلةٍ * وحَوَى المكارمَ سابقًا لم يُسْبَقِ

١٠ قال : فقال آمرؤ القيس :

طرَقتْك هندٌ بعد طول تجنُّبٍ * وَهْنًا ولم تَكُ قبل ذلك تَطْرُقُ

وهى قصيدة طويلة ، وأظنُّها منحولة لأنها لا تشا كل كلام آمرئ القيس ، والتوليدُ فيها بيِّن ، وما دوّنها فى ديوانه أحد من الثِّقات ؛ وأحسَبها مما صنعه دارمٌ لأنه من ولد السموءل ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا[(٢)] . قال فوفَد الفزارىُّ بآمرئ القيس اليه . فلما كانوا ببعض الطريق إذا هم ببقرةٍ وحشية مرميَّة . فلما ١٥ نظر اليها أصحابُه قاموا فذكَّوْها . فبينما هم كذلك إذا هم بقوم قَنَّاصين من بنى ثُعَلٍ[(٣)] . فقالوا لهم : مَنْ أنتم ؟ فانتسبوا لهم ، وإذا هم من جيران السموءل فانصرفوا جميعا . وقال آمرؤ القيس :

٧٣ / ٨

(١) فى المشتبه أنه اختلف فيه هل هو بفتح الراء أو ضمها .

٢٠ (٢) وردت هذه الجملة هكذا فى الأصول . ولعل صوابها «أو مما صنعه من روى عنه فلم تكتب هنا» .

(٣) ثعل : قبيلة من طيئ .

رُبَّ رامٍ من بنى ثُعَلٍ * مُخْرِجٍ كَفَّيْهِ من قُتَرِهْ(١)

عارضٍ زَوْراءَ من نَشَمٍ * مع باناةٍ على وَتَرِهْ(٢)

— هكذا فى رواية ابن دارم . ويُروى "غير باناةٍ" و "تحت باناةٍ" — .

إذ أتتْه الوحشُ واردةً * فتنَّى النزعَ فى يَسَرِهْ(٣)

فرماها فى فرائصها * بإزاء الحوضِ أو عُقُرِهْ(٤)

برَهيشٍ من كِنانتِه * كتلظِّى الجمرِ فى شَرَرِهْ(٥)

(١) القتر : جمع قترة وهى بيت الصائد الذى يكمن فيه للوحش لئلا تراه فتنفر منه .

(٢) يقال : عرض الرامى القوس عرضا إذا أضجعها ثم رمى عنها . وزوراء : معوجة . والنشم : شجر تتخذ منه القسى . والرواية التى كتب عنها الشراح هى رواية « غير باناة ». والباناة لغة طيئ فى البانية كما يقولون فى ناصية ناصاة وفى قارية قاراة . والبانية من القسى : التى لصق وترها بكبدها حتى كاد ينقطع وترها فى بطنها من لصوقه بها ، وهو عيب . و«على» بمعنى «عن» أى غير بانية عن الوتر . وعلى هذا الوجه يكون «غير» بنصب الراء صفة لزوراء . ويجوز أن يكون بكسر الراء على أنه من صفة الرامى ، يقال رجل باناة وهو الذى يحنى صلبه إذا رمى فيذهب سهمه على وجه الأرض ، وعلى هذا تكون « على » هنا فى موضعها . (٣) واردة : عطاشا . وتنى : انعطف . ويروى : «فتنحى» و«فتمتى» أى تمطى ومعناه : مدّ ونزع . والنزع الرمى عن القوس . وفى يسره — كما فى شرح ديوانه ، رواية أبى سهل (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣ أدب ش) — أى فى يسر السهم للرمى . قال أبو سهل : يقول القوس فى يساره فاذا اشتدّ يساره تابع مدّه فنفذ السهم أجود وإلا لم ينفذ جيدا . وفى اللسان (مادة يسر) عن الجوهرى أن اليسرة بالتحريك أسرار الكف (خطوطها) إذا كانت غير ملتزقة وهى تستحب . قال شمر : و يقال فى فلان يسر، وأنشد :

* فتمتى النزع فى يسره *

قال : هكذا روى عن الأصمعى وفسره حيال وجهه . ويروى : «فى يسره» بضم الياء وفتح السين جمعا ليسرى، ويروى « فى يسره » بضمتين جمعا ليسار . (٤) الفرائص : جمع فريصة وهى التى ترعد من الدابة عند مرجع الكتف تتصل بالفؤاد . وإزاء الحوض : مصب الماء فيه . وعقره : موضع الشاربة ، يريد أن هذا الرامى حاذق خبير بالرمى لا يرميها إلا فى مقتل . وخص إزاء الحوض أو عقره لأنه مكان تأمن فيه وتطمئن اليه ، فهو أمكن له فيما يريد منها . (٥) الرهيش : السهم الضامر الخفيف .

راشه من ريش ناهضة * ثم أمهاه على حجره[1]

فهو لا تنمى رميته[2] * ماله لا عد من نفره

قال: ثم مضى القوم حتى قدموا على السموءل، فأنشده الشعر، وعرف لهم حقهم، فأنزل المرأة فى قبة أدم وأنزل القوم فى مجلس له براح؛ فكان عنده ما شاء الله . ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى بالشأم ليوصله إلى قيصر؛ فآستنجد له رجلا، واستودع عنده[3] المرأة والأدراع والمال ، وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمه . فمضى حتى انتهى الى قيصر؛ فقبله وأكرمه وكانت له عنده منزلة . فآندس رجل من بنى أسد يقال له الطماح، وكان آمرؤ القيس قد قتل أخا له من بنى أسد، حتى أتى إلى بلاد الروم فأقام مستخفيا . ثم إن قيصر ضم إليه جيشا كثيفا وفيهم جماعة من أبناء الملوك . فلما فصل قال لقيصر قوم من أصحابه : إن العرب قوم غدر ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعثت معه . وقال ابن الكلبى: بل قال له الطماح: إن امرأ القيس غوى عاهر و إنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك و يواصلها ، وهو قائل فى ذلك أشعارا يشهرها بها فى العرب فيفضحها و يفضحك . فبعث اليه حينئذ بحلة وشى مسمومة منسوجة بالذهب وقال له : إنى أرسلت اليك بحلتى التى كنت ألبسها تكرمة لك، فاذا وصلت اليك فآلبسها باليمن والبركة، واكتب إلى بخبرك من منزل منزل . فلما

طلب الى السموءل أن يكتب له الى الحارث ليوصله الى قيصر

لما وصل الى قيصر دس له عنده الطماح حتى سمه بحلة خلعها عليه

(١) الناهض الذى وفر جناحه ونهض للطيران . وأدخل الهاء فى ناهضة للمبالغة أو لأنه أراد الأنثى ، كما يقال صقر وصقرة . قال أبو بكر : وخص ريش النواهض لأن ريشها ألين وأطول وريش المسان لا خير فيه . أمهاه : أرقه . وقال أبو عبيدة : أمهاه : سقاه الماء . (٢) أى لا ترتفع من مكانها الذى أصابها فيه السهم لحذق الرامى ؛ يقال : أنميت الصيد فنمى ينمى وذلك أن ترميه فتصيبه و يذهب عنك فيموت بعد ما يغيب . ومعنى لاعد من نفره : أماته الله فلا يعد من قومه ، والمراد التعجب منه ، كما يقال : قاتله الله فى موضع المدح والتعجب . (٣) فى جـ : « واستودعه » .

وصلتْ اليه لبسها واشتدّ سرورُه بها، فأسرع فيه السمّ وسقط جلده، فلذلك سُمّى ذا القُروح، وقال فى ذلك :

لقد طمَح الطَّمّاح من بُعد أرضه * لِيُلبِسَنى ممّا يلبَس أبؤسا (١)

فلو أنها نفسٌ تموت سَوِيّةً * ولكنّها نفسٌ تَساقَطُ أنفُسا

قال : فلما صار الى بلدة من بلاد الروم تُدعى أَنْقِرَة احتُضِر بها، فقال :

رُبَّ خُطْبةٍ مُسْتَحْنِفَرَهْ * وطَعنةٍ مُثْعَنْجِره (٢)

وجَفْنةٍ متحيِّره * حلَّت بأرض أنقِره

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدُفِنتْ فى سَفْح جبل يقال له عَسيب، فسأل عنها فأُخبر بقصّتها، فقال :

---

(١) فى ديوانه :

وبدلت قرحا داميا بعد صحة * لعل منايانا تحولن أبؤسا

لقد طمح الطماح من بعد أرضه * ليلبسنى من دائه ما تلبسا

(٢) يقال : اسحنفر فى خطبته اذا مضى واتسع فى كلامه . والمثعنجرة : السائلة، يقال : ثعجر الدم فاثعنجر اذا صبه فانصب . والجفنة المتحيرة : الممتلئة طعاما ودسما . وهذه الشطرة الثالثة غير متزنة . وقد ورد هذا الشعر فى مقدمة ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ١٣ أدب ش :

وطعنة مثعنجره * وخطبة مسحنفره

وجفنة مدعثره * تبقى غدا بأنقره

والجفنة المدعثرة : المثلمة . وورد فى اللسان (مادة ثعجر) وكتاب الشعر والشعراء وليس فيهما هذا الشطر؛ ففى اللسان :

رب جفنة مثعنجره * وطعنة مسحنفره

* تبقى غدا بأنقره *

وفى الشعر والشعراء :

وطعنة مسحنفره * وجفنة مثعنجره

* تبقى غدا بأنقره *

أجارتَنا إنّ المَزارَ قريبُ * وإنّى مقيمٌ ما أقام عَسِيبُ
أجارتَنا إنّا غريبانِ هاهنا * وكلُّ غريبٍ للغريب نسيبُ

٧٤ / ٨

ثم مات فدُفن إلى جنب المرأة، فقبرُه هناك .

عبد الملك بن عمير يحدث عمر بن هبيرة بحديث عنه فيسرّ به ويجيزه

أخبرنى محمد بن القاسم عن مُجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عُمَيْر قال :
٥ قَدِم علينا عمر بن هُبَيْرة الكوفةَ، فأرسل إلى عشرةٍ أنا أحدهم من وجوه الكوفة فسمَروا عنده، ثم قال : ليحدِّثْنى كلُّ رجل منكم أُحْدوثةً وابدأْ أنت يا أبا عمر[1] . فقلت : أصلح الله الأمير ! أحديثَ الحقِّ أم حديثَ الباطل ؟ قال : بل حديثَ الحق . قلت : إنّ امرأ القيس آلى بأَلِيّة ألّا يتزوّج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وثنتين، فجعل يخطب النساء، فإذا سألهنّ عن هذا قلن أربعةَ عشرَ .
١٠ فبينما هو يسير فى جَوْف الليل إذا هو برجل يحمل ابنةً له صغيرةً كأنها البدر ليلةَ تمامه، فأعجبته، فقال لها : يا جارية ! ما ثمانيةٌ وأربعةٌ واثنتان ؟ . فقالت : أمّا ثمانيةٌ فأطْباءُ الكلبة . وأمّا أربعةٌ فأَخْلاف الناقة . وأمّا اثنتان فثَدْيا المرأة . فخطبها الى أبيها فزوّجه إيّاها . وشَرطت هى عليه أن تسأله ليلةَ بِنائها عن ثلاثِ خِصال، فجعل لها ذلك، وأن يسوق اليها مائةً من الإبل وعشرةَ أعبُدٍ وعشرَ وصائف وثلاثةَ
١٥ أفراسٍ ففعل ذلك . ثم إنه بعث عبدًا له إلى المرأة وأهدى إليها نِحْيًا[2] من سمن ونِحْيًا من عسل وحُلّةً من عَصْب . فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحُلّة ولبسها فتعلّقت بعُشَرة فانشقّت، وفتح النِّحْيين فطَعِم أهلُ الماء منهما فنقصا . ثم قَدِم على حىّ المرأة وهم خُلُوفٌ[3] . فسألها عن أبيها وأمّها وأخيها ودفع اليها هديّتَها . فقالت له : أعلِمْ مولاك أن أبى ذهب يُقرِّب بعيدًا ويُبعِّد قريبا، وأن أمّى ذهبت تَشُقّ النّفْس

٢٠ (١) يكنى عبد الملك بن عمير أبا عمر وأبا عمرو . (٢) النحى : الزق .
(٣) خلوف : غيب .

نَفَسين، وأنّ أخى يراعى الشمس، وأن سماءكم انشقّت، وأنّ وعاءيكم نَضَبا . فقدِم الغلامُ على مولاه فأخبره . فقال : أمّا قولُها إنّ أبى ذهب يقرِّب بعيدا ويبعِّد قريبا، فإنّ أباها ذهب يُحالف قومًا على قومه . وأمّا قولُها ذهبتْ أمّى تشقّ النفس نفسين، فإنّ أمّها ذهبتْ تُقبِّل[1] امرأةً نُفَساء . وأمّا قولُها : إنّ أخى يُراعى الشمس، فإنّ أخاها فى سَرْحٍ له يرعاه فهو ينتظر وُجوبَ الشمس ليَرُوحَ به . وأمّا قولُها : إن سماءكم انشقّت، فإن البُرْد الذى بعثتُ به انشقّ . وأمّا قولُها إن وِعاءيكم نَضَبا، فإنّ النِّحيين اللّذين بعثتُ بهما نقصا، فاَصْدُقْنى . فقال : يامولاى، إنى نزلت بماء من مياه العرب، فسألونى عن نسبى فأخبرتُهم أنّى ابن عمِّك، ونشرتُ الحُلّة فانشقّتْ، وفتحتُ النِّحيين فأطعمتُ منهما أهلَ الماء . فقال : أَوْلَى لك ! . ثم ساق مائةً من الإبل وخرج نحوَها ومعه الغلامُ، فنزلا منزلاً . فخرج الغلام يسقى الإبل فعجَز، فأعانه امرؤ القيس، فرمى به الغلام فى البئر، وخرج حتى أتى المرأةَ بالإبل، وأخبرهم أنه زوجُها . فقيل لها : قد جاء زوجك . فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ! ولكن انحَروا له جَزُورا وأطعِموه من كَرِشها وذَنَبها ففعلوا . فقالت : اسقوه لبنًا حازِرًا (وهو الحامض) فسقَوْه فشرب . فقالت : افرُشُوا له عند الفَرْث[2] والدم، ففرَشوا له فنام . فلما أصبحتْ أرسلتْ اليه : إنى أريد أن أسألك . فقال : سَلِى عمّا شئتِ . فقالت : مِمَّ تختلج شَفَتاك ؟ قال : لتقبيلى إيّاكِ . قالت : فمِمّ يختلج كَشْحاك ؟ قال : لالتزامى إيّاكِ . قالت : فمِمّ يختلج فَخِذاك؟ قال : لتورُّكى إيّاكِ . قالت : عليكم العبدَ فشُدُّوا أيديَكم به ، ففعلوا . قال : ومرَّ قومٌ فاستخرجوا امرأ القيس من البئر، فرجع الى حَيِّه، فاستاق مائةً من الإبل وأقبل الى امرأته . فقيل لها : قد جاء

(١) يقال : قبلت القابلة المرأة إذا تلقت ولدها عند ولادته .

(٢) الفرث : السرجين ما دام فى الكرش .

زوجُك . فقالت : والله ما أدرى أهو زوجى أم لا ، ولكن انحروا له جَزُوراً فأطعِموه من كَرِشها وذَنَبها ففعلوا . فلما أتوه بذلك قال : وأين الكَبِد والسَّنَام والمَلْحاء[1]! فأبَى أن يأكل . فقالت : اسقُوه لبنًا حازِرا . فأبى أن يشربه وقال : فأين الصَّريف والرَّثيئة[2]! . فقالت : افرُشوا له عند الفَرْث والدم . فأبى أن ينام وقال : افرشوا لى فوقَ التَّلْعة الحمراء ، واضربوا عليها خِبَاء . ثم أرسلت إليه : هَلُمَّ شَريطتى عليك فى المسائل الثلاث . فأرسل اليها أن سَلِي عمّا شئتِ . فقالت : ممَّ تختلج شفتاك قال : لشربى المُشَعْشَعات . قالت : فممّ يختلج كَشْحاك ، قال : لِلُبْسى الحِبَرات . قالت : فممّ تختلج فخِذاك ؟ قال : لِرَكْضى المُطَهَّمات . فقالت : هذا زوجى لعَمْرِى ! فعليكم به ، واقتلوا العبد ، فقتلوه . ودخل امرؤ القيس بالجارية . فقال ابن هُبَيْرة : حَسْبُكم ! فلا خيرَ فى الحديث فى سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ، ولن تأتينا بأعجب منه . فقمنا وانصرفنا . وأمر لى بجائزة .

مفاوضات امرئ القيس وقبائل أسد بعد موت حجر

نسخت من كتاب جَدِّى يحيى بن محمد بن ثَوابة بخطّه رحمه الله حدّثنى الحسن ابن سعيد عن أبى عُبَيْدة قال أخبرنى سِيبَوَيْه النحوىّ أنّ الخليل بن أحمد أخبره قال :

قدِم على امرئ القيس بن حُجْر بعد مقتل أبيه رجالٌ من قبائل بنى أَسَد كهولٌ وشُبّان ، فيهم المُهَاجِر بن خِدَاش ابن عمّ عَبِيد بن الأبرص ، وقَبِيصة بن نُعَيْم ، وكان فى بنى أسد مقيما وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وِرْدًا وإصدارًا[3] يعرف ذلك له من كان محيطا بأكناف بلده من العرب . فلما علم بمكانهم أمر بإنزالهم وتقدّم بإكرامهم والإفضال عليهم ، واحتجب عنهم ثلاثا . فسألوا من حضرهم من رجال كِنْدة ،

(١) الملحاء : لحم فى الصلب من الكاهل الى العجز من البعير . (٢) الصريف : الحليب الحار ساعة يصرف عن الضرع . والرثيئة : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته .

(٣) كان ينبغى أن يكون « ... بمواقع الامور إيرادا وإصدارا » أو « ... وردا وصدرا » .

فقال : هو فى شُغْل بإخراج ما فى خزائن حُجْر من السِّلاح والعُدّة . فقالوا : اللّهم غَفْرًا ، إنما قَدِمنا فى أمر نتناسى به ذكر ما سلَف ونستدرك به ما فرَط ، فليُبَلِّغْ ذلك عنّا . فخرج عليهم فى قَباء وخُفٍّ وعمامةٍ سوداء ، وكانت العرب لا تَعْتَمُّ بالسَّواد إلّا فى التِّرات . فلمّا نظروا إليه قاموا له ، وبدَر إليه قَبِيصةُ : إنك فى المَحَلّ والقَدْر والمعرفة بتصرُّف الدهر وما تُحْدِثه أيّامه وتنتقل به أحواله بحيث لا تحتاج الى تبصير واعظٍ ولا تذكِرة مجرِّب . ولك من سؤدُد مَنْصِبك وشَرَف أعراقك وكرم أصلك فى العرب مُحْتَمَلٌ يحتمل ما حُمل عليه من إقالة العَثْرة ، ورجوع عن هفوة . ولا تتجاوز الهِمَمُ إلى غاية إلّا رجعتْ إليك فوجدتْ عندك من فضيلة الرأي وبصيرة الفهم وكرم الصفح فى الذى كان من الخَطْب الجليل الذى عمَّت رَزِيّتُه نِزارًا واليمن ، ولم تَخْصُص كِنْدةَ بذلك دونَنا للشَّرف البارع . كان لحُجْرٍ التاجُ والعِمّة فوق الجبين الكريم وإخاءُ الحمد وطِيبُ الشِّيَم . ولو كان يُفْدَى هالكٌ بالأنفس الباقية بعده لما بَخِلتْ كرائمُنا على مثله ببذل ذلك ولفديناه منه ، ولكن مضى به سبيل لا يَرْجِع أوّلاه على أُخراه ولا يَلْحَق أقصاه أدناه . فأحمدُ الحالات فى ذلك أن تعرف الواجبَ عليك فى إحدى خلال : إمّا أن اخترتَ من بنى أسد أشرفَها بيتا ، وأعلاها فى بناء المَكْرُمات صَوْتًا ، فقُدْناه اليك بِنِسْعِه[(١)] تذهبُ مع شَفَرات حُسامك قُصَيْدَتُه[(٢)] فيقول رجلٌ : آمتُحِن بهُلْك عزيز فلم تُسْتَلّ سَخِيمتُه إلا بتمكينه من الانتقام ؛ أو فداءً بما يَرُوح من بنى أسد من نَعَمِها فهى أُلُوفٌ تجاوز الحِسْبة فكان ذلك فداءً رجعتْ به القُضُب إلى أجفانها لم يَرْدُدْه تسليط الإحَن على البُرَآء ؛ وإما أن

---

(١) النسع : سير مضفور يجعل زماما للبعير وغيره . وفى الحديث « يجر نسعة فى عنقه » .

(٢) كذا فى جـ . والقصدة : العنق . وفى سائر الأصول : « قصيدته » وهو تصغير « قصدة » وقد ورد فى الأصول : هكذا : « تذهب مع شفرات حسامك تنائى قصيدته » . ولم نفهم لكلمة « تنائى » هاهنا معنى .

تُوادِعَنا حتى تضع الحواملُ فنَسْدُل الأُزُرَ ونعقد الخُمُرَ فوق الرايات . قال : فبكى ساعةً ثم رفع رأسه فقال : لقد علمت العربُ أنْ لا كُفْءَ لحُجْر فى دم ، و إنى لن أعتاض به جملًا أو ناقةً فأكتسبَ بذلك سُبَّةَ الأبد وفَتَّ العَضُد . وأمّا النَّظِرة[1] فقد أوجبتْها الأجِنّةُ فى بطون أُمّهاتها ، ولن أكون لعَطَبها سببا ، وستعرفون طلائع كِنْدةَ من بعد ذلك ، تحمل القلوب حَنَقا وفوق الأسنّة عَلَقا[2] :

إذا جالت الخيل فى مأزِقٍ * تُصافِحُ[3] فيه المنايا النفوسا

أتقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل ننصرف بأسوأ الاختيار ، وأبلى الاجترار لمكروه وأذيّة ، وحرب وبَليّة . ثم نَهضوا عنه ، وقَبيصةُ يقول متمثّلا :

لعلك أن تستوخم[4] الموتَ إن غدتْ * كتائبُنا فى مأزِق الموت تَمْطُرُ[5]

فقال آمرؤ القيس : لا والله لا أستوخمه ، فرويدًا ينكشفْ لك دُجاها عن فُرسان كِندة وكتائب حِمْيَر . ولقد كان ذكر غير هذا أولى بى إذ كنتَ نازلًا برَبْعى ، ولكنك قلتَ فأجبتُ . فقال قَبيصة : ما نتوقّع فوق قدر المعاتبة والإعتاب . قال آمرؤ القيس : فهو ذاك .

أصوات معبد المعروفة بألقابها وهى خمسة

أصوات معبد الخمسة وألقابها

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرنى إسماعيل بن يونس الشِّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق ، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبَة عن إسحاق :

---

(١) النظرة : الإمهال . (٢) العلق : الدم . (٣) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « تدافع » . (٤) استوخم الشىء : لم يستمرئه . (٥) لعلها « تخطر » .

أن مَعْبدا كان يسمّى صوتَه :

* هُرَيْرَةَ ودِّعها وإن لام لائم *

الدَّوّامةَ لكثرة ما فيه من الترجيع . ويسمّى صوتَه :

* عاود القلبَ من تذكُّرِ جُمْلِ *

المُنَمْنَمَ . ويسمّى صوتَه :

* أمِنْ آل ليـلى بالملَا مُتَرَبَّعُ *

معقِّصات القُرون أى يحرك خُصَلَ الشعر . ويسمّى صوتَه :

[* جعل الله جعفرا لكِ بَعْلَا[(١)] *

المتبختر . ويسمى صوته :]

ضـوءُ بَرْقٍ بدا لعينيك أم شَبَّتْ بذى الأَثْلِ من سَلامةَ نارُ[(١)]

[مقطِّع الأثفار[(١)]] .

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

هُرَيْرَةَ وَدِّعْها وإن لام لائمُ * غداة غدٍ أم أنت للبَيْن واجمُ

لقد كان فى حولٍ ثَواءٍ ثَوَيتُه * تقضّى لُبانات ويسأم سائمُ

مبتّـلةٌ هَيْفاءُ رُودٌ شـبابُها * لهـا مقلتا رِيمٍ وأسـودُ فاحمُ

ووجهٌ نقىُّ اللّون صافٍ يَزينه * مع الحَلْىِ لَبّاتٌ لهـا ومَعـاصِمُ

الواجم : الساكت المُطرِق من الحزن ، يقال : وَجَم يَجِم وُجُوما . وقوله : « لقد كان فى حول ثواء ثويته» : قال الكوفيون : أراد لقد كان فى ثواء حول ثويته ، فجعل ثواء بدلا من حول . وأخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام عن يونس قال : كان أبو عمرو بن العلاء يعيب قول الأعشى :

* لقد كان فى حول ثواء ثويته *

(١) التكملة أثبتناها من بيان نسبة الأصوات فيما يأتى ص ١٣٢

جدًّا و يقول: ما أعرف له معنى ولا وجهًا يصحّ. قال أبو خليفة : وأمّا أبو عبيدة فإنه قال : معناه لقد كان فى ثواء حول ثويته . واللُّبانات والمآرب والحوائج والأوطار واحد . والمبتّلة : الحسنة الخَلْق . والهَيْفاء : اللطيفة الخَصْر . والرِّئم : الظبى . والفاحم : الشديد السواد . وقال : لبّاتٌ لها و إنما لها لَبّة واحدة ولكنّ العرب تقول ذلك كثيرا، يقال : لها لَبّاتٌ حِسَانٌ، يراد اللّبّةُ وما حولها. والمعاصم: موضع الأَسْوِرَة، وواحدها مِعْصَم .

الشعر للأعشى . والغناء لَمْعْبد، وله فيه لحنان، أحدهما وهو الملقَّبُ بالدوّامة خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر ثقيل عن الهشامىّ وابن خُرْداذْبَة .

أخبـار الأعشى ونسبه

نسبه وكنيته

الأعشى هو ميمون بن قَيْس بن جَنْدل بن شَراحِيل بن عَوْف بن سَعْد بن ضُبَيْعة ابن قيس بن ثعلبة الحِصْن بن عُكَابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل بن قاسِط ابن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَديلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار . ويُكنى

لقب أبيه قتيل الجوع

أبا بَصير . وكان يقال لأبيه قيس بن جَنْدل قَتيلُ الجوع ؛ سمى بذلك لأنه دخل غارا ٥ يستظل فيه من الحرّ ، فوقعتْ صخرة عظيمة من الجبل فسدّت فمَ الغار فمات فيه جُوعًا . فقال فيه جُهُنّام وآسمه عمرو وهو من قومه من بنى قيس بن ثعلبة يهجوه وكانا يتهاجيان :

أبوك قَتيلُ الجوعِ قَيْسُ بنُ جَنْدلٍ * وخالُك عبــدٌ من خُمَاعةَ راضعُ[1]

شاعر جاهلى

وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم وتقدّم على سائرهم ؛ وليس ذلك بمجمع ١٠ عليه لا فيه ولا فى غيره .

أشعر الناس إذا طرب

أخبرنى أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال سألت يونس النحوى : مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : لا أُومئُ الى رجل بعينه ولكنى أقول : آمرؤ القيس إذا غَضِب ، والنابغة إذا رهِب ، وزهيرٌ إذا رغِب ، والأعشى إذا طرِب .

أخبرنى ابن عمّار عن ابن مَهْرويه عن حُذَيفة بن محمد عن ابن سَلّام بمثله . ١٥

قبيلته أشعر القبائل عند حسان

أخبرنى عمّى قال حدّثنا ابن أبى سَعْد قال حدّثنا علىّ بن الصبّاح عن ابن الكلبىّ عن أبيه وأبى مسكين :

---

(١) خماعة : بطن من العرب سموا باسم خماعة بنت جشم بن ربيعة بن زيد مناة . والراضع : اللئيم .

أن حسّانا سُئل : من أشعرُ الناس ؟ فقال : أشاعر بعينه أم قبيلة؟ قالوا : بل قبيلة. قال : الزُّرْق من بنى قَيْس بن ثعلبة . وهذا حديث يُروى أيضا عن غير حسان .

فاخر ابن شفيع بقبيلته بنى ثعلبة عبد العزيز ابن زرارة

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار عن ابن مَهْرويه قال حدّثنا عبدة بن عِصْمة عن فِراس بن خِنْدِف عن علىّ بن شفيع قال :

٥ إنى لواقفٌ بسُوق حَجْر[1] إذ أنا برجلٍ من هيئته وحاله عليه مُقطّعاتُ خَزٍّ وهو على نجيب مَهْرِىّ عليه رَحْل لم أرَ قطُّ أحسنَ منه وهو يقول : من يُفاخرنى من يُنافرنى ببنى عامر بنِ صَعْصَعة فُرساناً وشعراءَ وعَددًا وفَعالًا ؟ ! قلت : أنا . قال : بمن ؟ قلت : ببنى ثَعلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل . فقال : أمَا بلغك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المنافرة ؟ ثم ولّى هاربا . قلت :
١٠ مَنْ هذا ؟ قيل : عبد العزيز بن زُرارة بن جَزْء بن سُفْيان الكِلابىّ .

هو صناجة العرب

٧٨
٨

أخبرنى حَبيب بن نصر المهلّبىّ وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

قال أبو عُبَيدة : مَنْ قدّم الأعشى يَحْتجُّ بكثرة طِواله الجِياد وتصرُّفه فى المديح والهجاء وسائر فنون الشعر، وليس ذلك لغيره . ويقال : هو أوّل من سأل بشعره،
١٥ وآنتجع به أقاصىَ البلاد . وكان يُغنّى فى شعره ؛ فكانت العرب تُسمّيه صَنّاجةَ العرب .

أخبرنى المُهلّبىّ والجَوْهرىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال : سمعت خَلّادًا الأرقط يقول سمعت خَلَفا الأحمر يقول :

لا يُعرف مَنْ أشعرُ الناس كما لا يُعرف مَنْ أشجعُ الناس ولا مَنْ كذا ولا من كذا، لأشياء ذكرها خَلَفٌ ونسيتُها أنا . أبو زيد عمر بن شَبّة يقول هذا .

---

٢٠ (١) حجر : مدينة باليمامة .

كان أبو عمرو بن العلاء يقدمه

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ قال حدّثنى عمّى يوسف قال حدّثنى عمّى إسماعيل بن أبى محمد قال أخبرنى أبى قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقدّم الأعشى.

سئل مروان بن أبى حفصة عن أشعر الناس فقدمه بشعره

وقال هشام بن الكلبىّ أخبرنى أبو قَبِيصة المُجاشعىّ أن مَرْوانَ بن أبى حَفْصة سئل: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: الذى يقول:

كِلَا أبَوَيْكم كان فرعَ دِعَامةٍ * ولكنّهم زادوا وأصبحتَ ناقصا

يعنى الأعشى.

قدمه حماد على جميع الشعراء حين سأله المنصور عن ذلك

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ قال حدّثنى عمّى قال قال سَلَمة بن نَجَاح أخبرنى يحيى بن سُليم الكاتب قال:

بعثنى أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة إلى حمّاد الراوية (١) أسأله عن أشعر الشعراء. قال: فأتيت بابَ حمّاد فاستأذنت وقلت: ياغلام! فأجابنى إنسانٌ من أقصى بيتٍ فى الدار فقال: مَنْ أنت؟ فقلت: يحيى بن سليم رسول أمير المؤمنين. قال: ادخل رَحِمَك الله! فدخلتُ أتَسمَّتُ (٢) الصوتَ حتى وقفتُ على باب البيت، فإذا حمّادٌ عُرْيانٌ على فَرْجه دَسْتَجةُ شاهِسْفِرْمٍ (٣). فقلت: إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس. فقال: نعم! ذلك الأعشى صَنَّاجُها.

أوصى أبو عمرو بن العلاء الناس بشعره

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال سمعت أبا عُبَيدة يقول سمعت أبا عمرو بن العلَاء يقول: عليكم بشعر الأعشى؛ فإنى شبّهتُه بالبازِى يَصيد ما بين العَنْدَليب الى الكُرْكىّ.

(١) لعل الأصل: «بعثنى أبو جعفر أمير المؤمنين الى حماد الراوية بالكوفة ... الخ».

(٢) تسمت الشىء: قصد نحوه. (٣) كذا فى أ وشفاء الغليل. والدستجة: الحزمة. والشاهسفرم: نوع من الريحان يقال له الريحان السلطانى، فارسى معرب. وفى سائر الأصول: «دستجة شاهسفرة» وهو تحريف.

وضعه جنى فى المرتبة الثالثة بعد امرئ القيس وطرفة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال سمعت أبا عُبيدة يقول: بلغنى أن رجلاً من أهل البَصْرة حجّ — وروى هذا الحديثَ ٱبنُ الكلبىّ عن شُعيب بن عبد الرحمن أبى معاوية النحوىّ عن رجل من أهل البَصْرة أنه حجّ — قال فإنى لأَسيرُ فى ليلةٍ إِضْحِيَانةٍ[1] إذ نظرتُ إلى رجلٍ شابٍّ راكبٍ على ظَليم قد زمّه بخِطامه وهو يذهب عليه ويجيء، وهو يرتجز ويقول:

هل يُبْلِغَنّيهم إلى الصَّبَاحْ * هِقْلٌ[2] كأنّ رأسه جُمّاحْ

— الجُمّاح: أطراف النبت الذى يسمى الحَلِىّ وهو سُنْبُله، إلا أنه ليس بخَشِن[3] يُشْبِه أذنابَ الثعالب[4]. قال: والجُمّاح أيضا سُهَيم يلعب به الصِّبْيان يجعلون مكان زُجّه طيناً — قال: فعلمتُ أنه ليس بإنسىّ، فٱستوحشتُ منه. فتردّد علىّ ذاهباً وراجعاً حتى أنِستُ به، فقلت: مَنْ أشعرُ الناس يا هذا؟ قال: الذى يقول:

وما ذَرَفتْ عيناكِ إلّا لتضربى * بسَهْمَيْكِ فى أعشار قلبٍ مُقَتَّلِ

قلت: ومَنْ هو؟ قال: ٱمرؤ القيس. قلت: فمن الثانى؟ قال: الذى يقول:

تَطْرُدُ القُرَّ بِحَرٍّ ساخنٍ * وعَكِيكَ[5] القَيْظِ إن جاء بِقُرّْ

قلت: ومن يقوله؟ قال: طَرَفَةُ. قلت: ومَنِ الثالث؟ قال: الذى يقول:

وتَبرُد بردَ رِداء العَرُو * سِ بالصَّيْف رَقْرقْتَ[6] فيه العَبِيرَا

قلت: ومَنْ يقوله؟ قال: الأعشى؛ ثم ذهب به.

---

(١) ليلة إضحيانة: مضيئة. (٢) الهقل: الفتىّ من النعام. (٣) فى الأصول: «بحسن» وهو تصحيف. (٤) ذنب الثعلب: نبات على هيئة أذناب الثعالب.

(٥) العكيك: صفة من العك أو العكك وهو شدة الحر فى سكون الريح. وورد البيت فى اللسان وفيه لفظة «صادق» بدل «ساخن». يصف جارية بأنها تطرد عن ملازمها شدة برد الشتاء بحرارتها، وتطرد عنه شدة قيظ الصيف بطراوتها. (٦) رقرق الطيب فى الثوب: أجراه فيه.

هو أستاذ الشعراء فى الجاهلية وجرير أستاذهم فى الإسلام

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنى أبو عَدْنان قال وقال لى يحيى ابن الجَوْن العَبْدىّ راويةُ بشّار : نحن حاكَةُ الشِّعر فى الجاهليّة والإسلام ونحن أعلمُ الناسِ به، أعشى بنى قيس بن ثَعْلبة أستاذ الشعراء فى الجاهليّة، وجريرُ بن الخَطَفى أُستاذهم فى الإسلام .

حديث الشعبي عنه

أخبرنى محمد بن العَبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال : ٥

قال الشَّعْبيّ : الأعشى أغزلُ الناس فى بيت، وأخنثُ الناس فى بيت، وأشجعُ الناس فى بيت . فأمّا أغزلُ بيتٍ فقوله :

غَرّاءُ فَرْعاءُ مصقولٌ عوارضُها * تَمْشِى الهُوَيْنَى كما يمشى الوَجِى الوَحِلُ (١)

وأمّا أخنثُ بيت فقوله :

قالت هُرَيْرةُ لمّا جئتُ زائرَها * وَيْلى عليك ووَيْلِى منك يا رجل ١٠

وأمّا أشجعُ بيت فقوله :

قالوا الطِّرادَ فقلنا تلك عادتُنا * أوْ تنزلون فإنا مَعْشَرٌ نُزُلُ

حماد الراوية يسأل عن أشعر العرب فيجيب من شعره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه عن ابن أبى سعد قال ذكر الهَيْثم بن عدىّ أن حمّادا الراوية سُئل عن أشعر العرب، قال الذى يقول :

نازعتُهم قُضُبَ الرَّيْحانِ مُتَّكِئًا * وقَهْوةً مُزّةً (٢) راوُوقُها خَضِلُ ١٥

كان قدريا وكان لبيد مثبتا

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا أبو علىّ العَنزىّ قال حدّثنى محمد ابن معاوية الأَسَدىّ قال حدّثنى رجلٌ عن أَبَانَ بن تَغْلِب عن سِماك بن حَرْب قال قال لى يحيى بن مَتّى راويةُ الأعشى وكان نَصْرانيًّا عِباديًّا وكان مُعَمَّرًا قال :

(١) الوجى : وصف من الوجى، وهو أن يجد ألما فى رجليه عند المشى . والوحل : الماشى فى الوحل .
(٢) المزة والمزاء : التى فيها مزازة . والراووق : الباطية، أى إناء الخمر . واستعمال الراووق فى الباطية قليل، والمعروف أن الراووق المصفاة التى تروق وتصفى فيها الخمر . والخضل : الدائم الندى . ٢٠

كان الأعشى قَدَرِيًّا (١) وكان لَبِيدٌ مُثْبِتًا . قال لبيد :

مَنْ هَـدَاه سُبُلَ الخيرِ اهتدَى * ناعمَ البالِ ومَنْ شاء أضَلّْ

وقال الأعشى :

استأثر اللهُ بالوفاء وبال * عَدْلِ وولّى المَلامةَ الرَّجُلَا

٥ قلت : فمن أين أخذ الأعشى مذهبَه ؟ قال : من قِبَل العِبَاديّين نصارَى الحِيرة ، كان يأتيهم يشترى منهم الخمر فلقّنوه ذلك .

هريرة عشيقته

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ قال حدّثنا أبو شُرَاعة فى مجلس الرِّياشىّ قال حدّثنا مشايخ بنى قَيْس بن ثَعْلَبة قالوا :

كانت هُرَيْرة التى يشبِّب بها الأعشى أَمَةً سَوْدَاءَ لحسَّان بن عمرو بن مَرْثَد .

١٠ وأخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبى عُبيدة عن فِراس بن الخِنْدِف قال :

كانت هُرَيْرةُ وخُلَيْدةُ أختين قَيْنَتَيْن كانتا لِبشر بن عمرو بن مَرْثَد ، وكانتا تغنِّيانه النَّصْبَ (٢) ، وقَدِم بهما اليمامةَ لمّا هرَب من النُّعمان . قال ابن دُرَيْد فأخبرنى عمّى عن ابن الكَلْبىّ بمثل ذلك .

مدح المحلق الكلابى وذكر بناته فتزوجن

٨٠ / ٨

١٥ وأخبرنى محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ عن الرِّياشىّ مما أجازه له عن العُتْبِىّ عن رجل من قيس عَيْلان قال :

كان الأعشى يُوافِى سُوقَ عُكَاظ فى كلّ سنة ، وكان المُحَلَّق الكِلابىُّ مِئْناثًا (٣) مُمْلِقًا . فقالت له امرأته : يا أبا كِلاب ، ما يمنعك من التعرّض لهذا الشاعر !

(١) القدرية : جاحدو القدر أى ينكرون أن الله قدّر على عباده الشر ، وهو ما ذهبت اليه فرقة من ٢٠ المسلمين يقال لهم المعتزلة . (٢) النصب : ضرب من أغانى العرب شبيه بالحداء .

(٣) المئناث : الذى اعتاد أن يلد الإناث .

فما رأيتُ أحداً اقتطعه الى نفسه إلا وأكسبه خيرا . قال: وَيْحَكِ! ما عندى إلا ناقتى وعليها الحِمْل! . قالت: الله يُخْلِفُها عليك . قال: فهل له بُدٌّ من الشَّراب والمُسُوح(١)؟ قالت: إنّ عندى ذخيرةً لى ولعلّى أن أجمعها . قال: فتلقّاه قبل أن يسبق اليه أحدٌ وابنُه يقوده فأخذ الخِطام؛ فقال الأعشى: مَنْ هذا الذى غلبنا على خِطامنا؟ قال: المحلَّق . قال: شريفٌ كريم، ثم سلّمه اليه فأناخه؛ فنحر له ناقته وكشط له عن سَنامها وكَبِدها، ثم سقاه، وأحاطت بناته به يَغْمِزنه ويَمْسَحْنه . فقال: ما هذه الجوارى حَوْلِى؟ قال: بناتُ أخيك وهنّ ثمانٍ شَرِيدتُهن قليلة . قال: وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئا . فلما وافى سوقَ عُكَاظ إذا هو بسَرْحةٍ قد آجتمع الناس عليها وإذا الأعشى يُنْشِدهم:

لعمرى لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ * الى ضوء نار باليَفَاع تَحَرَّقُ
تُشَبُّ لمقرورَيْن يصطليانها * وبات على النار النَّدَى والمُحَلَّقُ
رَضِيعَىْ لِبانٍ ثَدْيِ أُمٍّ تحالفا * بأسْحَمَ(٢) داجٍ عَوْضُ لا نتفرَّقُ

فسلَّم عليه المحلَّق؛ فقال له: مَرْحَبا ياسيِّدى بسيِّد قومه . ونادى: يا معاشر العرب، هل فيكم مِذْكارٌ(٣) يزوِّج آبنه الى الشريف الكريم! . قال: فما قام من مقعده وفيهنّ مخطوبةٌ إلا وقد زوَّجها . وفى أول القصيدة غناء وهو:

صـــوت

أَرِقْتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّقُ * وما بىَ من سُقْمٍ وما بِىَ مَعْشَقُ
ولكن أرانى لا أزال بحادثٍ * أُغادَى بما لم يُمْسِ عندى وأُطْرَقُ

(١) المسوح: جمع مسح وهو كساء من شعر كثوب الرهبان .
(٢) بأسحم داج: قيل المراد به الليل، وقيل سواد حلمة الثدى، وقيل الرحم . وعوض: أبدا . يقول: هو والندى رضعا من ثدى واحد وتحالفا ألا يتفرقا أبدا . (راجع لسان العرب مادة عوض) .
(٣) المذكار: الذى اعتاد أن يلد الذكور .

غنّاه ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحنٌ ليونس من كتابه غيرُ مجنّس . وفيه لابن سُرَيْج ثقيلٌ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو .

اسم المحلق الكلابى وسبب كنيته وسبب اتصاله بالأعشى

أخبرنى أبو العباس اليَزيدىُّ قال حدّثنى عمّى عُبيد الله عن ابن حَبيبَ عن ابن الأعرابىِّ عن المُفَضَّل قال :

اسم المحلّق عبدُ العُزّى[1] بن حَنْتَم بن شَدّاد بن رَبيعة بن عبد الله بن عُبيد وهو أبو بكر بن كِلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصعة . وإنما سُمِّى مُحَلَّقًا لأن حِصانًا له عضّه فى وجنته فحلّق فيه حَلْقة .

قال : وأنْشد الأعشَى قصيدته هذه [كِسْرَى][2] ففسِّرت له ، فلما سمعها قال : إنْ كان هذا سهِر لغير سُقْم ولا عِشْق فما هو إلا لصّ .

وذكر علىّ بن محمد النَّوْفَلىُّ فى خبر المحلّق مع الأعشَى غيرَ هذه الحكايات ، وزعم أن أباه حدّثه عن بعض الكِلابيّين من أهل البادية قال :

كان لأبى المحلّق شَرَفٌ فمات وقد أتلف مالَه ، وبقى المحلّق وثلاثُ أخواتٍ له ولم يترك لهم إلا ناقةً واحدة وحُلَّتَىْ بُرودٍ حِبَرة كان يشهد فيهما الحقوق[3] . فأقبل الأعشى من بعض أسفاره يريد منزلَه باليمامة ، فنزل الماءَ الذى به المحلّق ، فقراه أهلُ الماء فأحسنوا قِراه . فأقبلت عمّة المحلّق فقالت : يا بنَ أخى ! هذا الأعشى قد نزل بمائنا وقد قراه أهلُ الماء ، والعرب تزعم أنه لم يمدَح قومًا إلّا رفعهم ،

(١) فى الأصول : «عبد العزيز بن خيثم» . والتصويب عن شرح القاموس (مادة حلق وحنتم) .

(٢) تكملة عن كتاب الشعر والشعراء . (٣) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : « إلا ناقة واحدة وحلتى برود جيدة كان يسدّ بها الحقوق » وهو تحريف .

ولم يهج قوما إلا وضعهم؛ فآنظر ما أقول لك وآحتل فى زقّ من خمر من عند بعض التّجّار فأرسل اليه بهذه الناقة والزّقّ وبُرْدَىْ أبيك ؛ فوالله لئن اعتلج الكَبِدُ والسّنام والخمرُ فى جوفه ونظر إلى عِطْفيه فى البردين ، ليقولنّ فيك شعرًا يرفعك به . قال : ما أملك غير هذه الناقة، وأنا أتوقّع رِسْلها(١) . فأقبل يدخل ويخرُج ويَهُمّ ولا يفعل ؛ فكلّما دخل على عمّتـه حضّته، حتى دخل عليها فقال : قد ارتحل الرجلُ ومضى . قالت : الآنَ واللهِ أحسنُ ما كان القِرَى ! تُتْبِعه ذلك مع غلام أبيك — مولًى له أسودَ شيخ — فحيثما لحقه أخبره عنك أنك كنت غائبًا عن المـاء عند نزوله إيّاه، وأنّك لمّا وردتَ المـاءَ فعلمتَ أنه كان به كرِهتَ أن يفوتك قِرَاه؛ فإنّ هذا أحسن لموقعه عنده . فلم تزل تحضُّه حتى أتى بعضَ التّجار فكلّمه أن يُقْرِضـه ثمن زقّ خمرٍ وأتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه؛ فوجّه بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيه فخرج يتبعه؛ فكلما مرّ بماء قيل : ارتحل أمس عنه، حتى صار إلى منزل الأعشى بمنفوحة اليمامة فوجد عنده عدّة من الفِتيان قد غدّاهم بغير لحم وصَبَّ لهم فَضِيخا(٢) فهم يشربون منه، إذ قُرِع الباب فقال : آنظروا مَنْ هذا ؟ فخرجوا فإذا رسول المحلّق يقول كذا وكذا . فدخلوا عليـه وقالوا : هـذا رسول المحلّق الكلابىّ أتاك بكيت وكيت . فقال : وَيْحكم ! أعرابىٌّ والذى أرسل إلىّ لا قَدْرَ له ! والله لئن اعتلج الكبدُ والسّنام والخمر فى جوفى لأقولنّ فيه شعرًا لم أقلْ قطُّ مثلَه . فواثبه الفتيان وقالوا : غبتَ عنّا فأطلتَ الغَيْبة ثم أتيناك فلم تُطعمنا لحمًا وسقيتَنا الفَضيخَ واللّحمُ والخمرُ ببابك، لا نرضى بذا منك . فقال : ائذنوا له؛ فدخل فأدّى الرسالة وقد أناخ الجَزُورَ بالباب ووضع الزّقّ والبردين بين يديه . قال: أقْرِه السلامَ وقل له : وصَلَتْك رَحِمٌ، سيأتيك ثناؤنا .

(١) الرسل : اللبن .

(٢) الفضيخ : شراب يتخذ من بسر مفضوخ وهو أن يجعل التمر فى إناء ثم يصب المـاء الحار عليه حتى تستخرج حلاوته .

وقام الفتيانُ الى الجزور فنحروها وشـقُّوا خاصرتَها عن كبدها وجلدَها عن سَنامها ثم جاءوا بهما ، فأقبلوا يَشْوُون ، وصَبُّوا الخمر فشربوا ، وأكل معهم وشرب ولبس البُرْدين ونظر إلى عِطْفيه فيهما فأنشأ يقول :

* أرِقتُ وما هذا السهادُ المؤرِّق *

٥ حتى انتهى الى قوله :

أبَا مِسْـمَعٍ سار الذى قد فعلـتُمُ * فأنجـد أقـوامٌ به ثم أعْرَقوا (١)

به تُعْقَـد الأحمالُ فى كلِّ مـنزلٍ * وتُعْقَد أطرافُ الحبالِ وتُطْـلَق (٢)

قال : فسار الشِّعر وشاع فى العرب . فما أتتْ على المحلَّق سـنةٌ حتى زَوّج أخواته الثلاثَ كلَّ واحدة على مائة ناقة ، فأيْسر وشَرُف .

١٠ وذكر الهَيْثم بن عَدِىّ عن حَمّاد الراوية عن مَعْقِل عن أبى بكر الهِلَالىّ قال : خرج الأعشى الى اليمن يريد قيسَ بن معديكرب ، فمرّ ببنى كِلاب ، فأصابه مطرٌ فى ليلة ظَلْمـاء ، فأوَى الى فتًى من بنى بكر بن كِلاب ، فبصُر به المحلَّق وهـو [عبد العُزّى بن] حَنْتَم بن شَدّاد بن رَبيعة بن عبد الله بن عُبَيد بن كِلاب وهو يومئذ غلامٌ له ذُؤابة ، فأتى أُمَّه فقال : يا أُمَّهْ ! رأيت رجلًا أخلِق به أن يَكْسِبَنا مجدًا .

١٥ قالت : وما تريد يا بُنَىّ ؟ قال : تَضيفه اللّيلةَ . فأعطتْه جِلْبابَها فاشترَى به عَشِيرًا (٣) من جَزُور وخمرًا ، فأتى الأعشَى ، فأخذه اليه ، فطعِم وشرِب واصطلى ، ثم اصطبح فقال فيه :

٨٢/٨

(١) أعرقوا : أتوا العراق . (٢) الرواية فى تجريد الأغانى :

به توضـع الأحلاس فى كل منزل * وتعقـد أطراف النسوع وتطلق

٢٠ والأحلاس : جمع حلس وهو كل شىء ولى ظهر الدابة والبعير تحت الرحل والسرج والقتب .

(٣) العشير : جزء من عشرة أجزاء كالعشر .

* أرِقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّق *

والرواية الأولى أصحّ .

سألته امرأة أن يشبب ببناتها فشبب بهنّ فزوّجن

أخبرنى أحمد بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن نُعَيم قال حدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز عن الأصمعىّ قال حدّثنى رجلٌ قال :

جاءت امرأةٌ الى الأعشى فقالت : إنّ لى بناتٍ قد كَسَدن علىّ ، فشبِّبْ بواحدة منهنّ لعلها أن تَنْفُق . فشبَّبَ بواحدة منهنّ ، فما شعَر الأعشى إلا بجزور (١) قد بُعِث به اليه . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : زُوّجتْ فلانةُ . فشبّبَ بالأخرى فأتاه مثلُ ذلك ، فسأل عنها فقيل : زُوّجتْ . فما زال يُشبِّب بواحدة فواحدة منهنّ حتى زُوِّجنَ جميعا .

أسره رجل من كلب كان قد هجاه فاستوهبه منه شريح بن السموءل

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنا يحيى بن أبى سَعيد الأموىّ عن محمد بن السائب الكلبىّ قال :

هجا الأعشى رجلًا من كَلْب فقال :

بنو الشهرِ الحرامِ فلستَ منهم * ولستَ من الكرام بنى عُبَيْدِ

ولا من رَهْط جبّارِ بن قُرْطٍ * ولا من رَهْط حارثةَ بن زيد

— قال : وهؤلاء كلُّهم من كلب — فقال الكلبىّ : لا أبا لك ! أنا أشرف من هؤلاء . قال : فسبّه الناس بعدُ بهجاء الأعشى إيّاه ، وكان متغيّظا عليه . فأغار على قوم قد بات فيهم الأعشى فأسَر منهم نَفَرًا وأسر الأعشى وهو لا يعرفه ، ثم جاء حتى نزل بشُرَيْح ابن السموءل بن عَادِياء الغَسّانىّ صاحب تَيْمَاءَ بحِصْنه الذى يقال له الأَبْلَق . فمرّ شُرَيْحٌ بالأعشى ، فناداه الأعشى :

(١) الجزور يقع على الذكر والأنثى .

شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنِّى بعد ما عَلِقَتْ * حبالَك اليومَ بعد القِدّ أظفارى
قد جُلْتُ ما بين بانِقْيا(١) إلى عَدَنٍ * وطال فى العُجْمِ تَرْدادِى وتَسْيارِى
فكان أكرمَهم عهدًا وأوثقهم * مجدًا أبوك بعُرْفٍ غيرِ إنكار
كالغيث ما آستمطروه جاد وابلُه * وفى الشدائد كالمُستأسِد الضارى
كُنْ كالسموءل إذ طاف الهُمَامُ به * فى جَحْفَلٍ كهَزِيع الليل جَرّار
إذ سامه خُطَّتَىْ خَسْفٍ فقال له * قل ما تشاء فإنى سامعٌ حارِ(٢)
فقال غَدْرٌ وثُكْلٌ أنتَ بينهما * فآخْتَرْ وما فيهما حَظٌّ لمختار
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له * اُقْتُلْ أسيرَك إنّى مانعٌ جارى
وسوف يُعْقِبُنِيه إن ظَفِرتَ به * ربٌّ كريمٌ وبِيضٌ ذاتُ أطهار
لا سِرُّهنّ لدينا ذاهبٌ هَدَرًا * وحافظاتٌ إذا استُودِعْنَ أسرارى
فاختار أدراعَه كى لا يُسَبَّ بها * ولم يكن وعدُه فيها بختّار

ـــ قال : وكان آمرؤ القيس بن حُجْر أودع السموءل بن عادياء أدراعًا مائةً ، فأتاه الحارث بن ظالم ـــ ويقال الحارث بن أبى شَمِر الغَسّانى ـــ ليأخذها منه ، فتحصّن منه السموءل ؛ فأخذ الحارث ابنًا له غلامًا وكان فى الصيد ، فقال : إمّا أنْ سلّمتَ الأدراعَ إلىّ وإمّا أنْ قتلتُ آبنَك . فأبى السموءلُ أن يُسلِم اليه الأدراع ؛ فضرب الحارثُ وَسْطَ الغلام بالسيف فقطّعه قطعتين . فيقال : إن جريرا حين قال للفرزدق :

بسيفِ أبى رَغْوانَ(٣) سيفِ مُجَاشِعٍ * ضربتَ ولم تَضْرِب بسيف آبن ظالم

إنما عنى هذه الضربةَ . فقال السموءل فى ذلك :

وَفَيْتُ بذمّة الكِنْدىّ إنّى * إذا ما ذُمّ أقوامٌ وَفَيْتُ

(١) بانقيا : ناحية من نواحى الكوفة . (٢) حارأى يا حارث .

(٣) أبو رغوان : لقب مجاشع ، وهو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة .

وأوصى عَادِيَا يــومًا بأن لا * تُهــدِّم يا سمــوءَلُ ما بَنَيْتُ
بَنَى لى عَادِيَا حِصْــنًا حَصِينًا * وماءً كلَّما شئتُ استقيتُ

ـــ قال : فجاء شُرَيح الى الكلبىّ فقال له : هَبْ لى هذا الأسيرَ المضرور . فقال : هو لك، فأطلقه . وقال: أقم عندى حتى أُكْرِمَك وأَحْبُوَكَ . فقال له الأعشى: إنّ من تمام صنيعتك أن تُعطينى ناقةً نَجِيبة وتُخَلِّيَنى الساعةَ . قال : فأعطاه ناقةً فركبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبىَّ أنّ الذى وَهَب لشُرَيح هو الأعشى . فأرسل إلى شُرَيح: ابعثْ إلىّ الأسير الذى وهبتُ لك حتى أَحْبُوَه وأُعطيَه . فقال: قد مضى . فأرسل الكلبىُّ فى أثره فلم يَلْحَقه .

مدح عامر بن الطفيل وهجا علقمة ابن علاثة

حدّثنا ابن عُلَاثَةَ عن محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنا يحيى بن سعيد بن يحيى الأموىّ عن محمد بن السائب قال :

أتى الأعشى الأسودَ العَنْسِىَّ[1] وقد امتدحه فاستبطأ جائزته . فقال الأسود: ليس عندنا عينٌ ولكن نُعطيك عَرَضًا، فأعطاه خمسمائة مثقال دُهْنا وبخمسمائة حُلَلاً وعَنْبَرا . فلمّا مرّ ببلاد بنى عامر خافهم على ما معه، فأتى عَلْقَمَةَ[2] بن عُلَاثَةَ فقال له : أَجِرْنى ؛ فقال : قد أجرتُك . قال : من الجنّ والإنس؟ قال نعم . قال : ومن الموت؟ قال لا . فأتى عامرَ بن الطُّفَيْل فقال : أَجِرْنِى؛ قال : قد أجرتُك . قال : من الجنّ

(١) هو عبهلة بن كعب بن غوث يلقب ذا الخمار، خرج بعد حجة الوداع فى عامة مذحج وادعى النبوّة وكان كاهنا شعباذا (مشعوذا) وكان يريهم الأعاجيب ويسبى قلوب من سمع منطقه، قتله فيروز وداذويه وقيس غيلة . (انظر تاريخ الطبرى ق ١ ص ١٧٩٥ — ١٧٩٨، ١٨٥٣ — ١٨٧٠) .

(٢) هو علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، أسلم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ثم ارتد بعد فتح الطائف وخرج حتى لحق بالشام ثم أسلم أيام أبى بكر رضى الله عنه . (الطبرى ق ١ ص ١٨٩٩ — ١٩٠٠) .

والإنس؟ قال نعم . قال : ومن الموت؟ قال نعم . قال : وكيف تُجيرنى من الموت؟ قال : إنْ متَّ وأنت فى جوارى بعثتُ إلى أهلك الدِّيَة . فقال : الآن علمتُ أنك قد أجرتَنى من الموت . فمدح عامرًا وهجا عَلْقمة . فقال علقمة : لو علمتُ الذى أراد كنتُ أعطيته إيّاه .

٥ قال الكلبىّ : ولم يهج علقمة بشىء أشدّ عليه من قوله :

تَبِيتُون فى المَشْتَى مِلاءً بطونُكم * وجاراتُكم غَرْثَى يَبِتْنَ خمائصَا

فرفع علقمة يديه وقال : لعنه الله! إن كان كاذبا! أنحن نفعل هذا بجاراتنا! . وأخبار الأعشى وعَلْقمة وعامر تأتى مشروحةً فى خبر مُنَافرتهما إن شاء الله تعالى .

تزوّج امرأة من عنزة ثم طلقها وقال فيها شعرا

أخبرنى محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنى عمّى عُبَيْد الله قال حدّثنى محمد ١٠ ابن حبيب عن ابن الأعرابىّ عن المفضَّل وغيره من أصحابه :

أنّ الأعشى تزوّج امرأة من عَنَزَة ثم من هِزَّان — قال : وعَنَزة هو ابن أسد ابن رَبيعة بن نِزَار — فلم يَرْضَها ولم يستحسن خُلقها، فطلّقها وقال فيها :

بِينِى حَصَانَ الفَرْجِ غيرَ ذَميمةٍ * وموموقةً فينا كذاكِ وو امقَهْ

وذُوقِى فتى قــومٍ فإنِّىَ ذائقٌ * فتاةَ أُناسٍ مثلَ ما أنتِ ذائقَه

١٥ لقد كان فى فِتْيانِ قومِكِ مَنْكَحٌ * وشُبّانِ هِزَّانَ الطِّوالِ الغَرَانِقَه

فبِينِى فإنّ البَيْن خيرٌ من العصا * وإلّا تَرَىْ لى فوق رأسك بارقه

وماذاك عندى ان تكونى دنيئةً * ولا أن تكونى جئتِ عندى ببائقه

ويا جارتا بِينِى فإنّك طالقـه * كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارقه

٨٤/٨

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا ٢٠ الحسين بن إبراهيم بن الحُرّ قال حدّثنا المُبَارَك بن سَعيد عن سُفْيان الثَّوْرىّ قال :

طلاقُ الجاهلية طلاقٌ . كانت عند الأعشى امرأة فأتاها قومُها فضربوه وقالوا : طلِّقها فقال :

أيا جارتَا بِينِى فإنّك طالقَهْ * كذاك أمورُ النّاس غادٍ وطارقهْ

وذكر باقىَ الأبيات مثلَ ما تقدّم .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث قال حدّثنا عثمان البَرْقِىُّ فى إسناد له قال : ٥

أخذ قومُ الأعشى فقالوا له : طلّق امرأتك ؛ فقال :

أيا جارتا بِينِى فإنّك طالقهْ * كذاك أمور الناس غادٍ وطارقهْ

ثم ذكر نحوَ الخبر الذى قبله على ما قدّمناه .

فى هذه الأبيات غناء نسبته : ١٠

صوت

فبِينِى فإنّ البينَ خيرٌ من العصا * وإلّا تَرَىْ لى فوق رأسِك بارقهْ

وما ذاك عندى أن تكونى دنيئةً * ولا أن تكونى جئتِ عندى ببائقه

ويا جارتا بِينى فإنّكِ طالقه * كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارقه

الشعر للأعشى . والغناء للهُذَلِىِّ خفيفُ ثقيلٍ مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق . ١٥ وفيه لابن جامع ثانى ثقيلٍ بالبنصر عن الهشامىّ . قال الهشامىُّ : وفيه لفُلَيح خفيفُ ثقيل بالوسطى لا يُشَكّ فيه من غِنائه . وذكر حَبَشٌ أن الثقيل الثانىَ لابن سُرَيج . وذكر عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنّ الخفيفَ الثانىَ المنسوبَ إلى فُلَيح لأبيه عبد الله بن طاهر . وهذا الصوت يُغَنَّى فى هذا الزمان على ما سمعناه :

أيا جارتا دُومِى فإنك صادقَهْ * وموموقةٌ فينا كذاك ووامِقهْ ٢٠

ولم نفترق أنْ كنتِ فينا دنيئةً * ولا أن تكونى جئتِ عندى ببائقه

وأحسبه غُيِّر فى دُور الطاهريّة على هذا .

فخر الأخطل بشعر له فى الخمر فرد عليه الشعبي بشعره

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى سَوّار بن أبى شُرَاعة قال حدّثنى أبى عن مسعود بن بِشْر عن أبى عُبَيْدة قال :

٥ دخل الأخطل على عبد الملك بن مَرْوان وقد شرب خمرًا وتضمّخ بِلَخَالِخ(١) وخَلُوق وعنده الشَّعْبىّ . فلما رآه قال : ياشعبىّ ، ناك الأخطلُ أمّهاتِ الشعراء جميعا . فقال له الشعبىّ : بأىّ شىء ؟ قال حين يقول :

وتظلُّ تَنْصُفُنا(٢) بها قَرَوِيّةٌ * إبريقُها برقاعِه(٣) ملثومُ

فاذا تعاورتِ الأكُفُّ زُجَاجَها * نَفَحتْ فشَمَّ رياحَها المزكومُ

١٠ فقال الأخطل(٤) : سمعتَ بمثل هذا ياشعبىّ ؟ ! قال : إن أمِنْتُك قلتُ لك . قال : أنت آمن . فقلت له : أشعرُ والله منك الذى يقول :

وأدْكَنَ(٥) عاتِقٍ جَحْلٍ رِبَحْلٍ * صَبَحتُ براحِه شَرْبًا كِرَاما

من اللائى حُمِلن على المَطَايَا * كريح المسك تستلّ الزُّكاما

فقال الأخطل : وَيْحَك ! ومن يقول هذا ؟ قلت : الأعشى أعشى بنى قيس بن ثَعْلبة . فقال : قُدّوس قُدّوس ! ناك الأعشى أُمّهاتِ الشعراء جميعا وحقِّ الصليب ! . ١٥

٨٥/٨

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا أبو غَسّان دَمَاذ عن أبى عُبيدة والهَيْثَم بن عَدِىّ ، وحدّثنى الصُّولىُّ قال حدّثنى الغَلَابىّ عن العُتْبىّ عن أبيه ، وذكر

---

(١) لخالخ : جمع لخلخة وهى ضرب من الطيب . (٢) تنصفنا : تخدمنا .

(٣) فى ديوان الأخطل : « برقاعها » . (٤) السياق مستغن عنها . (٥) الأدكن : الضارب الى السواد . والعاتق : القديم . والجحل (بالفتح وتقديم الجيم على الحاء) : السقاء الواسع . وقد وردت هذه الكلمة فى الأصول بتقديم الحاء على الجيم وهو تصحيف . والربحل : الضخم . ٢٠

هارون بن الزيّات عن حمّاد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن سعيد الضّبّىّ،
قالوا جميعا :

قدِم الأخطل الكوفةَ، فأتاه الشعبىّ يسمع من شعره . قال : فوجدته يتغدّى،
فدعانى أتغدّى فأبيته، فوُضع الشراب فدعانى اليه فأبيته . فقال ما حاجتُك؟ قلت :
أحِبّ أن أسمع من شعرك؛ فأنشدنى قوله : ٥

* صَرمتْ أُمامةُ حبلَنا ورَءُومُ *

حتى انتهى إلى قوله :

فاذا تعاورت الأكُفُّ خِتامَها * نَفَحتْ فشَمّ رياحَها المزكومُ

فقال : يا شَعْبىّ، ناك الأخطل أمّهاتِ الشعراء بهذا البيت . قلت : الأعشى
أشعر منك يا أبا مالك . قال : وكيف؟ قلت : لأنه قال : ١٠

منْ خمر عانةَ قد أتى لختامها * حَوْلٌ تَسُلّ غُمامةَ[1] المزكومِ

فضرب بالكأس الأرضَ وقال : هو والمسيح أشعرُ منّى! ناك والله الأعشى أمّهات
الشعراء إلّا أنا .

مدح سلامة ذا فائش فأجازه

حدّثنى وكيع قال حدّثنى محمد بن إسحاق المَعْوَلىّ عن إسحاق الموصلىّ عن الهَيْثَم
ابن عَدِىّ عن حمّاد الراوية عن سِماك بن حَرْب قال : ١٥

قال الأعشى :
أتيتُ سَلَامةَ[2] ذا فائش فأطلت المُقامَ ببابه حتى وصلت اليه، فأنشدتُه :

---

(١) الغمام : كزكام وزنا ومعنى . (٢) هو سلامة بن يزيد بن مرة اليحصبى أحد ملوك
اليمن ، وقد مدحه الأعشى . وقال هشام بن محمد الكلبى : الأعشى مدح سلامة الأصغر وهو سلامة بن يزيد
ابن سلامة ذى فائش . (راجع القاموس وشرحه مادة فيش) . ٢٠

إنّ مَحَلًّا وإن مُرْتَحَلًا * وإنّ فى السَّفْرِ من مَضَى مَهَلًا(١)

استأثر اللهُ بالوفاء وبالـ * ـعَدْل وولَّى المَلامةَ الرجلا

الشعرُ قلّدته سلامةَ ذا * فائش والشيءُ حيث ما جُعلا

فقال : صدقتَ ، الشيء حيث ما جُعل ؛ وأمر لى بمائة من الإبل وكسانى حُللا وأعطانى كَرِشًا مدبوغةً مملوءةً عنبرا وقال : إياك أن تُخدع عما فيها . فأتيت الحِيرةَ فبعتُها بثلثمائة ناقة حمراء .

أراد أن يفد على النبي ليسلم فردته قريش بجائزة فعثر به بعيره فمات

أخبرنى حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال قال هشام بن القاسم الغَنَويّ وكان عَلّامةً بأمر الأعشى :

إنه وفد إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وقد مدحه بقصيدته التى أولها :

ألم تَغْتَمِضْ عيناكَ ليلةَ أَرْمَدَا * وعادكَ ما عاد السَّليمَ المُسَهَّدَا(٢)

وما ذاك من عشق النساء وإنما * تناسيتَ قبل اليوم خُلَّةَ مَهْدَدَا(٣)

وفيها يقول لناقته :

فآليتُ لا أَرْثِى لها من كَلالةٍ * ولا من حَفًا حتى تَزُورَ محمدا

نبيٌّ يَرى ما لا تَرَوْن وذكرُه * أغارَ لعَمْرِى فى البلاد وأَنْجدا

متى ما تُناخِى عند باب ابن هاشم * تُراحِى وتَلْقَىْ من فَوَاضِله يدا

فبلغ خبرُه قريشًا فرصَدوه على طريقه وقالوا : هذا صَنَّاجةُ العرب ، ما مدح أحدًا قَطُّ إلّا رَفع فى قدره . فلما ورد عليهم قالوا له : أين أردت يا أبا بَصير ؟ قال :

٨٦/٨

(١) رواية تلخيص المفتاح التى كتب عليها شارحوه : « وإن فى السفراذ مضوا مهلا » . والمحل والمرتحل مصدران ميميان ، والخبر محذوف . أى إن لنا فى الدنيا حلولا وإن لنا عنها ارتحالا . والسفر : اسم جمع لسافر بمعنى مسافر . والمهل (بفتح الميم والهاء) : مصدر بمعنى الإمهال وطول الغيبة .

(٢) فى السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٥٥ طبع أوربا) « وبت كما بات السليم مسهدا » .

(٣) مهدد : معشوقة الأعشى .

أردتُ صاحبَكم هذا لأسلِم . قالوا : إنه ينهاك عن خلال ويحرّمها عليك ، وكلّها بك رافق ولك موافق . قال : وما هنّ؟ فقال أبو سفيانَ بنُ حرب : الزِّنا . قال : لقد تركني الزّنا وما تركته ؛ ثم ماذا ؟ قال : القِمار . قال : لعلّي إن لَقيتُه أن أصيبَ منه عِوَضًا من القِمار ؛ ثم ماذا ؟ قالوا : الرِّبا . قال : ما دِنْتُ ولا أَدَنْتُ ؛ ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر . قال : أَوّهْ ! أَرْجِع الى صُبَابةٍ قد بقيتْ لى فى المِهْراس(١) فأشربُها . فقال له أبو سفيان : هل لك فى خير مما هممتَ به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن وهو الآنَ فى هُــدْنة ، فتأخذ مائة من الإبل وترجع الى بلدك سَنَتك هــذه وتنظُر ما يصير اليه أمرنا ، فإن ظهرنا عليه كنتَ قد أخذت خَلَفًا ، وإن ظهر علينا أتيتَه . فقال : ما أكره ذلك . فقال أبو سفيان : يا معشر قريش ، هــذا الأعشى ! والله لئن أتى محمدا واتّبعه ليُضرمنّ عليكم نيرانَ العرب بشعره ، فاجمعوا له مائةً من الإبل ، ففعلوا ، فأخذها وانطلق الى بلده . فلما كان بقاع منفوحةَ(٢) رمَى به بعيرُه فقتله .

قبره بمنفوحة يتنادم عليه الفتيان

أخبرني يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن أبى حَفْصــة قال : قبر الأعشى بمَنْفُوحةَ وأنا رأيته ، فإذا أراد الفِتيانُ أن يشربوا خرجوا الى قبره فشربوا عنده وصبّوا عنده فَضَلاتِ الأقداح .

أخبرني أبو الحسن الأَسَدىّ قال حدّثنا علىّ بن سليمان النَّوْفَلى قال حدّثنا أبى قال : أتيت اليمامة واليًا عليها ، فمررتُ بمنفوحةَ وهى منزل الأعشى التى يقول فيها :

بشَطِّ منفوحةَ فالحاجرِ

فقلت : أهــذه قرية الأعشى ؟ قالوا نعم . فقلت : أين منزله ؟ قالوا : ذاك وأشاروا اليــه . قلت : فأين قــبره ؟ قالوا : بفِناء بيته . فعدلت اليــه بالجيش

(١) المهراس : حجر منقور يسع كثيرا من الماء . (٢) منفوحة : قرية مشهورة من نواحى اليمامة .

فانتهيت الى قبره فاذا هو رَطْبٌ، فقلت: مالى أراه رطبًا ؟ فقالوا : إن الفتيان ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم، فإذا صار اليه القدح صَبُّوه عليه لقوله : "أرجِعْ الى اليمامة فأشبَع من الأطيبَيْن الزنا والخمر" .

صوت معبد المسمى بالدوامة فى شعره

وأخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا الأُطْروش بن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه :

أنّ ابن عائشة غنّى يومًا :

* هُرَيْرَةَ ودِّعها وإن لام لائمُ *

فأعجبتْه نفسه ورآه ينظر فى أعطافه . فقيل له : لقد أصبحتَ اليومَ تائهًا ! فقال : وما يمنعنى من ذلك وقد أخذتُ عن أبى عَبّاد معبدٍ أحد عشر صوتا منها :

* هريرةَ ودِّعها وإن لام لائم *

وأبو عَبّاد مغنّى أهل المدينة وإمامُهم ! .

قال : وكان مَعْبد يقول والله لقد صنعت صوتًا لا يَقْدِر أن يغنّيه شبعانٌ ممتلئٌ، ولا يقدر متكئٌ على أن يُغَنّيه حتى يَجْثُوَ، ولا قائم حتى يقعُد . قيل : وما هو يا أبا عَبّاد ؟ قال إسحاق فأخبرنى بذاك محمد بن سَلّام الجُمَحِىّ أنه بلغه أن معبدا قاله . وأخبرنى بهذا الخبر اسماعيل بن يونس الشِّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غَسّان محمد بن يحيى قال: قال معبد: والله لأُغنّين صوتًا لا يغنّيه مهموم ولا شبعانٌ ولا حاملُ حِمْلٍ، ثم غنّى :

ولقد قلتُ والضمـ * ـيرُ كثيرُ البلابِلِ
ليت شعرى تمنّيًا * والمُنَى غيرُ طائل
هل رسولٌ مبلّغ * فيُؤدِّى رسائلى

٨٧/٨ لحنُ معبد هذا خفيفُ ثقيل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق و يونس . وفيه ثقيلٌ أوّلُ ينسب اليه أيضا، ويقال : إنه لأهل مكة .

صوت معبد المسمى بالمنمنم

ومنها الصوت المسمّى بالمُنَمْنَمِ .

صـــوت

هاجَ ذا القلبَ من تَذَكُّرِ جُمْلٍ * ما يَهِيجُ[1] المتيَّمَ المحـزونا
إذ تراءتْ على البَـلَاطِ فلمّـا * واجهتْنا كالشمس تُعْشِى العيونا
ليــلةَ السبت إذ نظرتُ اليها * نظـرةً زادت الفـؤادَ جنونا

الشعر لإسماعيلَ بنِ يَسَار، والغناء لمَعْبِدٍ ثقيل أوّل بالوسطى . وفيه لدَحْمانَ ثانى ثقيل بالبنصر، ذكر الهشامىّ أنه لا يُشَكّ فيه من غنائه . وقد مضت أخبار إسماعيل بن يسار فى المائة المختارة فاستُغْنِى عن إعادتها هاهنا .

صوت معبد المسمى بمقصات القرون

صـــوت

آمن آل لَيْـلَى بالمَـلَا مُتَرَبَّعُ * كما لاح وَشْمٌ فى الذراع مُرَجَّعُ
سأَتْبَعُ لَيْلَى حيث سارت وخيَّمتْ * وما الناسُ إلا آلِفٌ ومُوَدِّعُ

الشعر لعمرو بن سعيد بن زيد، وقيل : إنه للمجنون وإنّ مع هذين البيتين أُخَرَ وهى :

وقفتُ لليلَى بعد عشرين حِجّةً * بمـنزلةٍ فانهلّتِ العينُ تَدْمَعُ
فأمرضَ قلبى حبُّها وطِلَابُهـا * فيا آلَ ليلَى دعوةً كيف أَصْنَعُ
سأتبع ليلى حيث حلّت وخيّمتْ * وما النـاسُ إلا آلِفٌ ومودّع
كأنّ زِمامًا فى الفـؤاد معلّقًا * تَقُود به حيث استمرّتْ وأَتْبَعُ

(١) فى الأصول : « ما يهيم المتيم المحزونا » . وهو لا يستقيم لغة . وورد فى صدر البيت مما يرجح ما أثبتناه .

والغناء لمَعْبد خَفيفُ ثقيـلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى . وقد ذكر حمّـاد بن إسحاق عن أبيه أن هذا الصوت منحول الى معبد وأنه مما يُشبه غناءه . وذكر ابن الكلبيّ عن محمد بن يزيد أن معبدًا أخذ لحن سائب خاثر فى :

* أفاطمُ مهلًا بعضَ هذا التدلُّل *

٥ فغنّى فيـــه :

* أمن آلِ ليــلَى بالمَـلَا متربَّعُ *

نسب عمرو بن[1] سعيد بن زيد وأخباره

نسبه ، وشيء عن أبيه سعيد بن زيد

هو عمرو بن سَعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رِياح[2] بن عبد الله بن قُرْط[3] بن رَزَاح بن عَدِىّ بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب . وسعيد بن زيد يُكْنَى أبا الأعور ، وهو أحد العشرة الذين كانوا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم على حِرَاء فرجَف بهم ، فقال : "اثْبُتْ حِرَاءُ[4] فليس عليك إلّا نبىٌّ أو صِدّيق أو شهيد" .

* * *

معبد وابن عائشة فى حضرة الوليد ابن يزيد

أخبرنى ابن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى أبى قال حدّثنى الهَيْثَم بن سُفْيان عن أبى مِسْكين قال :

جلس الوليد بن يزيد يومًا للمغنِّين وكانوا متوافرين عنده وفيهم مَعْبَد وابن عائشة ؛ فقال لابن عائشة : يا محمد . قال : لَبَّيْك يا أمير المؤمنين . قال : إنّى قد قلت شعرًا فغَنِّ فيه . قال وما هو؟ فأنشده إيّاه ، وترنّم به محمد ثم غنّاه فأحسن ، وهو :

---

(١) لم يورد المؤلف شيئا من أخبار عمرو بن سعيد غير هذه الأسطر وكل ما يأتى بعد ليس مرتبطا به فلعل هاهنا خرما . (٢) كذا فى طبقات ابن سعد (ج ٣ ص ١٩٠) وكتاب المعارف لابن قتيبة . وفى الأصول : « رباح » بالباء الموحدة . وقد ورد هذا النسب فى المعارف لابن قتيبة هكذا « عبد العزى بن قرط بن رياح بن عبد الله بن رزاح ... الخ » . (٣) كذا فى ا وطبقات ابن سعد والمعارف لابن قتيبة . وفى الأصول «قرظ» بالظاء المعجمة وهو تصحيف . (٤) فى شرح القسطلانى على صحيح البخارى (ج ٦ ص ١١٤ — ١١٥) « أن أنس بن مالك رضى الله عنه حدثهم أن النبى صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال : اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان » . وقد جاء فى سنن الترمذى وسنن أبى داود كما جاء فى الأصل .

٨٨/٨

صـــوت

عَـــلِّلانى وآسـقيانِى * من شرابٍ أصْبهَانِى
من شرابِ الشيخ كِسْرَى * أو شـراب القَيْرَوانِ
إنّ فى الكأس لَمِسْكًا * أو بكفَّىْ مَنْ سَقانِى
او لقــد غُــودِرَ فيهــا * حين صُبَّت فى الدِّنانِ
كَلِّلانِى تَـوِّجانِى * وبشِـعرى غَنِّيانى
أطْلِقـانى بـوَثاقِى * وآشْـدُدَانى بعِنانى
إنّمـا الـكأسُ ربيـعٌ * يُتَعـاطَى بالبَنَـانِ
وحُمَيَّا الكأسِ دَبَّتْ * بين رِجْـلِى ولِسانى

١٠ ــ الغِناء لابن عائشة هَزَجٌ بالبنصر من رواية حَبَش ــ قال : فأجاد ابن عائشـة واستحسن غناءَه مَنْ حضَر، فالتفت الى مَعْبـد فقال : كيف ترى يا أبا عَبّاد ؟ فقال له معبد : شِنْتَ غناءَك بصَلَفِك . قال ابن عائشـة : يا أحول ! والله لولا أنّك شيخُنا وأنّك فى مجلس أمير المؤمنين لأعلمتك مَنِ الشائنُ لغنائه أنا بصَلَفى أم أنت بقبح وجهك . وفطَن الوليدُ بحركتهما فقال : ما هـذا ؟ فقال : خيرًا يا أمير

١٥ المؤمنين، لحنٌ كان مَعْبـدٌ طارَحنِيه فأُنْسِيتُه فسألته عنه لأغنِّىَ فيـه أميرَ المؤمنين . فقال وما هو؟ قال :

أمِنْ آلِ ليـلى بالمَلَا مُتَرَبَّعُ * كما لاح وشمٌ فى الذِّراع مُرَجَّـعُ

فقال : هاتِ يا مَعْبد، فغنّاه إيّاه، فاستحسنه الوليد وقال: أنت والله سيِّد مَنْ غنَّى. وهذا الخبر أيضا مما يدلّ على أن ما ذكره حَمّاد من أنّ هـذا الصوت منحول لمعبد

٢٠ لا حقيقة له .

أحمد بن أبى العلاء يغنى المعتضد بشعر الوليد فيجيزه

أخبرنى محمد بن إبراهيم قُرَيْض قال حدّثنى أحمد بن أبى العَلَاء المغنِّى قال : غنّيتُ المعتضدَ صوتاً فى شعر له ثم أتبعتُه بشعر الوليد بن يزيد :

كَلِّلانِى تَوِّجانِى * وبشِعْرِى غنِّيانِى

فقال : أحسن والله ! هكذا تقول الملوك المُتْرَفون ، وهكذا يطرَبون ، وبمثل هذا يُشِيرون ، وإليه يرتاحون ! أحسنتَ يا أحمد الاختيار لِما شاكل الحالَ ، وأحسنتَ الغناء ، أعدْ ، فأعدته ، فأمر لى بعشرة آلاف درهم وشرب رطلاً ثم استعاده فأعدتُه ، وفعل مثل ذلك حتى استعاده ستّ مرّات وشرب ستّة أرطال وأمر لى بعشرة آلاف درهم — وقال مرةً أخرى بستمائة دينار — ثم سكر . وما رُئى قبل ذلك ولا بعده أعطى مغنّياً هذه العطيّة . وفى الخبر زيادة وقد ذكرته فى موضع آخر يصلُح له .

وقد ذكر محمد بن الحسن الكاتب عن أحمدَ بن سهل النُّوشَجانى أنه حضر أحمدَ ابن أبى العلاء وقد غنّى المعتضدَ هذا الصوتَ فى هذا المجلس وأمر له بهذا المال بعينه ولم يشرح القصّة كما شرحها أحمد .

صوت معبد المسمى بالمتبختر

ومنها صوت وهو المتبختِر

جعَل الله جعفرًا لكِ بَعْلًا * وشفاءً من حادث الأَوْصابِ

إذ تقولين للوَليدة قُومِى * فانظُرى مَنْ تَرَيْنَ بالأبواب

$\frac{89}{8}$

الشعر للأحوص . والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر . وذكر حمّاد عن أبيه فى كتاب مَعْبد أنه منحول إلى معبد وأنه لكَرْدَم .

صوت معبد المسمى مقطع الأثفار

صـــوت

وهو المسمى مُقَطِّع الأثْفار

ضــوءُ نارٍ بدا لعينك أم شَبْ * بـتْ بذى الأَثْلِ من سَلامةَ نارُ

تلك بين الرِّيَاضِ والأَثْلِ والبا * نات منّا ومن سَلامةَ دارُ

وكذاك الزمانُ يذهبُ بالنا * سِ وتَبْــقى الرُّســومُ والآثارُ

الشعر للأحوص . والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر يونس أن فيه صوتين لمعبد وعمر الوادىّ رَمَلٌ عن الهشامىّ . وفيه لعبد الله بن العبّاس خفيفُ رمل بالوسطى .

الأحوص وموسى شهوات

٥ أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عمّى قال :

مدَح موسى شَهَوات أبا بكر بن عبد العزيز بن مَرْوان بقصيدةٍ أحسن فيها وأجاد وقال فيها :

وكذاك الزمانُ يذهب بالنا * س وتَبْــقى الديارُ والآثارُ

فقام الأحوص ودخل منزلَه وقال قصيدةً مدح فيها أبا بكر بن عبد العزيز أيضا وأتى ١٠ فيها بهذا البيت بعينه وخرج فأنشدها . فقال له موسى شهوات : ما رأيت يا أحوصُ مثلَك ! قلتُ قصيدةً مدحتُ فيها الأمير فسرقتَ أجودَ بيت فيها وجعلتَه فى قصيدتك . فقال له الأحوص : ليس الأمر كما ذكرتَ ، ولا البيت لى ولا لك ، هو للَبِيد سرقناه جميعا منه ، إنما ذكر لبيدٌ قومَه فقال :

فعفا آخرُ الزمانِ عليهم * فَعلى آخرِ الزمانِ الدَّبارُ[1]

١٥ وكذاك الزمانُ يذهب بالنا * سِ وتبقى الرُّســوم والآثارُ

قال : فسكت موسى شهوات فلم يُحِرْ جوابًا كأنما أُلْقمه حَجَرًا .

حديث سلامة مع الأحوص وعبد الرحمن بن حسان وهو كما يرى أبو الفرج موضوع

ونسخت من كتاب أحمد بن سَعيد الدِّمَشقى خبرَ الأحوص مع سَلّامةَ التى ذكرها فى هذا الشعر وهو موضوع لا أشكُّ فيه لأن شعره المنسوب إلى الأحوص شعر ساقطٌ سخيفٌ لا يشبه نَمَطَ الأحوص ، والتوليدُ بيِّن فيه يشهد على أنه مُحْدَث .

٢٠ (١) الدبار : الهلاك .

والقصّة أيضا باطلةٌ لا أصل لها، ولكنّى ذكرتُه فى موضعه على ما فيه من سوء العهدة.

قال حدّثنا الزُّبير بنُ بكّار قال حدّثنى أبو محمد الجَزَرىّ قال :

كانت بالمدينة سلامةُ من أحسن الناس وجهًا وأتمّهن عقلاً وأحسنهن حديثا قد قرأت القرآنَ وروت الأشعارَ وقالت الشعر، وكان عبد الرحمن بن حسّان والأحوصُ بن محمد يختلفان إليها فيروّيانها الشعرَ ويُناشدانها إيّاه. فعَلِقَتِ الأحوصَ وصدّت عن عبد الرحمن. فقال لها عبد الرحمن يعرّض لها بما ظنّه من ذلك :

أَرَى الإقبالَ منكِ على خليلى * ومالى فى حديثكُمُ نَصيبُ

فأجابتْه :

لأنّ الله علّقه فؤادى * فحاز الحبَّ دونكم الحبيبُ

فقال الأحوص :

خليلى لا تَلُمْها فى هواها * ألذُّ العيش ما تَهْوى القلوبُ

قال : فأضرب عنها ابنُ حسّان وخرج ممتدحًا ليزيد بنِ معاوية فأكرمه وأعطاه. فلما أراد الانصرافَ قال له : يا أمير المؤمنين، عندى نصيحة. قال : وما هى؟ قال : جارية خلّفتُها بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل الناس وأكملهم وأعقلهم ولا تصلُح أن تكون إلا لأمير المؤمنين وفى سُمّاره. فأرسل إليها يزيدُ فاشتُريتْ له وحُملت إليه، فوقعت منه موقعًا عظيما وفضّلها على جميع من عنده. وقدِمَ عبدُ الرحمن المدينةَ فمرّ بالأحوص وهو قاعد على باب داره وهو مهموم، فأراد أن يَزيده إلى ما به فقال :

يا مُبْتَلًى بالحب مفدوحًا * لاقَى من الحبِّ تَباريحَا
أَلْجَمه الحبُّ فما يَنْثَنِى * إلا بكأس الشوق مَصْبوحَا
وصار ما يُعْجِبه مُغْلَقًا * عنه وما يَكره مفتوحَا

قد حازها من أصبحتْ عنده * ينـال منها الشَّمَّ والرِّيحَا
خليفـةُ الله فسَلِّ الهوَى * وعَزِّ قلبًا منـك مجروحا

فأمسك الأحوصُ عن جوابه . ثم إن شابَّيْن من بنى أميّة أرادا الوِفادةَ إلى يزيدَ ، فأتاهما الأحوص فسألهما أن يحملا له كتابا ففعلا . فكتب إليها معهما :

سَلّامٌ ذكرُكِ مُلْصَقٌ بلسانى * وعلى هـواكِ تَعُودُنى أحزانِى
مالى رأيتُكِ فى المنام مطيعةً * وإذا انتبهتُ لججْتِ فى العصيان
أبدًا محبُّك مُمْسِـكٌ بفـؤاده * يخشى اللَّجَاجةَ منكِ فى الهِجْرانِ
إن كنتِ عاتبـةً فإنّى مُعْتِبٌ * بعـد الإساءة فاقبلى إحسـانى
لا تقتُـلِى رجلا يَراكِ لما به * مثـلَ الشراب لغُـلّة الظمآن
ولقد أقول لقاطنَيْن مِنَ آهلنا * كانا على خُلُقٍ من الإخـوان
يا صاحبَىَّ على فؤادى جمـرةٌ * وبَرَى الهوى جسمى كما تَرَيان
أَمُرَقِّيانِ[1] إلى سلامة أنتما * ما قد لقيتُ بها وتحتَسِبان
لا أستطيع الصـبرَ عنها إنها * من مهجتى نزلتْ بـكلِّ مكان

قال : ثم غلبه جَزَعُه فخرج الى يزيدَ ممتدحًا له . فلما قدِم عليه قرَّبه وأكرمه وبلغ لديه كلَّ مبلغ . فدسَّتْ اليه سلامةُ خادمًا وأعطته مالًا على أن يُدخلَه اليها . فأخبر الخادمُ يزيدَ بذلك ، فقال : امْضِ برسالتها . ففعل ما أمره به وأدخل الأحوصَ ، وجلس يزيدُ بحيث يراهما . فلما بَصُرت الجاريةُ بالأحوص بكت اليه وبكى اليها ، وأمرتْ فأُلقى له كرسىٌّ فقعد عليه ، وجعل كلُّ واحد منهما يشكو الى صاحبه شدّةَ الشوق . فلم يزالا

(١) أمرقيان الى سلامة أى أرافعان اليها .

يتحدّثان إلى السَّحَر ويزيدُ يسمع كلامَهما من غير أن تكون بينهما رِيبةٌ ، حتى إذا هَمّ بالخروج قال :

أمسى فـؤادىَ فى همٍّ وبَلبـال * من حبِّ مَنْ لم أزَلْ منه على بال

٩١/٨ فقالت :

صحا المحبُّون بعد النأي إذ يئسوا * وقد يئستُ وما أصحو على حال ٥

فقال :

مَنْ كان يسلو بيأسٍ عن أخى ثِقةٍ * فعن سَلَامةَ ما أمسيتُ بالسّالِى

فقالت :

واللهِ واللهِ لا أنساكَ يا سَكَنِى * حتى يُفارِقَ منّى الرُّوحُ أوْصَالِى

فقال : ١٠

واللهِ ما خاب مَنْ أمسَى وأنتِ له * يا قُرّة العين فى أهـل وفى مال

ثم ودّعها وخرج . فأخذه يزيدُ ودعا بها فقال : أخبرانى عمّا كان جرى بينكما فى ليلتكما واْصْـدُقانى . فأخبراه وأنشـداه ما قالاه ، فلم يَخْرِما حرفًا ولا غيّرا شـيئا مما سمعه . فقال له يزيد : أتحبُّها يا أحوص؟ قال : إى والله يا أمير المؤمنين

حُبًّا شديدًا تليـدًا غيرَ مُطّرِفٍ * بين الجوانح مثلَ النار يَضْطَرِمُ ١٥

فقال لها : أتحبّينه؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين

حبًّا شديدًا جرى كالرُّوح فى جسدى * فهل يُفَرِّق بين الرُّوح والجسد

فقال يزيد : إنكما لَتَصِفانِ حبًّا شديدا ، خُذْها يا أحوص فهى لك ، ووصَله بصلةٍ سنيّة ، وانصرف بها وبالجارية الى الحجاز وهو من أقَرّ الناس عينا . مضى الحديث .

أصوات معبد المسمَّاةُ مُدُنَ معبد وتسمَّى أيضا حصونَ معبد

مدن معبد أو حصونه

أخبرنى ابنُ أبى الأزهر والحسينُ بن يحيي عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، قال حسين فى خبره واللفظ له عن إسماعيل بن جامع عن يونس الكاتب قال :

قال معبد وقد سمع رجلا يقول : إن قُتَيبة بن مُسْلِم فتح سبعةَ حصون أو سبعَ مُدُن بخُرَاسان فيها سبعة حصون صَعْبة المُرْتَقَى والمسالكِ لم يُوصَلْ إليها قطُّ . فقال : ٥ والله لقد صنعتُ سبعةَ ألحـان كُلُّ لحنٍ منها أشدّ من فتحِ تلك الحصون . فسئل عنها فقال :

* لَعَمْرِى لئن شَـطَّتْ بِعَثْمةَ دارُها *

و : * هُرَيْرَةَ ودِّعها وإن لام لائمُ *

١٠ و : * رأيتُ عَرابةَ الأَوْسِىَّ يَسْـمُو *

و : * كم بذاك الحُجُونِ من حَىِّ صِـدْقٍ *

و : * لو تعلمين الغَيْبَ أيقنت أننى *

و : * يا دار عَبْـلةَ بالجـوَاء تكلَّمِى *

و : * ودِّع هريرةَ إنّ الركبَ مُرْتحِـلُ *

١٥ ومن الناس من يروى مُدُنَ معبد :

* تقطَّع من ظَلَّامةَ الوصـلُ أجمعُ *

و : * خَمْصـانةٌ قَـلِقٌ مُوشَّحُها *

و : * يومَ تُبْـدِى لنا قُتَيْـلةُ *

مكان

: * كم بذاك الحَجُون من حَىّ صدق *

و : * لو تعلمين الغيب أيقنتِ أننى *

و : * يا دارَ عَبْلة بالجِواء تكلّمِى *

نسبة هذه الأصوات وأخبارها ٥

صوت

لَعَمْرِى لئن شَطّتْ بعَثْمةَ دارُها * لقد كدتُ من وَشْك الفِراق أُلِيحُ

أُرُوح بهَمٍّ ثم أَغْدُو بمثله * ويُحسَب أنّى فى الثياب صحيح

عروضه من الطويل. شَطّت : بعُدتْ. ووَشْك الفراق : دنوّه وسرعته . وأليح : أُشْفِق وأَجْزَع . الشعر لعُبَيد الله بن عبد الله بن عُتْبة الفقيه . والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر فى مجرى البنصر من رواية يونُس و إسحاق وعمرو وغيرهم. وفيه رمل يقال : إنه لابن سُرَيح . ١٠

٩٢/٨

ذكر عبيد الله بن عبد الله ونسبه

نسبه، وعداده في بني زهرة

هو عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود بن غافِل(١) بن حَبيب بن شَمْخ(٢) بن فأر(٣) بن مخزوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تميم بن سَعْد بن هُذَيل بن مُدْرِكة ابن الياس بن مضر بن نِزار. وهو في حُلفاء بني زُهْرة من قريش وعِدادُه فيهم.

كان لجده صحبة وليس بدريا

٥ وعتبةُ بن مسعود وعبد الله بن مسعود البَدْريّ صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَخَوان، ولعُتْبة صحبةٌ بالنبيّ صلى الله عليه وسلم وليس من البَدْريّين. وكان

استعمل أباه عمر ابنُ الخطاب

ابنه عبد الله أبو عُبيد الله بن عبد الله رجلًا صالحا، واستعمله عمرُ بن الخطّاب فأَحْمَده.

أخواه عون وعبدالرحمن وشيء عنهما

ولعُبَيْد الله بن عبد الله أَخَوانِ عَوْنٌ وعبد الرحمن.

١٠ وكان عون من أهل الفقه والأدب، وكان يقول بالإرْجاء ثم رجع عنه. وقال — وكان شاعرا —:

فأوّلُ ما أُفارِقُ غيرَ شكٍّ * أُفَارِقُ ما يقول المُرْجِئونا

وقالوا مؤمنٌ من آل جَوْرٍ * وليس المؤمنون بجائرينا

وقالوا مؤمنٌ دَمُه حلالٌ * وقد حَرُمتْ دِماءُ المؤمنينا

١٥ وخرج مع ابن الأشعث، فلمّا هُزِم هَرب، وطلبه الحجّاج، فأتى محمدَ بن مَرْوان ابن الحَكَم بنَصِيبِينَ فأمّنه وألزمه ابنيه مروانَ بن محمد وعبدَ الرحمن بن محمد. فقال له: كيف رأيتَ ابنَيْ أخيك؟ قال: أمّا عبد الرحمن فطفلٌ، وأمّا مروان فإني

(١) كذا في طبقات ابن سعد (ج ٣ ص ١٠٦) والاستيعاب في معرفة الأصحاب (ج ١ ص ٣٧٠) وفي الأصول: «وائل». (٢) كذا في طبقات ابن سعد والاستيعاب. وفي الأصول: «شيخ». (٣) كذا في الطبقات والاستيعاب. وفي الأصول: «قار» بالقاف.

٢٠

إن أتيته حجب، وإن قعدتُ عنه عتب، وإن عاتبته صَخِب، وإن صاحبته غضِب. ثم تركه ولزم عمر بن عبد العزيز فلم يزل معه. ذكر ذلك كلّه ومعانيه الأصمعيّ عن أبى نَوْفَل الهُذَلىّ عن أبيه. ولعون يقول جرير:

يا أيها القارئُ المُرْخى عِمَامتَه * هذا زمانُك إنّى قد مضى زمنى

أَبْلِغْ خليفتنا إن كنتَ لاقيَه * أنّى لدى الباب كالمصفود فى قَرَنِ

وخبرُه يأتى فى أخبار جرير (١).

وأمّا عبد الرحمن فلم تكن له نباهةُ أخويه وفضلُهما فسقط ذكره.

كان فقيها، وهو أحد السبعة بالمدينة

وأمّا عُبَيْد الله فإنه أحد وجوه الفُقَهاء الذين رُوى عنهم الفقه والحديث. وهو أحد السبعة من أهل المدينة، وهم القاسم بن محمد بن أبى بكر الصدّيق، وعُروة بن الزُّبَيْر، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسَعيد بن المُسَيّب، وعُبَيْد الله بن عبدالله بن عُتْبة، وخارِجة بن زيد بن ثابت، وسليمان بن يسار. وكان عبيدالله ضريرًا. وقد روَى عن جماعة من وجوه الصحابة مثل ابن عبّاس وعبد الله ابن مسعود عمّه وأبى هريرة. وروَى عنه الزُّهْرىّ وابنُ أبى الزّناد وغيرهما من نُظَرائهما.

كان يؤثره ابن عباس

وكان عبد الله بن عباس يقدّمه ويُؤْثِره.

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حَنْبَل قال حدّثنا أبى قال حدّثنا يونُس بن محمد قال حدّثنا حَمّاد بن زيد عن مَعْمَر عن الزُّهْرىّ قال:

٩٣ / ٨

كان عُبَيد الله بن عبد الله يلطُف لابن عبّاس فكان يُعِزّه عِزًّا.

حديث الزهرى عنه وكان كثير الاتصال به

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار عن محمد بن الحسن عن مالك بن أنَس عن ابن شِهَاب الزُّهْرِىّ قال:

(١) مضى هذا الخبر فى ترجمة جرير فى ج ٨ ص ٤٧ من هذه الطبعة.

كنت أخدُم عُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبة حتى إنْ كنتُ لأسْتَقِي الماءَ المِلْحَ وإنْ كان ليسأل جاريتَه فتقول : غلامُك الأعمش .

أخبرني وَكيع قال حدّثنا محمد بن عبد الملك بن زَنْجويه قال حدّثنا عبد الرزّاق عن مَعْمَر عن الزُّهْرِيّ قال :

٥ أدركت أربعةَ بُحور، عُبَيْدُ الله بن عبد الله أحدُهم .

أخبرني وَكيع قال حدّثنا محمد قال حدّثنا حامد بن يحيى عن ابن عُيَيْنة عن الزُّهْرِيّ قال :

سمعت من العلم شيئًا كثيرا، فلما لقيتُ عبيد الله بن عبد الله كأنى كنت[1] فى شِعْب من الشِّعاب فوقعتُ فى الوادى ؛ وقال مرّة : صِرْتُ كأنّى لم أسمع من
١٠ العلم شيئا .

أخبرني وكيع قال حدّثني بشر بن موسى قال حدّثنا الحُمَيْدِيّ عن ابن عُيَيْنة عن علىّ بن زيد بن جُدْعان قال :

أثنى عليه عمر ابن عبدالعزيز

كان عمر بن عبد العزيز يقول : ليت لى مجلسًا من عبيد الله بن عبد الله ابن عُتْبة بِدِيَة .

١٥ أخبرني وَكيع قال حدّثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وَهْب قال حدّثني عمّى عن يعقوبَ بن عبد الرحمن الزُّهْرِيّ عن حمزةَ بن عبد الله قال :

قال عمر بن عبد العزيز : لو كان عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة حَيًّا ما صدَرْتُ إلا عن رأيه، ولوددْتُ أنّ لى بيوم من عُبيد الله غُرْمًا . قال ذلك فى خِلافته .

(١) لعل صوابه : « صرت كأنى كنت ... الخ » .

ماجرى بين عمر ابن عبد العزيز وعروة فى شأن عائشة وابن الزبير أمامه ، ثم شعره لعمر حين أرسل اليه

أخبرنا محمد بن جَرير الطَّبَرىّ وعمّ أبى عبدُ العزيز بن أحمد ومحمد بن العباس اليَزيدىّ والطُّوسىّ ووَكيع والحَرَمىّ بن أبى العَلاء وطاهر بن عبد الله الهاشمىّ، قالوا حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا إبراهيم بن طَلْحة بن عبد الله بن عبد الرحمن آبن أبى بكر الصِّدّيق وآبنُ أخيه يحيى بن محمد بن طلحة جميعًا عن عثمانَ بنِ عمر بن موسى عن الزُّهْرىّ قال :

دخل عُرْوة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة على عمرَ بنِ عبد العزيز وهو أمير المدينة . فقال عروة لشىء حُدِّث به من ذكر عائشةَ وعبدِ الله بن الزبير: سمعتُ عائشةَ تقول : ما أحببت أحدا حبِّى عبدَ الله بن الزُّبير لا أعْنِى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ولا أبوىّ . فقال عمر : إنكم لتنتحلون عائشةَ لابن الزُّبَير آنتحالَ من لا يرى لكل مسلم معه فيها نصيبا . فقال عُروة : بركةُ عائشةَ كانت أوسعَ من ألّا يُرى لكل مسلم فيها حقّ، ولقد كان عبد الله منها بحيث وضعتْه الرَّحِمُ والمودّةُ التى لا يَشْرَكُ كلَّ واحد منهما فيه عند صاحبه أحدٌ . فقال عمر : كذبتَ . فقال عُروة: هذا عبيدُ الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يعلم أنِّى غيرُ كاذب، و إنّ من أكذب الكاذبين من كذَّب الصادقين . فسكت عبيدالله ولم يدخل بينهما فى شىء . فأفَّف بهما عمر وقال : آخرجا عنِّى . ثم لم يلبَثْ أن بعث إلى عُبيد الله بن عبد الله رسولًا يدعوه لبعض ما كان يدعوه اليه . فكتب اليه عُبيد الله :

لَعمرُ آبنِ لَيْلَى[1] وآبنِ عائشةَ التى * لَمرْوانَ أَدّتْه، أبٌ غيرُ زُمَّلِ[2]
لَو آنَّهمُ عمًّا وجدًّا ووالدًا * تأسَّوْا فسنّوا سُنّةَ المُتعطِّلِ

(١) ابن ليلى يعنى به عبد العزيز بن مروان وهى ليلى بنت زبان بن الأصبغ بن عمرو . وابن عائشة يريد به عبد الملك بن مروان وهى عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية .
(٢) الزمل : الضعيف الساقط .

عذرتُ أبا حَفْص وإن كان واحدًا * من القوم يَهدى هديَهم ليس يأتلى

ولكنهم فاتُوا وجئتَ مُصَلِّيًا * تقرّب[1] إثْرَ السابق المتمهل

٩٤ / ٨

وعُمْتَ[2] فإن تَسْبِق فضِنْءُ مبرِّز * جوادٍ وإن تُسْبَق فنفسَك فاعذُلِ

فمالك بالسلطان أن تحمِل القذَى * جفون عيونٍ بالقذَى لم تُكحَّل

٥ وما الحقُّ أن تهوَى فتُسْعَف بالذى * هَوِيتَ إذا ما كان ليس بأعدل

أَبَى اللهُ والأحسابُ أن ترْأَم الخَنَى[3] * نفوسٌ كرامٌ بالخَنا لم تُوكَّل

قال الزبير فى خبره وحده : الضِّنْء والضَّنْء : الولد. قال: وأنْشد الخليلُ بن أسد قال أنشدنى دَهْثَم :

ابنُ عَجُوزٍ ضَنْؤُها غيرُ أَمِرْ[4] * لو نحرتْ فى بيتها عشر جُزُرْ

١٠ لأصبحتْ من لحمهنّ تعتذر * تغدو على الحىّ بعود من سَمُرْ

* حتى يفرّ أهلُها كلَّ مَفَرّْ *

عجبه عمر بن عبد العزيز فقال فيه شعرا ثم اعتذر فعذره

أخبرنى الحسن بن علىّ ووكيع قالا حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبير، وأخبرَناه الحَرَمىّ بن أبى العلاء إجازةً قال حدّثنا الزُّبير عن ٱبن أبى أُوَيْس عن بكّار بن حارثة عن عبد الرحمن بن أبى الزِّناد عن هشام بن عُرْوة :

١٥ أن عُبيد الله بن عبد الله جاء إلى عمر بن عبد العزيز فٱستأذن عليه، فردّه الحاجب وقال له : عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان وهو مُختَلٍ به، فٱنصرف غضبانَ . وكان فى صلاحه ربما صنَع الأبيات، فقال لعمر :

أَبِنْ لى فكُنْ مِثلِى أو ٱبتغ صاحبًا * كمثلكَ إنّى تابع صاحبًا مثلى

(١) التقريب : عدو دون الإسراع . (٢) عمت : سرت . (٣) ترأم الخنى : ترضاه وتستسغيه . (٤) الأمر : الكثير .

عزيزٌ إخائى لا يَنـال مـودّتى * من النـاس إلا مسلمٌ كامل العقل
وما يَلْبَثُ الفِتْيانُ أن يتفرّقوا * إذا لم يُؤلّف روحُ شكل الى شكل

قال : فأخبِر عمرُ بأبياته ، فبعث اليه أبا بكر بنَ سليمان بن أبى حَثْمة وعِراكَ بن مالك يَعْذِرانه عنده ويقولان : إن عمر يقسم بالله ما علم بأبياتك ولا بردّ الحاجب إياك ، فعذَره . قال الزُّبَير وقد أنشدنى محمد بن الحسن قال أنشدنى مُحْرِز بن جعفر لعُبيد الله بن عبد الله هذه الأبيات وزاد فيها وهو أوّلها : ٥

وإنّى آمرؤ من يُصْفِنى الودَّ يُلْفِنى * وإن نزحتْ دارٌ به دائمَ الوصـل
عزيزٌ إخائى لا ينـال مـودّتى * من الناس إلا مسـلمٌ كاملُ العقل
ولولا آتّقائى اللهَ قلتُ قصـيدةً * تسـير بهـا الرُّكْبانُ أبْرَدُها يَغْلِى
بها تُنْقَضُ الأحلاسُ(١) فى كلّ منزل * ويَنْفِى الكَرَى عنه بها صاحبُ الرَّحْل ١٠
كفانِى يسـيرٌ إذ أراكَ بحاجتى * كَليـلَ اللسانِ ما تُمِـرُّ وما تُحْلِى(٢)
تُلاوِذُ(٣) بالأبواب منّى مخافــةَ الـ * ـمَلامة والإخلافُ شرٌّ من البخل

وذكر الأبياتَ الأوّلَ بعد هذه .

شعره فى عراك وابن حزم حين علم أنهما مرّا عليه ولم يسلما

أخبرنى وَكيع قال حدّثنى علىّ بن حَرْب المَوْصِلىّ قال حدّثنا إسماعيل بن رَيّان الطائى قال سمعت ابن إدريس يقول : ١٥

كان عِراكُ بن مالك وأبو بكر بن حَزْم وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة يتجالسون بالمدينة زمانا . ثم أن ابن حزم ولى إمرتَها وولى عِراكٌ القضاءَ ، وكانا يمرّان بعُبيد الله فلا يسلّمان عليه ولا يقفان ، وكان ضريرا فأخبر بذلك ، فأنشأ يقول :

٩٥
٨

(١) الأحلاس : جمع حلس وهو كل ما ولى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج .
(٢) ما تمر وما تحلى : ما تضر وما تنفع . (٣) تلاوذ : تراوغ .

٢٠

ألا أبلغا عنّى عِراكَ بنَ مالك * ولا تَدَعا أن تَثْنِيا بأبى بكر

فقد جعلتْ تَبْدو شَوَاكِلُ منكما * كأنّكما بى مُوقَرَان من الصَّخْر

وطاوعتُما بى داعِكًا[(1)] ذا مَعاكَةٍ * لعَمْرِى لقد أَزْرَى وما مثله يُزْرِى

ولولا اتّقائى ثم بُقْيَاىَ فيكما * للُمْتُكما لومًا أحرَّ من الجمر

صوت

٥

فمَسّا تُرابَ الأرض منها خُلِقتُما * ومنها المَعَادُ والمَصِيرُ الى الحَشْرِ

ولا تأنَفا أن تسألا وتسلِّما * فماخشى الإنسانُ شرًّا من الكِبْرْ

فلو شئتُ أن ألفِي عدوًّا وطاعنا * لألْفَيْتُه أو قال عندىَ فى السرِّ

فإن أنا لم آمُرْ ولم أَنْهَ عنكما * ضحكتُ له حتى يَلِجَّ ويَسْتَشْرِى

١٠ عروضه من الطويل . غُنِّىَ فى :

* فمَسّا ترابَ الأرض منها خُلِقتُما *

والذى بعده لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وابن المكّىّ ويونسَ وغيرِهم . وزعم ابن شِهاب الزُّهْرىّ أن عبيد الله قال هذه الأبيات فى عمر بن عبد العزيز وعمرو بن عثمان، يعنى [أن] الأبياتَ الأوّلَ ليست منها فى شىء، وإنما أُدخِلتْ فيها لاتّفاق الرَّوِىّ والقافية .

١٥

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا إبراهيم بن المُنْذر الحِزامىّ قال حدّثنا إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن ابن شهاب قال :

(1) الداعك : الأحمق . والمعاكة : الحمق .

جئت عُبيد الله بن عبد الله يوما فى منزله فوجدته ينفُخ وهو مغتاظ؛ فقلت له : مالك ؟ قال : جئت أميرَكم آنفًا — يعنى عمرَ بن عبد العزيز — فسلَّمت عليه وعلى عبد الله بن عمرو بن عثمان، فلم يردّا علىّ، فقلت :

* فَمَسَّا ترابَ الأرض منها خُلقتما *

وذكر الأبياتَ الأربعة. قال فقلتُ له : رحمكَ الله ! أتقول الشعر فى فضلك ونُسكك ! قال : إنّ المصدور إذا نفث بَرَأ .

قال أبو زيد حدّثنا إبراهيم بن المنذر، وأنشدنى هذه الأبياتَ عبد العزيز بن أبى ثابت عن ابن أبى الزِّناد له وذكر مثل ذلك وأنها فى عمر بن عبد العزيز وعبد الله ابن عمرو، وزاد فيها :

وكيف يُريدانِ ٱبنَ تسعين حِجّـةً * على ما أتَى وهو ابن عشرين أو عشر

شيء من شعره

ولعبيد الله بن عبد الله شعرٌ فَحْلٌ جيّد ليس بالكثير. منه قوله :

اذا كان لى سِرٌّ فحدّثتُه العِدَا * وضاق به صـدرى فلَلنَّاسُ أَعْذَرُ

وسِرُّك ما ٱسـتُودعتَه وكتمتَه * وليس بسِرٍّ حين يفشـو و يظهر

وقولُه لابن شِهاب الزُّهْرىّ :

اذا قلتُ أمَّا بعـدُ لم يُثْنَ مَنْطِقى * فحاذِرْ اذا ما قلتُ كيف أقولُ

إذا شئتَ أن تَلْقَى خليلًا مصافيًـا * لقيتَ و إخوانُ الثِّقاتِ قليـلُ

استحسن جامع ابن مرخية شعره فأجازه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عبد الجبار بن سعيد المُسَاحِقىّ عن ابن أبى الزِّناد عن أبيه قال :

أَنْشد عبيدُ الله بن عبد الله جامعَ بنَ مُرْخِيَةَ الكلابىّ لنفسه :

لَعَمْرُ أبى المُحْصِينَ أيامَ نلتـقى * لَمَـا لا نُلاقيهـا من الدهر أكثرُ

٩٦/٨

يَعُــدُّون يومًا واحدًا إن أتيتُهـا * ويَنْسَوْن ما كانت على الدهر تهجُر
وإن أُولعَ الواشون عَمْدًا بوصلنا * فنحن بتجـديد المودة أبصر

قال : فأعجبتْ أبياتُه هذه جامعاً، فسرَّ ذلك عبيدَ الله فكساه وحَمله .

جامع بن مُرْخِيَة هذا من شعراء الحجاز، وهو الذى يقول :

٥ سألتُ سعيدَ بن المسيَّب مفتىَ الـ * ـمدينة هل فى حبِّ ظَمْياء من وِزْرِ
فقال سـعيد بن المسيَّب إنما * تُلام على ما تستطيع من الأمر

فبلغ قولُه سعيدا، فقال : كذَب واللهِ! ماسألنى ولا أفتيتُه بما قال . أخبرنى بذلك الحَرَمىّ بن أبى العَلاء عن الزُّبير .

مختارات من شعره

ومن جيِّد شعر عُبَيْد الله وسهلِه :

١٠ أعاذلَ عاجـلُ ما أشتهى * أحبُّ من الآجل الرائثِ(١)
سأُنفـق مالى على لَذّتى * وأُوثِر نفسى عـلى الوارث
أُبادِر إهـلاكَ مستهلِك * لمـالىَ أو عبثَ العـابث

وقولُه يفتخر فى أبيات :

إذا هى حلّت وَسْط عُوذ(٢) ابن غالبٍ * فــذلك ودٌّ نازحٌ لا أُطالعُــه
١٥ شددتُ حَيَازيمى(٣) على قلب حازِمٍ * كَتومٍ لمـا ضُمَّتْ عليـه أضالعه
أُدَاجِى رجالًا لستُ مُطَّلِعَ بعضِهم * على سرِّ بعضٍ إنّ صدرىَ واسعه
بنَى لىَ عبدُ الله فى ذِرْوة العـلا * وعُتْبةُ مجـدًا لا تُنـال مصانعه

---

(١) الرائث : البطىء . (٢) عوذ : جمع عائذ وهى الحديثة النتاج من الإبل وغيرها .
(٣) الحيزوم : وسط الصدر .

وقولُه وفيــه غنـاء :

صــــوت

إن يَكُ ذا الدهرُ قد أضرَّ بنا * من غير ذَحْلٍ[(١)] فربَّما نفعا

أبكى على ذلك الزمانِ ولا * أحسَب شيئاً قد فات مُرْتجَعا

إذ نحن فى ظلّ نعمــةٍ سلَفتْ * كانت لهـا كلُّ نعمةٍ تَبَعا

عروضه من المنسرح . غنّت فيها عَريبُ خفيفَ رَمَلٍ عن الهشامىّ .

ت المدينــة كية فتنت الناس فشبب بها

حدّثنا محمد بن جرير الطبرىّ والحَرَمىّ بن أبى العَلاء ووَكيع قالوا حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى إسماعيل بن يعقوب عن ابن أبى الزِّناد عن أبيه قال :

قَدِمتِ المدينةَ امرأةٌ من ناحية مكة من هُذَيْل، وكانت جميلة نخطبها الناس، وكادت تَذهب بعقول أكثرهم . فقال فيها عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة :

أحبُّك حبّـا لو علمتِ ببعضه * لَجُدْتِ ولم يَصعُبْ عليكِ شَديدُ

وحُبُّــكِ يا أُمَّ الصبيِّ مُدَلِّهى * شَهيدى أبو بكر وأىُّ شَهيــدِ[(٢)]

ويعلم وَجْدِى القاسمُ بن محمـد * وعُرْوَةُ ما ألقَى بكم وسَــعيدُ

ويعلم ما أُخْفِى ســليمانُ علمَه * وخارجةٌ يُبْــدِى لنـا ويُعيدُ

متى تَسألى عمّـا أقول فتُخبَرِى * فللحبِّ عنـدى طارفٌ وتَليدُ

٩٧ / ٨

فبلغت أبياتُه سعيدَ بن المُسَيَّب، فقال : واللهِ لقد أَمِنَ أن تسألَنا وعلم أنها لو استشهدتْ بنا لم نشهد له بالباطل عندها .

وقال الزُّبَير : أبو بكر الذى ذكر والنَّفَرُ المسمَّوْن معه : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والقاسم بن محمـد بن أبى بكر، وعُرْوة بن الزُّبَير، وسَعيد بن

(١) الذحل : الثأر. (٢) فى هذا البيت إقواء.

المسيّب، وسليمان بن يَسار، وخارجةُ بن زيد بن ثابت، وهم الفقهاء الذين أخذ عنهم أهلُ المدينة .

عتب على زوجته عثمة في بعض الأمر فطلقها، وشعره فيها

أخبرنى وَكيع قال حدّثنى عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات عن أحمد بن سَعيد الفِهْرىّ عن إبراهيم بن المُنْذِر بن عبد الملك بن الماجِشُون :

٥ أن أبيات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة التى أوّلها :

لَعَمْرِى لئن شَطَّت بعَثْمَةَ دارُها * لقد كدتُ من وَشْك الفراق أُلِيحُ

قالها فى زوجة له كانت تسمّى عَثْمةَ، فعتَب عليها فى بعض الأمر فطلّقها . وله فيها أشعار كثيرة، منها هذه الأبيات، ومنها قوله يذكر نَدَمَه على طلاقها :

كتمتَ الهوى حتى أضرّبك الكَتْمُ * ولامك أقوامٌ ولومُهمُ ظلمُ

١٠ وأخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير قال قال لى عمّى :

لقينى علىّ بن صالح فأنشدنى بيتًا وسألنى مَنْ قائله؟ وهل فيه زيادة؟ فقلت : لا أدرى، وقد قدِم ابن أخى — أَعْنِيكَ — ، وقلّما فاتنى شىء إلّا وجدتُه عنده . قال الزبير: فأنشدنى عمّى البيتَ وهو :

غُرَابٌ وظبىٌ أعضبُ القَرْنِ[1] نادَيَا * بصُرْمٍ وصِرْدانُ[2] العَشِىّ تَصِيحُ

١٥ فقلت له : قائله عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة، وتمامها :

لَعَمْرِى لئن شَطَّت بعَثْمَةَ دارُها * لقد كدتُ من وَشْك الفِراق أُلِيحُ

أَرُوحُ بهمٍّ ثم أغدو بمثله * ويُحْسَبُ أنّى فى الثياب صحيحُ

فكتبهما عمّى عنّى وآنصرف بهما إليه .

(١) الأعضب القرن : المكسور القرن . (٢) الصردان : جمع صرد وهو طائر أبقع أبيض

٢٠ البطن يتشاءم به .

صـــوت

ألَا مَنْ لنفسٍ لاتموت فينقضى * عَناها ولا تحيا حياةً لهـا طعمْ
أ أتْرُك إتيانَ الحبيب تأثُّمـا * ألَا إنّ هِجْرانَ الحبيب هو الإثم
فذُقْ هجرَها قد كنتَ تزعُم أنه * رَشَادٌ ألَا يا ربّمـا كَذَب الزّعْم

عروضه من الطويل . غنّى يونُس فى هــذه الأبيات الثـلاثة لحنا ماخُوريًّا وهو خفيفُ الثقيلِ الثانى من رواية إسحاق و يونس وابن المكّىّ (١) وغيرِهم . وغنّت عَرِيبُ فى :

* أ أترك إتيانَ الحبيب تأثّما *

لحنًا من الثقيل الأول، وأضافت اليه بعدَه على الوِلَاءِ بيتين ليسا من هذا الشعر وهما :

وأقبل أقـــوالَ الوُشاةِ تَجَرُّمًا * ألَا إن أقوال الوُشاة هى الجُرْمُ
وأشتاقُ لى إلْفًا على قُرب دارِه * لأنّ مُلاقاةَ الحَبيب هى الغُـنْمْ

وممـا قاله عبيد الله أيضا فى زوجته هذه وغُنّىَ فيه :

٩٨/٨

صـــوت

عَفَتْ أطــلالُ عَثْمةَ بالغَميم * فأضحتْ وهى مُوحِشةُ الرُّسُومِ
وقد كُنّا نَحُـــلُّ بها وفيها * هَضِيمُ الكَشْحِ جائـــلةُ البَرِيم

عروضه من الوافر . عَفَتْ : دَرَست . والأطلال : ما شَخَص من آثار الديار . والرُّسُوم : ما لم يكن له شخص منها ولا ارتفاع و إنمـا هو أثر . والهضيم الكشح : الخَميص الحَشَى والبطن . والبَريم : الخَلْخال، وقيل : بل هو اسم لكل ما يُلبس من الحُلِىّ فى اليدين والرجلين . والجائل : ما يجول فى موضعه لا يستقرّ . غنّى فى هذين البيتين قَفَا النجّار، ولحنُه من القَـدْر الأوسط من الثّقيل الأوّل بالخنصر فى مجرى البِنصر .

(١) يلاحظ أن صاحب هذا الغناء هو يونس ؛ و يبعد أن يكون من رواته .

ومما قاله فى زوجته عَثْمَةَ وفيها غناء :

صـــوت

تغلغلَ حُبُّ عَثْمةَ فى فؤادى * فباديه مع الخافى يسيرُ
تغلغلَ حيث لم يَبْلُغْ شرابٌ * ولا حُزْنٌ ولم يبلُغ سرورُ
صدَعْتِ القلبَ ثم ذَرَرْتِ فيه * هواكِ فَلِيمَ والتأمَ الفُطُورُ[1]
أكاد إذا ذكرتُ العهد منها * أطيرُ لَوَ انَّ إنسانًا يَطيرُ
غَنِيُّ النفسِ أنْ أزدادَ حبًّا * ولكنّى الى صِلَةٍ فَقيرُ
وأَنْفَذَ جارِحاكِ سوادَ قلبى * فأنتِ علىَّ ما عِشْنا أميرُ

لِمَعْبد فى الأوّل والثانى من الأبيات هَزَجٌ بالبِنصر عن حَبَش، وذكر أحمد بن عبيد الله أنه منحولٌ من المكّىّ . وفى الثالث ثم الثانى لأبى عيسى بن الرَّشيد رَمَلٌ .

قال ابن أبى الزِّناد فى الخبر الذى تقدّم ذكرُه عن عُبَيد الله وما قاله من الشعر فى عَثْمةَ وغيرِها : فقيل له : أتقول فى مثل هذا؟! قال : فى اللَّدُود راحةُ المَفْئُود[2] .

بلغه أن رجلا يقع ببعض الصحابة بجفاء

أخبرنى وَكيع قال حدّثنا أحمد بن عبد الرحمن قال حدّثنا ابن وَهْب عن يعقوب يعنى ابنَ عبد الرحمن عن أبيه قال :

كان رجل يأتى عُبَيْدَ الله بن عبد الله ويجلس اليه . فبلغ عُبيدَ الله أنه يقع ببعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجاءه الرجل فلم يلتفت اليه عبيد الله . وكان الرجل شديدَ العقل، فقال له : يا أبا محمد، إن لك لشأنًا، فإن رأيتَ لى عذرًا فآقبل عذرى . فقال له : أتتَّهِمُ اللهَ فى علمه؟ قال : أعوذ بالله . قال : أتتَّهم رسول الله صلى الله

(١) الفطور : الشقوق . (٢) اللدود : ما يصب بالمسعط من الدواء فى أحد شقى الفم . والمفئود : الذى يشتكى فؤاده .

عليه وسلم فى حديثه؟ قال : أعوذ بالله. قال: يقول الله عزّ وجل : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ وأنت تقع فى فلان وهو ممّن بايع ، فهل بلغك أن الله سَخِط عليه بعد أن رضِى عنه ؟! قال: والله لا أعود أبدا. قال: والرجل عمر بن عبد العزيز[1].

موته

أخبرنى وَكيع عن أحمد بن زُهَير عن يحيى بن مَعين قال :

مات عُبَيْد الله بن عبدالله بن عُتْبة سنةَ اثنتين ومائة، ويقال سنةَ تسع وتسعين.

أخبرنى محمد بن جرير الطبرىّ والحسن بن علىّ عن الحارث[2] عن ابن سعد عن مَعن[3] عن محمد بن هلال : أن عُبيد الله توفِّى بالمدينة سنةَ ثمانٍ وتسعين .

* * *

صوت من أصوات معبد المعروفة بالمدن

ومنها[4] :

صـــوت

٩٩ / ٨

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إن الرَّكْب مُرْتَحِـلُ * وهـل تُطيق وَداعاً أيهـا الرجلُ
غَرّاءُ فَرْعاءُ مصقولٌ عوارضُهـا * تمشى الهُوَيْنَى كما يمشى الوَجِى الوَحِلُ[2]
تسمع للحَلْيِ وَسْوَاسًا اذا انصرفتْ * كما استعان بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ
عُلِّقْتُها عَرَضًا وعُلِّقَتْ رجـلًا * غيرى وعُلِّق أخرى غيرَها الرَّجلُ
قالت هريرةُ لمّا جئتُ زائرَها * وَيْلِى عليك وويلى منك يا رجلُ
لم تمشِ مِيلًا ولم تركب على جملٍ * ولم تَرَ الشمس إلا دونها الكِلَلُ

(١) يبعد تصديق مثل ذلك عن عمر بن عبد العزيز وهو من هو صلاحا وتقوى . (٢) هو الحارث بن أبى أسامة . وابن سعد هو سليمان بن سعد . (راجع ج ٦ ص ٣٥٩ من هذه الطبعة) .

(٣) هو معن بن عيسى القزاز . (راجع تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٩٨) .

(٤) يريد أصوات معبد التى تسمى مدن معبد، وقد مرت فى صفحة ١٣٧

أقول للركب فى دُرْنَى[1] وقد ثَمِلوا * شِيمُوا وكيف يَشِيم الشاربُ الثَّمِلُ
كناطحٍ صخرةً يومًا ليَفلِقَها * فلم يَضِرْها وأَوْهَى قَرْنَه الوَعِلُ
أبلغ يزيدَ بنى شَيْبانَ مَأْلُكةً * أبا ثُبَيتٍ أمَا تنفَكُّ تأتكِلُ
إن تركبوا فركوبُ الخيل عادتُنا * أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ
وقد غدوتُ الى الحانوت يَتْبعُنى * شاوٍ نَشُولٌ مِشَلٌّ شُلْشُلٌ شَوِلُ ٥
فى فِتيةٍ كسيوف الهند قد علموا * أن ليس يدفَع عن ذى الحيلة الحِيَلُ
نازعتُهم قُضُبَ الرَّيْحان متَّكِئًا * وقهوةً مُزَّةً راووقُها خَضِلُ

غنّى معبد فى الأوّل والثانى فى لحنه المذكور من مُدُنِ معبد لحنًا من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق. وذكرت دَنَانيرُ أن فيهما لابن سُرَيْج أيضًا صنعةً. ولمعبد أيضا فى الرابع والخامس والثالث ثقيلٌ أولُ، ذكره ١٠ حَبَشٌ، وقيل : بل هو لحن ابن سريج، وذلك الصحيح . ولابن مُحْرِز فى الثقيل فى "إن تركبوا" وفى "كناطحٍ صخرةً" ثانى ثقيلٍ مُطْلَق فى مجرى الوسطى عن إسحاق . ولحُنَيْنٍ الحِيرِى" فى "أبلغ يزيدَ بنى شيبان" و "إن تركبوا" ثانى ثقيلٍ آخر. وذكر أحمد بن المكّىّ أن لابن مُحْرِز فى "ودِّع هريرةَ" و "تسمع للحَلْى" ثانىَ ثقيلٍ بالخنصر فى مجرى البنصر . وفى "وقد غدوتُ" وما بعده رملٌ لابن سُرَيج ومُخارِق ١٥ عن الهشامى . ولابن سريج فى "تسمع للحلى" وقبله "ودِّع هُرَيرةَ" رملٌ بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وللغَرِيض فى "قالت هُرَيرةُ" و "عُلِّقتها عَرَضًا" رمل . وفى هذه الأبيات بعينها هَزَجٌ ينسب اليه أيضا وإلى غيره . وفى "تسمع للحلى" و "قالت هُرَيرة" هزج لمحمد بن حسن بن مُصْعَب . وفى "لم تمش ميلا" و "أقول للركب" لابن سريج خفيف الثقيل الأوّل بالبنصر عن حَبَش . وفى "قالت ٢٠

(١) درنى : موضع بنواحى اليمامة، وقيل : بنواحى العراق .

هريرة" و"تسمع للحلى" لحن لابن سريج . وإن لحنين فى البيتين الآخرين لحنًا آخر .
وقد مضت أخبار هريرة مع الأعشى فى :

* هُرَيرةَ ودِّعها وإن لام لائمُ *

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعىّ قال قلت لأعرابيّة :
ما الغرّاء ؟ قالت : التى بين حاجبيها بَلَجٌ وفى جبهتها اتساعٌ تتباعد قُصّتها معه عن
حاجبيها فيكون بينهما نَفْنَف(١) . وقال أبو عُبَيدة : الفَرْعاء : الكثيرةُ الشعر .
والعوارض : الأسنان . والهُوَيْنَى تصغير الهُونَى ، والهونى : مؤنث الأهون .
والوَجِى : الظالع وهو الذى قد حَفِىَ فليس يكاد يستقلّ على رجله . والوَحِلُ :
الذى قد وقع فى الوَحَل . والعِشْرِق : نبت يَبِسَ فتحرّكه الريح ، شبّه صوتَ حَلْيها
بصوته . الزَّجِلُ : المصوّت من العِشْرِق . وعلِّقتها : أحببتُها . وعرضا : على غير
موعد . والوَعِلُ : التَّيْسُ الجبلىّ ، والجمع أوعال . مَأْلُكة : رسالة ، والجمع مآلك .
ما تنفكُّ : ما تزال . وتأتكل : تحترق . وقال أبو عُبيدة : الشاوى : الذى يشوى
اللحم : والنَّشُولُ : الذى ينشل اللحم من القِدْر . ومِشَلٌّ : سوّاقٌ سريع يسوق به .
وشُلْشُلٌ : خفيف . وشَوِلٌ : طيّبُ الريح .

ما وقع بين بنى كعب وبنى همام ، وقصيدة الأعشى فى ذلك

الشعر للأعشى وقد تقدّم نسبه وأخباره . يقول هذه القصيدة ليزيدَ بن مُسْهِر
أبى ثابت الشَّيْبانى . قال أبو عُبيدة : وكان من حديث هذه القصيدة أن رجلًا من
بنى كعب بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة ، يقال له ضُبَيع ، قتل رجلا من
بنى هَمّام يقال له زاهر بن سيّار بن أسعد بن همّام بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان ، وكان
ضُبَيع مطروقا(٢) ضعيفَ العقل . فنهاهم يزيد بن مُسْهِر أن يقتلوا ضُبَيعًا بزاهر وقال :

(١) النفنف : المهوى بين الشيئين . (٢) المطروق : الذى به هوج وجنون .

اقتتلوا به سيّدا من بنى سعد بن مالك بن ضُبَيعة ، فحَضّ بنى سَيّار بن أسعد على ذلك وأمرهم به . وبلغ بنى قيس ما قاله ، فقال الأعشى هذه الكلمة يأمره أن يَدَع بنى سَيّار وبنى كَعْب ولا يُعِينَ بنى سَيّار، فإنه إن أعانهم أعانت قبائلُ بنى قيس بنى كعب، وحذّرهم أن تَلْقَى شَيْبانُ منهم مثلَ ما لَقُوا يوم العَيْن عَيْنِ مُحلِّم[1] بهَجَر .

يوم عين محلم

٥ قال أبو عُبيدة : وكان من حديث ذلك اليوم ، كما زعم عمرو بن هلال أحدُ بنى سعد ابن قيس بن ثعلبة ، أن يزيد بن مُسْهِر كان خالَع أَصْرَمَ بن عوف بن ثعلبة بن سعد ابن قيس بن ثعلبة ، وكان عوف أبو بنى الأصرم يقال له الأَعْجَف والضَّبْعةُ له وهى قرية باليمامة . فلما خلع يزيدُ أصرمَ من ماله خالعه على أن يَرْهَنه ابنيه أَفْلَتَ وشِهابا ابنى أَصْرم ، وأُمُّهما فُطيمة بنت شُرَحْبِيل بن عَوْسَجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس ، ١٠ وأن يزيد قَمَر أَصْرمَ فطلب أن يدفع إليه ابنيه رهينةً ؛ فأبتْ أُمُّهما وأبى يزيدُ إلّا أخذَهما . فنادت قومَها ، فحضر الناسُ للحرب ، فاشتملتْ فطيمة على ابنيها بثوبها ، وفكَّ قومُها عنها وعنهما . فذلك قول الأعشى :

نحن الفوارس يوم العَيْن ضاحيةً[2] * جَنْبَىْ فُطَيْمةَ لا مِيلٌ ولا عُزُلُ

قال : فانهزمتْ بنو شَيْبان ، فحذر الأعشى أن يلقَى مُسْهِرٌ مثلَ تلك الحال .

١٥ قال أبو عُبيدة : وذكر عامر ومِسْمَعٌ عن قَتادةَ الفقيه أن رجلين من بنى مَرْوانَ تنازعا فى هذا الحديث ، فجرّدا رسولًا فى ذلك الى العراق حتى قدِم الى الكوفة فسأل فأُخْبِر أنّ فُطيمة من بنى سعد بن قيس كانت عند رجل من بنى شَيْبان ، وكانت له

(١) عين محلم (بتشديد اللام وكسرها) : قال أبو منصور : هى عين فوّارة بالبحرين ، وما رأيت عينا أكثر ماء منها ، وماؤها جار فى منبعها ، فاذا برد فهو ماء عذب . ولهذه العين اذا جرت فى نهرها خلج كثيرة تتخلج منها تسقى قرى كثيرة ومزارع ونخلا . (٢) ضاحية : علانية . والميل : جمع أميل ٢٠ وهو الذى لا يثبت فى الحرب مثل أبيض وبيض . والعزل : جمع أعزل ، وحركت زايه للشعر .

زوجة أُخرى من بنى شيبان، فتعايرتا فعمَدتِ الشَّيْبانيّة فحلّت ذوائبَ فُطيمة، فٱهتاج الحيّانِ فٱقتتلوا، فهُزمت بنو شَيْبانَ يومئذ .

مسحل رئى الأعشى

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا أحمد بن محمد القَصير قال حدّثنا محمد ابن صالح قال حدّثنى أبواليَقْظان قال حدّثنى جُوَيْرِيةُ عن يَشْكُر بن وائل اليَشْكُرِىّ، وكان من علماء بكر بن وائل وُلد أيام مُسَيْلِمةَ فجىء به اليه فمسح على رأسه فعَمِىَ، قال جُويرية فحدّثنى يَشْكُرُ هذا قال حدّثنى جَرير بن عبد الله البَجَلِىّ قال : ٥

سافرت فى الجاهليّة فأقبلتُ على بَعيرى ليلةً أريد أن أسقيَه، فجعلت أريده على أن يتقدّم فوالله مايتقدّم، فتقدّمتُ فدنوت من المـاء وعَقَلته، ثم أتيت المـاء فاذا قوم مشوّهون عند المـاء فقعدت . فبينا أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشـدّ تشويها منهم فقالوا : هذا شاعرهم . فقالوا له : يافلان أنشدْ هذا فإنه ضيف، فأنْشد : ١٠

١٠١/٨

* ودِّع هريرةَ إن الركب مرتحـلُ *

فلا والله ماخرَم منها بيتا واحدا حتى انتهى الى هذا البيت :

تسمع للحَلْيِ وَسْوَاسًا اذا انصرفتْ * كما استعان بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

فأعجب به . فقلت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا . قلت : لولا ما تقول لأخبرتك أنّ أعشى بنى ثَعْلبـة أنشَدَنيها عامَ أوّلَ بنَجْـرانَ . قال : فإنك صادق، أنا الذى ألقيتُها على لسانه وأنا مِسْحَلٌ صاحبه، ما ضاع شـعرُ شاعرٍ وضعه عنـد ميمون بن قيس : ١٥

صـــوت

رأيتُ عَرابةَ الأَوْسِىَّ يسمو * الى الخيرات مُنْقطِـعَ القَرينِ
إذا ما رايةٌ رُفعت لمجـد * تلقّـاها عَرابةُ باليمينِ ٢٠

عروضه من الوافر . الشعر للشمّاخ . والغِناء لمَعْبد خفيفُ الثقيلِ الأوّل بالوسطى . وذكر إسحاق أنه من الأصوات القليلة الأشباه . وذكر ٱبن المكّيّ أن له فيه لحنا آخر من خفيف الثقيل . وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شَبّة عن محمد بن يحيي أبي غَسّان قال غنّى أبو نؤى :

٥ رأيت عرابة الأوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين

فنسبه الناس إلى مَعْبد . ولعلّه يعني اللحنَ الآخر الذي ذكره ٱبن المكيّ . وقال هارون ابن محمد بن عبد الملك الزيّات أخبرني حمّاد عن ابن أبي جَنَاح قال : الناس ينسبون هذا الصوت الى معبد .

ذكر الشَّمَّاخ ونسبه وخبره

نسبه من قبل أبويه

هو، فيما ذكر لنا أبو خليفة عن محمد بن سَلَّام، الشَّمَّاخ بن ضِرار بن سِنان بن أمية(١)
ابن عمرو بن جِحَاش بن بَجَالة بن مازِن بن ثَعْلبة بن سعد بن ذُبْيان . وذكر
الكوفيّون أنه الشماخ بن ضِرار بن حَرْمَلة بن صَيْفِيّ بن إياس بن عبد بن عثمان بن
جِحَاش بن بَجَالة بن مازِن بن ثَعْلَبة بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان . ٥
وأُمُّ الشَّمَّاخ أَنْمارِيّة من بنات الخُرْشُب ويقال : إنهنّ أنجبُ نساء العرب، واسمها

مخضرم، وهو أحد من هجا عشيرته

مُعَاذة بنت بُجَير بن خالد بن إياس . والشَّمَّاخ مُخضرَم ممّن أدرك الجاهليّة والإسلام،
وقد قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم :

تَعَلَّمْ رسولَ الله أنا كأننا * أَفَأْنا بأَنْمارٍ ثعالبَ ذى غِسْلِ(٢)

يعنى أَنْمارَ بن بَغِيض وهم قومه . وهو أحد من هجا عشيرتَه وهجا أضيافَه ومَنّ عليهم ١٠
بالقِرَى . والشَّمَّاخ : لقب واسمه مَعْقِل، وقيل الهَيْثَم، والصحيح معقل . قال جَبَل
ابن جَوّال له فى قصة كانت بينهما :

لَعَمْرِى لعل الخيرَ لو تعلمانِه * يَمُنّ علينا مَعْقِلٌ و يزيد
مَنِيحةَ(٣) عنزٍ أو عطاءَ فَطِيمةٍ * ألَا أنّ نيل الثَّعْلِبيّ زهيد

١٠٢ / ٨

له أخوان جزء ومزرّد

وللشَّمَّاخ أخوان من أُمّه وأبيه شاعران، أحدهما مُزَرِّد وهو مشهور، واسمه يزيد ١٥
وإنما سمى مُزَرِّدًا لقوله :

---

(١) فى تجريد الأغانى : « أمامة » .

(٢) ذو غسل : موضع . وقد ورد هـذا البيت فى كتاب الشعر والشعراء مع بيت آخر منسو بين الى مزرّد أخى الشماخ . (٣) المنيحة : الناقة أو الشاة تعطيها غيرك ليحتلبها ثم يردّها عليك .

فقلتُ تَزَرَّدْها عُبَيْــدُ فإننى * لدُرْدِ(١) الشيوخ فى السنين مُزَرِّدُ

والآخر جَزْء بن ضِرار، وهو الذى يقول يرثى عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه :

عليك سلامٌ من أميرٍ وباركتْ * يدُ الله فى ذاك الأَديم المـــزَّقِ

فمن يَسْعَ أو يركبْ جَناحَىْ نَعامةٍ * ليُدركَ ما حاولتَ بالأمس يُسْبَقِ

٥ وقد أخبرنى أحمــد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَــبّة قال حدّثنا شِهاب بن عَبّاد قال حدّثنا محمد بن بشر قال حدّثنا مِسْعَر عن عبد الملك بن عُمير عن الصَّقْر بن عبد الله عن عُرْوة عن عائشة قالت :

ناحت الجن على عمر بشــعر فنحل لجزء أخيه

ناحت الجنّ على عمر قبل أن يُقتل بثلاث فقالت :

أبعــد قتيلٍ بالمدينــة أَظْلمتْ * له الأرضُ تهتزّ العِضاهُ(٢) بأَسْؤُقِ

١٠ جَزَى اللهُ خيرا من إمامٍ وباركتْ * يدُ الله فى ذاك الأديم المـــزَّقِ

فمن يَسْعَ أو يركب جَناحَىْ نعامةٍ * ليُدركَ ما حاولتَ بالأمس يُسْبَقِ

قضيتَ أمورا ثم غادرتَ بعدها * بوائــقَ(٣) فى أكمامهـــا لم تُفَتَّقِ

وما كنتُ أخشى أن تكون وفاته * بكَفَّىْ سَبَنْتَى(٤) أزرقِ العين مُطْرِقِ

أخبرنى أحمد قال حدّثنــا عمر بن شَبّة قال حدّثنا ســليمان بن داود الهاشمىّ

١٥ قال أخبرنا إبراهيم بن ســعد الزُّهْرىّ عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبــد الله بن أبى رَبيعة عن أم كلثوم بنت أبى بكر الصدّيق :

---

(١) كذا فى كتاب الشعر والشعراء . وفى حـ : « بدرد الموالى » وفى سائر الأصول : « بزرد الموالى » وهو تحريف . والدرد : جمع أدرد وهو من لا أسنان له . (٢) العضاه : كل شجر يعظم وله شوك . والأسؤق : جمع ساق . (٣) البوائق : الشرور . (٤) السبنتى هنا : الجرىء :

٢٠ وأزرق العين : يريد به الأعجمى . والمطرق : المسترخى العين .

أن عائشة حدّثتها أن عمر أذِن لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يَحْجُجْنَ فى آخر حِجّة حَجّها عمر . قال : فلما ٱرتحل عمر من المحصَّب[1] أقبل رجل متلثّم فقال وأنا أسمع : هذا كان منزله ، فأناخ فى منزل عمر[2] ثم رفع عَقيرتَه يتغنّى :

عليك سلامٌ من أميرٍ وباركتْ * يدُ الله فى ذاك الأَديم الممزَّقِ

فمن يَجْرِ أو يركبْ جناحَىْ نَعامةٍ * ليدركَ ماقدّمتَ بالأمس يُسْبَقِ

قضيتَ أمورًا ثم غادرتَ بعدها * بوائقَ فى أكمامها لم تفتَّقِ

قالت عائشة : فقلت لبعض أهلى : اعلَموا لى علمَ هذا الرجل ، فذهبوا فلم يجدوا فى مُناخه أحدًا . قالت عائشة : فوالله إنى لأحسَبه من الجنّ . فلما قُتل عمر نَحَل الناسُ هذه الأبيات للشمّاخ بن ضِرار أو جَمّاع بن ضِرار . هكذا فى الخبر ، وهو جَزْء ابن ضرار .

وضعه ابن سلام فى الطبقة الثالثة

وجعل محمد بن سَلّام فى الطبقة الثالثة الشمّاخَ وقَرَنه بالنابغة ولَبيد وأبى ذُؤَيب الهُذَلىّ ، ووصفه فقال : كان شديدَ متون الشعر أشدَّ كلاما[3] من لبيد ، وفيه كَزازة[4] ، ولبيدٌ أسهلُ منه منطقًا . أخبرنا بذلك أبو خَليفة عنه .

قال الحطيئة إنه أشعر غطفان

وقد قال الحُطَيئة فى وصيّته : أَبْلغوا الشمّاخَ أنه أشعرُ غَطَفانَ ، وقد كُتب ذلك فى شعر الحُطيئة[5] .

(١) فى الأصول «من الحصبة» والتصحيح عن ابن سعد فى العبارة الآتية . (٢) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : «فى منزله عمر» وهو تحريف . وقد وردت هذه القصة فى كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٣ ص ٢٤١ هكذا : « قال ابن شهاب فأخبرنى ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة أن أمه أم كلثوم بنت أبى بكر حدثته عن عائشة قالت : لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين قالت : إذ صدرنا عن عرفة مررت بالمحصب سمعت رجلا على راحلته يقول : أين كان عمر أمير المؤمنين فسمعت رجلا آخر يقول : ها هنا كان أمير المؤمنين . قال : فأناخ راحلته ثم رفع عقيرته ... الخ » . (٣) عبارة ابن سلام «أشدّ أسر الكلام من لبيد» . (٤) الكزازة : اليبس والتقبض . (٥) راجع الجزء الثانى ص ١٩٦ من هذه الطبعة .

هو أوصف الناس للحمير ١٠٣ / ٨

وهو أوصفُ الناس للحَمير . أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمّي عن ابن الكلبيّ قال : أُنشِد الوليدُ بن عبد الملك شيئًا من شعر الشمّاخ في صفة الحمير فقال : ما أوصفه لها ! إني لأحسَب أن أحد أبويه كان حمارًا .

أخبرني إبراهيم بن عبد الله قال حدّثنا عبد الله بن مسلم قال :

٥ كان الشمّاخ يهجو قومه ويهجو ضيفَه ويَمُنّ عليه بقِراه . وهو أوصف الناس للقوس والحمار وأرْجَز الناس على البديهة .

حديث الشماخ ومزرد مع أمهما

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال :

قال مُزَرِّد لأمّه : كان كعب بن زُهير لا يَهابني وهو اليومَ يَهابني . فقالت :

١٠ يا بُنَيّ نَعَمْ ! إنه يرى جَرْوَ الهِراش مُوثَقًا ببابك . تعني أخاه الشمّاخ . وقد ذكر محمد ابن الحسن الأحول هذا الخبر عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل قال : قالت مُعاذة بنت بُجَير بن خَلَف للشمّاخ ومُزَرِّد : عرّضتُماني لشعراء العرب الحطيئة وكعب بن زُهير . فقالا : كلّا ! لا تخافي . قالت : فما يؤمّنني ؟ قالا : إنك ربَطتِ بباب بيتك جَرْوَيْ هِراشٍ لا يجترئ أحدٌ عليهما . يعنيان أنفسهما .

منازعة قوم امرأته الى كثير ابن الصلت

١٥ أخبرني أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال أخبرني شُعيب بن صخر قال :

كانت عند الشمّاخ امرأةٌ من بني سُلَيم أحدِ بني حَرام بن سِمَاك ، فنازعتْه وادّعتْه طلاقًا وحضر معها قومُها فاختصموا إلى كَثير بن الصَّلْت — وكان عثمان بن عفّان أقعده للنظر بين الناس ، وهو رجل من كِنْدة وعِدادُه في بني جُمَح [وقد ولدتهم بنو جمح] (1) ثم تحوّلوا الى بني العبّاس فهم فيهم اليوم — فرأى كَثيرٌ عليهم يمينا ، فالتوَى الشمّاخُ

٢٠ باليمين يحرِّضهم عليها ، ثم حلف وقال :

(١) هذه الجملة في الأصول ولم ترد في الطبقات لابن سلام .

أتتني سُلَيمٌ قَضُّها وقَضيضُها * تمسّح حولى بالبَقيع سِبالَها

يقولون لى يا آحلِفْ[1] ولستُ بحالِفٍ * أُخاتِلهم عنها لكيما أنالَها

ففرّجتُ همَّ النفس عنّى بحَلْفةٍ * كما شَقّتِ الشَّقْراءُ عنها جِلالَها

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال :

قدِم ناسٌ من بَهْز المدينةَ يستَعْدُون على الشمّاخ وزعموا أنه هجاهم ونفاهم ، فجحَد ذلك الشماخُ . فأمر عثمانُ كَثِيرَ بنَ الصَّلْت أن يستحلفه على مِنْبَر النبيّ صلى الله عليه وسلم : ما هجاهم . فآنطلق به كَثِيرٌ إلى المسجد ثم آنتحاه دون بنى بَهْز — وبهز : اسمه تَيْم آبن سُلَيم بن منصور — فقال له : وَيْلَك يا شمّاخ ! إنك لتحلف على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن حلف به آثما يتبوّأْ مقعدَه من النار ! قال : فكيف أفعل فداؤك أبى وأمّى ؟ ! قال : إنى سوف أُحلِّفك ما هجوتهم ، فآقلِب الكلامَ علىّ وعلى ناحيتى فقل : والله ماهجوتكم ، فأَرِدْنى وناحيتى بذلك ، وإنى سأدفع عنك . فلمّا وقف حلَف كما قال له وأقبل على كَثِير فقال : ما هجوتكم . فقالت بَهْز : ما عنَى غيرَكم ، فأعِد اليمين عليه . فقال : مالى أتأوّله ! هل آستحلفتُه إلّا لكم ! وما اليمين إلا مرّةٌ واحدة ! انصرِفْ يا شمّاخ . فانصرف وهو يقول :

أتتنى سُلَيم قَضُّها وقَضيضُها * تمسّح حولى بالبَقيع سِبالَها

يقولون لى يا آحلِفْ ولستُ بحالِفٍ * أُخادعهم عنها لكيما أنالَها

فلولا كَثِيرٌ نعّم اللهُ بالَه * أزلّتْ[2] بأعلى حُجّتَيْك نعالَها

ففرّجتُ همَّ الموت عنّى بحَلْفةٍ * كما شَقّتِ الشَّقْراءُ عنها جِلالَها

(١) فى الأصول : « فاحلف » والتصويب عن ديوانه .

(٢) أزلت : أزلقت . ومرجع الضمير فيه سليم خصومه .

سألته امرأة لا تعرفه عن قصته مع زوجه، وشعره فى ذلك

ونسختُ هذا الخبر على التمام من كتاب يحيى بن حازم قال حدّثنى علىّ بن صالح صاحب المصلّى قال قال القاسم بن مَعْن :

كان الشماخ تزوّج امرأة من بنى سُلَيم، فأساء اليها وضربها وكسر يدها. فعرَضت امرأةٌ من قومها، يقال لها أسماءُ، ذاتَ يوم للطريق تسأل عن صاحبتها. فاجتاز الشمّاخ وهى لا تعرفه : فقالت له : ما فعل الخبيث شمّاخ ؟ فقال لها : وما تريدين منه ؟ قالت : إنه فعل بصاحبةٍ لنا كيت وكيت. فتجاهل عليها وقال : لا أعلم له خبرا، ومضى وتركها وهو يقول :

تُعارِضُ أسماءُ الرِّفاقَ عشيّةً * تسائل عن ضِغْنِ النساءِ النّواكح
وماذا عليها إنْ قَلُوصٌ تمرّغتْ * بعِدْلين أو ألقتْهما بالصَّحاصِح (١)
فإنكِ لو أُنكِحتِ دارتْ بكِ الرّحا * وألْقيتِ رَحْلِى سَمْحةً غيرَ طامح (٢)
أأسماءُ إنّى قد أتانى مخبّرٌ * بفيقةِ يُنْبِى منطقًا غيرَ صالح (٣)
بَعَجتُ اليه البطنَ ثم انتصحتُه * وما كلُّ من يُفشَى اليه بناصح
وإنّى من قومٍ على أنْ ذمَمْتِهم (٤) * اذا أوْلَمُوا لم يُولِموا بالأنافح (٥)
وإنكِ من قوم تَحِنّ نساؤُهم * إلى الجانب الأقْصَى حنينَ المَنائح (٦)

(١) كذا فى جـ . والصحاصح : جمع صحصح وهو الأرض الجرداء المستوية . يريد : ماذا يهمها من امرأة أساءت عشرة زوجها فأدبها . وفى سائر الأصول : « الصحائح » وهو تحريف .
(٢) كذا فى ديوانه . يريد : لو تزوجتك دارت بك الرحى أى انقلب أمرك وتغير . وألقيت رحلى أى أنزلتنى عندك وأكرمت مثواى . وسمحة : منقادة . وغير طامح : غير ملتفتة الى الرجال . وفى الأصول : « فإياك إن أنكحت » .
(٣) فيقة الضحى : أولها وارتفاعها .
(٤) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « قضيتهم » .
(٥) الأنافح : جمع إنفحة (بكسر الهمزة وفتح الفاء) وهى كرش الحمل والجدى ما لم يأكلا، فاذا أكلا فهى كرش .
(٦) المنائح : جمع منيحة وهى المعارة للبن فهى تحنّ لوطنها .

ثم دخل المدينةَ فى بعض حوائجه، فتعلّقت به بنو سُلَيم يطلبونه بظُلامة صاحبتهم، فأنكر. فقالوا : احلف ، فجعل يطلُب اليهم ويغلّظ عليهم أمرَ اليمين وشدّتَها عليه ليرضَوْا بها منه حتى رَضُوا، فحلَف لهم وقال :

ألا أصبحتْ عِرْسِى من البيت جامحًا * بغــير بــلاءٍ[1] أىّ أمرٍ بَــدا لَهَــا

على خَــيْرةٍ[2] كانتْ أم العِــرْسُ جامحٌ * فكيف وقد سُــقْنا الى الحَىِّ ما لَهَــا

سترجِع غَضْــبَى رَثَّةَ الحال عنــدنا * كما قطعتْ منّــا بلَيْــلٍ وصالَهَــا

فذكر بعد هذه الأبيات قولَه :

* أتتــنى سُلَيْمٌ قَضُّها وقَضِيضُها *

الى آخر الأبيات .

خطب امــرأة فتزوجها أخــوه جزء فماتا متهاجرين

وقال ابن الكلبىّ :

كان الشّمّاخ يهوَى امرأةً من قومه يقال لهــا كَلْبةُ بنتُ جَوّال أختُ جَبَلِ بن جَوّال الشاعر ابن صَفْوان بن بِلال بن أَصْرَم بن إياس بن عبد تَميم بن جِحَاش بن بَجَالةَ بن مازِن بن ثَعْلَبــة ، وكان يتحدّث اليها ويقول فيها الشعر ، فخطَبها فأجابته وهمّت أن تتزوّجه . ثم خرج إلى سفر له فتزوّجها أخوه جَزْءُ بن ضِرَار، فآلَى الشّمّاخ ألّا يكلِّمه أبدا، وهجاه بقصيدته التى يقول فيها :

لنا صاحبٌ قد خان من أجل نَظْرةٍ * سقيمُ الفؤاد حبُّ كَلْبــةَ شاغلُهْ

فمــاتا متهاجرين .

---

(١) كذا فى تجريد الأغانى . وفى ديوانه : « على غير شىء » . وفى الأصول : « بخير بلاء » وهو تحريف . (٢) أى على حالة خيرة . وأم للإضراب بمعنى بل .

استنشد المهدىّ ابن دأب من أشعر ما قالت العرب فأنشده من شعره

أخبرنى أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمّار قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد الورّاق قال حدّثنى أحمد بن محمد بن بكر الزُّبَيرىّ قال حدّثنا الحسن بن موسى بن رَبَاح مولى الأنصار عن أبى غُزَيّة الأنصارىّ قال :

كنتُ على باب المهدىّ يومًا ، فخرج حاجبه فقال : أين ابن دَأْب ؟ فقال : هأنذا . فقال : آدخل ؛ فدخل ثم خرج فجلس . فقلت : يآبن دأب ، ما جرى بينك وبين أمير المؤمنين؟ قال قال لى : أنشِدْنى أبياتا من أشعر ما قالت العرب؛ فأردت أن أُنشده قولَ صاحبك أبى صِرْمَةَ الأنصارىّ التى يقول فيها :

١٠٥ / ٨

لنا صُوَرٌ يؤول الحقُّ فيها * وأخلاقٌ يَسُود بها الفقيرُ
ونصحٌ للعَشيرة حيث كانت * إذا مُلئت من الغشّ الصدور
وحِلْمٌ لا يَصُوب الجهلُ فيه * وإطعامٌ اذا قَحَط الصَّبِير (١)
بذات يدٍ على ما كان فيها * نجود (٢) به قليلٌ أو كثير

فتركتُها وقلت : إن من أشعر ما قالت العرب قولَ الشّمّاخ :

وأشعثَ قد قَدّ السِّفارُ (٣) قميصَه * يجرّ شِواءً (٤) بالعصا غيرَ مُنْضَجِ
دعوتُ الى ما نابنى فأجابنى * كريمٍ من الفتيان غيرِ مُزَلَّجِ (٥)
فتًى يملأ الشِّيزَى (٦) ويُرْوِى سِنانَه * ويضرب فى رأس الكَمِىّ المُدَجَّجِ
فتًى ليس بالراضى بأدنى معيشةٍ * ولا فى بيوت الحىّ بالمتولّجِ

(١) الصبير : السحاب الأبيض لا يكاد يمطر . (٢) فى الأصول : « يجود » . والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٣) السفار : السفر، أى رب أشعث شقت كثرة السفر وكثرة العمل لرفقائه ثوبه . (٤) فى ديوانه : « وجر الشواء بالعصا غير منضج » . (٥) المزلج : الملصق بالقوم وليس منهم ، والرجل الناقص المروءة . (٦) الشيزى : خشب تتخذ منه القصاع .

فقال : أحسنتَ ! ثم رفع رأسه الى عبد الله بن مالك فقال : هذه صفتُك يا أبا العباس . فأكبَّ عليه عبد الله فقبّل رأسه وقال : ذكَرك اللهُ بخير الذِّكر يا أمير المؤمنين . قال أبو غُزَيّة فقلت له : الأبياتُ التى تركتَ واللهِ أشعرُ من التى ذكرت .

عرابة الذى مدحه ونسبه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : ٥

عَرَابةُ الذى عناه الشمّاخ بمدحه هو أحد أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو عرابة بن أَوْس بن قَيْظِىّ بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة بن الحارث بن الخَزْرَج . وإنما قال له الشماخ : عرابة الأَوْسىّ، وهو من الخَزْرَج، نسبةً الى أبيه أوس بن قَيْظِىّ . ولم يصنَع إسحاقُ فى هذا القول شيئا . عَرَابة من الأَوْس لا من الخَزْرَج، وفى الأوس رجل يقال له الخَزْرَج ليس هذا هو الجدّ الذى ينتهى اليه الخَزْرجيّون الذى هو أخو الأوس، هذا الخَزْرَج بن النَّبيت بن مالك بن الأَوْس، وهكذا نَسَبه النسّابون . ١٠

أتى عرابة النبى فى غزاة أحد مع غلمة فردّهم

وأخبرنى به الحَرَمىّ بن أبى العَلاء عن عبد الله بن جعفر بن مُصْعَب عن جدّه مصعب الزُّبَيرىّ عن ابن القَدّاح : وأتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى غَزاة أُحُد ليغزوَ معه؛ فردّه فى غِلْمة استصغرهم : منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأُسَيْد بن حُضَير والبَرَاءُ بن عازب وعَرَابة بن أَوْس وأبو سعيد الخُدْرىّ . ١٥

أخبرنى بذلك محمد بن جرير الطبرىّ عن الحارث بن سعد عن الواقدىّ عن محمد بن حُمَيد عن سلَمةَ عن ابن إسحاق .

قصة أبى عرابة وعمه مع النبى

وأوس بن قَيْظِىّ أبو عَرَابة من المنافقين الذين شهدوا أُحُدًا مع النبىّ صلّى الله عليه وسلم وهو الذى قال له : إنّ بيوتنا عَوْرةٌ . وأخوه مِربَع[1] بن قَيْظِىّ الأعمى ٢٠

(١) كذا فى سيرة ابن هشام ص ٥٥٩ . وفى الأصول : « مرفع » بالفاء .

الذى حَثَا فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الترابَ لمّا خرج الى أُحُدٍ وقد مرّ فى حائطه [1] وقال له : إن كنتَ نبياً فما أُحِلُّ لك أن تدخل فى حائطى . فضربه سعد بن زيد الأشْهَلى بقوسه فشجَّه وقال : دَعْنِى يا رسولَ الله أقتلْه فإنه منافق . فقال صلى الله عليه وسلم : "دَعُوه فإنه أعمى القلبِ أعمى البصر" . فقال أخوه أَوْس بن قَيْظِىّ أبو عَرَابة : لا والله ولكنها عداوتُكم يا بنى عبد الأشْهَل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا والله ولكنه نِفاقكم يا بنى قَيْظِىّ" .

١٠٦ / ٨

كان عرابة سيدا فى قومه وأبوه من وجوه المنافقين

أخبرنا بذلك الحَرَمِىّ عن عبد الله بن جعفر الزُّبَيرىّ عن جدّه مُصْعَب عن ابن القَدّاح :

أن عَرابة كان سيِّدا من سادات قومه وجوادًا من أجوادهم ، وكان أبوه أوس ابن قَيْظِىّ من وجوه المنافقين .

لقى الشماخ بالمدينة فأكرمه فمدحه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المَدائنى عن ابن جُعْدُبة ، وأخبرنى علىّ بن سليمان عن محمد بن يَزيد ، وأخبرنى إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم :

أنّ الشمّاخ خرج يريد المدينة ، فلقيه عَرابةُ بن أوس فسأله عما أقدمه المدينةَ ، فقال : أردت أن أَمْتارَ لأهلى . وكان معه بَعيران فأوقرهما له بُرًّا وتمرا وكساه وبَرّه وأكرمه . فخرج عن المدينة وآمتدحه بهذه القصيدة التى يقول فيها :

رأيت عَرابةَ الأَوْسِىَّ يسمو * الى الخيرات منقطعَ القرين

سأله معاوية بأى شىء سدت فأجابه

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا الرِّياشى قال حدّثنا الأصمعىّ قال :

---

(١) الحائط : البستان .

قال معاوية لعرابة بن أوس : بأى شىء سُـدْتَ قومَك ؟ فقال : أعفو عن جاهلهم، وأعطى سائلَهم، وأسعى فى حاجاتهم، فمن فعل كما أفعل فهو مثلى، ومن قصَّر عنه فأنا خيرٌ منه، ومن زاد فهو خيرٌ منّى . قال الأصمعىّ : وقد انقرض عَقِبُ عرابة فلم يبق منهم أحد.

اعترض عليه ابن دأب فى شعره لابن جعفر

٥ أخبرنى أحمد بن يحيى بن محمد بن سعيد الهَمْدانى قال قال يحيى بن الحسن ابن جعفر بن عُبيد الله بن الحسين بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه :

قال ابن دَأْب وسمع قولَ الشمّاخ بن ضِرار فى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه :

١٠ إنك يا بنَ جعفرٍ نِعم الفتى * ونعـم مأوى طارقٍ اذا أتى

وجارُ ضيفٍ طرَق الحىَّ سُرَى * صادف زادًا وحديثًا ما آشتهى

* إن الحديثَ طَرَفٌ من القِرَى *

فقال ابن دأب : العَجَب للشمّاخ! يقول مثلَ هذا لابن جعفر و يقول لعَرَابة :

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد * تلقّاها عَرابةُ باليمين

١٥ اِبن جعفر كان أحقَّ بهذا من عرابة! .

نقد أبو نواس بيتا له ووازنه بشعر الفرزدق

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنى الكُرَانىّ محمد بن سـعد قال حدّثنى طائع قال أخبرنى أبو عمرو الكَيِّس قال قال لى أبو نواس : ما أحسن الشّماخُ فى قوله :

إذا بلغْتِنى وحملتِ رحلى * عَرابةَ فآشرَقى بدمِ الوَتينِ(١)

(١) الوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه .

لا كما قال الفرزدق :

علامَ تلفّتين وأنتِ تحتى * وخيرُ النّاس كلّهم أمامى
متى تَرِدى الرُّصافةَ تستريحى * من التّهجير[(٢)] والدَّبَرِ الدّوامى

قلت أنا : وقد أخذ معنى قول الفرزدق هذا داودُ بن سَلْم فى مدحه قُثَمَ بن العباس
٥ فأحسن فقال :

نجـوتِ من حِلِّ ومن رِحْلتى * يا ناقُ إن أدنيتِنى من قُثَمْ
إنكِ إن أدنيتِ منـه غدًا * حالفنا اليُسْرُ ومات العَـدَمْ
فى كفّـه بحـرٌ وفى وجهـه * بدرٌ وفى العِرْنين منـه شَمَمْ
أصمُّ عن قِيل الخنا سمعُـه * وما عن الخير به من صَمَم
١٠ لم يَدْرِ ما "لا" و"بلَى" قد درَى * فعافها واعتاض منها "نعم"

١٠٧ / ٨

نقد عبد الملك بن مروان شعره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا الخَرّاز عن المَدائنىّ قال :
أنشد عبدُ الملك قولَ الشمّاخ فى عَرابة بن أوس :

إذا بلّغْتِنى وحملتِ رحـلى * عرابةَ فاشرَقى بدم الوَتين

فقال : بئست المكافأةُ كافأها ! حملتْ رحلَه وبلّغتْه بُغيتَه فجعل مكافأتها نَحْرَها ! .

المهلب والشعراء

١٥ قال الخَرّاز : ومثل هذا ما حدّثناه المدائنىُّ عن ابن دَأْب أن رجلًا لقى المهلَّبَ فنحر ناقته فى وجهه؛ فتطيّر من ذلك وقال له : ما قصّتك ؟ فقال :

إنى نذرتُ لئن لَقيتُكَ سالمًا * أن تستمرّ بها شِفارُ الجازر

فقال المهلّب : فأطعمونا من كَبِد هذه المظلومة ، ووصَلَه .

قال المدائنىّ : ولقيَتْه امرأةٌ من الأَزْد وقد قدِم من حرب كان نهض اليها ،
٢٠ فقالت : أيها الأمير ، إنى نذرتُ إن وافيتك سالمًا أن أُقبِّل يدك وأصوم يوما

(٢) التهجير : المشى فى الهاجرة . والدبر (بفتحتين) جمع دبرة (بفتحتين) وهى قرحة الدابة .

وتهبَ لى جارية صُغْدِيّة[1] وثلثمائة درهم . فضحك المهلّب وقال : قد وفّينا لكِ بنذركِ فلا تعاودى مثله ، فليس كل أحد يفى لك به .

المهدى وأبو دلامة

وأخبرنى الحسن قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى بعض أصحابنا عن القَحْذَمىّ : أنّ أبادُلَامة لقِىَ المهدىَّ لمـّا قدِم بغدادَ ، فقال له :

إنى نذرتُ لئن رأيتكَ وارداً * أرضَ العراق وأنت ذو وَفْر ٥

لَتُصَلِّيَنّ على النبىّ محمـدٍ * ولتملأنّ دراهمًا حِجْـرى

فقال له : أمّا النبىّ فصلّى الله على النّبىّ محمد وآلِهِ وسلّم ، وأمّا الدراهم فلا سبيل اليها . فقال له : أنت أكرمُ من أن تُعطِيَنى أسهلَهما عليك وتمنعَنى الأخرى . فضحك وأمر له بما سأل . وهذا مما ليس يجرى فى هذا الباب ولكن يُذكر الشىء بمثله .

لطيفة الأعرابى على مائدة عبد الملك ابن مروان بسبب بيت له

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال ١٠ حدّثنا مسعود بن عيسى العَبْدىّ قال حدّثنى أحمد بن طالب الكنانى (كنانة تَغْلِب) ، وأخبرنى به محمد بن أحمد بن الطَّلَّاس عن الخَرّاز عن المَدائنى لم يتجاوزه به قال :

نصَب عبد الملك بن مروان الموائد يُطعِم الناس ، فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك الموائد . فنظر اليه خادمٌ لعبد الملك فأنكره ، فقال له : أعراقىٌّ أنت؟ قال : نعم . قال : أنت جاسوس؟ قال : لا . قال : بَلَى . قال : وَيحَك ! ١٥ دَعْنى أتهنّأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغّصْنى به . ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال مَن القائل :

---

(١) صغدية : نسبة الى الصغد وهى كورة قصبتها سمرقند .

إذا الأَرْطَى توسَّد أَبْرَدَيْهِ * خدودُ جوازئٍ بالرَّمْل عِينِ[(١)]

وما معناه؟ ومن أجاب فيه أجزْناه، والخادم يسمع. فقال العراقىّ للخادم: أتحبّ أن أشرح لك قائلَه وفيم قاله؟ قال: نعم. قال: يقوله عَدِىّ بن زيد فى صفة البِطِّيخ الرَّمْسِىّ. فقال ذلك الخادم. فضحك عبد الملك حتى سقط. فقال له الخادم: أخطأتُ أم أصبتُ؟ فقال: بل أخطأتَ. فقال: يا أمير المؤمنين، هذا العراقىّ فعل الله به وفعل لقَّنَنِيه. فقال: أىُّ الرجالِ هو؟ فأراه إياه. فعاد اليه عبد الملك وقال: أنت لقَّنْتَه هذا؟ قال: نعم. قال: أخطأً لقَّنْتَه أم صوابا؟ قال: بل خطأ. قال: ولِمَ؟ قال: لأنى كنت متحرِّما بمائدتك فقال لى كيت وكيت، فأردتُ أن أكُفَّه عنِّى وأُضحِكَكَ. قال: فكيف الصواب؟ قال: يقوله الشّماخ بن ضِرَار الغَطَفانىّ فى صفة البقر الوحشيّة قد جَزَأَتْ بالرُّطْب عن الماء. قال: صدقتَ وأجازه، ثم قال له: حاجتَك؟ قال: تُنَحِّى هذا عن بابك فإنه يَشِينُه.

١٠٨/٨

سأل كثير يزيد ابن عبدالملك عن معنى بيت له فسبه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال كتب الىّ إسحاق ابن إبراهيم الموصلىّ أن أبا عُبيدة حدّثه عن غير واحد من أهل المدينة:

---

(١) قال البغدادى نقلا عن ابن قتيبة: الأرطى: شجر من أشجار البادية تدبغ به الجلود. وهو مفعول لفعل محذوف أى إذا توسد الأرطى. وأبرديه بدل اشتمال من الأرطى. ومعنى توسد أبرديه: اتخذهما كالوسادة. والأبردان: الظل والفىء، سميا بذلك لبردهما، والأبردان أيضا: الغداة والعشى. وخدود فاعل توسد. والجوازئ: الظباء وبقر الوحش، سميت جوازئ لأنها اجتزأت با كل النبت الأخضر عن الماء. قال فى اللسان فى مادة جزأ: الظباء لا تعنى فى هذا البيت كما ذهب اليه ابن قتيبة؛ لأن الظباء لا تجزأ بالكلأ عن الماء، و إنما عنى البقر. و يقوى ذلك أنه قال عين؛ والعين من صفات البقر لا من صفات الظباء. والعين: الواسعات العيون، جمع عيناء. والمعنى: أن الوحوش تتخذ كناسين عن جانبى الشجر تستتر فيهما من حر الشمس فترقد قبل زوال الشمس فى الكناس الغربى، فاذا زالت الشمس الى ناحية المغرب وتحول الظل فصار فيئا زالت عن الكناس الغربى ورقدت فى الكناس الشرقى. (راجع ديوانه ص ٩٤).

أن يزيد بن عبد الملك لمّـا قَدِم عليه الأحوص وصله بمائة ألف درهم. فأقبل اليه كثيّر يرجو أكثر من ذلك، وكان قد عوّده مَنْ كان قبلَ يزيدَ من الخلفاء أن يُلْقى عليهم بيوتَ الشعر ويسألَهم عن المعانى. فألقى على يزيدَ بيتا وقال : ياأمير المؤمنين، ما يَعْنى الشّمّاخُ بقوله :

فما أَرْوَى وإن كَرُمتْ علينا * بأدنَى من موقَّفـةٍ حَرُونِ (١)
تُطِيف على الرُّماة فتتَّقيهـم * بأوعالٍ مُعَطَّفةِ القُرونِ (٢)

فقال يزيد : وما يضرّ ياماصَّ بَظْرِ أمّه ألّا يعلم أميرُ المؤمنين هـذا ! وإن احتاج الى علمه سأل عبدًا مثلَك عنه ! . فنـدِم كثيّر وسكّته مَنْ حضَر من أهـل بيته، وقالوا له : إنه قد عوّده مَنْ كان قبلك من الخلفاء أن يُلْقِى عليه أشباهَ هذا، وكانوا يشتهونه منه ويسألونه إياه؛ فطَفِئَ عنه غضبُه . وكانت جائزته ثلاثين ألفا، وكان يطمع فى أكثر من جائزة الأحوص .

وأخبرنا أبو خَليفة بهـذا الخبر عن محمـد بن سَـلّام فذكر أنه سأل يزيد عن قول الشّمّاخ :

وقد عَرِقتْ مَغَابِنُها وجادتْ * بِدِرَّتِها قِرَى حَجِنٍ قَتِينِ (٣)

---

(١) كذا فى ج وديوانه . وقد جاء فيه شرح هذا البيت هكذا : الموقفة : الأروية (أنثى الوعول) التى فى قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل . والوقف : الخلخال . والتوقيف : البياض مع السواد . فأراد أن فى قوائمها خطوطا تخالف لونها . والحرون : التى تحـرن فى أعلى الجبل فلا تبرح . وأروى : اسم محبوبته . يريد أن محبوبته ليست بأقرب من هذه الأروية التى لاتنال . وفى سائر الأصول : « مفوقة » وهو تحريف . (٢) أى تطيف بهذه الأروية الرماة فلا تبرح لأنها فى أعلى الجبل ودونها أوعال فلا يصل اليها نبل الرماة ، لأنهم يرمون الأوعال لأنها أقرب اليهم فكأنها تق نفسها بها . وإنمـا يؤكد بهذا بعدها وأنها لا يقدر عليها . (٣) كذا فى ديوانه واللسان مادة «حجن وجحن» والمغابن : الآباط ، وقيل : الأرفاغ . والقتين : مثل الحجن ، أراد به قرادا سيّئ الغذاء ، وجعل عرق هذه الناقة قوتا له . وفى الأصول : «بدرتها بها جحن قتين» .

فسكت عنه يزيد، فقال يزيد : وما على أمير المؤمنين لا أمّ لك ألّا يعرف هذا! هو القُرَاد أشبهُ الدوابّ بك !.

تمثل ابن الزبير ببيت له فى حواره لمعاوية

نسخت من كتاب يحيى بن حازم حدّثنا علىّ بن صالح صاحب المُصلَّى قال حدّثنا ٱبن دَأْب قال :

٥ قال معاوية لعبد الله بن الزُّبَير وهو عنده بالمدينة فى أُناس : يآبنَ الزُّبَير، ألَا تَعْذِرنى فى حسن بن علىّ! مارأيتُه مُذْ قَدِمتُ المدينةَ إلّا مرّةً. قال : دَعْ عنك حسنًا، فأنت والله وهو كما قال الشمّاخ :

أجامِلُ أقوامًا حياءً وقد أرَى * صدورَهمُ تَغْلِى علىّ مِراضُها

والله لو يشاء حسنٌ أن يضربك بمائة ألف سيف ضربك ! والله لأهلُ العراق ١٠ أرأَمُ له من أمّ الحُوار لحُوارها . فقال معاوية رحمه الله : أردتَ أن تُغرِيَنى به ! والله لأصِلنّ رَحِمَه ولأُقْبِلَنّ عليه، وقال :

ألَا أيّها المرءُ المُحَرِّش بيننا * ألَا ٱقْتُل أخاك لستُ قاتلَ أرْبَدِ

أبَى قُرْبُه منّى وحسنُ بلائه * وعلمى بما يأتى به الدهرُ فى غد

— والشعر لعُروة بن قَيْس — فقال ابن الزُّبَير : أمَا واللهِ إنّى وإيّاه لَيَدٌ عليك بحِلْف (١)

١٥ (١) حلف الفضول : حلف تداعت له قريش واجتمعوا من أجله فى دار عبدالله بن جدعان تعاهدوا فيه على ألا يجدوا بمكة مظلوما إلا ردوا عليه مظلمته ، كان قبل البعث بعشرين سنة . وأوّل من دعا اليه الزبير بن عبد المطلب . وسببه أن رجلا من زبيد قدم مكة بتجارة له ، فاشتراها منه العاص بن وائل وحبس عنه ثمنها . فآستعدى عليه الزبيدى الأحلاف من قريش فأبوا أن يعينوه على العاص لمكانته فيهم . فأوفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة فصاح بأعلى صوته :

٢٠ يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائى الدار والنفر

فقام الزبير بن عبد المطلب واجتمعت هاشم وزهرة وتيم فى دار ابن جدعان وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى عليه حقه . فسمى ذلك الحلف حلف الفضول وقالوا : لقد دخل هؤلاء فى فضل من الأمر . ثم مشوا الى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى وردّوها اليه .

الفُضُول . فقال معاوية : من أنت ! لا أَعرِض لك وحِلفَ الفُضول ! والله ما كنتَ فيها إلا كالرَّهينة تُثْخَن معنا وتَرْدَى هزيلًا، كما قال أخو هَمْدَان :

١٠٩ / ٨

إذا ما بعيرٌ قام علّق رحله * وإن هو أبقى بالحياة مُقَطَّعا[1]

صوت من مُدُن معبد

صوت معبد فى شعر كثير بن كثير بن المطلب

وهو الذى أوّله :

* كم بذاك الحَجُون من حىّ صدقٍ *

أَسْعدانِى بعَبْرةٍ أَسْرابِ * من شؤون كثيرةِ التَّسْكاب

إن أهلَ الحِصاب قد تركونى * مُوزَعًا مُولَعًا بأهل الحِصاب

كم بذاك الحَجُونِ من حَىِّ صِدْقٍ * وكُهول أَعِفَّةٍ وشَباب

سكَنوا الجِزْعَ جِزْعَ بيت أبى مو * سى إلى النخل من صُفِىِّ السِّباب

فارَقونى وقد علمتُ يقينًا * ما لمن ذاق ميتةً من إياب

فَلِىَ الويلُ بعدَهم وعليهم * صرتُ فردًا وملَّنى أصحابى

عَروضه من الخفيف . الشؤون : الشُّعَب التى يتداخل بعضُها فى بعض من عظام الرأس، واحدها شأن مهموزا . والجِزْع : منعطَف الوادى . وصُفِىُّ[2] السِّباب : جمع صَفَاة وهى الحجارة . ولُقِّبتْ صُفِىَّ السِّباب لأن قوماً من قريش ومواليهم كانوا يخرجون اليها بالعَشِيَّات يتشاتمون ويذكرون المعايبَ والمثالبَ التى يُرمَوْن بها؛ فسُمِّيتْ تلك الحجارةُ صُفِىَّ السِّباب .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ عن علىّ بن محمد النَّوْفَلىّ عن أبيه قال يقال: صَفَا السِّبابِ وصُفِىّ السِّبَاب بفتح الفاء وكسرها جميعا، وهو شِعْبٌ من

(١) كذا ورد هذا البيت فى الأصول .

(٢) صفىّ : جمع صفا، وصفا جمع صفاة . فصفىّ جمع الجمع لصفاة .

شِعاب مكة فيها صَفًّا أى صخرٌ مطروح . وكانت قريش تخرج فتقف على ذلك الموضع فيفتخرون ثم يتشاتمون وذلك فى الجاهلية فلا يفترقون إلا عن قتال، ثم صار ذلك فى صدرٍ من الإسلام أيضا حتى نشأ سُدَيْف مولى عُتْبة[(1)] بن أبى سُدَيْف وشَبِيبٌ مولى بنى أُمَيّة ، فكان هذا يخرج فى موالى بنى هاشم وهذا فى موالى بنى أُمَيّة ، فيفتخرون ثم يتشاتمون ثم يتجالدون بالسيوف . وكان يقال لهم السُّدَيْفية والشَّبِيبيّة . وكان أهل مكّة مقتسِمين بينهما فى العصبيّة ؛ ثم درَس ذلك فصارت العصبيّة بمكة بين الجزّارين والحنّاطين ، فهى بينهم الى اليوم ، وكذلك بالمدينة فى القِمار وغيره .

الشعر لكَثِير بن كَثِير بن المطَّلب بن أبى وَدَاعة السَّهْمىّ ، وقيل : بل هو لكُثَيِّر عَزَّة . وقد رُوى فى ذلك خبر نذكره . والغناء لمَعْبَد ثقيلٌ أوّل بالوسطى فى مجراها عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه ثقيلًا أول بالخنصر للغَرِيض ولحنًا آخر لابن عَبّاد ولم يجنِّسه . ولابن جامع فى الخامس والسادس رَمَلٌ بالوسطى . ولابن سُرَيج فى الأربعة الأُوَل ثقيلٌ أول بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . ولابن أبى دُبَاكل الخُزَاعىّ فيها ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامىّ وأبى أيّوبَ المَدَنىّ وحَبَش . فمن روى هذا الشعر لكُثيّر عزّة يرويه :

* إنّ أهل الخضاب قد تركونى *

ويزعم أن كثيِّرا قاله فى خِضاب خضَبتْه عَزّةُ به .

ابن عائشة يذكر بحادثة لكثير وعزة ويغنى بشعره

أخبرنى بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة ولم يتجاوزه ، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى الزُّبيرىّ

(١) فى جـ : « مولى بنى عتبة بن سديف » .

١١٠
٨

قال حدّثنى بهذا الخبر أيضا وفيه زيادة وخبره أحسن وأكثر تلخيصا وأدخل فى معنى الكتاب، قال الزُّبَيرىّ حدّثنى أبى قال :

خرجت إلى ناحية فَيْد(١) متنزِّها، فرأيت ابن عائشة يمشى بين رجلين من آل الزُّبَير وإحدى يديه على يد هذا والأخرى على يد هذا، وهو يمشى بينهما كأنه امرأة تُجْلَى على زوجها . فلمّا رأيتهم دنوت فسلّمت وكنت أحدثَ القومِ سِنًّا ، فآشتهيتُ غِناء ابن عائشة فلم أدر كيف أصنع . وكان ابن عائشة إذا هيَّجتَه تحرك . فقلت : رحم الله كثيِّرا وعَزّة! ما كان أوفاهما وأكرمَهما وأصونَهما لأنفسهما! لقد ذكرتُ بهذه الأودية التى نحن فيها خبرعَزّة حين خضَبتْ كثيِّرا . فقال ابن عائشة : وكيف كان حديث ذلك ؟ قلت : حدّثنى مَنْ حضره بذلك — ومن هاهنا تتفق رواية عمر بن شَبّة والزُّبَيرىّ — قال : خرج كثيِّر يريد عَزّة وهى منتجعة بالصَّوَارِى وهى الأودية بناحية فَدَك، فلما كان منها قريبًا وعلم أن القوم جلسوا عند أنديتهم للحديث بعث أعرابيًّا فقال له : اذهب إلى ذلك الماء فإنك ترى امرأةً جسيمةً لَحِيمةً تُبالِط الرجالَ الشعر — قال إسحاق : المبالطة : أن تُنْشِد أوّلَ الشعر وآخرَه — فإذا رأيتَها فنادِ : من رأى الجملَ الأحمر؟ مرارا . ففعل . فقالت له : وَيْحَك قد أسمعتَ فآنْصَرِفْ، فآنصرف اليه فأخبره . فلم يلبَث أن أقبلتْ جاريةٌ معها طَسْتٌ وتَوْرٌ(٢) وقِربة ماء حتى آنتهتْ اليه، ثم جاءت بعد ذلك عَزَّةُ فرأته جالسًا محتبيا قريبًا من ذراع راحلته . فقالت له : ما على هذا فارقتُك ! . فركب راحلتَه وهى باركةٌ وقامت إلى لِحْيَته فأخذت التَّوْر فخضَبتْه وهو على ظهر جمله حتى فرغتْ من خِضابه، ثم نزل فجعلا يتحدّثان حتى عَلِق الخضابُ، ثم قامت اليه فغسلت لِحيتَه ودهَنَتْه، ثم قام فركب وقال :

(١) فيد : منزل بطريق مكة . (٢) تور : إناء صغير .

إنّ أهل الخضاب قد تركونى * مُوزَعاً مُولَعًا بأهل الخضاب

وذكر باقىَ الأبيات كلّها . والى هاهنا رواية عمر بن شبّة . فقال آبن عائشة : فأنا والله أُغنّيه وأُجيده ، فهل لكم فى ذلك ؟ فقلنا : وهل لنا عنه مَدْفَعٌ! فآندفع يغنّى بالأبيات ، نخُيِّل إلىّ أن الأودية تنطق معه حسنا . فلمّا رجعنا الى المدينة قصصت القصّة، فقيل لى : إن ذلك أحسن صوت يغنّيه ابن عائشة ؟ فقلت : لا أدرى إلّا أنى سمعت شيئًا وافق محبّتى .

معبد وابن سريج يبكيان أهل مكة بغنائهما

وقال عبد الله بن أبى سعد حدثنى عبد الله بن الصّبّاح عن هشام بن محمد عن أبيه قال :

زار معبدٌ ابنَ سُريج والغَريضَ بمكة، فخرجا به الى التّنْعيم[1] ثم صاروا الى الثنيّة العُلْيا ثم قالوا : تعالَوْا حتى نُبْكِىَ أهل مكة، فآندفع آبن سُرَيج فغنّى صوتَه فى شعر كَثير بن كَثير السَّهْمىّ :

أَسْعدِينى بعَبْرةٍ أَسْرابِ * من دموعٍ كثيرةِ التَّسْكابِ

فأخذ أهلُ مكة فى البكاء وأَنُّوا حتى سُمع أنينُهم . ثم غنّى معبد :

صوت

يا راكبًا نحوَ المدينة جَسْرةً * أُجُدًا[2] تلاعب حَلْقةً وزِماما

اِقرأ على أهل البَقيع من آمرئ * كَمِدٍ على أهل البقيع سلاما

كم غيّبوا فيه كريمًا ماجدًا * شَهْمًا ومُقْتَبِلَ الشبابِ غلاما

ونفيسةً فى أهلها مرجوّةً * جمعتْ صَباحةَ صورةٍ وتَماما

فنادَوْا من الدروب بالويل والحَرَب والسَّلَب ، وبقى الغَريض لا يقدر من البكاء والصُّراخ أن يغنّى .

111/8

(١) التنعيم : موضع بمكة على بعد فرسخين منها . ومنه يحرم المكيون بالعمرة .

(٢) ناقة جسرة : ضخمة . وأجد : قوية موثقة الخلق .

الشعر لعمر بن أبى رَبيعة . والغِناء لمَعْبد ثقيل أوّل بالوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنه ليحيى المكى ، وقد غلِط . وذكر حبش أن لعَلّويه فيه ثقيلا أوّل آخر .

صوت من مدن معبد فى شعر قيس ابن ذريح

ومن مُدُن معبد

صـــوت

وقد أُضيف اليه غيره من القصيدة : ٥

سَلِي[1] هل قَلاَنِى من عَشيرٍ صَحِبتُه * وهــل ذَمَّ رحلى فى الرِّفاق رفيقُ

وهل يجتَوِى القومُ الكِرامُ صَحابتى * اذا اغبرَّ مَخْشِىٌّ الفِــجَاج عَميــق

ولو تعلمين الغيبَ أيقنتِ أنّنى * لكم والهَدَايا المُشْعَراتِ صـديق

تكاد بلادُ الله يا أمَّ مَعْمَـرٍ * بمـا رَحُبتْ يومًا علىّ تَضيــق

أذُود سَوَامَ الطَّرْف عنكِ وهل لها * الى أحدٍ إلا إليــكِ طــريق ١٠

وحــدّثْتَنِى يا قلبُ أنك صـابرٌ * على البَيْن من لُبْنَى فسوف تذوق

فمُتْ كَمَدًا أو عِشْ سَـقيمًا فإنمـا * تكلِّفُـنى مالا أراك تُطيــق

بلُبْنَى أُنادَى عنـــد أوّل غَشْـية * ولو كنتُ بين العائدات أُفيــق

إذا ذُكرت لبنى تجلّتْــكَ زَفْـرةٌ * ويَثْنِى لك الدّاعى بهـا فتُفيــق

عروضه من الطويل . الشعر لقيس بن ذَرِيح . والغناء لمَعْبد فى اللحن المذكور ثقيل أوّل بالخنصر فى مجرى البِنصر عن إسحاق فى الأول والثانى والثالث . وذكر فى موضع آخر وافقتْه دَنَانيرُ[2] أن لمعبد ثقيلا أوّل بالبنصر فى مجرى الوسطى أوّله : ١٥

(١) فى الأصول : «سلا» والخطاب لأنثى . وقبل البيت :

وإن كنت لما تخبرى فسائلى * فبعض الرجال للرجال رموق

(راجع هــذه القصيدة بتمامها فى الأمالى ج ٢ ص ٢٥٧) والقصــيدة فيه منسوبة لمضرس بن قرط ابن الحارث المزنى . ٢٠

(٢) كذا بالأصول . ولعله : ومرافقته دنانير . أو : وافقته فيه دنانير .

صــــوت

أتجمع قلبًا بالعراق فَرِيقُه * ومنه بأطلال الأَرَاكِ فريقُ
فكيف بها لا الدارُ جامعةُ النَّوَى * ولا أنت يومًا عن هواكَ تُفيقُ
ولو تعلمين الغيب أيقنتِ أنَّنى * لكم والهدايا المُشْعَراتِ صديقُ

٥ البيتان الأوّلان يُرْوَيان لجرير وغيره، والثالث لقيس بن ذَرِيح أضافه إليهما مَعْبد. وذكر عمرو ويونس أن لحن معبد الأوّل فى خمسة أبيات أُولَى من الشعر. وذكر عمرو بن بانة أنّ لبَذل الكبيرة خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى فى الرابع من الأبيات وبعده:

دَعَوْنَ الهوى ثم ٱرتَمَيْنَ قلوبَنا * بأعيُنِ أعداءٍ وهنّ صديقُ

وبعده الخامس من الأبيات وهو "أَذُود سَوَامَ الطَّرْف". وزعم حَبَشٌ أن فى لحن معبدٍ الثانى الذى أوّله: "أتجمع قلبا" لآبن سُرَيج خفيفَ رملٍ بالبنصر. وذكر ١٠ أيضا أن للغَرِيض فى الأوّل والثانى والسّابع ثانىَ ثقيلٍ بالبنصر، ولآبن مِسْجَح خفيفَ رملٍ بالبنصر. وفى السادس وما بعده لحَكَم الوادىّ ثقيلٌ أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حَبَش أن للغَرِيض فيها ثقيلًا أوّل بالوسطى.

١١٢/٨

ذكر قيس بن ذَرِيح ونسبه وأخباره

نسبه

هو، فيما ذكر الكلبىّ والقَحْذَمِىّ وغيرهما، قيس بن ذَرِيح بن سُنَّة بن حُذَافة ابن طَريف بن عُتْوارة بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبد مَنَاة وهو علىّ بن كِنَانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر بن نِزار . وذكر أبو شُرَاعة القَيْسِىّ[1] أنه قيس ابن ذَرِيح بن الحُبَاب بن سُنَّة، وسائر النسب متّفق . واحتجّ بقول قيس :

فإنْ يك تَهْيامِى بلُبْنَى غَوايةً * فقد ياذَرِيحُ بنَ الحُبَابِ غَوَيْتُ

وذكر القَحْذَمِىّ أن أمّه بنتُ سُنَّة بن الذاهِل[2] بن عامر الخُزَاعىّ، وهذا هو الصحيح؛ وأنه كان له خال يقال له عمرو بن سُنَّة شاعر، وهو الذى يقول :

ضربوا الفِيلَ بالمغمَّس[3] حتى * ظَلَّ يحبو كأنه مَحمومُ

وفيه يقول قيس :

أُنبئتُ أنّ لخالى هَجْمةً[4] حُبُسًا * كأنّهن بجَنْبِ المَشْعَرِ النُّصُلُ[5]

قد كنتَ فيما مضى قِدْمًا تجاوِرُنا * لا ناقةٌ لك ترعاها ولا جملُ

ما ضَرَّ خالىَ عمرًا لو تقسَّمها * بعضُ الحياض وجَمُّ البئر مُحْتَفِلُ[6]

هو رضيع الحسين ابن على

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن موسى بن حَمّاد قال حدّثنى أحمد ابن القاسم بن يوسف قال حدّثنى جَزْء بن قَطَن قال حدّثنا جَسّاس بن محمد بن عمرو

(١) كذا فى ج والأغانى (ج ٧ ص ٢٣٢ من هذه الطبعة) . وفى سائر الأصول : «أبو شراعة الضبى» . وهو تحريف . (٢) فى تجريد الأغانى : «الكاهل» . (٣) المغمس : موضع قرب مكة فى طريق الطائف . (٤) الهجمة من الإبل : أولها أربعون الى ما زادت، أو ما بين السبعين الى المائة . (٥) النصل : جمع نصيل، وهو حجر طويل رقيق كهيئة الصفيحة المحددة، يشبه به رأس البعير وخرطومه اذا رجف فى سيره . (٦) جم الماء : معظمه . ومحتفل : ملآن . يريد : ما على خالى أن نصيب من ماله وهو غنى مكثر .

أحدُ بنى الحارث بن كعب عن محمد بن أبى السَّرِىّ عن هشام بن الكَلْبىّ قال حدّثنى عدد من الكنانيّين :

أن قيس بن ذَرِيح كان رضيعَ الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما، أرضعتْه أُمّ قَيْس .

أول عشقه لبنى ثم زواجه بها

٥ أخبرنى بخبر قيس ولُبْنَى آمرأته جماعةٌ من مشايخنا فى قِصَص متّصلة ومنقطعة وأخبار منثورة ومنظومة، فألّفتُ ذلك أجمعَ ليتّسق حديثُه إلّا ما جاء مفردا وعَسُر إخراجُه عن جملة النظم فذكرته على حدة . فممّن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة ولم يتجاوزه إلى غيره، وإبراهيم بن محمد بن أيّوب عن آبن قُتيبة، والحسنُ بن علىّ عن محمد بن موسى بن حَمّاد البَرْبرىّ عن أحمد ١٠ ابن القاسم بن يوسف عن جَزْء بن قَطَن عن جَسّاس بن محمد عن محمد بن أبى السَّرِىّ عن هشام بن الكَلْبىّ وعلى روايته أكثر المعوَّل. ونسختُ أيضا من أخباره المنظومة أشياء ذكرها القَحْذَمِىّ عن رجاله، وخالدُ بن كُلْثوم عن نفسه ومن روى عنه، وخالدُ ابن جَمَل ونُتَفاً حكاها اليوسفىّ صاحبُ الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حَمّاد عن جميل عن آبن أبى جَنَاح الكَعْبىّ . وحكيت كلّ مُتّفِقٍ فيه متّصلا ، وكل مختلِفٍ ١٥ فى معانيه منسوبا الى راويه . قالوا جميعا :

١١٣ / ٨

كان منزل قومه فى ظاهر المدينة، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة . وذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان بسَرِف(١)، وآحتجّ بقوله :

الحمد لله قــد أمستْ مُجاوِرةً * أهلَ العَقيق وأمسَيْنا على سَرِف

قالوا : فمرّ قيس لبعض حاجته بخيام بنى كعب بن خُزَاعة، فوقف على خَيْمة منها ٢٠ والحىّ خُلُوف(٢) والخيمةُ خيمةُ لُبْنَى بنت الحُبَاب الكَعْبيّة، فاستسقى ماءً، فسقته وخرجتْ

(١) سرف : موضع على ستة أميال من مكة . (٢) خلوف : غيب .

اليه به، وكانت امرأةً مَديدةَ القامةِ شَهْلاءَ[1] حُلْوةَ المنظر والكلام. فلما رآها وقعتْ
فى نفسه، وشرب الماء. فقالت له: أتنزل فتتبرَّدَ عندنا؟ قال: نعم. فنزل بهم. وجاء
أبوها فنحر له وأكرمه. فآنصرف قيس وفى قلبه من لُبْنَى حَرٌّ لا يَطْفَأ، فجعل ينطق بالشعر
فيها حتى شاع ورُوى. ثم أتاها يوما آخر وقد آشتدّ وجدُه بها، فسلّم فظهرتْ له
وردّت سلامَه وتحفّتْ به؛ فشكا اليها ما يَجِدُ بها وما يَلْقَى من حبّها، وشكت اليه
مثلَ ذلك فأطالتْ، وعرف كلُّ واحد منهما ما له عند صاحبه. فآنصرف إلى
أبيه وأعلمه حالَه وسأله أن يزوّجه إياها. فأبَى عليه وقال: يا بنىّ، عليك
بإحدى بناتِ عمّك فهنّ أحقُّ بك. وكان ذَرِيحٌ كثيرَ المال موسرا، فأحبّ
ألّا يخرج آبنه إلى غريبة. فآنصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه أبوه به. فأتى أمَّه
فشكا ذلك اليها وآستعان بها على أبيه، فلم يجد عندها ما يحبّ. فأتى الحسينَ بن
علىّ بن أبى طالب وآبنَ أبى عتيق فشكا اليهما ما به وما ردّ عليه أبوه. فقال له
الحسين: أنا أَكْفيك. فمشى معه إلى أبى لُبْنَى. فلما بَصُر به أعظمه ووثب اليه،
وقال له: يآبنَ رسول الله، ما جاء بك؟ ألّا بعثتَ إلىّ فأتيتُك! قال: إن الذى
جئتُ فيه يُوجب قصدَك وقد جئتك خاطبًا آبنتك لُبنى لقيس بن ذَرِيح.
فقال: يآبنَ رسول الله، ما كنّا لنَعْصِىَ لك أمرًا وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن
أحبّ الأمرِ الينا أن يخطُبَها ذَرِيح أبوه علينا وأن يكون ذلك عن أمره، فإنّا
نخاف إن لم يَسْعَ أبوه فى هذا أن يكون عارًا وسُبّةً علينا. فأتى الحسينُ رضى الله
عنه ذَرِيحًا وقومَه وهم مجتمعون، فقاموا اليه إعظاما له وقالوا له مثل قول
الخُزَاعيّين. فقال لذَرِيح: أقسمتُ عليك إلّا خطبتَ لُبْنَى لآبنك قيس.
قال: السمعَ والطاعةَ لأمرك. فخرج معه فى وجوه من قومه حتى أتوْا لُبْنَى فخطبها

(١) الشهلاء: التى يخالط سواد عينيها زرقة.

ذَرِيحٌ على ابنه إلى أبيهـا فزوّجه إيّاها ، وزُفّت اليه بعد ذلك . فأقامت معـه مدّة لا يُنكر أحدٌ من صاحبه شيئا . وكان أبرَّ الناس بأمّه، فألهتْه لُبْنَى وعكوفُه عليها عن بعض ذلك، فوجَدتْ أمُّه فى نفسها وقالت : لقد شغلتْ هذه المرأةُ ابنى عن برّى؛ ولم تَرَ للكلام فى ذلك موضعا حتى مرِض مرضًا شديدا. فلمـا برَأ من علّته قالت أمّه لأبيه : لقد خَشِيتُ أن يموت قيسٌ وما يترك خَلَفًا وقد حُرِم الولدَ من هـذه المرأة، وأنت ذو مال فيصـير مالك إلى الكَلَالة[1] ، فزوِّجْه بغيرها لعلّ الله أن يرزقه ولدا، وألحّتْ عليه فى ذلك. فأمهلَ قيسًا حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال: ياقيس، إنك اعتللتَ هـذه العلّةَ نخِفتُ عليك ولا ولد لك ولا لى سواك . وهـذه المرأة ليست بوَلُود، فتزوّجْ إحدى بنـاتِ عمِّك لعلّ الله أن يَهَب لك ولدا تَقَرُّ به عينُك وأعيُننا . فقال قيس : لست متزوِّجا غيرها أبدا . فقال له أبوه : فإن فى مالى سَـعَةً فتَسَرَّ بالإماء . قال : ولا أسوءها بشىء أبدا والله . قال أبوه : فإنى أُقسِم عليك إلّا طلّقْتَها . فأبى وقال : الموتُ والله علىّ أسهل من ذلك، ولكنى اخيِّرك خَصْلةً من ثلاث خصال . قال : وما هى؟ قال: تتزوّج أنت فلعلَّ الله أن يرزُقك ولدا غيرى . قال : فما فىّ فَضْلة لذلك . قال : فدَعْنِى أرتحلْ عنك بأهلى وأصنعْ ما كنتَ صانعًا لو متُّ فى علّتى هذه. قال : ولا هذه . قال: فأدَعُ لُبْنَى عندك وأرتحِلُ عنك فلعلّى أسلوها فإنى ما أحبّ بعـد أن تكون نفسى طيّبة أنها فى خيالى . قال : لا أرضى أو تطلّقَها، وحلَف لا يُكِنُّه سقفُ بيت أبدًا حتى يطلّق لُبْنَى، فكان يخرج فيقِفُ فى حرّ الشمس، ويجىء قيس فيقف إلى جانبه فيُظِلّه بردائه ويَصْلَى هو بحرّ الشمس

أبواه يغريانه بطلاقها ويأبى هو

١١٤ / ٨

(١) اختلف فى معنى الكلالة فقيل : إن الكلالة الرجل الذى لا ولد له ولا والد؛ أو من عدا الأب والابن من الورثة ؛ وقيل من عدا الأب والابن والأخ ؛ وقيل ما لم يكن من النسب لحا ، أى لاصقا ؛ وقيل الإخوة لأم .

حتى يَفِيءَ الفيءُ فينصرفَ عنه، و يدخل إلى لُبنى فيعانقها وتعانقه و يبكى وتبكى معه وتقول له : يا قيس، لا تُطِعْ أباك فتَهلِكَ وتُهْلِكَنى . فيقول : ما كنت لأُطيعَ أحدا فيك أبدا . فيقال : إنه مكث كذلك سنةً . وقال خالد بن كُلثوم : ذكر ٱبنُ عائشة أنه أقام على ذلك أربعينَ يوما ثم طلّقها . وهذا ليس بصحيح .

طلاقه لبنى ثم ندمه على فراقها، وشعره فى ذلك

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى أحمد بن زُهير قال حدّثنى يحيى بن مَعين قال حدّثنا عبد الرزّاق قال أخبرنا ٱبن جُرَيْج قال أخبرنى عمر بن أبى سفيان عن ليث بن عمرو : ٥

أنه سمع قيس بن ذَرِيح يقول لزيد بن سليمان : هَجَرنى أبواى فى لُبْنَى عشرَ سنين أستأذِنُ عليهما فَيَرُدّانى حتى طلّقتُها . قال ٱبن جُرَيج : وأُخبرت أن عبد الله بن صَفْوان الطويل لَقِيَ ذَرِيحا أبا قيس فقال له : ما حَمَلك على أن فرّقتَ بينهما؟ ١٠ أمَا علمتَ أن عمر بن الخطاب قال : ما أُبالى أفرّقتُ بينهما أو مشيتُ إليهما بالسيف . ورَوَى هذا الحديثَ إبراهيم بن يَسَار الرَّمَادىّ عن سُفْيان بن عُيَينة عن عمرو بن دينار قال قال الحسين بن علىّ رضى الله عنهما لذَرِيح بن سُنّة أبى قيس : أحَلَّ لكَ أن فرّقتَ بين قيس ولُبنى؟! أمَا إنى سمعت عمر بن الخطاب يقول : ما أُبالى أفرّقتُ بين الرجل وامرأته أو مشيتُ إليهما بالسيف . قالوا : فلما بانت لُبنى بطلاقه ١٥ إيّاها وفُرِغ من الكلام، لم يلبَثْ حتى ٱستُطِيرَ عقلُه وذُهِب به ولحقه مثلُ الجنون . وتذكّر لُبنى وحالَها معه فأسِف وجعل يبكى ويَنْشِج أحرَّ نَشيج . و بلغها الخبرُ فأرسلتْ الى أبيها ليحتملها، وقيل : بل أقامت حتى ٱنقضت عدّتها وقيسٌ يدخل عليها . فأقبل أبوها بهَوْدج على ناقة وبإبل تحملُ أثاثها . فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال : وَيْحَكِ! ما دهانِى فيكم ؟ فقالت : لاتسألنى وسَلْ لُبْنَى . فذهب ليُلِمَّ بخبائها ٢٠

فيسألها، فمنعه قومُها. فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له : ما لك وَيْحَك تسأل كأنك جاهلٌ أو تُجاهل! هذه لُبْنَى ترتحل الليلةَ أو غدًا. فسقط مغشيًّا عليه لا يَعْقِل ثم أفاق وهو يقول :

وإنّى لَمُفْنٍ دمعَ عينىَّ بالبكا * حِذَارَ الذى قد كان أو هو كائنُ
وقالوا غدًا أو بعد ذاك بليلةٍ * فراقُ حبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائن
وما كنتُ أخشى أن تكون منيّتى * بكفَّيْك إلّا أنّ ما حان حائن

٥

١١٥ / ٨

فى هذه الأبيات غِناء ولها أخبار قد ذُكرت فى أخبار المجنون. قال وقال قيس :

يقولون لُبْنَى فتنةٌ كنتَ قبلها * بخيرٍ فلا تَنْدَمْ عليها وطلِّقِ
فطاوعتُ أعدائى وعاصيتُ ناصحى * وأقررْتُ عين الشامت المُتخلِّق (١)
وَدِدْتُ وبيتِ الله أنّى عَصَيْتُهم * وحُمِّلت فى رِضوانها كلَّ مُوبِق (٢)
وكُلِّفتُ خوضَ البحر والبحر زاخرٌ * أَبِيتُ على أثباج موجٍ مُغَرِّق
كأنّى أرى الناسَ المحبِّين بعدها * عُصارةَ ماء الحنظل المُتَفَلِّق
فتُنكِرُ عينى بعدها كلَّ منظرٍ * ويكره سمعى بعدَها كلَّ منطق

١٠

قال : وسقط غرابٌ قريبا منه فجعل يَنْعِق مرارا، فتطيَّر منه وقال :

لقد نادى الغرابُ ببَيْنِ لُبْنَى * فطار القلب من حَذَرِ الغرابِ
وقال غدًا تَبَاعَدُ دارُ لُبْنَى * وتَنْأَى بعد ودٍّ واقتراب
فقلتُ تَعِستَ وَيْحَك من غراب * وكان الدهرَ سعيُك فى تَبَاب

١٥

---

(١) المتخلق : الذى يتكلف ما ليس فى خلقه.

(٢) الموبق : المهلك.

وقال أيضا وقد منعه قومه من الإلمام بها :

صـــوت

ألَا يا غرابَ البَيْنِ وَيْحكَ نَبِّنِى * بعلمك فى لُبْنَى وأنتَ خبـــيرُ

فإن أنتَ لم تُخْبِرْ بمـا قد علمتَه * فلا طِرْتَ إلّا والجَناح كَسِـيرُ

ودُرْتَ بأعداءٍ حبيبُك فيهـمُ * كما قـــد ترانى بالحبيب أدورُ

٥

غنّى سليمانُ أخو مَحْبَبَة رملًا بالوسطى .

قالوا : وقال أيضا وقد أُدخِلتْ هودجَها ورحلتْ وهى تبكى ويتبعُها :

صـــوت

ألَا يا غرابَ البَيْنِ هل أنتَ مُخبِرى * بخـــيرٍ كما خَبَّرتَ بالنأى والشرِّ

وقلتَ كذاك الدهرُ ما زال فاجعًا * صدقتَ وهل شىءٌ بباقٍ على الدهرِ

١٠

غنّى فيهما آبن جامع ثانىَ ثقيـل بالبِنصر عن الهشامىّ . وذكر حَبَش أنّ لقفَا النجّار فيهما ثقيـلًا أوّل بالوسطى . قالوا : فلما آرتحل قومُها آتَّبعها مَلِيًّا ، ثم علم أن أباها سيمنعه من المسير معها ، فوقف ينظر اليهم ويبكى حتى غابوا عن عينه فكَرّ راجعًا . ونظر الى أثر خُفِّ بعيرها فأكبَّ عليه يقبِّله ورجع يقبِّل موضعَ مجلسها وأثرَ قدَمِها . فلِيمَ على ذلك وعنّفه قومُه على تَقْبيلِ التراب ، فقال :

١٥

وما أحببتُ أرضَكمُ ولكن * أُقَبِّل إثْرَ مَن وَطِئ التُّرابا

لقـــد لاقيتُ من كَلَفِى بُلُبْنَى * بَـــلاءً ما أُسِـــيغ به الشَّرابا

إذا نادى المنـادِى بآسمِ لُبْنَى * عَيِيتُ فما أُطيقُ له جـــوابا

وقال وقد نظر الى آثارها :

صـــوت

١١٦ ٧

أَلَا يا رَبْعَ لُبْنَى ما تقولُ * أَبِنْ لى اليومَ ما فعل الحُلُولُ

فلو أن الديارَ تُجيب صَبًّا * لردّ جوابىَ الرَّبعُ المُحِيلُ

٥ ولو أنّى قَدَرْتُ غداةَ قالتْ * غدَرتَ(١) وماءُ مُقْلتِها يَسيلُ

نحرتُ النفسَ حين سمعتُ منها * مقالتَها وذاك لها قليلُ

شَفَيْتُ غليلَ نفسى من فِعالى * ولم أُغْبِرْ بلا عقلٍ أَجُولُ

غَنّى فيه حسين بن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ من روايتى بَذْل وقُرَيض . وتمام هذه الأبيات :

١٠ كأنّى واِلَهٌ بفراق لُبْنَى * تَهِيمُ بفقد واحدِها ثَكُولُ

أَلَا يا قلبُ وَيْحَكَ كن جَلِيدًا * فقد رحَلَتْ وفات بها الذَّميل(٢)

فإنك لا تُطيق رجوعَ لُبنى * إذا رحَلتْ و إن كثُر العَويلُ

وكَمْ قد عِشْتَ كَمْ بالقرب منها * ولكنّ الفِراقَ هو السبيل

فصبرًا كلُّ مؤتلِفَيْنِ يومًا * من الأيام عيشُهما يزول

١٥ قال : فلما جَنّ عليه الليلُ وآنفرد وأوى الى مضجعه لم يأخذه القرارُ وجعل يتململ فيه تململ السليم ، ثم وثَب حتى أتى موضعَ خِبائها ، فجعل يتمرّغ فيه ويبكى ويقول :

صـــوت

بِتُّ والهمُّ يا لُبينى ضَجيعى * وجرتْ مُذْ نأيتِ عنّى دموعى

وتنفّستُ إذ ذكرتُك حتى * زالت اليومَ عن فؤادى ضلوعى

---

٢٠ (١) كذا فى تجريد الأغانى . وفى ب ، س : «وردت» وهو تحريف . وقد سقط هذا البيت من سائر الأصول . (٢) الذميل : السير اللين .

أتناسَاكِ كى يُرِيغ فؤادى * ثم يشتدُّ عند ذاك وَلُوعى (١)

يا لُبَيْنَى فَدَتْكِ نفسى وأهلى * هل لدهرٍ مضى لنا من رجوعِ

غنّت فى البيتين الأوّلين شارِيَةُ خفيفَ رملٍ بالوسطَى. وغنّى فيهما حسين بن مُحْرِز ثانىَ ثقيل، هكذا ذكر الهشامىّ؛ وقد قيل إنه لهاشم بن سليمان .

٥ أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال قال الزُّبَير بن بكّار حدّثنى عبد الجبّار بن سعيد المُسَاحِقىّ عن محمد بن مَعْن الغِفَارىّ عن أبيه عن عجوز لهم يقال لها حَمّادةُ بنت أبى مُسافِر قالت :

جاورتُ آلَ ذَرِيح بقَطِيعٍ لى فيه الرَّائِمة (٢) وذات البَوّ والحائلُ والمُتْبِع . قالت : فكان قيسُ بن ذَرِيح الى شَرَفٍ (٣) فى ذلك القطيع ينظر الى ما يَلْقَيْن فيتعجّبُ . فقلّما ١٠ لبِث حتى عزم عليه أبوه بطلاق لُبْنَى فكاد يموتُ، ثم آلَى أبوه لئن أقامتْ لا يُساكِن قيسًا . فظعَنتْ فقال :

أيا كبِدًا طارتْ صُدوعًا نوافذًا * ويا حَسْرتَا ما ذا تَغَلْغَلَ فى القلب

فأُقسِمُ ما عُمْشُ العيون شَوارِفٌ (٤) * روائمُ بَوٍّ حائماتٌ على سَقْبِ (٥)

تَشمَّمْنَه لو يَسْتطِعن ٱرتشفْنَه * إذا سُفْنَه (٦) يَزْددنَ نَكْبًا على نَكْبِ

١٥ رَئِمْنَ فما تَنْحاش منهنّ شارِفٌ * وحالَفْنَ (٧) حبسًا فى المُحُول وفى الجَدْبِ

---

(١) كذا فى تجريد الأغانى . ويريغ : يحيد . وفى الأصول : « يريع » بالعين المهملة وهو تصحيف . (٢) الرائمة : العاطفة على غير ولدها . والبو : جلد الحوار يحشى ثماما أو تبنا أو غيرهما فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدرّ . والحائل : الناقة التى لا تحمل . والمتبع : التى يتبعها ولدها . (٣) الشرف : المكان العالى . (٤) الشوارف : جمع شارفة وهى الناقة المسنة . (٥) السقب : ولد الناقة . (٦) ساف الشىء : شمه . والنكب (محركة وقد ٢٠ سكنت لضرورة الشعر) : ظلع البعير؛ وقيل : داء يأخذ الإبل فى مناكبها تظلع منه وتمشى منحرفة .

(٧) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : « وحاولن » وهو تحريف .

بأَوْجَدَ منّى يومَ ولّت حُمولُها * وقد طلعتْ أولَى الرِّكاب من النَّقْبِ
وكلُّ مُلِمّات الزمان وجدتُها * سوى فُرْقةِ الأحباب هيِّنةَ الخَطْبِ

١١٧/٨ أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانىّ قال سمعتُ ابن عائشةَ يقول : قال إسحاق ابن الفَضْل الهاشمىّ : لم يقل الناس فى هذا المعنى مثل قول قَيْس بن ذَرِيح :

٥ وكلُّ مُصيبات الزمانِ وجدتُها * سوى فُرْقَة الأحباب هيّنةَ الخَطْبِ

خرج فى فتية الى بلادها حتى رآها، وشعره فى ذلك

قال وقال ابن النطّاح قال أبو دِعَامةَ :

خرج قيسٌ فى فِتْية من قومه واعتلّ على أبيه بالصيد، فأتى بلادَ لُبْنَى، فجعل يتوقّعُ أن يراها أو يرى من يُرسِل اليها . فاشتغل الفتيانُ بالصيد، فلما قضَوْا وَطَرَهم منه رجعوا اليه وهو واقف، فقالوا له : قد عرفنا ما أردتَ بإخراجنا معك وأنك لم تُرِدِ

١٠ الصيدَ وإنما أردتَ لقاءَ لبنى، وقد تعذّر عليك فانصرِفِ الآن . فقال :

وما حائماتٌ حُمْنَ يومًا وليلةً * على الماء يَغْشَيْن العِصِىَّ حَوَانِ
عَوافٍ[1] لا يَصْدُرْن عنه لِوجهةٍ * ولا هنّ من بَرْدِ الحِياض دَوَانِ
يَرَيْنَ حَبَاب الماء والموتُ دونه * فهنّ لأصوات السُّقاةِ رَوَانِ
بأجهدَ منّى حَرَّ شوقٍ ولَوْعةٍ * عليكِ ولكنّ العدوّ عَدَانى

١٥ خليلىَّ إنى ميّتٌ أو مُكلِّمٌ * لُبَيْنَى بسرّى فامضِيا وذَرَانى
أَنَلْ حاجتى وَحْدِى ويارُبَّ حاجةٍ * قضيتُ على هَوْلٍ وخوفِ جَنَانِ
فإنّ أحقَّ الناسِ ألا تُجَاوِزَا[2] * وتَطَّرِحا من لو يشاء شفانى
ومن قادنى للموت حتى إذا صفَتْ * مشاربُه السمَّ الذُّعَافَ سقانى

---

(١) العوافى : جمع عافية وهى التى ترد الماء .
(٢) كذا فى ج . وفى سائر الأصول : « فإنى أحق الناس ألا تحاورا » .

٢٠

قال : فأقاموا معه حتى لقيها ، فقالت له : يا هذا ، إنك متعرّض لنفسك وفاضحى . فقال لها :

صدعتِ القلبَ ثم ذررتِ فيه * هواكِ فليم فالتام الفُطورُ[1]

تغلغلَ حيثُ لم يبلُغ شرابٌ * ولا حزنٌ ولم يبلغ سرور

أبو السائب المخزومى وشعر قيس

وقال القَحْذَمِىّ حدّثنى أبو الوَرْدان قال حدّثنى أبى قال : أُنْشدتُ أبا السّائب المَخْزومىّ قول قيس :

صدعتِ القلبَ ثم ذررتِ فيه * هواكِ فليم فالتام الفطور

فصاح بجارية له سِنْديّة تسمّى زُبْدة ، فقال : أىْ زبدةُ تجلّى . فقالت : أنا أعجِن . فقال : وَيْحَكِ ! تعالَىْ ودعِى العجينَ . فجاءت فقال لى : أنشِدْ بيتَىْ قيس ، فأعدتُهما . فقال لها : يازُبْدة ، أحسنَ قيس وإلّا فأنت حرّة ! ارجعى الآن الى عجينك أدركيه لا يَبْرُدْ .

حسرته على فراقها وتأنيبه نفسه

قالوا : وجعل قيس يعاتب نفسه فى طاعته أباه فى طلاقه لُبْنَى ويقول : فألّا رحلتُ بها عن بلده فلم أرَ ما يفعل ولم يَرَنِى ! فكان اذا فقدنى أقلع عمّا يفعله واذا فقدتُه لم اتحرّج من فعله ! وما كان علىّ لو اعتزلتُه وأقمت فى حيّها أو فى بعض بَوادِى العرب ، أو عصَيْته فلم أطِعْه ! هذه جنايتى على نفسى فلا لومَ على أحد ! وهأنذا ميّتٌ مما فعلته ، فمن يردُّ رُوحى إلىّ ! وهل لى سبيل الى لُبْنى بعد الطلاق ؟ ! وكلّما قرّع نفسَه وأنّبها بلونٍ من التقريع والتأنيب بكى أحرَّ بكاء والصق خدّه بالأرض ووضعه على آثارها ثم قال :

(١) الفطور : الشقوق .

صـــوت

١١٨/٨

وَيْلِي وعَوْلِي ومالى حين تُفلِتُنى * من بعد ما أحرزتْ كفّى بها الظَّفَرا
قد قال قلبي لطَرْفى وهو يعذُله * هذا جزاؤك منّى فاكدِمُ الحجـرا
قد كنتُ أنهاك عنها لو تُطاوِعُنى * فاصبِرْ فما لك فيها أجرُ من صبرا

٥ غنّاه الغَرِيض خفيفَ ثقيـلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيه لإبراهيم ثقيـلٌ أوّلُ بالوسطى عن حَبَش . وفى الثالث والأوّل خفيفُ رَمَلٍ يقال إنه لابن الهِرْبِذ.

قالوا وقال أيضا :

بانت لُبَيْنَى فأنت اليوم متبولُ * والرأى عندك بعد الحزم مخبول
أستودِع اللهَ لُبْـنَى إذ تفارقنى * بالرغم منّى وقولُ الشيخ مفعول
١٠ وقد أرانى بلبنى حقَّ مُقتنِـعٍ * والشملُ مجتمعٌ والحبل موصول

قال خالد بن كُلثوم وقال :

ألَا ليت لُبْنَى فى خلاءٍ تزورنى * فأشـكو اليهـا لَوْعتى ثم ترجِعُ
صحـا كُلُّ ذى لبٍّ وكُلُّ متيَّم * وقلبي بلُبْـنَى ما حَيِيتُ مرَوَّع
فيامَنْ لِقلبٍ ما يُفيق من الهوى * ويامَنْ لعينٍ بالصَّبابة تَدْمَع

١٥ قالوا وقال فى ليلته تلك :

قد قلتُ للقلب لا لُبْناكَ فاعترِف * واقضِ اللُّبَانةَ ماقضَّيْتَ وانصرِف
قد كنت أحلف جَهْدًا لا أفارقها * أُفٍّ لكثرة ذاك القيـلِ والحَلِف
حتى تكنَّفنى الواشـون فافتُلِتتْ(١) * لا تأمَنَنْ أبدًا من غشّ مُكتنِف
هيهات هيهات قد أمستْ مُجاوِرةً * أهـلَ العَقيق وأمسيْنا على سَرِف

٢٠ (١) افتلتت : أخذت بغتة .

— قال : وسَرِف على ستة أميال(١) من مكة . والعَقيق : واد باليمامة —

حَتَّى يَمَانُونَ والبَطْحاءُ منزلُنا * هذا لَعَمْرُكَ شَمْلٌ غيرُ مؤتلِفِ

من شعره فى لبنى وقد سنحت له ظبية

قالوا : فلمّا أصبح خرج متوجّها نحوَ الطريق الذى سلكتْه يتنسّم روائحَها ، فسَنَحتْ له ظبيةٌ فقصدها فهربتْ منه فقال :

ألَا يا شِبْهَ لُبْنَى لا تُرَاعِى * ولا تتيمّمِى قُلَلَ القِلاع

٥

وهى قصيدة طويلة يقول فيها :

فوا كَبِدِى وعاودنى رُدَاعِى(٢) * وكان فراقُ لُبْنَى كالخِداع

تكنّفنى الوُشاةُ فأزعجونى * فيا لَلّهِ لِلْواشِى الْمُطاع

فأصبحتُ الغَداةَ ألومُ نفسى * على شيءٍ وليس بمستطاع

كمغبونٍ يَعَضُّ على يديه * تَبَيَّنَ غَبْنَه بعد البِياع

١٠

بدارِ مَضِيعةٍ تركتُكِ لُبْنَى * كذاك الحَيْنُ يُهْدَى للمُضاع

وقد عِشْنا نَلَذُّ العيشَ حِيناً * لَوَ آنَّ الدهرَ للإنسان داع

ولكنّ الجميعَ الى آفتراقٍ * وأسبابُ الحُتوفِ لها دواع

غنّاه الغَرِيض من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو والهشامىّ . ولشارِيَةَ فى البيتين الأوّلين ثقيلٌ أوّلُ آخر بالوسطى . ولآبن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى عن الهشامىّ فى :

١٥

١١٩ / ٨

* بدارِ مَضِيعةٍ تركتُكِ لُبْنَى *

(١) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى . وفى الأصول : « أيام » وهو تحريف من النساخ .

(٢) الرداع : النكس ، وقيل : وجع الجسد كله .

٢٠

وقبـــله :

* فوا كبـــدِى وعاودنى رُدَاعِى *

وإسياطٍ فى البيتين الأوّلين خفيف رملٍ بالبنصر عن حَبَش .

أغرت أمه فتيات الحى بأن يعبن عنده لبنى ليسلوها فلم يسل ، وشعره فى ذلك

حدثنى عمّى عن الكُرَانىّ عن العُتْبىّ عن أبيه قال :

بعثتْ أمُّ قيس بن ذَريح بفتيات من قومه اليه يَعِبْنَ اليــه لُبْنَى ويَعِبْنه بجزعه وبكائه ويتعرّضْنَ لوصــاله ، فأتَيْنَه فاجتمعْنَ حواليْه وجعان يمازحْنَه ويَعِبْنَ لُبْنَى عنده ويعيّرنَه ما يفعله ، فلما أطلْنَ أقبل عليهنّ وقال :

صـــــوت

يَقَــرُّ بعينى قربُهــا ويَزِيدُنى * بها كَلَفاً مَنْ كان عندى يَعِيبُها
وكم قائلٍ قد قال تُبْ فعصَيْتُه * وتلك لعَمْرِى توبةٌ لا أتوبهــا
فيانفسُ صبرًا لستِ واللهِ فاعلمى * بأوّلِ نفسٍ غاب عنهــا حبيبُها

ــ غنّاه دَحْمانُ ثقيلاً أوّلَ بالوسطى . وفيه هَزَجٌ بالبِنصر لسُلَيم ، وذكر حَبَش أنه لإسحاق ــ قال : فانصرفْنَ عنه الى أُمّه فأيأسْنَها من سَلْوته . وقال سائر الرُّواة الذين ذكرتهم : اِجتمع اليــه النّسوةُ فأطلْنَ الجلوسَ عنده ومحادثتَه وهو ساهٍ عنهنّ ، ثم نادَى : يالُبْنَى ! فقلن له : مالكَ وَيْحَــك ! فقال : خَدِرتْ رجلى ، ويقال : إن دعاء الإنسان باسم أحبِّ الناس اليه يُذْهِب عنه خَدَر الرِّجل فناديتُها لذلك . فقمن عنه ، وقال :

إذا خدِرتْ رجلى تذكرتُ مَنْ لها * فناديتُ لُبْــنَى باسمِها ودعوتُ
دعوتُ التى لو أنّ نفسى تُطيعنى * لفارقتُها من حبِّهــا وقضيتُ
بَرَتْ نبلَها للصــيد لبنى وريَّشَتْ * وريّشتُ أُخرى مثلَهــا وبريتُ
فلمّــا رمتنى أقْصــدتْنى بسهمها * وأخطأتُها بالسّهم حين رميتُ

وفارقتُ لبنى ضَلَّةً فكأننى * قُرِنت إلى العَيُّوق ثم هَوَيْتُ
فيا ليتَ أنّى مُتُّ قبل فراقها * وهل ترْجِعَنْ فوتَ القضيّة لَيْتُ
فصرتُ وشيخى كالذى عثَرتْ به * غَداةَ الوَغَى بين العُداة كُمَيْتُ
فقامت ولم تُضْرَرْ هناك سَوِيّةً * وفارسُها تحت السَّنابك مَيْتُ
فإن يك تَهْيامى بلُبْنى غَوايةً * فقد يا ذَرِيحُ بنَ الحُبَاب غَوَيْتُ ٥
فلا أنت ما أمّلتَ فىّ رأيتَه * ولا أنا لبنى والحياةَ حَوَيْتُ
فوَطِّنْ لَهُلْكِى منك نفسًا فإنّنى * كأنك بى قد يا ذَرِيحُ قَضَيْتُ

حديثه فى مرضه مع عوّاده ومع طبيبه عن لبنى، وشعره فى ذلك

وقال خالد بن كلثوم: مرِض قيس، فسأل أبوه فتياتِ الحى أن يَعُدْنه ويحدِّثْنه لعلّه أن يتسلّى أو يعلَق بعضَهن، ففعلن ذلك. ودخل اليه طبيب ليداويَه والفتياتُ معه، فلما ٱجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علّته، فقال: ١٠

صوت

١٢٠/٨

عِيدَ قيسٌ من حبِّ لُبنى ولُبنى * داءُ قيسٍ والحبُّ داءٌ شديدُ
وإذا عادنى العوائدُ يومًا * قالت العين لا أرَى من أُريد
ليت لُبْنَى تَعُودنى ثم أَقْضِى * إنها لا تعود فيمن يعود
وَيْحَ قيسٍ لقد تضمّن منها * داءَ خَبْلٍ فالقلبُ منه عَميد ١٥

— غنّاه ٱبن سُرَيْج خَفيف رملٍ عن الهشامىّ. وفيه للحَجَبِىّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى. وفيه ليحيى المكى رَمَلٌ — قالوا: فقال له الطبيب: منذُ كم هذه العلّةُ؟ ومنذُ كم وجَدتَ بهذه المرأة ما وجدتَ؟ فقال:

صوت

تعلّق رُوحى روحَها قبل خَلْقنا * ومن بعدِ ما كنّا نِطافًا وفى المهدِ ٢٠
فزاد كما زِدنا فأصبح ناميًا * وليس إذا مُتْنا بمُنْصَرِم العهد

ولكنّه باقٍ على كلّ حادثٍ * وزائرُنا فى ظُلْمة القبر واللَّحْدِ

— غنّاه الغَرِيض ثقيلا أوّلَ بالوسطى من رواية حَبَش — قالوا : فقال له الطبيب : إن مما يُسْليك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوئ والمعايب وما تعافُه النفس من أقذار بنى آدم؛ فإن النفس تنبو حينئذ وتسلو ويخفّ ما بها . فقال :

٥ اذا عِبْتُها شبّهتُها البدرَ طالعًا * وحَسْبُكَ من عيبٍ لها شَبَهُ البدرِ

لقد فُضِّلتْ لبنى على الناس مثلَ ما * على ألف شهرٍ فُضِّلتْ ليلةُ القدر

صوت

اذا ما مشتْ شبرًا من الأرض أَرْجَفتْ * من البُهْر حتى ما تَزيدُ على شبرِ

لها كَفَلٌ يَرْتَجُّ منها اذا مشتْ * ومتنٌ كغصن البان مُضْطَمِرُ الخصر

١٠ — غنّى فى هذين البيتين ابن المَكّىّ خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى . وفيهما رمل يُنسب الى ابن سُرَيج والى ابن طُنْبورة عن الهشامىّ — قالوا : ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة، فأنّبه ولامه وقال له : يا بنىّ ! اللهَ اللهَ فى نفسك ! فإنك ميّت إن دمتَ على هذا ! فقال :

وفى عُرْوةَ العُذْرىّ[1] إن متُّ أُسوةٌ * وعمرِو بن عَجْلانَ[2] الذى قتلتْ هندُ

١٥ وبى مثلُ ما ماتا به غيرَ أننى * إلى أجلٍ لم يأتِنى وقتُه بعدُ

---

(١) هو عروة بن حزام بن مهاصر أحد بنى حزام بن ضبة بن عبد بن كبير بن عذرة، شاعر إسلامى، أحد المتيمين الذين قتلهم الهوى، لا يعرف له شعر إلا فى عفراء بنت عمه . (انظر ترجمته فى ج ٢٠ ص ١٥٢ من الأغانى طبع بلاق) . (٢) ورد هذا الاسم فى تزيين الأسواق كما جاء فى الأصول . وذكره البحترى أيضا فقال :

٢٠ هوى لا جميلٌ فى بثينة ناله * بمثل ولا عمرو بن عجلان فى هند

وذكر أبو الفرج ترجمته (فى ج ١٩ ص ١٠٢ من الأغانى طبع بلاق) فقال : هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب، شاعر جاهلى أحد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم . وكان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم عليها . ولما زوجت زوجا غيره مات أسفا .

صـــــوت

هـل الحبُّ إلّا عَبْرةٌ بعـــد زَفْرةٍ * وحَرٌّ على الأحشاء ليس له بَــرْدُ

وفَيْضُ دموعٍ تَستهِلّ اذا بـــدا * لنـا علمٌ من أرضكم لم يكن يبـدو

غنّى فى هذين البيتين زيد بن الخطّاب مولى سليمان بن أبى جعفر، وقيل: إنه مولى سليمان بن علىّ، ثقيلًا أوّلَ بالوسطى عن الهشامىّ .

إعجاب أبى السائب المخزومى بشعر له

وأخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير، وأخبرنا اليَزيدىّ عن ثَعْلَب عن الزُّبَير قال حدّثنى إسماعيل بن أبى أُوَيس قال :

جلستُ أنا وأبو السائب فى النبّالين، فأنشدنى قولَ قيس بن ذَريح :

عِيدَ قيسٌ من حبِّ لُبْنَى ولُبنى * داءُ قيسٍ والحبّ داءٌ شديدُ

لَيت لُبْنَى تعـــودنى ثم أَقْضِى * إنهـا لا تعود فيمن يعود

قال : فأنشدته أنا لقيس :

تعلّق رُوحِى رُوحَها قبل خَلْقِنا * ومن بعد ما كنّا نِطافًا وفى المهد

فــزاد كما زِدنا وأصـــبح ناميًا * وليس إذا متْنا بمنتَقِض العهـد

ولكنّه باقٍ على كل حادثٍ * وزائرُنا فى ظلمـة القبر واللّحْـد

فخلف لا يزال يقوم و يقعد حتى يرويَها . فدخل زُقاقَ النبّالين وجعلتُ أُرَدِّدها عليه و يقوم و يقعد حتى رواها .

رجع الخبر الى سِياقته .

زوجه أبوه غيرها ليسلوها فتزوّجت لبـنى، وما قال فى ذلك من الشعر

وقال خالد بن جَمَل: فلمّا طال على قيس مابه أشار قومه على أبيه بأن يزوِّجه امرأةً جميلةً فلعلّه أن يسلو بها عن لُبنى. فدعاه الى ذلك فأباه وقال :

لقد خِفتُ ألّا تَقْنَع النفسُ بعدها * بشيءٍ من الدنيـا و إن كان مَقْنَعا

وأزجُر عنها النفس إذ حيل دونها * وتأبَى اليهـا النفسُ إلّا تَطلُّعـا

فأعلمهم أبوه بما ردّ عليه. قالوا: فمُرْه بالمَسير فى أحياء العرب والنزول عليهم فلعلّ عينه أن تقع على امرأةٍ تُعجبه. فأقسم عليه أبوه أن يفعل. فسار حتى نزل بحىٍّ من فَزارة، فرأى جاريةً حسناء قد حسَرَتْ برُقَع خَزٍّ عن وجهها وهى كالبدر ليلة تِمِّه، فقال لها: ما ٱسمك ياجارية؟ قالت: لُبْنَى. فسقط على وجهه مغشيًّا عليه، فنضَحتْ على وجهه ماء وٱرتاعت لِمَا عراه، ثم قالت: إن لم يكن هذا قيسَ بن ذَريح إنه لمجنون! فأفاق فنَسَبتْه فٱنتسب. فقالت: قد علمتُ أنك قيس، ولكن نَشَدْتُك بالله وبحقّ لُبْنَى إلّا أصبتَ من طعامنا. وقدّمتْ اليه طعامًا، فأصاب منه بإصبَعه. وركب فأتى على أَثَره أخٌ لها كان غائبًا، فرأى مُناخ ناقته، فسألهم عنه فأخبروه، فركب حتى ردّه إلى منزله، وحلف عليه ليُقيمنَّ عنده شهرًا. فقال له: لقد شَقَقْتَ علىّ، ولكنّى سأتبع هواك، والفَزارىُّ يزداد إعجاباً بحديثه وعقله وروايته، فعرض عليه الصِّهْرَ. فقال له: يا هذا إن فيك لرغبةً، ولكنّى فى شغل لا يُنتفع بى معه. فلم يزل يعاوده والحىُّ يلومونه ويقولون له: قد خشينا أن يصير علينا فعلُك سُبَّة. فقال: دعونى، ففى مثل هذا الفتى يرغب الكرام. فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصِّهرَ بينـه وبينه على أخته المسماة لُبنى، وقال له: أنا أسوق عنك صَداقها. فقال: أنا والله يا أخى أكثر قومى مالاً، فما حاجتك إلى تكلُّف هذا؟ أنا سائر إلى قومى وسائق اليها المَهْر. ففعل وأعلم أباه الذى كان منه، فسرّه وساق المهرَ عنه. ورجع إلى الفزاريّين حتى أُدخلت عليه زوجته، فلم يَرَوْهُ هَشَّ إليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحـرفٍ ولا نظر إليها. وأقام على ذلك أيامًا كثيرة. ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياما فأذِنوا له فى ذلك، فمضى لوجهه إلى المدينة. وكان له صديق من الأنصار بها، فأتاه فأعلمه الأنصارىُّ أن خبر تزويجه بلغ لُبنى فغمّها وقالت: إنه لغَدّار! ولقـد كنت أمتنع من إجابة قومى إلى التزويج فأنا الآن أُجيبهم، وقد كان أبوها شكا قيسًا إلى معاوية

وأعلمه تعرُّضه لها بعد الطلاق . فكتب إلى مروان بن الحكم يُهْدِر دمَه إن تعرّض لها، وأمر أباها أن يزوّجها رجلًا يعرف بخالد بن حِلِّزة من بنى عبد الله بن غَطَفان — ويقال : بل أمره بتزويجها رجلًا من آل كَثِير بن الصَّلْت الكِنْدىّ حليف قريش — فزوّجها أبوها منه . قال : فجعل نساءُ الحىّ يقلن ليلةَ زِفافها :

لُبَيْنَى زوجُها أصبـ * ـح لا حـرٌّ بِواديه (١)
له فضلٌ على الناس * بما باتت تُناجيه
وقيسٌ ميّتٌ حىٌّ * صريعٌ فى بَواكيه
فلا يُبعِدُه الله * وبُعْدًا لنَواعيه

قال : فجزِع قيس جزعًا شديدا وجعل ينْشِج أحرّ نَشيج ويبكى أحرّ بكاء . ثم ركب من فَوْره حتى أتى مَحَلَّة قومها، فناداه النساء : ما تصنع الآن هاهنا ! قد نُقِلتْ لُبنى إلى زوجها ! . وجعل الفتيانُ يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يُجيبهم حتى أتى موضع خِبائها فنزل عن راحلته وجعل يتمعّك (٢) فى موضعها ويُمرِّغ خدّه على ترابها ويبكى أحرّ بكاء . ثم قال :

صـوت

إلى الله أشكو فَقْدَ لُبنى كما شكا * إلى الله فقدَ الوالدَيْنِ يتيمُ
يتيمٌ جفاه الأقربون بجسمُه * نَحيلٌ وعهدُ الوالدَيْن قديمُ
بكت دارُهم من نأيهم فتهلّلتْ * دموعى فأىَّ الجازِعَيْنِ ألوم
أمُستعبِرًا يبكى من الشوق والهوى * أم آخرَ يبكى شَجْوَه ويَهيم

(١) فى تزيين الأسواق (ج ١ ص ٥٦ طبع بلاق) : «يوازيه» .
(٢) يتمعك : يتمرغ .

لابن جامع فى البيتين الأولين ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشامىّ. ولَعريبَ فيهما ثانى ثقيلٍ. وفى الثالث والرابع لمَيّاسةَ خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو وحَبَش والهشامىّ.
وتمام هذه الأبيات، وليست فيها صنعة، قوله :

تهيّضَنى من حبّ لُبْنَى علائقٌ * وأصنافُ حبٍّ هَوْلُهن عظيمُ

ومن يتعلَّق حبَّ لبنى فؤادُه * يَمُتْ أو يَعِشْ ماعاش وهو كَليم

فإنّى وإن أجمعتُ عنكِ تجلُّدًا * على العهد فيما بيننا لمُقيم

وإنّ زمانًا شتّت الشملَ بيننا * وبينكمُ فيه العِدَا لمَشُوم

أفى الحقّ هذا أنّ قلبكِ فارغٌ * صحيح وقلبى فى هواكِ سَقيم

وقد قيل : إن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خُلطت بشعره، ولكنّها فى هذه الرواية منسوبة اليه .

قال : وقال أيضا فى رحيل لُبنى عن وطنها وانتقالها الى زوجها بالمدينة وهو مقيم فى حيّها :

صوت

بانت لُبَيْنَى فهاج القلبَ مَنْ بانا (١) * وكان ما وعدتْ مَطْلًا ولَيّانا (٢)

وأَخْلفتْك مُنًى قد كنتَ تأمُلها * فأصبح القلبُ بعد البين حيرانا

الله يدرى وما يدرى به أحدٌ * ماذا أُجَمْجِم من ذكراكِ أحيانا

يا أكملَ الناسِ من قَرْنٍ إلى قدمٍ * وأحسنَ الناس ذا ثوبٍ وعُرْيانا

نعم الضجيعُ بُعَيْد النوم تجلُبه * إليكَ ممتلئًا نومًا ويَقْظانا

(١) فى جـ : «بانت لبينى فقلبى اليوم من بانا» . (٢) ليان ومثله لىّ (بفتح اللام فيهما وكسرها) : مصدر لوى بمعنى مطل . تقول لواه دينه وبدينه . وقال أبو الهيثم : لم يجئ من المصادر على فعلان إلا ليان . وعن ابن زيد أن كسر اللام فى هذا المصدر لغية .

للغَريض فى هــذه الأبيات ثانى ثقيلٍ مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو . وذكر الهشامىّ أنّ فيه لآبن مُحْرِز ثانىَ ثقيلٍ آخر . وقال أحمد بن عُبيد : فيه لحنانِ ليحيى المكّىّ وعَلّويه . وتمام هذه القصيدة :

لا باركَ اللهُ فيمن كان يحسَــبُكم * إلّا على العهــد حتى كان ما كانا

حتى آستفقتُ أخيرًا بعد ما نُكحت * كأنما كانَ ذاك القلب حيرانا

قــد زارنى طَيْفُكم ليــلًا فأرّقنى * فبِتُّ للشــوق أُذْرِى الدمعَ تَهْتانا

إن تَصْرِمى الحبلَ أو تُمْسِى مُفارِقةً * فالدهر يُحْــدث للإنسان ألوانا

وما أرى مثلَكم فى الناس من بَشَرٍ * فقــد رأيتُ به حَيًّا ونِسْــوانا

شكاه أبوهـا الى معـاوية فأهـدر دمه ، وشـعره فى ذلك

وقال آبن قُتَيبة فى خبره عن الهَيْثم بن عَدِىّ، ورواه عمر بن شَبَّة أيضا : أن أبا لُبنى شخَص إلى معاوية فشكا اليه قيسًا وتعرُّضَه لآبنته بعد طلاقه إيّاها . فكتب معاوية إلى مروانَ أو سعيد بن العاص يُهْــدِر دمَه إن أَلَمَّ بها وأن يشتدّ فى ذلك . فكتب مروان أو سعيد فى ذلك إلى صاحب المــاء الذى ينزله أبو لُبْنَى كتابًا وَكيدًا . ووجَّهتْ لُبنى رسولًا قاصدًا إلى قيس تُعلمه ما جَرَى وتحذِّره . وبلغ أباه الخبرُ فعاتبه وتجهَّمه وقال له : انتهى بك الأمر إلى أن يُهْدِر السلطان دمك ! فقال :

صــــوت

فإن يَحْجُبوها أو يَحُلْ دون وصلها * مقــالةُ واشٍ أو وَعيــدُ أمــير

فلن يمنعـوا عينىَّ من دائم البُكا * ولن يُذهبوا ما قد أَجَنَّ ضميرى

إلى الله أشكو ما أُلَاقِى من الهوى * ومِنْ حُرَقٍ تعتـادنى وزَفــير

ومن حُرَقِ[1] للحبّ فى باطن الحشى * وليــلٍ طويلِ الحزن غيرِ قصــير

(١) الحرق بالتحريك : النار، ويحتمل أن تكون حرق بضم أوله جمع حرقة .

سأبكي على نفسي بعينٍ غزيرةٍ * بكاءَ حزينٍ في الوَثاق أسيرِ
وكنّا جميعًا قبل أن يظهر الهوى * بأنْعَمِ حالَيْ غِبْطَةٍ وسرور
فما برِح الواشون حتى بَدَتْ لهم * بطونُ الهوى مقلوبةً لظهور
لقد كنتِ حَسْبَ النفس لو دام وصلُنا * ولكنّما الدنيا متاعُ غرور

٥ — هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذَريح . وذكر الزُّبَير بن بَكّار أنه لجدّه عبد الله بن مُصْعَب — غنّى يزيدُ حَوْراءَ في الأوّل والثاني والسادس والثالث من هذه الأبيات خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى . وغنّى إبراهيم في الأوّل والثاني لحنًا من كتابه غيرَ مجنّس . وذكر حَبَش أن فيهما لإسحاق خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى . وفي الخامس وما بعده لَعريبَ ثقيلٌ أوّلُ ابتداؤه نشيد . وقال ابن الكلبيّ في خبره : قال قيس

١٠ في إهدار معاوية دمه إن زارها :

إن تك لُبْنَى قد أتى دون قربها * حجابٌ منيعٌ ما إليه سبيل
فإنّ نسيم الجوّ يجمع بيننا * ونُبصر قَرْنَ الشمس حين تزول
وأرواحنا بالليل في الحيّ تلتقي * ونعلم أنّا بالنهار نَقيل
وتجمعنا الأرضُ القرارُ وفوقنا * سماءٌ نرى فيها النجومَ تجول

١٢٤/٨

١٥ إلى أن يعود الدهر سَلْمًا وتنقضي * تِراتٌ بغاها عندنا وذُحول

شعره فيها حين صادفها في موسم الحج

وممّا وجد في كتاب لابن النطّاح قال العُتْبيّ حدّثني أبي قال : حجّ قيس بن ذَريح، واتّفق أن حجّتْ لُبْنَى في تلك السنة، فرآها ومعها امرأة من قومها، فدَهِش وبقي واقفًا مكانَه ومضت لسبيلها . ثم أرسلت اليه بالمرأة تُبلغه السلامَ وتسأله عن خبره، فألفَتْه جالسًا وحدَه يُنْشد ويبكي :

٢٠ ويومَ مِنًى أعرضتِ عنّي فلم أقل * بحاجة[1] نفس عند لُبْنَى مقالَها

(١) كذا في تجريد الأغاني . وفي الأصول : «لحاجة نفس» باللام .

وفى اليأس للنفس المريضة راحةٌ * إذا النفسُ رامت خُطَّةً لاتَنالُها

فدخلتْ خباءه وجعلتْ تحدّثه عن لُبنى ويحدّثها عن نفسه مَلِيًّا، ولم تُعْلِمْه أنّ لُبنى أرسلتْها اليه . فسألها أن تُبلغها عنه السلامَ، فامتنعت عليه؛ فأنشأ يقول :

إذا طلعتْ شمسُ النهار فسلِّمى * فآيةُ تسليمى عليك طلوعُها

بعشر تحيّات إذا الشمسُ أشرقتْ * وعشرٍ إذا اصفرّتْ وحان رجوعُها

ولو أبلغتْها جارةٌ قولىَ اسلَمى * بكتْ جَزَعًا وارفَضَّ منها دموعُها

وبانَ الذى تُخْفِى من الوجد فى الحَشَى * إذا جاءها عنّى حديث يَرُوعُها

— غنّى فى البيتين الأوّلين عَلُّويه خفيفَ رملٍ بالوسطى — قال: وقضى الناسُ حجّهم وانصرفوا . فمرض قيس فى طريقه مرضا شديدًا أَشْفَى منه على الموت ، فلم يأته رسولها عائدًا لأن قومها رأَوْه وعلموا به؛ فقال :

أَلُبْنَى لقد جَلّتْ عليك مصيبتى * غَدَاةَ غدٍ إذ حلّ ما أتوقّعُ

تُمنّيننى نَيْلًا وتَلْوِيننى به[(١)] * فنفسىَ شوقًا كلَّ يوم تَقَطّع

وقلبكِ قَطُّ ما يَلِين لما يَرى * فوا كبدى قد طال هذا التضرُّع

ألومُكِ فى شأنى وأنتِ مُلِيمةٌ * لَعَمْرِى وأَجْفَى للمحبِّ وأقطع

أُخُبّرتِ أنّى فيكِ مَيّتُ حَسْرتى * فما فاض من عينيكِ للوجد مَدْمَع

ولكن لعَمْرِى قد بكيتُكِ جاهدًا * وإن كان دائى كلُّه منك أجمع

صَبيحةَ جاء العائداتُ يَعُدْنَنِى * فظَلّتْ علىّ العائداتُ تَفَجَّع

فقائلةٌ جئنا اليه وقد قضَى * وقائلةٌ لا ، بل تركْناه يَنْزِع

وروى القَحْذَمىّ ها هنا :

فما غَشِيتْ عينيك من ذاك عَبْرةٌ * وعينى على ما بى بذكراك تدمع

(١) كذا فى جـ وتجريد الأغانى وتزيين الأسواق . وفى سائر الأصول « وتلوينى قلبى » .

إذا أنتِ لم تَبْكِى علىّ جِنـازةً[1] * لديك فلا تبكى غدًا حين أُرفَع

قال: فبلغتْها الأبياتُ، فجزِعتْ جزعًا شديدا وبكت بكاء كثيرا. ثم خرجتْ اليه ليلًا على موعد فاعتذرتْ وقالت: إنما أُبْقِى عليك وأخشى أن تُقتَل، فأنا أتحاماكَ لذلك، ولولا هذا لمـا افترقنا. وودّعتْه وانصرفتْ.

١٢٥ / ٨

شعره فيها وقد بلغه أنها كذبت مرضه

٥ وقال خالد بن كُلْثوم: فبلغه أنّ أهلها قالوا لها: إنه عَليل لمـا به وإنه سيموت فى سفره هذا. فقالت لهم لتدفعهم عن نفسها: ما أراهُ إلا كاذبًا فيما يدّعى ومتعلِّلا لا عَليلا. فبلغه ذلك فقال:

تكاد بلادُ الله يا أُمّ مَعْمَـرٍ * بمـا رحُبتْ يومًا علىّ تَضيـقُ

تكذِّبنى بالودّ لُبْـنَى وليتهـا * تُكَلَّف منِّى مثـلَه فتـذوق

١٠ ولو تعلمـين الغَيْبَ أيقنتِ أننى * لكم والهدايا المُشْعَراتِ صـديق

تتـوق اليكِ النفس ثم أَرُدُّهـا * حيـاءً ومثـلى بالحيـاء حَقيق

أَذُود سَـوَامَ النفس عنكِ وما له * على أحـدٍ إلا عليكِ طـريق

فإنِّى وإن حاولتِ صُرْمى وهجْرتى * عليك مِنَ احداثِ الرّدَى لشَفيق

ولم أرَ أيّامًا كأيّامنـا الـتى * مَرَرْنَ علينـا والزمان أَنيـق

١٥ ووعدُكِ إيّانا، ولو قلتِ عاجلٌ، * بعيـدٌ كما قد تعلمين سَحيق

وحـدّثتَنى يا قلبُ أنك صـابرٌ * على البين من لُبْنَى فسوف تذوق

فُمُتْ كَمَـدًا أو عِشْ سَقيًا فإنّمـا * تكلِّفنى مالا أَراكَ تُطيـق

أطعتَ وُشَـاةً لم يكن لك فيهـمُ * خليـلٌ ولا جارٌ عليك شَـفيق

فإن تك لمّـا تَسْـلُ عنهـا فإنّنى * بهـا مُغْرَمٌ صَبُّ الفؤاد مَشُـوق

٢٠ [1] الجنازة (بالكسر و يفتح): الميت. وقيل: الجنازة بالكسر الميت وبالفتح السرير، وقيل عكس ذلك. والمراد هنا المريض المشرف على الموت.

بِلُبْنَى أُنادَى عنـد أوّل غَشْيَةٍ * ويُثْنِي بها الدّاعِى لها فأفيق
شهِدتُ على نفسى بأنكِ غادةٌ * رَدَاحٌ [1] وأنّ الوجه منكِ عَتِيق
وأنكِ لا تَجزِينَنِي بصَحابةٍ * ولا أنا للهِجْران منكِ مُطِيق
وأنكِ قسّمتِ الفؤادَ فنصفُه * رَهِينٌ ونصفٌ فى الحِبال وَثيق
صَبُوحِى إذا ماذَرَّتِ الشمسُ ذِكرُكُم * ولى ذكرُكم عند المَساء غَبُوق
إذا أنا عَزَّيتُ الهوى أو تركتُه * أتتْ عَبَراتٌ بالدموع تَسُوق
كأنّ الهوى بين الحَيَازِيم والحَشَى * وبين التَّراقِى واللَّهاةِ [2] حَرِيق
فإن كنتِ لمّا تَعلَمِى العلمَ فاسألى * فبعضٌ لبعضٍ فى الفَعال فَئُوق
سَلِى هل قَلانِى من عَشيرٍ صحِبتُه * وهل مَلّ رَحْلى فى الرِّفاق رفيق
وهل يَجتوِى القومُ الكِرامُ صَحابتى * اذا اغبَرَّ مَخْشِىُّ الفِجاج عَمِيق
وأكتُم أسرارَ الهوى فأُمِيتها * اذا باح مَزّاحٌ بهنّ بَرُوق [3]
سعَى الدهرُ والواشون بينى وبينها * فقُطِّع حبلُ الوصل وهو وَثيق
هل الصبر إلا أن أَصُدّ فلا أرَى * بأرضكِ إلّا أن يكون طريق

قصته مع لبنى وزوجها وقد باعه ناقة وهو لا يعرفه

قال : ثم أتى قومَه فاقتطع قطعةً من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويمتارَ لأهله بثمنها . فعرَف أبوه أنه انما يريد لُبْنَى، فعاتبه وزجَره عن ذلك، فلم يقبل منه، وأخذ إبلَه وقدِم بها المدينةَ . فبينا هو يَعرِضها إذ ساومه زوجُ لبنى بناقة منها وهما لا يتعارفان ، فباعه إيّاها . فقال له : إذا كان غدٌ فأْتِنِى فى دار كَثِير بن الصَّلْت فاقبِض الثمن؛ قال : نعم . ومضى زوج لُبنى اليها فقال لها : إنى ٱبتعتُ ناقة من

١٢٦/٨

(١) الرداح : الثقيلة الأوراك . والعتيق : الجميل الكريم . (٢) الحيازيم : جمع حيزوم وهو وسط الصدر . والتراقى : جمع ترقوة وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . (٣) فى الأمالى : «نزوق» .

رجل من أهل البادية وهو يأتينا غدا ليقبض ثمنها، فأَعِدِّى له طعاماً، ففعلتْ. فلما كان من الغد جاء قيس فصوّت بالخادم : قُولِى لسيّدكِ : صاحبُ الناقة بالباب. فعرفتْ لُبْنى نَغْمَته فلم تقل شيئا. فقال زوجها للخادم : قولى له : ادخل، فدخل فجلس. فقالت لُبْنَى للخادم : قولى له : يا فتى، مالى أراك أشعثَ أغبر؟ فقالت له ذلك. فتنفّس ثم قال لها : هكذا تكون حالُ مَنْ فارق الأحبَّةَ وآختار الموتَ على الحياة، وبكى. فقالت لها لُبْنى : قولى له : حدِّثْنا حديثَك. فلما آبتدأ يحدّث به كشفت الحجابَ وقالت : حَسْبُكَ! قد عرفنا حديثَك! وأَسْبلتِ الحجابَ. فبُهِت ساعة لا يتكلّم ثم آنفجر باكيا ونهض فخرج. فناداه زوجها : وَيْحَكَ! ما قصّتك؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك، وإن شئتَ زِدْناك. فلم يكلّمه وخرج فآغترز[1] فى رَحْله ومضى. وقالت لُبنى لزوجها : وَيْحَكَ! هذا قيس بن ذَرِيح. فما حمَلَك على ما فعلتَ به؟ قال : ما عرفتُه. وجعل قيسٌ يبكى فى طريقه ويندُب نفسَه ويوبّخها على فعله ثم قال :

صـــوت

أتبكى على لُبْنَى وأنت تركتَها * وأنت عليها بالمَلَا أنت أقدَرُ

فإن تكن الدنيا بلُبْنَى تقلّبتْ * علىَّ فللدنيا بطونٌ وأَظْهُر

لقد كان فيها للأَمانة موضعٌ * وللكَفّ مُرتادٌ وللعين مَنْظَر

وللحائم العطشان رِىٌّ بريقها * وللمَرِح المختال خمرٌ ومُسْكِر

كأنّى لها أُرْجوحةٌ بين أَحْبُلٍ * إذا ذُكْرَةٌ منها على القلب تَخْطُر

للغَرِيض فى البيتين الأوّلين ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو والهشامى وفيهما لعَرِيبَ رَمَلٌ. ولشارِيَةَ خفيفُ رملٍ من رواية أبى العُبَيْس.

(١) أى ركب، والغرز للجمل مثل الركاب للبغل.

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بنُ بَكّار قال حدّثنى عبد الملك ابن عبد العزيز قال :

تزوّج رجل من أهل المدينة يقال له أبو دُرَّةَ آمرأةً كانت قبله عند رجل آخر من أهل المدينة يقال له أبو بُطَينة؛ فلقيــه زوجها الأوّل فضربه ضربة شلَّت يدُه منها. فلقيه أبو السائب المخزومى فقال له : يا أبا دُرّة! أضربك أبو بُطَينة فى زوجته؟ قال : نعم. قال: أمَا إنى أشهد أنها ليست كما قال قيس بن ذَرِيح فى زوجته لُبْنى :

لقــد كان فيها للأَمانة موضعٌ * وللكَفِّ مُرْتَادٌ وللعين مَنْظَرُ
وللحائم العطشان رِىٌّ بريقِها * وللَمرِح المختــال خمر ومُسْكِر

قال : وكانت زوجة أبى دُرّة هذه سوداء كأنها خُنْفَساء.

مرضه بعد هذه الحادثة

قال : وعاد إلى قومه بعــد رؤيته إيّاها وقد أنكر نفســه وأسِف ولحقه أمر عظيم؛ فأنكروه وسألوه عن حاله فلم يخبرهم؛ ومرض مرضًا شديدا أشرف منه على الموت. فدخل إليــه أبوه ورجال قومه فكلّموه وعاتبوه وناشــدوه اللهَ. فقــال : وَيْحكم ! أتُرَوْنِى أمرضتُ نفسى أو وجدت لهــا سَلْوةً بعــد اليأس فآخترتُ الهَمَّ والبــلاء، أو لِى فى ذلك صُنْع! هذا ما آختاره لى أبواى وقتلانى به. فجعل أبوه يبكى و يدعو له بالفرج والسَّلْوة. فقال قيس :

لقــد عذّبْتَنِى يا حبَّ لُبْــنَى * فقَــعْ إمّا بمــوتٍ أو حيــاةِ
فإنّ المـــوت أَرْوَحُ من حياةٍ * تدوم على التباعد والشَّــتات
وقال الأقربون تَعَــزَّ عنها * فقلت لهـــم إذًا حانت وفاتى

دست اليه رسولا يسأله لم تزوج حتى تزوجت هى

قال : ودَسَّتْ اليه لُبنى بعد خروجه رسولًا وقالت له : استنشِدْه، فإن سألك عن نسبتك فانتسِبْ له خُزَاعيّا؛ فإذا أنشدك فقل له : لم تزوّجتَ بعدها حتى أجابت

إلى أن تتزوج بعدك ؟ وآحفظ ما يقول لك حتى تردّه عليّ . فأتاه الرسول فسلّم وآنتسب خُزاعيّاً، وذكر أنه من أهل الشأم وآستنشده، فأنشده قوله :

فأُقسِم ما عُمْشُ العيونِ شوارِفٌ * روائمُ بوٍّ حانياتٌ على سَقْبِ

— وقد مضت هذه الأبيات — فقال له الرجل: فلم تزوّجتَ بعدها؟ فأخبره الخبر، وحلف له أنّ عينه ما آكتحلتْ بالمرأة التى تزوّجها، وأنه لو رآها فى نِسْوة ما عرفها، وأنه ما مدّ يدَه اليها ولا كلّمها ولا كشف لها عن ثوب . فقال له الرجل : فإنى جارٌ لها وإنها من الوَجْد بك على حالٍ قد تمنّى زوجها معها أن تكون بقربها لتصلُح حالُها بك، فحمِّلْنى اليها ما شئت أؤدِّه اليها . قال : تَعُود الىّ اذا أردتَ الرحيل، فعاد اليه لمّا أراد الرحيلَ . فقال تقول لها :

أَلَا حَىِّ لُبْنَى اليومَ إن كنتَ غاديًا * وأَلْمِمْ بها من قبلِ أنْ لا تلاقيا
وأَهْدِ لها منك النصيحةَ إنها * قليلٌ ولا تَخْشَ الوُشاةَ الأدانيا
وقل إنّنى والراقصاتِ إلى مِنًى * بأَجْبُلِ جَمْعٍ[1] ينتظرنَ المناديا
أصونُك عن بعض الأمور مَضَنّةً * وأخشَى عليك الكاشحين الأعاديا
تَسَاقطُ نفسى حين ألقاكِ أنفُسًا * يَرِدْنَ فما يَصْدُرْنَ إلا صَوَاديا
فإنْ أَحْىَ أو أهلِكْ فلستُ بزائلٍ * لكم حافظاً ما بَلَّ ريقٌ لسانيا
أقول اذا نفسى من الوَجْد أَصْعدتْ * بها زَفْرةٌ تعتادنى هى ما هيا
وبين الحَشَى والنحرِ منّى حرارةٌ * ولوعةُ وجدٍ تترك القلب ساهيا:
ألَا ليت لُبْنَى لم تكن لىَ خُلّةً[2] * ولم تَرَنى لُبْنَى ولم أدرِ ما هيا
سَلِى الناسَ هل خبَّرتُ سِرَّكِ منهمُ * أخا ثقةٍ أو ظاهرَ الغشِّ باديا
يقول لىَ الواشون لمّا تظاهروا * عليكِ وأَضْحَى الحبلُ للبين واهيا:

(١) جمع : المزدلفة . (٢) خلة : صديقة .

لَعَمْرِى لقبلَ اليوم حُمِّلتَ ما ترى * وأُنْذِرتَ من لُبْنَى الذى كنتَ لاقيا
خليـلىَّ مالى قـد بَليتُ ولا أرَى * لُبَيْنَى على الهجْـران إلّا كما هيـا
ألَا يا غرابَ البَيْن مالكَ كلّما * ذكرتُ لُبَيْنَى طِرْتَ لى عن شماليا
أعندكَ علمُ الغيب أم لستَ مُخْبِرى (١) * عن الحىِّ إلا بالذى قد بدا ليـا
جَزِعتُ عليهـا لو أرى لىَ مَجْـزَعًا * وأفنيتُ دمعَ العين لو كان فانيـا ٥
حيـاتَك لا تُغْلَبْ عليهـا فإنــه * كفَى بالذى تَلْقَى لنفسك ناهيا
تَمـرّ الليـالى والشهـور ولا أرَى * وَلُوعى بهـا يزداد إلّا تمـاديا
فمـا عن تَوالٍ من لُبَيْـنَى زيارتى * ولا قِلّةُ الإلمـام أن كنتُ قاليـا
ولكنّها صَدّتْ وحُمِّلتُ من هوًى * لهـا ما يَؤود الشامخاتِ الرواسيا

وهـذه القصيدة تُخْلَط بقصيدة المجنون التى فى وزنها وعلى قافيتها لتشابههما، فقلّما يتميّزان . ١٠

غنّى الحسين بن مُحْرِز فى البيت الأوّل والبيت الخامس من هذه القصيدة ثقيلًا أوّلَ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى من روايتى بَذْل والهشامىّ .

١٢٨/٨

أنب لبنى زوجها لافتضاح أمره بشعر قيس فغضبت

حدّثنى المَدائنىّ عن عَوانة عن يحيى بن علىّ الكِنانىّ قال :

شُهِر أمرُ قيس بالمدينة وغَنّى فى شعره الغَريض ومَعْبَد ومالك وذووهم، فلم يبق شريف ولا وضيع إلّا سمع بذلك فأطربه وحزِن لقَيْس ممّا به . وجاءها زوجها فأنّبها على ذلك وعاتبها وقال : قد فضحتِنى بذكرك . فغضبتْ وقالت : يا هذا ، إنى والله ماتزوّجتك رغبةً فيك ولا فيما عندك ولا دُلِّس أمرى عليك، ولقد علمتَ أنى كنتُ زوجته قبلك وأنه أُكْرِه على طلاق . ووالله ماقبِلت التزويج حتى أُهدِر ١٥

(١) كذا فى س . وفى جميع الأصول : « أم أنت » . ٢٠

دمه إن ألمّ بحيّنا، فخشيتُ أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيُقتَل، فتزوجتك . وأمرُك الآنَ اليك، ففارقْنى فلا حاجة بى اليك . فأمسك عن جوابها وجعل يأتيها بجوارى المدينة يغنّينَها بشعر قيس كيما يستصلحَها بذلك؛ فلا تزدادُ إلّا تماديًا وبُعدا، ولا تزال تبكى كلّما سمعتْ شيئًا من ذلك أحرَّ بكاءٍ وأشجاه .

٥ رجع الحديث الى سياقته .

وسط بريكة فى لقائها، وشعره فى ذلك

وقال الحِرْمازىّ وخالد بن جَمَل : كانت آمرأة من موالى بنى زُهْرة يقال لها بُرَيْكة من أظرف النساء وأكرمهنّ ، وكان لها زوج من قريش له دارُ ضيافة . فلما طالت عِلّةُ قيس قال له أبوه : إنى لأعلم أن شفاءك فى القرب من لُبنى فآرحَلْ إلى المدينة . فرحَل اليها حتى أتى دارَ الضيافة التى لزوج بُريكة . فوثَب غِلمانُه ١٠ إلى رَحْل قيس ليحطّوه . فقال: لا تفعلوا فلستُ نازلًا أو ألقَ بُرَيْكة فإنّى قصدتها فى حاجة؛ فإن وجدتُ لها عندها موضعًا نزلتُ بكم وإلّا رحلت . فأتوها فأخبروها . فخرجتْ اليه فسلّمتْ عليه ورحّبتْ به وقالت : حاجتُك مقضيةٌ كائنةً ما كانت، فآنزِلْ . فنزل ودنا منها فقال : أذكُرُ حاجتى ؟ قالت : إن شئتَ . قال : أنا قيس بن ذَريح . قالت : حيّاكَ الله وقرّبك ! إنّ ذكرك لجديدٌ عندنا ١٥ فى كل وقت . قال : وحاجتى أن أرى لُبْنَى نظرةً واحدةً كيف شئتِ . قالت : ذلك لك علىّ . فنزل بهم وأقام عندها وأخفتْ أمرَه، ثم أهدى لها هدايا كثيرةً وقال : لاطِفيها وزوجَها بهذا حتى يأنَس بك . ففعلتْ وزارتْها مرارا، ثم قالت لزوجها : أخبِرْنى عنك : أنت خيرٌ من زوجى؟ قال : لا . قالت : فلُبْنَى خير منّى؟ قال : لا . قالت : فما بالى أزورها ولا تزورنى ؟ قال : ذلك اليها . فأتتها ٢٠ وسألتْها الزيارةَ وأعلمتْها أن قيسًا عندها . فتسارعتْ إلى ذلك وأتتْها . فلمّا رآها

ورأته بكيا حتى كادا يتلفان . ثم جعلت تسأله عن خبره وعلته فيخبرها ، ويسألها فتخبره . ثم قالت : أنشدنى ما قلتَ فى علّتك ؛ فأنشدها قولَه :

أعالج من نفسى بقايا حُشاشةٍ (١) * على رَمَقٍ والعائداتُ تعود
فإنْ ذُكرتْ لُبْنى هَشِشْتُ لذكرها * كما هَشَّ للثدى الدَّرورِ وَليدُ
أُجيب بلُبْنى مَنْ دعانى تجلُّدًا * وبى زَفَراتٌ تنجلى وتعود
تُعيد إلى روحى الحياةَ وإننى * بنفسىَ لو عاينتنى لأجود

قال : وفى هذه القصيدة يقول :

صوت

ألَا ليتَ أيامًا مَضَيْنَ تعود * فإن عُدْنَ يومًا إننى لسعيدُ
سَقَى دارَ لُبنى حيث حَلَّتْ وخَيَّمتْ * من الأرض مُنْهَلُّ الغَمامِ رَعود

فى هذين البيتين لعَرِيبَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق فى مجرى الوسطى ، وقيل : إنه لغيرها . وتمام هذه القصيدة :

على كلِّ حالٍ إن دَنَتْ أو تباعدتْ * فإن تَدْنُ منّا فالدنوُّ مَزيدُ
فلا اليأسُ يُسْليِنى ولا القربُ نافعى * ولُبْنَى مَمْنوعٌ ما تكاد تجود
كأنِّىَ من لُبنى سليمٌ مُسَهَّدٌ * يَظَلُّ على أيدى الرجال يَميد
رمتْنِى لُبَيْنَى فى الفؤاد بسهمها * وسهمُ لبينى للفؤاد صَيُود
سَلَا كُلُّ ذى شَجْوٍ علمتُ مكانَه * وقلبى للبنى ما حَيِيتُ وَدود
وقائلةٍ قد مات أو هو ميِّتٌ * وللنفس منِّى أن تَفيض رَصيد
أُعالِج من نفسى بقايا حُشاشةٍ * على رَمَقٍ والعائداتُ تعود

(١) الحشاشة : بقية الروح فى المريض والجريح .

وقال الحِرْمازىّ فى خبره خاصّة : وعاتبته على تزوّجه؛ فحلف أنه لم ينظر اليها ملءَ عينيه ولادنا منها؛ فصدّقته . وقال :

صـــــوت

ولقد أردتُ الصبر عنكِ فعاقنى * عَلَقٌ بقلبى من هواكِ قديمُ
٥ يبقَى على حَدَثِ الزمانِ ورَيْبِه * وعلى جَفائكِ ، إنه لكريمُ
فصَرَمته وصَحَحْت وهـو بدائه * شتّانَ بين مُصَحَّح وسَقِيمِ
وَأَرَبْتُــه(١) زمنًا فعاد بحلمــه * إنّ المحبَّ عن الحبيب حليمُ

ـــ لعَرِيبَ فى هــذه الأبيات خفيفُ ثقيــلٍ، وللدّارِمىّ خفيفُ رمــلٍ من رواية الهِشامىّ . ومن الناس من يَنسُب خفيفَ الثّقيل اليه وخفيفَ الرمل اليها ـــ قالوا :
١٠ فلم يزل يومَه معها يحدّثها و يشكو اليهـا أعفَّ شكوى وأكرمَ حديث حتى أمسى؛ فانصرفتْ و وعدتْه الرجوعَ اليه من غدٍ فلم ترجع . وشاع خبره فلم تُرسل اليه رسولًا . فكتب هذه الأبيات فى رُقعة ودفعها الى بُرَيْكة وسألهـا أن تُوصلها اليها، و رحَل متوجِّها الى معاوية . والأبياتُ :

صـــــوت

١٥ بنفسىَ مَنْ قلــبى له الدَّهرَ ذاكرٌ * ومَنْ هو عنّى مُعرِضُ القلبِ صابرُ
ومَنْ حُبُّــه يزداد عنــدىَ جِدّةً * وحـــبِّى لديه مُخْلَقُ العهــدِ داثِرُ

شـــكا الى يزيد ما به وامتـــدحه فحقن دمه

١٣٠/٨ ـــ غَنّت فى هذين البيتين ضنين جاريةُ خاقان بن حامد خفيفَ رَمَــلٍ ـــ قالوا : ثم ارتحل الى معاوية، فدخل الى يزيد فشكا مابه اليــه وامتدحه؛ فرَقّ له وقال : سَــلْ ما شئت، إن شئتَ أن أكتب الى زوجها فأُحتِّمَ عليــه أن يطلّقها فعلتُ .

٢٠ (١) المواربة : المخاتلة والمخادعة

قال : لا أريد ذلك، ولكن أحبّ أن أقيم بحيث تقيم من البلاد، أتعرّف أخبارَها وأقنَعُ بذلك من غير أن يُهْدَر دمى . قال : لو سألتَ هـذا من غير أن ترحل إلينا فيه لَمـا وجب أن نمنعه ، فأقم حيث شئت ؛ وأخذ كتاب أبيه له بأن يُقيم حيث شاء وأحبّ ولا يَعترِض عليه أحد، وأزال ما كان كتب به فى إهدار دمه ؛ فقدِم إلى بلده . وبلغ الفَزَارىّ بين خبرُه والمسامُه بلُبْنَى ، فكاتبوه فى ذلك وعاتبوه . فقال للرسـول : قل للفتى (يعنى أخا الجارية التى تزوّجها) : يا أخى ما غررتُك من نفسى ، ولقـد أعلمتك أنى مشـغول عن كل أحد، وقد جعلتُ أمرَ أُختك إليك فأَمْضِ فيه من حكمك ما رأيت[1]. فتكرّم الفتى عن أن يُفرِّق بينهما ، فمكثتْ فى حِباله مدّةً ثم ماتت .

لقيه عياش السعدى ذاهلا شارد اللب وأنشـده من شعره فيها

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدثنى سليمان بن عيّاش السَّعْدىّ عن أبيه قال :

أقبلتُ ذاتَ يوم من الغابة[2]؛ فلما كنت بالمَذَاد[3]، إذا رَبْعٌ حديثُ العهد بالساكن ، وإذا رجل مجتمعٌ فى جانب ذلك الربع يبكى ويحدّث نفسَه . فسلّمتُ فلم يَرُدّ علىّ سـلامًا . فقلت فى نفسى : رجل مُلتبِسٌ به[4] فولّيتُ عنه . فصاح بى بعد ساعة : وعليكَ السلام، هَلُمّ هلم إلىّ يا صاحب السلام ! فأتيته فقال: أمَا واللهِ لقد فهمتُ سلامَك ولكنّى رجل مُشْتَرَك اللُّبّ يَضِلّ عنّى أحيانًا ثم يعود إلىّ . فقلت : ومن

(١) كذا فى جـ وتجريد الأغانى . وفى سائر الأصول : «فى خباء له» وهو تحريف .

(٢) الغابة : بريد من المدينة على طريق الشام . (٣) المذاد : موضع بالمدينة حيث حفر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق . وقيل : هو واد بين سلع وخندق المدينة . (راجع معجم ما استعجم للبكرى ومعجم البلدان لياقوت ولسان العرب مادة مذد) . (٤) فى تجريد الأغانى : «ملتبس» بدون كلمة «به» . وفى الأصول : «مكتنس عنه» . وقد اعتمدنا فى إصـلاحه على ما ورد فى حديث المبعث : «فجاء الملك فشق عن قلبه قال فخفت أن يكون قد التبس بى» أى خولطت فى عقلى .

أنت ؟ قال : قيس بن ذَريح اللَّيْثىّ . قلت : صاحبُ لُبْنَى ؟ قال : صاحبُ لُبْنَى لعَمْرى وقتيلُها ! . ثم أرسل عينيه كأنهما مَزَادتان ، فما أنْسَى حسنَ قوله :

أبائنــةٌ لُبْـنَى ولم تقطـعِ المَـدَى * بوصـلٍ ولا صُرْمٍ فييأسَ طـامعُ
نهـارِى نهـارُ الوالهين صَـبابةً * وليـلِى تنبـو فيه عـنِّى المضاجع
وقد كنتُ قبل اليوم خِلْوًا وإنّما * تُقَسَّم بين الهالكين المَصَارِع
فلولا رجاءُ القلبِ أن تُسْعِفَ النَّوَى(1) * لَمَا حبسـتْه بينهنّ الأضالع
له وَجَبـاتٌ إثرَ لُبْـنَى كأنها * شـقائقُ برقٍ فى السماء لوامـع
أبَى اللهُ أن يَلْقَى الرشـادَ مُتَـيَّمٌ * ألَا كلُّ أمرٍ حُمَّ لا بُدَّ واقـعُ
همـا بَرَّحابى مُعْـوِلَيْنِ كلاهمـا * فـؤادٌ وعينٌ جفنُهـا الدّهرَ دامع

عبد الله بن مسلم ابن جندب ينشد من شعره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزُّبير قال ، وأخبرنا به وَكيع عن أبى أيُّوب المَدينىّ ، قال الزُّبير قال حدّثتنى ظَبْية قالت : سمعتُ عبد الله بن مُسْلِم بن جُنْدَب يُنْشِد زوجى قولَ قيس بن ذَريح :

اذا ذُكِرتْ لُبْنَى تأوّه وٱشتكى * تأوُّهَ محمـوم عليـه البَلابلُ
يَبيت ويُضْحِى تحت ظِلّ منيّةٍ * به رَمَـقٌ تَبْكى عليـه القبائل
قتيلٌ للُبْنَى صـدّع الحبُّ قلبَه * وفى الحب شغلٌ للمحبِّين شاغل

فصاح زوجى : أوَّه ! واحَرَباه واسَلَباه ! . ثم أقبل على ٱبن جُنْدَب فقال : وَيْلَك ! أتُنشد هذا كذا ! قال : فكيف أُنشِدُه ؟ قال : لم لا نتأوّه كما يتأوّه ونشتكى كما يشتكى ! .

١٣١ / ٨

استنشده ابن أبى عتيق أحر ما قال فى لبنى

وقال القَحْذَمىّ : قال ٱبن أبى عَتيق لقيس يومًا : أنْشِدْنى أحرَّ ماقلتَ فى لُبْنَى . فأنشده قولَه :

(١) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : «تسعر» . ولعلها محرفة عن «تسعد» .

وإنى لأهوَى النّومَ فى غير حينه * لعلَّ لقاءً فى المنام يكون
تُحدِّثنى الأحلامُ أنّى أَرَاكُمُ * فياليتَ أحلامَ المنام يقين
شهدتُ بأنى لم أَحُل عن مَوَدّةٍ * وأنّى بكم لو تعلمين ضَنين
وأن فؤادى لايَلِين الى هوًى * سِواكِ وإن قالوا بَلَى سيَلين

٥ فقال له ابن أبى عَتيق : لَقَلَّ ما رضيتَ به منها ياقَيْس. قال : ذلك جُهْدُ المُقِلِّ.

غنّى فى البيتين الأوّلين قَفَا النجّار ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش.

أنشد ثعلب من شعره وكان يستحسنه

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال أنشدنى أحمد بن يحيى ثَعْلب لقيس بن ذَريح وكان يستحسن هذه الأبياتَ من شعره :

سَقَى طَلَلَ الدّارِ التى أنتمُ بها * حَيًا ثم وَبْلٌ صَيِّفٌ(١) ورَبيعُ
١٠ مضى زمنٌ والناس يستشفعون بى * فهل لى إلى لُبْنَى الغَداةَ شَفيع
سأصرِم لُبْنَى حبلَكِ اليومَ مُجْمِلًا * وإن كان صَرْمُ الحبل منك يَرُوع
وسوف أُسَلِّى النفسَ عنك كما سَلَا * عن البلد النائى البعيدِ نَزِيع(٢)
وإنْ مَسَّنى للضُرِّ منك كآبةٌ * وإن نال جسمى للفراق خُشوع
يقولون صَبٌ بالنساء مُوَكَّلٌ * وما ذاك من فعلِ الرجال بَديع
١٥ نَدِمتُ على ما كان منّى ندامةً * كما نَدِم المغبونُ حين يَبيع
فقدتُكِ من نفسٍ شَعاعٍ ألم أكن * نَهيتُكِ عن هذا وأنتِ جَميع
فقرّبتِ لى غيرَ القريبِ وأشْرفتْ * هناكَ ثَنايا ما لهنّ طُلوع
الى الله أشكو نِيّةً شَقّت العصا * هى اليومَ شَتّى وهى أمسِ جميعُ
فيا حَجَراتِ الدارِ حيث تحمّلوا * بذى سَلَمٍ لا جادكُنّ ربيع(٣)

٢٠ (١) فى ب، س : «صيب» بالباء الموحدة. (٢) نزيع : غريب.
(٣) كذا فى ج : وفى سائر الأصول : «كيف».

صـــوت

فلو لم يَهِجْنى الظاعنون لهاجَنى * حمائمُ وُرْقٌ فى الدِّيار وُقوع(١)
تداعَيْنَ فاستبكَيْنَ مَنْ كان ذاهوًى * نوائحَ لم تَقْطُر لهنّ دُموع

—غنّى فى هذين البيتين ابنُ سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ أوّل عن الهِشامىّ—

٥

صـــوت

اذا أمرتْنى العاذلاتُ بهجرها * أبتْ كَبِدٌ عمّا يقُلْنَ صَديع
وكيف أُطِيع العاذلاتِ وذكْرُها * يؤرِّقنى والعاذلاتُ هُجُوع

غنّى فى هذين البيتين إبراهيمُ ثانىَ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو .

فكاهات لأبى السائب المخزومى فى شعره وفى سيرته

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى عبد الملك بن
١٠ عبد العزيز قال :
أنشدتُ أبا السائبِ المَخْزُومىّ قولَ قيس بن ذَريح :

صـــوت

أُحبُّكِ أصنافًا من الحبِّ لم أجِدْ * لها مَثَلًا فى سائر الناس يُوصَفُ
فمنهنّ حبٌّ للحبيب ورحمةٌ * بمعرفتى منه بما يتكلّف

١٣٢/٨

١٥ ومنهن ألّا يَعْرِضَ الدّهرَ ذكْرُها * على القلب إلّا كادتِ النفس تَتْلَفُ
وحبٌّ بدا بالجسم واللونِ ظاهرٌ * وحبٌّ لدى نفسى من الرُّوحِ ألطف

قال أبو السائب : لا جَرَمَ والله لأُخْلِصَنّ له الصَّفاءَ ولأَغضَبَنّ لغضبه ولأرضَيَنّ لرضاه . غنّى فى البيتين الأوّلين الحسين بن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ عن الهِشامى و بَذْل .

(١) يقال : وقع الطير على شجر أو أرض ، اذا نزلت ، فهن وقوع ووقع .

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن أبى السائب المخزومىّ أنه أخبره أنه كان مع عبد الرحمن بن عبد الله بن كَثِير فى سَقيفة دار كَثِير، إذ مُرَّ بجنازة؛ فقال لى : يا أبا السائب، جارُك آبن كَلَدة، ألّا تقوم بنا فنصلِّىَ عليه! قال : قلت : بَلَى والله فديتُك! . فقمنا حتى إذا كنّا عند دار أُوَيْس إذ ذكرتُ أن جدّه كان تزوّج لُبْنَى ونزل بها المدينة، فرجعتُ فطرحتُ نفسى فى السَّقيفة ٥ وقلت : لا يرانى الله أُصلِّى عليه . فرجع الكَثِيرىُّ فقال : أكنتَ جُنُباً؟ قلت : لا والله . قال : فعلى غير وُضوء؟ قلتُ : لا والله . قال : فمالك؟ قلتُ : ذكرتُ أن جدّه كان تزوّج لُبْنَى وفرّق بينها وبين قيس بن ذَرِيح لمّا ظعَن بها من بلادها، فما كنت لأُصلِّىَ عليه .

١٠ أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى قال حدّثنا عبد الله آبن شَبِيب قال حدّثنى هارون بن موسى الفَرَوىّ قال أخبرنا الخليل بن سعيد قال:

مررتُ بسُوق الطَّيْر، فإذا الناس قد اجتمعوا يركب بعضُهم بعضا، فاطّلعتُ فاذا أبو السائب المخزومىّ قائم على غراب يُبَاع وقد أخذ بطَرَف ردائه وهو يقول للغراب : يقول لك قيس بن ذَرِيح :

١٥ ألَا يا غرابَ البين قد طِرْتَ بالذى * أُحاذِر من لُبْنَى فهل أنت واقعُ

لِمَ لا تقع! ويضربه بردائه والغراب يصيح . قال : فقال قائل له : أصلحك الله يا أبا السائب! ليس هذا ذاك الغرابَ . فقال : قد علمت، ولكن آخذ البرىء حتى يقع الجرىء[1] .

آلت لبنى ألا ترى غرابا الا قتلته لبيت قاله من قصيدة، وذكر المختار منها

وقال الحِرْمازىُّ فى خبره : لمّا بلغ لُبْنَى قولُ قيس :

٢٠ ألَا يا غرابَ البين قد طِرْتَ بالذى * أُحاذِر من لبنى فهل أنت واقع

(١) فى ح : « النطف »، والنطف : المريب .

آلتْ ألّا ترى غراباً إلّا قتلتْه؛ فكانت كلّما رأته أو رأته خادمٌ لها أو جارة ابتيع ممن هو معه وذبحتْه .

وهذه القصيدة العينيّة أيضا من جيِّد شعر قيس . والمختارُ منها قوله :

أتبكى على لُبنى وأنت تركتَها * وكنتَ كآتٍ حَتْفَه وهو طائعُ

فيا قلبُ صبراً واعترافاً لما ترى(١) * ويا حبّها قَعْ بالذى أنت واقع

ويا قلبُ خبِّرنى إذا شطَّتِ النّوى * بلُبنَى وبانت عنك ما أنت صانع

أتصبر للبَيْن المُشِتِّ مع الجَوى * أم أنت امرؤ ناسى الحياء لجازع

كأنّك بِدْعٌ(٣) لم تَرَ الناسَ قبلَها * ولم يَطّلِعك(٤) الدهرُ فيمن يُطالع

ألا يا غرابَ البَيْن قد طِرْتَ بالذى * أُحاذِر من لُبنى فهل أنت واقع

فليس محبٌّ دائماً لحبيبه * ولا ثقةٌ إلا له الدهرَ فاجع

كأنَّ بلادَ الله ما لم تكن بها * وإن كان فيها الناسُ قَفْرٌ(٥) بَلاقِع

فما أنت إذ بانت لُبَيْنَى بهاجعٍ * إذا ما اطمأنّتْ بالنِّيام المَضاجع

صـــوت

أُقَضِّى نهارى بالحديث وبالمُنَى * ويَجمعنى والهمَّ بالليل جامعُ

نهارِى نهارُ الناس حتى إذا دَجَا(٦) * لِىَ الليلُ هزَّتْنى إليك المضاجع

لقد رسَخَتْ فى القلب منكِ مودّةٌ * كما رسَختْ فى الراحتين الأصابع

---

(١) كذا فى الأمالى (جـ ٢ ص ٣١٥ ولسان العرب مادة عرف) . واعترف للأمر : صبر . وفى الأصول : « واعترافا بحبها » . (٢) كذا فى تجريد الأغانى والأمالى . وفى الأصول : « الحياة » وهو تحريف . (٣) البدع : الغمر من الرجال، وهو الذى لم يجرب الأمور . (٤) كذا فى الأمالى . وفى الأصول : «فيا» . (٥) كذا فى الأمالى . وفى الأصول : «وحش بلاقع» . (٦) فى الأصول : «بدا» .

أحالَ علىّ الهمُّ من كلّ جانب * ودامتْ فلم تبرح علىّ الفواجع
ألَا إنّما أبكى لِما هو واقعٌ * فهل جَزَعى من وَشْك ذلك نافع
وقد كنتُ أبكى والنَّوى مطمئنّةٌ * بنا وبكم من عِلْمِ ما البينُ صانع
وأَهجُركم هجرَ البَغيض وحبُّكم * على كبدى منه كُلومٌ(١) صوادع
وأَعمِد للأرض التى لا أُريدها * لتَرْجِعَنى يومًا إليك الرواجع
وأَشْفِق من هِجرانكم وتَرُوعنى * مخافةُ وَشْكِ البين والشَّملُ جامع
فما كلُّ ما منّتْكَ نفسُك خاليًا * تُلَاقى ولا كلُّ الهوى أنت تابع
لَعَمْرِى لَمَنْ أَمْسَى ولُبْنَى ضَجيعُه * من الناس ما آختيرتْ عليه المضاجع
فتلك لُبَيْنَى قد ترَاخَى مَزارُها * وتلك نَواها غُرْبةٌ ما تُطاوع(٢)
وليس لأمرٍ حاول اللهُ جمعَه * مُشِتٌّ ولا ما فرّق اللهُ جامع
فلا تَبْكِيَنْ فى إثر لُبْنَى نَدَامةً * وقد نَزَعتْها من يديك النوازع

غنّى الغَريضُ فى الثالث والرابع والأوّل والعشرين وهو "لعمرى لَمَنْ أَمسى ولُبنى ضجيعُه" ثقيلًا أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وغنّى إبراهيم الموصلىّ فى العاشر وهو : "أقضّى نهارى بالحديث وبالمُنَى" والحادى عشر والثانى عشر رَمَلًا بالوسطى عن عمرو . وقد قيل : إن ثلاثة أبيات من هذه وهى : "أقضّى نهارى بالحديث وبالمنى" [والبيتان اللذان بعده](٣) لابن الدُّمَيْنة الخثْعَمىّ؛ وهو الصحيح؛ وإنما أدخلها الناس فى هذه الأبيات لتشابهها .

(١) كذا فى الأمالى . وفى الأصول : «شؤون» . (٢) رواية الأمالى :
ألا تلك لبنى قد تراخى مزارها * وللبين غم ما يزال ينازع
(٣) زيادة يقتضيها السياق . (راجع الأغانى جـ ١٥ ص ١٥٤ طبع بلاق) .

مصير قيس ولبنى وهل ماتا زوجين أو مفترقين

وقد اختُلف فى آخر أمر قيس ولُبْنَى ؛ فذكر أكثر الرُّواة أنهما ماتا على افتراقهما ، فمنهم من قال : إنه مات قبلَها وبلغها ذلك فماتت أسفًا عليه . ومنهم من قال : بل ماتت قبله ومات بعدها أسفًا عليها ، وممن ذكر ذلك اليوسُفىّ عن علىّ بن صالح صاحب المُصَلَّى ؛ قال قال لى أبو عمرو المَدَنىّ :

٥ ماتت لُبْنَى ، فخرج قيسٌ ومعه جماعةٌ من أهله فوقف على قبرها فقال :

ماتت لُبَيْنَى فموتُها مَوْتِى * هل تنفعَنْ حَسْرتى على الفَوْتِ
وسوف أبكى بكاءَ مكتئبٍ * قضى حياةً وَجْدًا على مَيْتِ

ثم أكَبَّ على القبر يبكى حتى أغمى عليه ؛ فرفعه أهلُه إلى منزله وهو لا يعقل ، فلم يزل عليلاً لا يُفيق ولا يجيب مكلِّماً ثلاثًا حتى مات فدُفن إلى جنبها .

١٣٤ / ٨

١٠ وذكر القَحْذَمىّ وآبن عائشة وخالد بن جمل أن آبن أبى عتيق صار إلى الحسن والحسين ابنَىْ علىّ بن أبى طالب وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم وجماعةٍ من قريش ، فقال لهم : إن لى حاجةً إلى رجل أخشى أن يَرُدَّنى فيها ، وإنى أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه . قالوا : ذلك لك مُبْتَذَلٌ منّا . فاجتمعوا ليومٍ وعَدهم فيه ، فمضى بهم الى زوج لُبْنَى . فلمّا رآهم أعْظم مصيرَهم اليه ١٥ وأكبره . فقالوا : لقد جئناك بأجمعنا فى حاجة لآبن أبى عَتيق . قال : هى مقضيّة كائنةً ما كانت . قال آبن أبى عَتيق : قد قضيتَها كائنةً ما كانت من مِلك أو مال أو أهل ؟ قال نعم . قال : تَهَب لهم ولى لُبْنَى زوجتَك وتطلّقها . قال : فإنى أُشهِدكم أنها طالقٌ ثلاثا . فآستحيا القوم وآعتذروا وقالوا : والله ما عرفنا حاجته ، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إيّاها . وقال آبن عائشة : فعوّضه الحسنُ من ذلك ٢٠ مائةَ ألف درهم وحملها آبن أبى عتيق اليه . فلم تزل عنده حتى آنقضت عِدّتُها .

فسأل القـوم أباها فزوّجها قيسا ، فلم تزل معـه حتى ماتا . قالوا : فقـال قيس يمدح ابن أبى عَتيق :

جزى الرحمنُ أفضلَ ما يُجازِى * على الإحسان خيرًا من صديق
فقـد جَرَّبتُ إخوانى جميعًا * فما أُلْفِيتُ كابنِ أبى عتيـق
سعى فى جمع شَمْلِى بعـد صَدْعٍ * ورَأْيٍ حِدْتُ فيه عن الطريق
وأطفـأ لوعةً كانت بقلـبى * أغصَّتْنى حرارتُها بريـق

قال : فقـال له ابن أبى عتيـق : ياحبيبى أَمْسِكْ عن هذا المديح ؛ فما يسمعه أحد إلا ظنّنى قوّادا . مضى الحديث .

صوت من مدن معبد فى شعر عنترة

ومن مُدُن مَعْبَد وهو الذى أوّله :

* يادارَ عَبْلةَ بالجِواء تكلّمى *

وقد جُمِع معه سائرُ ما يغنَّى فيه من القصيدة .

منها :

صـــوت

هل غادر الشعراءُ من مُتَردَّمِ * أم هل عَرفتَ الدارَ[1] بعد تَوَهُّمِ
يا دارَ عَبْـلةَ بالجِـواء تكلَّمِى * وعِمِى صَباحًا دارَ عبلةَ واسْلَمِى
وتحُـلّ عبلةُ بالجِـوَاء وأهلُنا * بالحَـزْن فالصَّمّان فالمُتَثَـلَّمِ[2]
كيف القَـرارُ[3] وقد تربَّع أهلُها * بِمُنَـيْزَتَيْنِ وأهلُنا بالغَيْـلَمِ
حُيِّيتَ من طَلَلٍ تَقَـادَمَ عهدُه * أَقْـوَى وأَقْفَـرَ بعد أُمِّ الهَيْـثَمِ

(١) ويروى : «أم هل عرفت الربع» وهى الرواية التى كتب عليها المؤلف . (٢) الصـ موضع ، ويقال : هو جبل . وقال أبو جعفر : الجواء بنجد ، والحزن لبنى يربوع ، والصمان لبنى والمتثلم : مكان . (انظر شرح القصائد العشر للتبريزى) . (٣) فى المعلقات : «كيف المزا

ولقد نزلتِ فلا تَظُنّى غيرَه * منّى بمنزلة المُحَبّ المُكْرَمِ
ولقد خَشِيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ * للحرب دائرةٌ على ٱبنَىْ ضَمْضَمِ
الشّاتمَىْ عِرْضِى ولم أشتُمْهما * والنّاذرَيْنِ إذا لَمْ ٱلقَهما دمى
ولقد شَفَى نفسى وأبرأ سُقْمَها * قِيلُ الفوارسِ وَيْكَ عنترُ أَقْدِمِ
ما زِلْتُ أرميهم بثُغْرة نَحْرِه * ولَبانِه حتى تَسَرْبَلَ بالدّم ٥
هَلّا سألتِ الخيلَ يا ٱبنةَ مالكٍ * إن كنتِ جاهلةً بما لم تَعْلَمى
يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِد الوَقِيعةَ أنّنى * أَغْشَى الوَغَى وأعِفُّ عند المَغْنَم
يَدْعُون عَنْترَ والرِّماحُ كأنّها * أشْطانُ بئرٍ فى لَبَانِ الأدهمِ
فشَكَكْتُ بالرُّمْح الطويلِ ثيابَه * ليس الكريمُ على القَنَا بمُحَرَّمِ
فاذا شَرِبتُ فإنّنى مُسْتَهلِكٌ * مالى، وعِرْضى وافرٌ لم يُكْلَمِ ١٠
واذا صحوتُ فما أُقَصِّر عن نَدًى * وكما علمتِ شمائلى وتكرُّمى

١٣٥ / ٨

الشعر لعنترة بن شَدّاد العَبْسىّ، وقد تقدّمتْ أخباره ونسبه . وغنّى فى البيت الأوّل ، على ما ذكره ٱبن المكّىّ، إسحاقُ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى، وما وجدتُ هذا فى رواية غيره . وغنّى مَعْبد فى البيت الثانى والثالث خفيفَ ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق، وهو الصوت المعدود فى مُدُن معبد . وغنّى ١٥ سَلّام الغَسّال فى السابع والثامن والثالث والعاشر رَمَلًا بالسبّابة فى مجرى البنصر ، ووجدت فى بعض الكتب أن له أيضا فى السابع وحده ثانىَ ثقيلٍ أيضا ، وذكر عمرو بن بانة أن هذا الثقيل الثانىَ بالوسطى لمعبد ووافقه يونس ، وذكر ٱبن المكىّ أن هذا الثقيل الثانىَ للهُذَلىّ، وذكر غيره أنه لابن مُحْرِز . وذكر أحمد بن عُبَيْد أنّ فى السابع ثقيلًا أوّل للهُذَلىّ، ووافقه حَبَش . وذكر حبش أن فى الثانى لمعبد ٢٠ ثقيلا أوّل، وأن لابن سُرَيج فيه رملًا آخر غير رمل ٱبن الغَسّال، وأن لابن مِسْجَح

أيضا فيه خفيفَ ثقيل بالوسطى . وفى كتاب أبى العُبَيْس: له فى الثالث لحن . وفى كتاب أبى أيّوب المَدِينِيّ: لابن جامع فى هذه الأبيات لحن . ولمعبد فى الحادى عشر والثانى عشر والخامس عشر والسادس عشر خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق فى مجرى الوسطى عن إسحاق أيضا . ولعَلّويه فى السادس والرابع ثانى ثقيل، وله أيضا فى الرابع عشر والثالث عشر رَمَلٌ . وفى كتاب هارون بن الزّيّات لعبد آلٍ فى الخامس ثقيلٌ أوّل ؛ وقد نَسَب الثقيلَ الثانىَ المختلَفَ فيه لابن مُحْرِز . وفى كتاب هارون : لأحمد النَّصْبىّ فى الرابع والخامس لحن .

" هل غادر الشعراء " البيتَ ، يدفع أكثرُ الرواة أن يكون لعنترة ؛ وممن يدفعه الأصمعىّ وابن الأعرابىّ . وأوّل القصيدة عندهما " يادارَ عَبْلَةَ " . فذكر أبو عمرو الشَّيْبَانِىّ أنه لم يكن يَرْويه حتى سمع أبا حِزَامٍ العُكْلىّ يرويه له .

قوله : " هل غادر الشعراء من متردَّم " يقول : هل تركوا شيئاً يُنْظَر فيه لم ينظروا فيه ؟ . والمتردَّم : المتعطَّف، وهو مصدر . يقول : هل تركوا شيئا يُتردَّم عليه أى يتعطَّف ؛ ويقال: تردّمت الناقةُ على ولدها إذا تعطَّفت عليه، وثوبٌ مردَّم وملدَّم إذا سُدَّتْ خروقُه بالرِّقاع . والرَّبْع : المنزل ، سُمِّىَ ربعًا لارتباعهم فيه ؛ والرَّبيعة : الصخرة . حكى أبو نصر أنه يقول : هل ترك الشعراء من خَرْقٍ لم يرقعوه وفَتْقٍ لم يرتُقوه ! وهو أشبهُ بقوله من متردَّم . وقال غيره : يعنى بقوله من متردَّم البناءَ وهو الرَّدْم ، أى لم يتركوا بناءً إلا بَنَوْه ؛ قال الله عز وجل : ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ يعنى بناء ؛ وردَم فلان حائطَه أى بناه . والجِواء : بلد بعينه ؛ والجِواء أيضا : جمع جَوٍّ وهو البطن الواسع من الأرض . عِمِى صباحًا ، وانْعِمِى صباحًا : تحيّةٌ . تَرَبَّعَ أهلُها : نزلوا فى الرَّبيع . وعُنَيْزَتين : أَكَمَةٌ سوداء بين البَصْرة ومكة . والغَيْلَم : موضع . والطَّلَل : ما كان

له شخص من الدار مثل أُثْفِيَّة أو وَتِدٍ أو نُؤْيٍ[1]؛ وتقول العرب : حيّا الله طَلَلَك ، أى شخصك . وابنا ضَمْضَم : حُصَيْن وهَرِم المُرِّيَّان. وثُغْرة نحره : موضع لَبَّته . واللَّبان : مَجْرَى لَبَبه من صدره وهو الصدر نفسه . ويروى « بغُرّة وجهه » . وتَسَرْبل ، أى صار له سربال من الدم . وقوله : « هَلّا سألت الخيلَ » يريد فرسانَ الخيل ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ . والوَقيعة : الوَقْعةُ . والوَغَى والوَحَى : أصواتُ الناس وجَلَبتُهم فى الحرب ؛ وقال الشاعر :

وليلٍ كَسَاجِ الحِمْيَرِيِّ[2] ادَّرعتُه * كأنَّ وَغَى حافاته لَغَطُ العُجْمِ

والأشطان : الحبال ، واحدها شَطَن . شبَّه اختلافَ الرِّماح فى صدر فرسه بالأشطان . وشَكَكتُ بالرمح : نظمت . وقال أبو عمرو : يعنى بثيابه قلبَه . والعِرْض : موضعُ المدح والذَّمّ من الرجل ؛ يقال : طيِّب العِرْض أى طيِّب ريح الجسم . والكُلوم : الجراح . والوافر : التامّ . وشمائلى : أخلاقى ، واحدها شِمَال . يقال : فلان حُلو الشَّمائل والنَّحائت والضَّرائب والغرائز .

عنترة يقول معلقته لأن رجلا سبه وعيره سواده

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السُّكَّرىّ قال قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ :

قال عنترةُ هذه القصيدةَ لأن رجلًا من بنى عَبْس سابَّه فذكر سوادَه وسوادَ أُمّه وإخوته وعيّره ذلك . فقال عنترة : والله إن الناس لَيَترافَدُون[3] بالطُّعْمة ، فوالله ما حضرتَ مَرْفَدَ الناس أنت ولا أبوك ولا جَدُّك قَطُّ . وإنّ الناس لَيُدْعَوْن فى الفزع فما رأيتُك فى خيلٍ قطُّ ، ولا كنتَ فى أوّل النساء . وإن اللَّبْس (يعنى الاختلاط) لَيكونُ بيننا فما حضرتَ أنت ولا أحدٌ من أهل بيتك لِخُطّةٍ فيَصْلٍ قطُّ ،

[1] الأثفية : الحجر توضع عليه القدر .
[2] الساج : الطيلسان الأسود .
[3] يترافدون : يتعاونون .

وكنتَ فَقْعًا بقَرْقَرة [1] . ولو كنتَ فى مَرْتَبتك ومَغْرِسك الذى أنت فيه ثم ماجَدْتُك لمجدتُك ، أو طاولتَك لَطُلْتُك . ولو سألتَ أُمَّك وأباك عن هذا لأخبراك بصحته . وإنّى لأحتضر الوَغَى ، وأُوَفِّى المَغْنَم ، وأَعِفُّ عن المسألة ، وأَجُود بما ملكتُ ، وأفصل الخُطّةَ الصَّمْعاء [2] . فقال له الآخر : أنا أشعرُ منك . فقال : ستعلم ! . وكان عنترة لا يقول من الشعر إلّا البيتَ أو البيتين فى الحرب فقال هذه القصيدة .
ويزعمون أنها أوّل قصيدة قالها . وكانت العرب تسمِّيها المُذَهَّبة .

بقية مدن معبد

نسبة الأصوات التى جُعلتْ مكان بعض هذه الأصوات فى مدن معبد ، وهنّ :

صوت من مدنه فى شعر كثير عزة

صــــوت

تَقطَّع من ظَلّامةَ الوصلُ أَجْمَعُ * أخيرًا على أنْ لم يكن يَتَقطَّعُ
وأصبحتُ قد وَدّعت ظَلّامةَ التى * تَضُرُّ وما كانت مع الضُّرّ تنفع

الشعر لكُثَيِّر . والغناء لَمعبَد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو ويونس .

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنى سليمان ابن عَيّاش السَّعْدىّ قال قال السائبُ راويةُ كُثَيِّر ، وأخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال زعم ابن الكَلْبىّ عن أبى المُقَوّم قال حدّثنى سائب راوية كُثَيِّر قال :

١٣٧ / ٨

كنتُ مع كُثَيِّر عند ظَلّامة فأقمنا أيّاما . فلما أردنا الانصرافَ عقدتْ له فى عِلَاقة سَوْطه عُقَدًا وقالت : احفَظْها . ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبنى ضَمْرة ،

(١) ويقال أيضا فقع قرقرة . وهو مثل يضرب للضعيف الذليل الذى لا يمتنع على من يضيمه . والفقع : هجين الكمأة ، وهو أبيض ضخم سريع الفساد قليل الصبر عن الحيا لا يمتنع على من اجتناه ، وقيل : لأنه يداس دائما بالأرجل ، وقيل : لأنه لا أصل له ولا أغصان . والقرقرة والقرقر : الأرض المستوية السهلة . (انظر ما يعول عليه فى المضاف والمضاف إليه) . (٢) الصمعاء : الحازمة .

فقال : إن فى هذه الأخبية جاريةً ظريفةً ذاتَ جمال ، فهل لك أن تستبرزَها ؟ فقلت : ذاك إليك . قال : فمِلْنا اليهم فخرجتْ الينا جاريتها فأخرجتْها إلينا ، فاذا هى عَزّة ، فجلس معها يحادثها ، وطرح سَوْطَه بينه و بينها الى أن غلبتْه عيناه . وأقبلتْ عَزّة على تلك العُقَد تحلُّها واحدةً واحدةً . فلما آستيقظ آنصرفْنا . فنظر الى عِلاقة سوطه فقال : أحلّتْها ؟ قلت : نعم ! فلا وصَلها الله ! والله إنك لمجنون.
قال : فسكت عنّى طويلًا ثم رفع السَّوْطَ فضرب به واسطةَ رَحْله وأنشأ يقول :

تقطّع من ظَلّامة الوصلُ أجمعُ * أخيرًا على أن لم يكن يتقطّعُ
وأصبحتُ قد ودّعت ظَلّامةَ التى * تَضُرُّ وما كانت مع الضُّرِّ تنفع
وقد سُدَّ من أبواب ظَلّامة التى * لنا خَلَفٌ للنّفس منها ومَقْنَع

ثم وصل عزّةَ بعد ذلك وقطع ظَلّامة .

ومنها :
وهو الذى أوّله : "خَمْصانةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُها" .

صوت من مدنه فى شعر الحارث ابن خالد

صوت

أَقْوَى مِنَ آلِ ظُلَيمةَ الحَزْمُ * فالغَمْرتانِ فأَوْحَش الخَطْمُ[1]
فجنوبُ أَثْبِرةٍ فمُلْحَدُها * فالسِّدْرتانِ فما حَوَى دَسْمُ[2]
وبما أرَى شخصًا به حسنًا * فى القوم إذ حيّتكم نُعْمُ
إذ وُدُّها صافٍ ورؤيتُها * أُمنيَّةٌ وكلامُها غُنْمُ

(١) أقوى : خلا . والحزم : موضع أمام خطم الحجون . والغمرة : منهل من مناهل طريق مكة ومنزل من منازلها . (٢) أثبرة : عدة جبال بمكة ، واحدها ثبير . والسدرتان : موضع . ودسم : موضع قرب مكة فيه قبر آبن سريج المغنى .

لَفّاءُ[1] مملوءٌ مُخَلْخَلُها * عَجْزاءُ ليس لعَظْمها حَجْمُ

خَمْصانةٌ قَلِقٌ موشَّحُها * رُؤْدُ الشبابِ علا بها عَظْمُ

وكأنّ غاليةً[2] تُباشرها * تحت الثياب إذا صَغَا[3] النَّجْمُ

أظُلَيْمُ إنّ مُصابَكم رجلًا * أَهْدَى السلامَ تحيةً ظُلْمُ

أَقْصيتِه وأراد سِلْمَكمُ * فَلْيَهْنِه إذ جاءك السِّلْمُ ٥

عروضه من الكامل . الشعر للحارث بن خالد المخزومىّ . والغناء لمَعْبد، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر فى مجرى البنصر . قال : ولحن معبد[4] :

* خَمْصانةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُها *

وأوّل لحن[5] مالك :

* أقوى مِنَ آلِ ظُلَيْمةَ الحزمُ * ١٠

---

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «هيفاء» . ولفاء : ضخمة الفخذين مكتنزة .

(٢) الغالية : ضرب من الطيب . (٣) صغا النجم : مال للغروب .

(٤) لعله : « وأوّل لحن معبد » . (٥) يلاحظ أنه لم يتقدم لمالك لحن فى هذا الشعر .

ذكر الحارث بن خالد ونسبه وخبره فى هذا الشعر

الحارث بن خالد بن العاصى بن هشام بن المُغِيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ؛ وقد تقدّم ذكره وأخباره فى كتاب المائة المختارة فى بعض الأغانى المختارة التى شعرُها له وهو :

٥ * إنّ آمرأً تَعْتادُه ذِكَرُ *

تزوج حميدة بنت النعمان بن بشير ثم طلقها

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال :

١٣٨ / ٨ بلغنى أن الحارث بن خالد بن العاصى بن هشام بن المُغيرة — ويقال : بل خالد بن المُهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة — كان تزوج حُمَيْدة بنت النُّعمان بن بَشِير بدِمَشْق لمّا قدِم على عبد الملك بن مَرْوان . فقالت فيه :

١٠ نكَحتُ المَدينيَّ إذ جاءنى * فيالَكِ من نَكْحةٍ غاويَهْ

كهولُ دِمَشْقَ وشُبّانُها * أحبُّ الينا من الجاليَه

صُنَانٌ لهم كصُنَانِ التُّيُو * سِ أعيا على المسك والغاليه

فقال الحارث يجيبها :

صــوت

١٥ أَسَنَا ضوءِ نار ضَمْرة بالقَفْـ * ـرة أبصرتَ أم سَنَاضوءِ بَرْقِ

قاطناتُ الحَجُونِ أشْهى الى قلـ * ـبىَ من ساكنات دُورِ دِمَشْقِ

يتضوَّعْنَ او تضمَّخْنَ بالمسـ * ـك صُنَانًا كأنّه ريحُ مَرْقِ(١)

غنّاه مالكُ بن أبى السَّمْح خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر من رواية إسحاق . وفيه لآبن مُحْرِز(٢) لحنٌ من رواية عمرو بن بانة ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

٢٠ (١) المرق (بالفتح) : صوف العجاف والمرضى وهو منتن ، أو هو الجلد المنتن .

(٢) فى جـ : « لآبن مسجح » .

رجعت الرواية إلى خبر الحارث

قال : وطلّقها الحارث، فخلَف عليها رَوْح بن زِنْباع . قال : وكان الحارث خطَب أَمَةَ لمالك بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد، وخطبها عبد الله بن مُطِيع . فتزوّجها عبد الله ثم طلّقها أو مات عنها، فتزوّجها الحارث بن خالد بعد ذلك وقال فيها قبل أن يتزوّج : ٥

أَقْوَى مِنَ آلِ ظُليمةَ الحَـزْمُ * فالغَمْرتانِ فأَوْحَش الخَطْمُ

الأبياتَ التى فيها الغناء .

قال وأخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنا محمد بن الحَكَم عن عَوَانة بهذا الخبر فذكر مثلَه ، ولم يذكر أنّ الحارث هو المتزوِّجُها، وفسّر قولَها : ١٠

* أحبُّ الينا من الجاليهْ *

وقال : الجاليـة أهل الحجاز ، كان أهل الشام يسمُّونهم بذلك لأنهم كانوا يجلُون عن بلادهم إلى الشام . وقال فى الحديث : فبلغ عبدَ الملك قولُها فقال : لولا أنها قدّمت الكهولَ على الشبّان لعاقبتُها .

قتل مصعب أختها عمرة بعد قتل زوجها المختار

قال عَوَانة : وكانت لحُمَيْـدة أختٌ يقال لها عَمْرة ، وكانت تحت المختار بن أبى عُبَيد الثَّقفىّ ، فأخذها مُصْعَب بعد قتله المختار وأخذ آمرأته الأخرى وهى بنت سَمُرةَ بنِ جُنْـدَب ، فأمرهما بالبراءة من المختار . أمّا بنت سَمُرةَ فبرئتْ منه ، وأبتْ ذلك عَمْرةُ . فكتب به مُصْعَب إلى أخيه عبد الله . فكتب اليه : إن أبت أن تبرأْ منه فاْقتُلْها . فأبتْ فحفَر لها حَفِيرةٌ وأقيمت فيها فقُتلت . فقال عمر بن أبى ربيعة فى ذلك : ١٥ ٢٠

إنّ من أعجب العجائب عندى * قتلَ بيضاءَ حُرّةٍ عُطْبولِ[1]

قُتِلتْ حُرّةٌ على غير جُرْمٍ * إنّ لله دَرَّها من قَتيل

كُتب القتلُ والقتالُ علينا * وعلى الغانياتِ جَرُّ الذيول

رجع الحديث إلى رواية عمر بن شَبّة .

قال أبو زيد وحدّثنى ابن عائشة عن أبيه بهذا الخبر ونحوِه ، وزاد فيه أن الحارث لمّا تزوّجها قالت فيه : ١٣٩/٨

نَكَحتُ المَدينيّ إذ جاءنى * فيالكِ من نَكْحةٍ غاويهْ

وذكر الأبيات المتقدّمة . وقال عمر بن شَبّة فيه : وتزوّجها رَوْح بن زِنْباع ؛ فنظر اليها يومًا تنظر إلى قومه جُذامَ، وقد اجتمعوا عنده فلامها . فقالت : وهل أرى إلا جُذامَ ! فوالله ما أُحبُّ الحَلالَ منهم فكيف بالحرام! . وقالت تهجوه :

تهاجى حميدة مع زوجها روح ابن زنباع

بكى الخَزُّ من رَوْحٍ وأنكر جلدَه * وعَجّتْ عَجيجًا من جُذامَ المَطارفُ

وقال العَبا قد كنتُ حينًا لباسَكم * وأكسيةٌ كُرْديّةٌ وقطائفُ

فقال رَوْح :

إن تَبْكِ منّا تَبْكِ ممن يُهِينُها * وإن تَهْوَكم تهوَ اللِّئامَ المَقارِفا[2]

وقال رَوْح :

أَثْنِي[3] علىّ بما علمتِ فإنّنى * مُثْنٍ عليكِ لبئس حَشْوُ المِنْطَقِ[4]

فقالت :

أُثْنِي عليكَ بأنّ باعَكَ ضَيّقٌ * وبأن أصْلَكَ فى جُذَامٍ مُلْصَقُ

(١) العطبول : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق .

(٢) المقارف : الأنذال . ويروى : «وما صانها إلا اللئام المقارف» . (٣) الثناء : ما تصف به الانسان من مدح أو ذم ، وخص بعضهم به المدح . (٤) المنطق والنطاق (وزان منبر وكتاب) : شبه إزار فيه تكة كانت المرأة تنتطق به . وفى حديث أم اسماعيل : أوّل ما اتخذ النساء المنطق .

فقال رَوْح :

أَثْنِى علىَّ بما علِمْتِ فإنّنى * مُثْنٍ عليكِ بمثل ريح الجَوْرَب

فقالت :

فثناؤنا شرُّ الثّناء عليكمُ * أسْوَا وأنْتَنُ من سُلَاح الثَّعْلَب

وقالت :

وهل أنا إلا مُهْرَةٌ عربيّةٌ * سَليلةُ أفراس تجلّلها بَغْلُ

فإنْ نُتِجتْ مُهْرًا كريما فبالحَرَى * وإن يك إقرافٌ[1] فما أنْجب الفحلُ

فقال رَوْح :

فما بالُ مُهْرٍ رائعٍ عَرَضتْ له * أتانٌ فبالتْ عند جَحْفَلة[2] البغلِ

إذا هو ولّى جانبا ربَخَتْ[3] له * كما ربختْ قَمْراءُ[4] فى دَمِسٍ سهلِ

وقالت عَمْرة لأخيها أَبَان بن النُّعمان :

أطال اللهُ شأوَك[5] من غُلَامٍ * متى كانتْ مَناكِحَنا جُذامُ

أترضَى بالأكارع والذُّنابَى[6] * وقد كنّا يقرُّ بنا السَّنامُ

وقال ابن عمٍّ لِرَوْح :

رَضِى الأشياخ بالفِطْيَوْنِ[7] فَحْلا * وترغَب للحماقة عن جُذامِ

---

(١) المقرف : الذى أمه عربية وأبوه ليس كذلك ، ضد الهجين والمقرف أيضا : النذل ، وعليه وجه هذا البيت . (٢) الجحفلة : لذى الحافر كالشفة للإنسان . (٣) ربخت : استرخت . (٤) القمراء : البيضاء . (٥) ستأتى فيه رواية أخرى (ج ١٤ ص ١٢٩ طبع بلاق) : « أضل الله حلمك من غلام » . (٦) فى الأصول هنا : «بالفواسق والذنابى» . والتصويب عن الموضع المذكور . (٧) كذا فى نسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . والفطيون (بكسر الفاء وسكون الطاء) : رجل من اليهود سيئ فاجر كانت اليهود تدين له إلى أن كانت لا تتزوج امرأة منهم حتى تدخل عليه قبل دخولها على زوجها ؛ ويقال إنه كان يفعل ذلك بنساء الأوس والخزرج . حتى كان زفاف أخت لمالك بن العجلان فأثارت فى أخيها عوامل الحمية والغيرة فقتله . (راجع الجزء الثالث من هذه الطبعة ص ٤٠ الحاشية رقم ٣) . وفى الأصل هنا : « القيطون » وهو تحريف .

يهــودىٌّ له بُضْعُ العَــذَارَى * فقبحًا للكهول وللغـــلام
تُزَفُّ اليــه قبل الزوج خَــوْدٌ * كأنّ شَمْسًا تدلّتْ من غَمَام
فأبــق ذلكم عارًا وخِزْيًا * بقاءَ الوَحْيِ[1] فى صمّ السّــلام
يهـودٌ جمّعـــوا من كلّ أَوْبٍ * وليســـوا بالغَطَاريف الكرام

٥ وقالت :

سُمِّيتَ رَوْحًا وأنت الغَمُّ قد عَلِموا * لا روّح اللهُ عن رَوْح بن زِنْباعِ

فقال رَوْح :

لا روّح الله عمّن ليس يمنعنا * مالٌ رَغيبٌ وبعلٌ غير مِمْناعِ
كشافعٍ[2] جَوْنةٍ نُجْــلٍ مَخَاصِرُها * دَبّابةٍ شَثْنةِ الكَفّيْنِ جُبّــاعِ

١٠ قال : والجُبّاع : القصيرة . والجُبّاع من السهام : الذى لا نصل له . والجُبّاع : الرَّصَفُ[3] .

وقالت :

تُكَحِّل عينيكَ بَرْدَ العَشِىّ * كأنّكَ مُومِسَــةٌ زانيــهْ
وآيةُ ذلك بعـــد الخُفُوق * تَغَلُّفُ رأسك بالغاليــهْ
وأنّ بَنِيــكَ لرَيْبِ الزما * ن أمستْ رقابهمُ حاليــهْ
١٥ فلو كان أَوْسٌ لهم حاضرًا * لقـال لهم إنّ ذا ماليــهْ

وأَوْس رجل من جُذَام يقال : إنه استودَع رَوْحًا مالًا فلم يردّه عليه . فقال لها رَوْح :

إن يكن الخُلْعُ من بالكم * فليس الخلاعةُ من باليهْ

---

(١) الوحى : الكتابة . والسلام : الحجارة .

(٢) الشافع من النوق والشاء : التى فى بطنها ولد ويتبعها آخر . وجونة : سوداء . ونجل : جمع أنجل أو نجلاء . والنجل : عظم البطن وسعته . وشثنة الكفين : غليظتهما . (٣) الرصف : جمع رصفة وهى العقبة (والعقب : العصب الذى تعمل منه الأوتار) تلوى فوق الرعظ (والرعظ السهم : مدخل سنخ النصل فى السهم) .

٢٠

١٤٠ / ٨

وإن كان مَنْ قد مضَى مثلَكم * فأُفٍّ وتُفٍّ على الماضيه
وما إنْ بَرَا اللهُ فآستيقنيه * من ذات بعلٍ ومن جاريه
شبيهًا بِكِ اليومَ فيمن بَقِي * ولا كان فى الأعْصُر الخاليه
فبُعْداً لَمحْياكِ إذ ما حَيِيتِ * وبُعْداً لأعظُمِكِ الباليه

تزوّجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم

وقال رَوْح فى بعض ما يتنازعان فيه : اللّهمّ إن بَقِيتُ بعدى فآبتَلِها ببعلٍ يلطِم ٥ وجهَها ويملأ حِجْرَها قيئًا . فتزوّجها بعده الفَيْض بن محمد بن الحَكَم بن أبى عَقِيل وكان شابًّا جميلا يُصيب من الشَّراب فأحبَّتْه . فكان ربّما أصاب من الشَّراب مُسْكِرًا فيلطِم وجهَها ويقيء فى حِجْرها ؛ فتقول : يرحَم الله أبا زُرْعة ! قد أُجيبتْ دعوتُه فىّ . وقالت لفَيْض :

سُمِّيتَ فيضًا وما شىءٌ تَفِيضُ به * إلّا سُلَاحَكَ بين الباب والدارِ ١٠
فتلك دعوةُ رَوْحِ الخيرِ أعرِفُها * سقَى الإلهُ صَداه الأَوْطَفَ(١) السَّارِى

وقالت لفَيْض أيضا :

ألا يا فَيْضُ كنتُ أراكَ فَيْضًا * فلا فَيْضًا أصبتُ ولا فُراتَا

وقالت :

وليس فيضٌ بفَيّاضِ العَطاء لنا * لكنّ فيضًا لنا بالقَيْءِ فَيّاضُ ١٥
ليثُ اللُّيوثِ علينا باسلٌ شَرِسٌ * وفى الحروب هَيُوبُ الصدرِ جَيَّاضُ(٢)

تزوّج ابنتها من الفيض الحجاج ابن يوسف

فولدتْ من الفَيْض آبنة فتزوّجها الحجّاج بن يوسف ؛ وقد كانت قبلها عند الحجّاج أُمُّ أَبَانٍ بنتُ النُّعمان بن بَشِير . فقالت حُمَيْدة للحجّاج :

إذا تذكَّرتُ نكاحَ الحجّاجْ * من النَّهارِ أو من اللَّيلِ الداجْ
فاضتْ له العينُ بدمعٍ ثَجّاجْ * وأُشْعِلَ القلبُ بوَجْدٍ وَهّاجْ ٢٠

(١) الأوطف من السحاب : الدانى من الأرض . (٢) الجياض : الرواغ .

لو كان نعمانُ قتيلُ الأعلاجْ(١) * مُستوِيَ الشَّخص صحيحَ الأوداجْ
لكنتِ منها بمكان النَّسَّاجْ * قد كنتُ أرجو بعضَ ما يرجو الرَّاجْ
* أن تنكحيه مَلِكًا أو ذا تاجْ *

فقدمتْ حُمَيْدة على ابنتها زائرةً، فقال لها الحجّاج: يا حُمَيْدة، إنّى كنتُ أحتمل مُزاحَكِ مرّةً(٢)، وأمّا اليوم فإنى بالعراق وهم قومُ سَوْءٍ فإيّاكِ ! . فقالت: سأكُفُّ حتى أرحل.

٥

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا سليمان بن أيوب قال حدّثنا المدائنىّ عن مَسْلَمة بن مُحارب قال:

قالت حُمَيْـدة بنت النُّعمان لزوجها رَوْح بن زِنْباع، وكان أسـودَ ضخمًا: كيف تَسُود وفيك ثلاثُ خصال: أنت من جُذام، وأنت جَبانٌ، وأنت غَيور. فقال: أمّا جُذَام فأنا فى أُرُومتها(٣)، وبحسْب الرجل أن يكون فى أُرُومة قومه. وأمّا الجُبْن فإنما لى نفسٌ واحدة، ولو كان لى نفسان لجُدْتُ بإحداهما. وأمّا الغَيْرة فهو أمر لا أُحبّ أن أُشارَك فيه، وإن المرء لحقيقٌ بالغيرة على المرأة مثلِكِ الحَمْقـاء الوَرْهاء لا يأمَنُ أن تأتىَ بولد من غيره فتقذِفَهَ فى حِجْره. ثم ذكر باقىَ خبرها مثلَ ما تقدّم، وقال فيه: فخلَف بعده عليها الفَيْضُ بن محمـد عمّ يوسف بن عمر، فكان يشرب ويلطِمها ويقيءُ فى حِجْرها، فقالت:

١٤١ / ٨

١٠

١٥

سُمِّيتَ فَيْضًا وما شىءٌ تَفيض به * إلا سُلاحَكَ بين الباب والدار

قال المدائنىّ: وتمثّل فيضٌ يومًا بهذا البيت:

إن كنتِ ساقيةً يومًا على كَرَمٍ * صَفْوَ المُدامة فاسقيها بنى قَطَنِ

ثم تحرّك فضَرَط. فقالت: واسْقِ هذه أيضا بنى قَطَن !.

٢٠ (١) فى جـ: «قتيـل الإدلاج». (٢) لعـله: «مدة». (٣) الأرومة (بالفتح وتضم): الأصل.

أبو عثمان المازنى والواثق

وهذا الصوت أعْني :

* أَقْوَى مِن آلِ ظُلَيْمَةَ الحَزْمُ *

هو الصوت الذى أَشْخَص الواثقُ له أبا عثمان المازنىّ بسبب بيت منه ٱختُلف فى إعرابه بحضرته، وهو قوله :

أظُلَيْمُ إنّ مُصابَكم رجلًا * أَهْدَى السّلامَ تحيّةً ظُلْمُ

وقال آخرون: "رجلٌ". حدّثنى بذلك علىّ بن سليمان الأَخْفَش عن أبى العباس محمد ابن يَزيد عن أبى عثمان ، وأخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا القاسم بن إسماعيل وعَوْنُ بن محمد وعبدُ الواحد بن العبّاس بن عبد الواحد والطيّبُ بن محمد الباهلىّ، يزيد بعضُهم على بعض، قالوا حدّثنا أبو عثمان المازنىّ قال :

كان سبب طلب الواثق لى أنّ مُخارقًا غنّى فى مجلسه :

أظُلَيْمُ إنّ مُصابَكم رجلًا * أَهْدَى السّلامَ تحيّةً ظلمُ

فغنّاه مخارق "رجلٌ"، فتابعه بعض القوم وخالفه آخرون . فسأل الواثقُ عمّن بقى من رؤساء النحويين فذكِرت له، فأمر بحَمْلى . فلما وصلتُ اليه قال : ممن الرجلُ؟ قلت : من بنى مازن . قال : أمن مازنِ تميم أم مازنِ قيْس أم مازنِ رَبيعةَ أم مازنِ اليمن ؟ . قلتُ : من مازن رَبيعة . فقال لى بَا ٱسْمُك ؟ (يريد ما ٱسْمُك وهى لغة كثيرة فى قومنا) فقلت على القياس : مَكْرٌ (أى بكر)[1] . فضحك فقال : اجلِس واطْبَئِنّ (يريد: واطمئنّ) فجلست . فسألنى عن البيت . فقلت : « إن مصابكم رجلا » فقال : أين خبرُ «إن» ؟ قلت : «ظلم» وهو الحرف الذى فى آخر البيت . وقال الأخفش فى خبره : وقلتُ له : إن معنى «مصابكم» إصابتُكم، مثل ما تقول :

(١) لعله : « وقال » .

إنّ قتلكم رجلًا حيّاكم ظلمٌ . ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، إن البيت كله معلّق لا معنى له حتى يتمّ بقوله «ظلم» . ألاترى أنه لو قال: أظُلَيم إن مصابكم رجلٌ أهدى السلام تحيةً ، لمَا احتيجَ الى «ظلم» ولا كان له معنًى ، إلا أن يجعل التحيةَ بالسلامَ ظلما ، وذلك محال ، ويجب حينئذ أن يقول :

أَظُلَيمُ إن مُصابَكم رجلٌ * أَهْدَى السَّلامَ تحيّةً ظُلْمَا

ولا معنى لذلك ، ولا هو ، لو كان له وجهٌ ، معنى قولِ الشاعر فى شعره . فقال : صدقتَ ، ألك ولدٌ ؟ قلت : بُنَيّةٌ لا غيرُ . قال: فما قالت حين ودّعتَها؟ قال قلتُ : أنشدتْ شعرَ الأعشى :

تقول ابنتى حين جدّ الرَّحيلُ * أرانا سواءً ومَنْ قد يَتِمْ
أبانا فلا رِمْتَ من عندِنا * فإنّا بخيرٍ إذا لم تَرِمْ
أرانا إذا أضمرتْك البلا * دُ نُجْفَى وتُقْطَع منّا الرَّحِمْ

قال : فما قلتَ لها ؟ قال : قلتُ لها قولَ جرير :

ثِقِي باللهِ ليس له شريكٌ * ومِن عندِ الخليفةِ بالنَّجاحِ

فقال : ثِقْ بالنجاح إن شاء الله تعالى . إنّ هاهنا قومًا يختلفون الى أولادنا فامتحِنْهم ، فمَنْ كان منهم عالما يُنتفَع به ألزمناهم إيّاه ، ومَنْ كان بغير هذه الصورة قطعناه عنهم . فأمر فجمعوا إلىّ فامتحنتُهم فما وجدت فيهم طائلا ، وحَذِروا ناحيتى ، فقلت : لا بأس على أحد . فلمّا رجعتُ اليه قال : كيف رأيتَهم ؟ قلت : يفضُل بعضهم بعضا فى علوم ، ويفضُل الباقون فى غيرها ، وكلٌّ يُحتاج اليه . فقال لى الواثق : إنى خاطبتُ منهم واحدًا فكان فى نهاية من الجهل فى خطابه ونظره . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أكثرُ من تقدّم منهم بهذه الصفة ؛ ولقد أنشدتُ فيهم:

إنّ المعلِّمَ لا يزال مُضَعَّفًا * ولو ابتنَى فوق السماء بناءَ
من علَّم الصبيانَ أضْنَوْا عقلَه * مما يلاقى غُدْوةً ومَساء

مضى الحديث .

صوت من مدن معبد فى شعر الأعشى

ومنها :

صوت

يومَ تُبْدِى لنا قُتَيْلةُ عن جيـ * ـدٍ أَسيلٍ تَزِينُه الأطواقُ
وشَتِيتٍ كالأُقْحُوانِ جَلاه الـ * ـطَّلُّ فيه عُذوبةٌ واتِّساق

الشعر للأعشى . والغناء لمعبد . وذكر إسحاق أن لحنه خفيفُ ثقيلٍ من أصواتِ قليلاتِ الأشباه ، وذكر عمرو بن بانة أنّ لحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر . ولإسحاق لحنٌ من الثقيل أيضا وهو مما عارَض فيه معبدًا فانتَصف منه ، ومن أوائل أغانيه وصدورها .

أخبرنا إسماعيل بن يونُس الشِّيعِيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال ذَكر الحسن بن عُتْبة اللِّهْبِيّ المعروف بفَوْرَك قال :

قال لى الوليد بن يزيد : أريد الحجّ ، فما يمنعني منه إلا أن يلقانى أهل المدينة بقُتَيْلات معبد و بقَصْره ونَخْله فافتضحَ به طرباً . يعنى ثلاثةَ أصوات لمعبد من شعر الأعشى فى قُتَيْلةَ هذه ، ونسبتُها تأتى بعدُ . و يعنى بقصره ونخله لحنَه :

قتيلات معبد

* القصرُ فالنخلُ فالجَمّاء بينهما *

قال أبو زيد قال إسحاق وحدّثنى عبد الملك بن هِلال : وبلغنى أن فِتْيةً من قريش دخلوا الى قَيْنةٍ ومعهم رَوْح بن حاتم المُهَلَّبِيّ ، فتمارَوْا فيما يختارونه من الغناء . فقالت لهم : أغَنِّى لكم صوتا يُزِيل الاختلاف و يُوقِع بينكم الاجتماع ، فرضُوا بها . فغنّتْ :

يومَ تُبْدِى لنا قُتَيْلةُ عن جِيـ * ـدٍ أَسِيلٍ تَزِينُه الأطواقُ

فرَضُوا به واتّفقوا على أنه أحسنُ صوت يعرفونه ، وأقاموا عندها أسبوعا لا يسمعون غيرَه .

نسبة أصوات معبد فى قُتَيلة

الصوتان الباقيان من قتيلات معبد فى شعر الأعشى

منها :

أَثْوَى وقَصَّر ليلَه ليُزَوَّدا * فمضى وأُخْلِفَ من قُتَيْلةَ مَوْعِدا

يَجْحَدْنَ دَيْنِى بالنَّهار وأقتضِى * دَيْنِى اذا وَقَذَ[1] النُّعاسُ الرُّقَّدا

وأرى الغوانىَ لا يُواصِلْنَ آمرأً * فقَدَ الشَّبابَ وقد يَصِلْنَ الأمردا

١٤٣ / ٨

الشعر للأعشى . والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى .

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا أبو شُرَاعة فى مجلس الرِّياشىّ قال :

حُدِّثت أنّ رجلًا نظر الى الأعشى يَدُور بين البيوت ليلًا ، فقال له : يا أبا بَصير، الى أين فى هذا الوقت ؟ فقال :

يجحدن دَيْنِى بالنَّهار وأقتضِى * دَيْنِى إذا وقَذ النُّعاسُ الرُّقَّدا

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال حدّثنى أبى قال :

غنّيتُ بين يَدَى الرشيد وستارتُه منصوبة :

وأرى الغوانىَ لا يُواصلن آمرأً * فقَد الشبابَ وقد يَصِلْنَ الأمردا

---

(١) وقذه النعاس : غلبه .

فطرب وآستعاده وأمر لى بمال . فلما أردتُ أن أنصرف قال لى : ياعاضّ كذا وكذا ! أتغنّى بهذا الصوت وجوارىّ من وراء ستارة يسمعْنه ! لولا حُرْمتُك لضربت عنقك ! . فتركته والله حتى أُنسيته .

ومنها :

صــــوت

أَلَمَّ خيالٌ من قُتَيْلةَ بعد ما * وهَى حبلُها من حبلنا فتَصَرَّمَا

فبتُّ كأنّى شاربٌ بعد هَجْعةٍ * سُخَامِيّةً[1] حمراءَ تُحْسَبُ عَنْدَمَا

الشعر للأعشى . والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو . وفيه لآبن مُحْرِز ثانى ثقيلٍ بالوسطى عنه وعن آبن المكىّ .

سبعة آبن سريج

فأمّا السبعة التى جُعلت لآبن سُرَيج بازاء سبعة مَعْبد فإنى قرأت خبرها فى كتاب محمد بن الحسن، قال حدّثنى الحسين بن أحمد الأكْثَمىّ عن أبيه قال :

ذكرنا عند إسحاق يوما أصواتَ معبد السبعةَ فقال : والله ما سبعةُ آبن سُرَيج بدونهنّ . فقلنا له : وأىّ سبعة ؟ فقال : إن مُغَنِّى المكّيين لمّا سمعوا بسبعة معبد وشهرتها لحقتْهم لذلك غَيْرة، فآجتمعوا فآختاروا من غناء آبن سُرَيج سبعةً فجعلوها بازاء سبعة معبد، ثم خايروا[2] أهلَ المدينة فآنتصفوا منهم . فسألوا إسحاقَ عن السبعة السُّرَيْجيّة، فقال : منها :

* تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْىَ لمّا جَهَدْتُه *

وقد مضت نسبتُه فى الثلاثة الأصوات المختارة .

و * لقد حَبَّبَتْ نُعْمٌ إلينا بوجهها *

(١) خمر سخام وسخامية : لينة سلسة . (٢) أى غالبوهم، يقال : خايره فى العلم وغيره مخايرة لخاره، أى غالبه فغلبه وكان خيرا منه .

و * قَـرَّب جـيرانُنا جِمـالَهـمُ *

و * أَرِقتُ وما هـذا السُّهاد المؤرِّقُ *

— وقد مضى فى أخبار الأعشى المذكورة فى مُدُن معبد —

و * بَيْنَـا كذاك إذا عَجَـاجةُ مَوْكِبٍ *

٥ و * فـلم أَرَ كالتَّجْمير منظَر ناظـرٍ *

— وقد مضى فى الأرمال المختارة —

و * تَضوَّع مِسْكًا بطنُ نَعْمانَ إذ مشتْ *

— وقد ذُكر فى المـائة مع غيره فى شعر النُّمَيْرىّ —

و * إن جاء فلْيأْتِ على بغـلةٍ *

١٠ نسبة ما لم تمض نسبته من هذه الأصوات إذ كان بعضها قد مضى متقدّما

الكلام على ما لم يمض الكلام عليه من هـذه السبعة

فمنها :

صـــوت

١٤٤ / ٨

لقـد حَبَّبتْ نُعْمٌ إلينا بوجهها * مساكنَ ما بين الوَتائر[(١)] فالنَّقْع

١٥ ومن أَجْلِ ذاتِ الخال أَعْملتُ ناقتى * أُكلِّفها سَـيْرَ الكَلالِ مع الظَّلْع

عروضه من الطويل . والشعر لعمرَ بن أبى رَبيعة، والغناء لابن سُرَيج ثانى ثقيل بالبنصر . وذاتُ الخالِ التى عَنَاها هاهنا عمر امرأةٌ من ولد أبى سُفْيانَ بنِ حَرْب ، كان عمر يَكْنِي عنها بذلك .

عمر بن أبى ربيعة وذات الخال

حدّثنى علىّ بن صالح بن الهَيْثَم قال حدّثنى أبو هِفَّان عن إسحاق بن إبراهيم ٢٠ المَوْصِلىّ عن الزُّبَيرىّ والمُسَيَّبىّ ومحمد بن سَلّام والمَدائنىّ، وأخبرنا به الحَـرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمّى ولم يتجاوزه :

(١) الوتيرة : ماء بأسفل مكة لخزاعة . والنقع : موضع قرب مكة فى جنبات الطائف .

أن عمر بن أبى رَبيعة وآبنَ أبى عَتيق كانا جالسين بفناء الكعبة ، إذ مرّتْ بهما آمرأة من آل أبى سُفْيان، فدعا عمرُ بكَتِف[1] فكتب اليها وكَنى عن آسمها :

صــــوت

أَلِمَّا بذاتِ الخالِ فآستطلِعا لنا * على العهد باقٍ ودُّها أم تَصَرَّما

وقولَا لهـا إنّ النَّوى أجنبيّـةٌ * بنا وبكم قد خِفتُ أن تَتيَمّما

— غنّاه آبن سُرَيج خفيفَ ثقيـلٍ أوّلَ بالسبّابة فى مجرى البِنصر عن إسحاق —

قال فقال له آبن أبى عَتيق : سبحانَ الله ! ما تريد الى آمرأةٍ مُسْلِمـة مُحْرِمةٍ أن تكتب اليها مثل هذا! قال : فكيف بمـا قد سيّرتُه فى الناس من قولى :

لقــد حَبَّبَتْ نُعْــمٌ الينا بوجهها * مساكنَ ما بين الوتائر والنَّقْــعِ

ومن أجل ذات الخال أعملتُ ناقتى * أُكَلِّفها سيرَ الكَلالِ مع الظَّـلْعِ

ومن أجل ذات الخال يــومَ لقيتُها * بمُنْـدَفَع الأخبـاب[2] أَخْضلنى دمعى

ومن أجل ذات الخال آلَفُ منزلًا * أَحُلُّ به لا ذا صـديقٍ ولا زَرْعِ

ومن أجل ذات الخـال عُدْتُ كأننى * مُخامَرُ سُـقْمٍ داخلٍ أو أخو رَبْـعِ[3]

ألِمّا بذات الخـال إنّ مُقامَهـا * لدى الباب زاد القلبَ صَدْعاً على صَدْعِ

وأُخرى لَدَى البيت العَتيق نظرتُهـا * اليهـا تمشّتْ فى عظـامى وفى سمعى

وقال الحَرَمىّ فى خبره : أمَا ترى ما سار لى من الشعر! ما علم اللهُ أنّى آطّلعتُ حرامًا قطّ! ثم آنصرفنا . فلما كان من الغدِ التقينا . فقال عمر : أشعَرت أنّ ذلك الإنسان قد رَدّ الجواب؟ قال : وما كان من ردّه ؟ قال : كتب :

(١) فى ب ، س : « بكاتب » وهو تحريف .

(٢) موضع قرب مكة . وفى الأصول : « الأجناب » بالجيم والنون وهو تصحيف .

(٣) الربع : النعش ، ويكنى به عن الموت .

صوت

أمسى قَرِيضُك بالهوى نَمَّاما * فآرْبَعْ هُدِيتَ وكن له كَتَّاما

وآعلم بأن الخال حين وصفتَه * قعد العدوُّ به عليك وقاما

لا تحسَبنَّ الكاشحين عَدِمتَهم * عمّا يسوءك غافلين نِياما

لا تمكننَّ من الدَّفِينة كاشحًا * يتلو بها حفظًا عليك إماما

غنّى فيه سُلَيم خفيفَ رَمَلٍ بالبِنصر عن عمرو . قال: وفيه لفَرِيدة وإبراهيمَ لحنان . وفى بعض النسخ: لإسحاق فيه ثَقِيلٌ أوّل غير منسوب . وذكر حَبَش أن خفيف الرَّمَل لفَرِيدة .

١٤٥ / ٨

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال أخبرنا أبو أيُّوب المَدِينيّ عن محمد بن سَلّام، قال وأخبرنى حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلّام قال :

سألتُ عمر بن أبى خَليفة العَبْدىّ — وكان عابدًا وكان يُعجِبه الغناء — أىّ القوم كان أحسنَ غناء؟ قال : ابن سُرَيج اذا تَمَعْبَد — يريد[1] : اذا غنّى فى مذهب مَعْبَد من الثقيل — قلت : مثل ما ذا ؟ قال : مثل صوته :

صوت

لقد حَبَّبتْ نُعْمٌ الينا بوجهها * مساكنَ ما بين الوَتائر فالنَّقْع

وقال حَمّاد بن إسحاق حدّثنى أبى قال حدّثنى أبو محمد العامرىّ قال :

جلس مَعْبَد والأَبْجَر وجماعةٌ من المغنّين فتذاكروا آبنَ سُرَيج وما آشتهاه الناس من غِنائه ، فقالوا : ما هو إلا من غِناء الزُّفّافِ والمخنَّثين . فنُمِى الحديث الى آبن سُرَيج فغنّى :

* لقد حَبَّبتْ نعمٌ الينا بوجهها *

(١) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : « قوله » .

فلمّا جاء مَعْبد وأصحابه وآجتمعوا غنّاهم إيّاه . فلمّا سمعوه قاموا هاربين ، وجعل آبن سُرَيج يصفّق خَلْفهم ويقول: الى أين؟! إنما هو آبن ليلته فكيف لو آختمر! . قال فقال معبد : دَعُوه مع طرائقه الأُوَل ولا تَهيجُوه على طرائقكم، وإلّا لم يَدَعْ لكم والله خبزًا تأكلونه .

٥ قال الزُّبَير فى خبره عن عمّه : وعَلِق نُعْمًا هذه فقال فيها شعرا كثيرا. ونحن نذكر هاهنا ما فيه غِناءٌ من ذلك . فمنه قولُه :

صــــوت

خَطَرتْ لذات الخال ذِكْرَى بعدما * سلكَ المَطِيُّ بنا على الأنصابِ (١)
أنصابِ عَمْرةَ والمَطِيُّ كأنّها * قِطَعُ القَطَا صدَرتْ عن الأَجْبابِ (٢)
١٠ فآنْهَلّ دمعى فى الرِّداء صَبابةً * فسترتُه بالبُرْدِ عن أصحابى
فرأى سوابقَ دمعةٍ مسكوبةٍ * بَكْرٌ فقال بكَى أبو الخَطّابِ

عروضه من الكامل . "بكر" الذى ذكره هاهنا عمر هو آبن أبى عَتيق وهو يسمّيه فى شعره ببكر وبعَتيق، وإياه يَعْنِى بقوله :

لا تَلُمْنِى عَتِيقُ حَسْبِى الذى بِى * إنّ بى يا عَتيقُ ما قد كفانى

١٥ الغناء فى "خطرت لذات الخال" للغَريض، ولحنه ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البِنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانةَ أنّ فيه ثقيلًا أوّل بالبِنصر لأبى سَعيد مولى فائد .

وأخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنى الزُّبَير قال حدّثنى عمّى :

أنّ عمر بن أبى ربيعة وافقها وهى تستلم الركنَ ، فقرُب منها . فلما رأته
٢٠ تأخّرتْ وبعثتْ اليه جاريتَها . فقالت له : تقول لك آبنةُ عمّك : إنّ هذا مَقامٌ

(١) الأنصاب : موضع . (٢) الأجباب : جمع جب وهو البئر التى لم تطو أى لم تبن .

لا بدّ منه كما ترى، وأنا أعلم أنك ستقول فى موقفنا هذا فلا تقولنّ هُجْرا . فأرسل إليها : لستُ أقول إلّا خيرا . ثم تعرّض لها وهى ترمى الجمار، فأعرضتْ عنه وآستترتْ ؛ فقال :

صوت

دِينَ هذا القلبُ من نُعْمِ * بسَقامٍ ليس كالسُّقْمِ

إن نُعْمًا أقصدتْ رجلًا * آمنًا بالخَيْف إذ تَرْمى

إسمعى منّا تحاوُرَنا * وآحكُمِى رُضِّيتُ بالحكم

بشَتيتٍ[1] نبْتُــه رَتِلٍ * طيِّبِ الأنياب والطَّعْمِ[2]

يأتِكم[3] منـه بحُجّته * فلهُ العُتْبَى ولا أَحْمِى[4]

عَروضُه من المَديد . الغناء لإسحاق خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لمالك ثقيلٌ أوّل من أصوات قليلاتِ الأشباه عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج رملٌ بالبنصر عن حَبَش . وفيه لابن مِسْجَح ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن حبش أيضا . وذكر الهشامىّ أنّ هذا الصوت مما يُشَكّ فيه أنه لمعبد أو غيره .

قال : وقال فيها أيضا :

صوت

أيِينِى اليومَ أىْ نُعْمُ[5] * أوَصْلٌ منكِ أم صُرْمُ

فإن يكُ صُرْمُ عاتبةٍ * فقد نَغْنَى وهُو سَلْمُ

(١) الشتيت : المتفرق . والرتل : بياض الأسنان وحسن تناسقها . (٢) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « واللغم » . (٣) كذا فى ديوانه . وقد ورد فيه قبل هذا البيت بيت يرجح رواية الديوان وهو :

وأنشديه هل أتيت له * سخطا منى على علم

وفى الأصول : « وإيأتكم » . (٤) كذا فى الديوان . وفى الأصول : « ولم أحم » .

(٥) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « غانية » وهو تصحيف .

تَلُومكَ فى الهــوى نُعْمٌ * وليس لهـا به عِـلْمُ
صحيــحٌ لو رأى نُعْماً * لخـالط جسمَه سُـقْمُ

عروضه من الهَزَج . غنّاه مالك ولحنه ثقيلٌ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسـطى عن إسحاق . وفيه لمتيّم خفيفُ رَمَـلٍ بالبنصر عن إسحاق[1]، وذكر أنّ فيه أيضا صـنعةً لأبن سُرَيج .

ومما يُغَنَّى فيه مما قاله فيها — وهو من قصيدة طويلة — :

صـــوت

فقلتُ لجنّادٍ خُذِ السَّـيْفَ وٱشْتَمِلْ * عليه بحزمٍ وٱنْظُر الشمسَ تَغْرُبُ
وأَسْرِجْ لنا الدَّهْمَاءَ وٱعْجَلْ بِمِمْطَرِى[2] * ولا تُعْلِمَنْ خَلْقاً من الناس مذهبى

عروضه من الطويل . غنّاه زُرْزُور غلامُ المـارِقىّ خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر .

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمّى قال :

قيــل لعمر بن أبى ربيعة : ما أحَبُّ شىء أصبتَه إليـك ؟ قال : بينـا أنا فى منزلى ذاتَ ليلة إذ طرقنى رسول مُصْعَب بن الزُّبَير بكتابه يقول : إنه قد وقعت عندنا أثوابٌ ممـا يُشْبِهك، وقد بعثتُ بها إليـك و بدنانيرَ ومسك وطيب و بغلة . قال : فاذا بثياب من وَشْىٍ وخَزِّ العراق لم أَرَ مثلَها قطّ وأر بعمائة دينار ومسكٍ وطيبٍ كثير و بغلة . فلمّـا أصبحتُ لبست بعضَ تلك الثياب وتطيّبت وأحرزتُ الدنانير وركبت البغلة وأنا نشيط لاهمّ لى قد أحرزتُ نفقةَ سنتى؛ فـا أفدتُ فائدةً كانت أحبَّ إلىّ منها . وقلت فى ذلك :

---

(١) فى جـ : «عن حبش» . (٢) المطر : ما يلبس للوقاية من المطر .

أَلاَ أَرسلتْ نُعْمٌ إلينا أَنِ آئْتِنا * فأَحْبِبْ بها من مُرْسِلٍ مُتَغَضِّبِ
فأرسلتُ أَنْ لا أستطيعُ فأَرْسلتْ * تؤكِّد أَيْمانَ الحبيبِ المؤنِّبِ
فقلت لجَنّادٍ خُذِ السيفَ وآشْتمِلْ * عليه بحَزْمٍ وآنظُرِ الشمسَ تَغْرُبِ
وأَسْرِجْ لىَ الدَّهْماءَ واعجَلْ بِمِمْطَرِى * ولا تُعلِمَنْ خَلْقًا من الناس مذهبى
وموعدُك البَطْحاءُ أو بَطْنُ يأجَجٍ(١) * أو الشِّعْبُ بالمَمْرُوخ(٢) من بطن مُغْرِبِ
فلما آلتقينا سَلَّمتْ وتبسّمتْ * وقالت مقالَ المُعْرِضِ المُتَجنِّبِ
أَمِنْ أجلِ واشٍ كاشحٍ بنميمةٍ * مشَى بيننا صدَّقتَه لم تُكَذِّبِ
قطعتَ وِصالَ الحبلِ منّا ومن يُطِعْ * بِذِى(٣) ودِّه قولَ المحرِّش يُعتَبِ
فبات وِسادِى ثِنْىَ كفٍّ مُخَضَّبٍ * مُعاوِدَ عذْبٍ لم يُكَدَّرْ بمَشْرَبِ
اذا مِلتُ مالتْ كالكثيب رخيمةٌ * منعَّمةٌ حُسّانةُ المُتَجلْبَبِ

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمّى قال:

بلغ عمرَ بن أبى ربيعة أنّ نُعْمًا آغتسلتْ فى غَدير، فنزل عليه ولم يزل يشرب منه حتى نضَب.

قال الزُّبَير قال عمّى: وقال فيها أيضا:

صوت

طال ليلِى وعادنى اليومَ سُقْمُ * وأصابت مقاتلَ القلب نُعْمُ
وأصابتْ مَقاتِلى بسهامٍ * نافذاتٍ وما تَبيَّنَ كَلْمُ
حُرّةُ الوجه والشمائلِ والجو * هر تكليمُها لمن نال غُنْمُ

(١) يأجج: مكان من مكة على ثمانية أميال. (٢) كذا فى الديوان. وفى الأصول: «أو الشعب ذى الممروح». (٣) كذا فى جـ وديوانه. وفى الأصول: «لدى وده».

هكذا وَصْفُ ما بدا لِىَ منها * ليس لى بالذى تغيَّب عِـلْمُ

غيرَ أنى أرى الثيابَ مِلاءً * فى يَفَـاعٍ يَزِين ذلك جسمُ

وحديثٍ بمثله تَنْزِل العُصْـ * ـمُ رَخيمٍ يشوب ذلك حِلْمُ

عروضــه من الخفيف . غنّى ٱبن سُرَيج فى الأربعــة الأبيات لحنًا ذكره إسحاق وأبو أيّوب المَدينى فى جامع غنائه ولم يجنّسه، وذكر حبش أنه خفيفُ رملٍ بالبنصر. ٥

مناقشة بين إسحاق وإبراهيم بن المهدى فى معبد وٱبن سريج

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الحسين بن يحيى أبو الجمـار قال حدّثنى عمــرو بن بانة قال :

كنتُ حاضراً مع إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ عند إبراهيمَ بنِ المهدىّ . فتفاوضْنا حديثَ المغنِّين ، حتى ٱنتهَوْا الى أن حكى إسحــاقُ قولَ عمر بن أبى خَليفة : « اذا تَمَعْبَد ٱبن سُرَيج كان أحسن الناس غناءً » . فقال إبراهيم لإسحاق : حاشاك ١٠ يا أبا محمــد أن تقول هــذا ! فقد رفع الله عِلمَك وقَدْرَ ٱبن سُرَيج عن مثل هــذا القول، وأغنَى ٱبنَ سُرَيج بنفسه عن أن يقال له تَمَعْبَد، وما كان مَعْبَد يضع نفسَه هذا الموضعَ، وكيف ذلك وهو إذا أحسن يقول: أصبحتُ اليومَ سُرَيْجِيًّا . وما قد أنصف أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن المهدىّ معبدا فى هــذا القول ؛ لأن معبدا وإن كان يعظِّم ٱبنَ سُرَيج ويوفِّيه حقَّه فليس بدونه ولا هو بمرذول عنده . وقد مضى فى صدر ١٥ الكتاب خبرُ ٱبن سُرَيج لـمّا قَدِم المدينةَ مع الغَرِيض ليستمنحا أهلَها، فسمعاه وهو يصيد الطير يغنِّى لحنه :

* القَصْرُ فالنخل فالجَمّاءُ بينهما *

فرجــع ٱبن سريج وردَّ الغَرِيضَ وقال : لا خير لنا عند قوم هذا غناء غلامٍ فيهم يصيد الطير، فكيف بمَنْ داخل الجُونة ! . ٢٠

تعظيم ابن سريج لمعبد وأخذه عنه

وأظرفُ من ذلك من أخباره وأدلُّ على تعظيم ابن سُرَيج معبدًا ما أخبرنى به أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنى علىّ بن سليمان النَّوْفلىّ، قال حدّثنى أبى قال: التقى ابن سُرَيج ومعبد ليلةً بعد افتراق طويل وبُعْد عهد؛ فتساءلا عما صنعا من الأغانى بعد افتراقهما؛ فتغنَّى هذا وتغنَّى هذا؛ ثم تغنَّى ابنُ سُرَيج لحنَه فى:

١٤٨ / ٨

أنا الهالكُ المسلوبُ مهجةَ نفسه * إذا جاوزَتْ مَرًّا[(1)] وعُسْفانَ عِيرُها

فغنّاه مُرْسَلًا لا صَيْحة فيه. فقال له معبد: أفلَا حسَّنْتَه بصيحة! قال: فأين أضعها؟ قال: فى:

* غدتْ سافرًا والشمسُ قد ذَرَّ قَرْنُها *

قال: فصِحْ أنت فيه حتى أسمعَ منك. قال: فصاح فيه معبدٌ الصَّيْحة التى يُغَنَّى بها فيه اليوم. فاستعاده ابن سُرَيج حتى أخذه فغنَّى صوته كما رسمه معبدٌ فحسن به جدًّا. وفى هذا دليل يَبِين فيه التحاملُ على معبد فى الحكاية.

صوت

غَدَتْ سافرًا والشمسُ قد ذَرَّ قَرْنُها * فأَغْشَى شُعاعَ الشمس منها سفورُها

وقد علمتْ شمسُ النهار بأنّها * إذا ما بدتْ يومًا سيذهب نورها

أنا الهالك المسلوبُ مهجةَ نفسه * إذا جاوزتْ مَرًّا وعُسْفانَ عِيرُها

أهاجتك سلمى إذ أَجَدّ بُكورُها * وهَجَّر يومًا للرَّواح بعيرها

الشعر يقال: إنه لطَرِيف العَنْبَرىّ. والغناء لابن سُرَيج خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى فى مجراها عن ابن المكّىّ، وذكر عمرو أنه لسِياط. ولإبراهيمَ فى الثالث والأوّل والرابع خفيفُ رَمَلٍ مطلق فى مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو. وفيه لبَسْباسةَ ثقيلٌ

(١) يريد مر الظهران وهو موضع على مرحلة من مكة. وعسفان على مرحلتين منها.

أوّلُ بالبِنصر عن حَبَش . وفيه لابن جامع لحنٌ عن حَبَش من رواية أبى أيّوبَ المَـــدينىّ .

ومن سبعة ابن سريج :

أصوات من سبعة ابن سريج فى شعر ابن أبى ربيعة

صـــــوت

قَرّب جـــيرانُنـا جِمالَهُمُ * ليلًا فأضْحَوْا معًا قد ارتفعوا ٥
ما كنت أَدْرِى بوَشْكِ بينِهمُ * حتى رأيتُ الحُداة(١) قد طلَعوا
على مِصَكَّيْنِ من جِمـالِهمُ * وعَنْتَرِيسَيْـن فيهما شَجَعُ(٢)
يا نفسُ صـــبرًا فإنّه سَفَهٌ * بالحُرّ أن يستفزّه الجَـزَعُ

الشعر لعمر بن أبى رَبيعة . والغناء لابن سُرَيج ثقيـلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو .
وذكر حَبَش أن فيه للغَريض ثقيلًا أوّل بالبِنصر . وذكر ابن أبى حَسّان أن هِبةَ الله ١٠
ابنَ إبراهيم بن المهـدىّ حدّثه عن أبيه عن ابن جامع قال : عِيبَ على ابن سُرَيج
خِفّةُ غِنائه ، فأخذ أبياتَ عمر بن أبى رَبيعة :

* قَرّب جيرانُنـا جِمـالَهُمُ *

فغنّى فيها فى كل إيقاع لحنًا . فجميع ما فيها من الألحان له .

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثنى منصور بن أبى مُزاحِم ١٥
قال حدّثنى رِزَام أبو قَيْس مولى خالد بن عبد الله قال :

قال لى إسمعيل بن عبد الله : يا أبا قَيْس ، أىّ رجل أنت لولا أنك تحب السَّماع ! .
قلت : أصلحك الله ! أمَا والله لو سمعتَ فلانةَ تُغنّيك :

قَرّب جـــيرانُنـا جِمـالَهُمُ * ليلًا فأضحَوْا معًا قد ارتفعوا

لعذَرْتَنى . فقال : يا أبا قيس ، لا عاتبتُك بعد هذا أبدا . ٢٠

(١) كذا أ ، م . وفى سائر الأصول : «الغداة» وهو تحريف .
(٢) المصك : القوى . والعنتريس : الناقة الغليظة الوثيقة . والشجع فى الإبل : سرعة نقل القوادم.

١٤٩/٨

ومنها :

صوت

بَيْنَا كذلك إذ عَجَاجةُ مَوْكبٍ * رفَعوا ذَميلَ العِيس فى الصحراءِ
قالت أبو الخَطّاب أعرِف زِيَّه(١) * ولبـاسَه لا شكَّ غيرَ خَفاء

الشعر لأبن أبى رَبيعة . والغِناء لأبن سُرَيج ثقيـلٌ أوّل بالبنصر، وذكر الهِشامىّ وأبو العُبَيس أنه لمعبد، وليس الأمر كما ذكرا .

ومنها :

صوت

وهو الذى أوّله :

* إن جاء فَلْيأْتِ على بغلةٍ *

سَلْمَى عديهِ سَرْحَتَىْ مالكٍ * أو الرُّبَا دونهما مَنْزِلَا
إن جاء فَلْيأْتِ على بغلةٍ * إنى أخاف المُهْرَأن يَصْهِلا

الشعر لعمر بن أبى رَبيعة . والغِناء لأبن سُرَيج من رواية يحيى بن المكّىّ والهِشامىّ ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وذكر يونس أنه للغَريض، وذكره إسحاق فى أغانى الغريض ولم يجنِّسه .

(١) كذا فى ديوانه . وقبل البيت :

قالت لجارتها انظرى هامن أولى * وتأملى من راكب الأدماء

وفى الأصول : « تعرف » .

أغانى الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم

من ثبت عنه من الخلفاء أنه غنى ومن لم يثبت عنه ذلك

قال مؤلف هـذا الكتاب : المنسوبُ إلى الخلفـاء من الأغانى والمُلْصَقُ بهم منها لا أصلَ لجُلّه ولا حقيقةَ لأكثره، لا سيّما ما حكاه ٱبن خُرداذْبَة فإنه بدأ بعُمر ابن الخطاب رضى الله عنه فذكر أنه تغنَّى فى هذا البيت :

* كأنّ راكبها غصنٌ بمَرْوَحةٍ *

ثم والَى بين جماعة من الخلفاء واحدًا بعد واحد ، حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بدّ منه ولا مَعْدِل عنه ، يخبِط خَبْطَ العَشْواء ويجمع جمع حاطب الليل. فأمّا عمر بن الخطاب فلو جاز هذا أن يُرْوَى عن كل أحد لبعُد عنه، وإنمـا رُوِى أنه تمثّل بهذا البيت وقد ركب ناقةً فٱستوطأها، لا أنه غنّى به، ولا كان الغناء العربىُّ أيضا عُرِف فى زمانه إلا ما كانت العرب تستعمله من النَّصْب[1] والحُدَاء ، وذلك جارٍ مَجْرَى الإنشاد إلا أنه يقـع بتطريب وترجيع يسير ورفعٍ للصوت. والذى صَحّ من ذلك عن رُوَاة هذا الشأن فأنا ذاكرٌ منه ما كان متقَن الصَّنْعة لاحقًا بجيّد الغناء قريبًا من صـنعة الأوائل وسالكا مذاهبهم لا ما كان ضعيفا سخيفا، وجامعٌ منـه ما ٱتصل به خبرٌ له يُستحسَن ويجرى مجرى هذا الكتاب وما تضمّنه .

فأوّل من دُوِّنتْ له صنعةٌ منهـم عمر بن عبد العزيز؛ فإنه ذُكر عنه أنه صنع فى أيّام إمارته على الحجاز سبعةَ ألحان يذكر سُعَاد فيها كلِّها؛ فبعضُها عرفتُ الشاعرَ القائلَ له فذكرتُ خبره، وبعضها لم أعرف قائله فأتيتُ به كما وقع إلىّ . فإن مرّ

(١) النصب : غناء للعرب يشبه الحداء إلا أنه أرق .

بى بعد وقتى هذا أثبتُّه فى موضعه وشرحتُ من أخباره ما آتصل بى ، وإن لم يقع لى ووقع إلى بعض من كتب هذا الكتاب فمن أقلّ الحقوق عليه أن يتكلّف إثباته ولا يستثقلَ تجشُّمَ هـذا القليل فقد وصل الى فوائد جمّـة تجشّمناها له ولنظرائه فى هذا الكتاب ، فحظى بهـا من غير نَصَب ولا كَدْح ؛ فإن جمالَ ذلك موفَّر عليه ٥ اذا نُسب اليه ، وعيبَه عنّا ساقطٌ مع اعتذارنا عنه إن شاء الله .

١٥٠
―
٨

ومن الناس من يُنكر أن تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصَّنْعةُ ويقول : إنها أصواتٌ مُحْكَمَة العمل لا يقدِر على مثلها الّا مَنْ طالت دُرْبته بالصَّنعة وحذَق الغناءَ ومهَر فيه وتمكّن منه . ولم يوجد عمر بن عبد العزيز فى وقت من الأوقات ولاحال من الحالات آشتهر بالغناء ولا عُرف به ولا بمعاشرة أهـله ، ولا جالس من يُنقل ١٠ ذلك عنـه ويؤدّيه ؛ وإنمـا هو شىء يحسِّن المغنُّون نسبته اليـه . ورُوى من غير وجه خلافٌ لذلك وإثباتٌ لصنعته إيّاها ، وهو أصح القولين ؛ لأن الذين أنكروا ذلك لم يأتوا على إنكارهم بحجّة أكثر من هذا الظن والدعوى ، ومخالفوهم قد أيّدتهم أخبارٌ رُويتْ .

عمر بن عبد العزيز والغناء

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى ١٥ أبى عن أبيه وعن إسماعيل بن جامع عن سِيَاط عن يونس الكاتب عن شُهْدة أمّ عاتكةَ بنتِ شُهْدة عن كَرْدَم بن معبد عن أبيه :

أنّ عمر بن عبد العزيز طارحه لحنَه فى :

* أَلِمَّا صاحِبَيَّ نَزُرْ سُعَادَا *

ونسختُ هـذا الخبر من كتاب محمد بن الحسين الكاتب قال حدّثنى أبو يَعْلَى زُرْقانُ ٢٠ غلامُ أبى الهُذَيْل وصاحبُ أحمـد بن أبى داود قال حدّثنى محمـد بن يونس قال

حدّثنى هاتف أراه قال أمّ ولد المعتصم قالت حدّثتنى عُلَيّة بنت المهدىّ قالت حدّثتنى عاتكة بنت شُهْدة عن أمّها شهدة عن كَرْدَم قال :

طرح علىّ عمر بن عبد العزيز لحنه :

عَلِقَ القلبُ سُعَادا * عادتِ القلبَ فعادا

كلّما عُوتبَ فيها * أو نُهِى عنها تمادَى

وهو مشغوف بسُعْدَى * قد عصَى فيها وزادا

قال كَرْدَم : وكان عمر أحسنَ خَلْقِ الله صوتا، وكان حسنَ القراءةِ للقرآن .

ونسختُ من كتاب ابن الكَرْنبىّ بخطّه حدّثنى أحمد بن الفَتْح الحَجّاجىّ فى مجلس حَمّاد بن إسحاق قال أخبرنى أحمد بن الحسين قال :

رأيت عمر بن عبد العزيز فى النوم وعليه عِمامةٌ ورأيت الشَّجّة فى وجهه تدلّ على أنها ضربةُ حافرٍ، فسمعته يقول : قال عمر بن الخطّاب : لا تُعلّموا نساءكم الخُلْع(١). قال حدّثنى محمد بن الحسين(٢): فأقبلتُ عليه فى نومى فقلت له : يا أمير المؤمنين، صوتٌ يزعمُ الناسُ أنك صنعتَه فى شعر جرير :

أَلِمّا صاحِبىّ نَزُرْ سُعَادا * لوَشْكِ فِراقها وذَرَا البِعادا

لَعَمْرُكَ إنّ نفعَ سُعَادَ عنّى * لمصروفٌ ونفعى عن سعادا

إلى الفاروقِ يَنتسبُ ابنُ لَيْلَى * ومروانَ الذى رفع العِمادا

فتبسّم عمر ولم يردّ علىّ شيئا .

---

(١) الخلع : تطليق المرأة يبذل منها للزوج . (٢) كذا فى الأصول . ولعل صوابه «أحمد ابن الحسين» .

نسبة هذين الصوتين

صـــوت

أَلمَّا صاحبيَّ نَزُرْ سُعادا * لوَشْكِ فِراقها وذَرَا البِعادا
لعَمْرُك إنّ نفعَ سعاد عنّى * لمصروفٌ ونفعى عن سعادا
إلى الفاروق يَنتسبُ ابنُ لَيْلَى * ومروانَ الذى رفع العِمادا

١٥١
٨

٥

الشعر لجرير يمدح عمر بن عبد العزيز بن مروان . والغناء لعمر بن عبد العزيز ثقيلٌ أوّلُ مطلَق فى مجرى البِنصر . وفيه خفيفُ ثقيلٍ يُنسب إلى مَعْبَد .

صـــوت

عَلِق القلبُ سُعادا * عادتِ القلبَ فعادا
كُلَّما عُوتب فيها * أو نُهِى عنها تمادَى
وهو مشغوفٌ بسُعْدَى * قد عصَى فيها وزادا

الغناء لعمر بن عبد العزيز خفيفُ ثقيلٍ . وفيه ثانى ثقيلٍ يُنسب إلى الهُذَلىّ .

ذكر عمر بن عبد العزيز وشيءٍ من أخباره

هو أشج بنى مروان

عمرُ بن عبد العزيز بن مَرْوان بن الحَكَم بن أبى العاصى بن أُمَيّة بن عبد شمس ابن عبد مَناف . ويُكْنَى أبا حَفْص . وأُمُّه أُمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه . وكان يقال له أَشَجُّ قريش ؛ لأنه كان فى جبهته أثر يقال إنه ضربة حافرٍ . فذكر يحيى بن سعيد الأموىّ عن أبيه أن عبد الملك بن مروان كان يُؤْثِر عمر بن عبد العزيز ويَرِقّ عليه ويُدْنيه ، وإذا دخل عليه رفَعه فوق ولده جميعا إلا الوليدَ . فعاتبه بعضُ بَنِيه على ذلك ، فقال له : أوَ ما تَعْلم لِمَ فعلتُ ذلك ؟ قال لا . قال : إن هذا سيَلِى الخلافة يوماً وهو أَشَجُّ بنى مَرْوان الذى يملأ الأرض عدلًا بعد أن تُملأ جَوْرًا ، فمالى لا أُحبُّه وأُدْنيه ! .

أخبرنى محمد بن يزيد قال حدّثنا الرِّياشىّ قال حدّثنا سالم بن عَجْلان قال :

خرج عمر بن عبد العزيز يلعب فرمَحَتْه بغلة على جبينه، فبلغ الخبرُ أُمَّه أُمّ عاصم، فخرجتْ فى خَدَمها، وأقبل عبد العزيز بن مروان إليها فقالت : أمّا الكبير فيُخْدَم، وأمّا الصغير فيُكْرَم ، وأما الوَسَطُ فيَضيع ! لِمَ لا تتخذ لابنى حاضِناً حتى أصابه ما ترى ! فجعل عبدُ العزيز يمسَح الدَّمَ عن وجهه، ثم نظر إليها وقال لها : وَيْحَكِ! إن كان أَشَجَّ بنى مَرْوان، أو أَشَجَّ بنى أُميّة، إنه لسَعيد ! .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن أحمد المُقَدَّمىّ قال حدّثنا عُبيد الله ابن سعد الزُّهْرىّ قال حدّثنا هارون بن معروف قال حدّثنا ضَمْرة قال سمعت ثَرْوانَ مولى عمرَ بن عبد العزيز قال :

دخل عمر بن عبد العزيز وهو غلام إصطبلَ أبيه ، فضربه فرس على وجهه ، فأُتِىَ به أبوه يُحمَل . فجعل أبوه يمسح الدمَ عن وجهه ويقول : لئن كنتَ أشجَّ بنى أمية إنك لسعيد .

حدّثنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنا مُصْعَب الزُّبَيرىّ قال :

امه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب

كانت بنتٌ لعُبيد الله بن عمر بن الخطّاب تحت إبراهيم بن نُعَيْم النَّحّام فماتت ، فأخذ عاصمُ بن عمر بيده فأدخله منزلَه ، وأخرج إليه ابنتيه حَفْصةَ وأُمَّ عاصم ، فقال له : اختَرْ، فاختار حفصة فزوّجها إيّاه . فقيل له : تركتَ أُمَّ عاصم وهى أجملُهما ! فقال : رأيت جاريةً رائعــة ، وبلغنى أن آل مروان ذكروها فقلت : علّهم أن يُصيبوا من دنيــاهم . فتزوّجها عبــد العزيز بن مروان ، فولدت له أبا بكر وعمر وكانت عنده . وقُتِل إبراهيم بن نُعَيم يوم الحَرَّة . وماتت أمّ عاصم عند عبد العزيز ابن مروان ، فتزوّج أختها حَفْصةَ بعــدها ، فحُمِلت إليــه بمصر ، فمرّت بأَيْلةَ[1] وبها مخنّث أو معتوه وقد كان أَهْدَى لأُمّ عاصم حين مرّتْ به فأثابته . فلمّا مرّتْ به حفصةُ أَهْــدَى لها فلم تُثِبْه . فقــال : "ليست حَفْصةُ من رجال أُمّ عاصم" فذهبتْ مثلاً .

١٥٢ / ٨

لما ولى بدأ بأهل بيته وأخذ ما كان فى أيديهم وسمى أعمالهم المظالم

أخبرنى أحمــد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنا أبو بكر الرَّمادىّ وسليمان بن أبى شَيْخ قالا حدّثنا أبو صالح كاتبُ اللّيْث قال حدّثنى الليث قال :

لمّا وَلِىَ عمرُ بن عبد العزيز، بدأ بلُحْمته[2] وأهلِ بيته، فأخذ ما كان فى أيديهم وسمّى أعمالَهم المظالمَ . ففَزِعتْ بنو أُميّــة إلى فاطمة بنت مَرْوان عمّته . فأرسلتْ

(١) أيلة : هى المعروفة الآن باسم « العقبة » وهى التى تقع على نهاية الساحل الشرقى لخليج العقبة . وكانت قديما تابعة لمصر، وهى الآن من بلاد إمارة شرق الأردن . (٢) لحمته : قرابته .

إليـه : إنه قد عنانى أمرٌ لا بدّ من لقائك فيه . فأتته ليلاً فأنزلها عن دابّتها . فلمّا أخذتْ مجلسَها قال : ياعَمَّة ، أنتِ أولى بالكلام لأنّ الحاجة لكِ فتكلّمى . قالت : تكلّمْ يا أمير المؤمنين . فقال : إنّ الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليـه وسلم رحمةً ، لم يبعثه عذابًا ، إلى الناس كافّة ، ثم آختار له ما عنده فقبَضه إليه ، وترك لهم نهرًا شِرْبُهم فيـه سواء . ثم قام أبو بكر فترك النّهرَ على حاله . ثم وَلِى عمرُ فعمِل على عمل صاحبه . فلمّا وَلِىَ عثمانُ آشتقّ من ذلك النهر نهرا . ثم وَلِىَ معاويةُ فشقّ منه الأنهار . ثم لم يزل ذلك النهر يَشُقُّ منه يزيدُ ومروانُ وعبد الملك والوليـد وسليمان حتى أَفْضَى الأمرُ إلىّ ، وقد يَبِسَ النهر الأعظم ولن يَرْوَى أصحابُ النهر حتى يعود اليهم النهرُ الأعظم الى ما كان عليه . فقالت له : قد أردتُ كلامَك ومُذاكرتَك ، فأمّا إذ كانت هـذه مقالتَك فلستُ بذاكرةٍ لك شيئًا أبدا . ورجعتْ اليهم فأبلغتْهم كلامَه .

وقال سليمان بن أبى شَيْخ فى خبره : فلمّا رجعتْ الى بنى أميّة قالت لهم : ذُوقُوا مَغَبّةَ أمرِكم فى تزويجكم آلَ عمرَ بنِ الخطاب .

كثير والأحوص ونصيب عند عمر بن عبد العزيز

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال أخبرنى عبـد الله بن دِينار مولى بنى نصر بن مُعاوية قال حدّثنا محمد بن عبـد الرحمن التَّيْمىّ قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن بن سُهَيْل عن حَمّاد الراوية ، وأخبرنى محمـد بن حسين الكِنْدى خطيبُ القادسـيّة قال حدّثنا الرِّيَاشِىّ قال حدّثنا شَيْبان بن مالك قال حدّثنا عبد الله بن إسماعيل الجَحْدَرىّ عن حَمّاد الراوية ، والروايتان متقاربتان وأكثر اللفظ للرِّيَاشِى ، قال :

دخلتُ المدينةَ ألتمس العلم ، فكان أوّلَ مَنْ لقيتُ كثيِّرَ عَزّةَ . فقلت : يا أبا صَخْر ، ماعندك من بضاعتى؟ قال : عندى ماعند الأحوص ونُصَيْب . قلت : وما هو؟

قال : هما أحق بإخبارك . فقلت له : إنّا لم نَحُثّ المَطِىَّ نحوكم شهراً نطلب ما عندكم إلا ليبقى لكم ذكرٌ، وقلَّ مَنْ يفعل ذلك ، فأخبرنى عما سألتك ليكون ما تُخبرنى به حديثًا آخُذه عنك . فقال : إنه لمّا كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان، قَدِمتُ أنا ونُصَيْب والأحوص وكلُّ واحدٍ منا يُدِلُّ بسابقته عند عبد العزيز

٥ وإخائه لعمر . فكان أوّلُ من لقِيَنا مَسْلَمَةَ بن عبد الملك وهو يومئذ فتى العرب، وكلُّ واحد منّا ينظر فى عِطْفَيْه لا يَشُكُّ أنه شريك الخليفة فى الخلافة ، فأحسنَ ضيافتَنا وأكرم مثْوانا ، ثم قال : أمَا علمتم أن إمامكم لا يُعْطِى الشعراءَ شيئاً؟ قلنا : قدجئنا الآن ، فوجِّه لنا فى هذا الأمر وَجْها . فقال : إن كان ذو دِينٍ من آل مروان قد وَلِىَ الخلافة فقد بقى من ذوى دنياهم من يَقْضِى حوائجكم ويفعل بكم ما أنتم له

١٠ أهل . فأقمنا على بابه أربعةَ أشهرٍ لا نصلُ اليه، وجعل مَسْلَمَةُ يستأذن لنا فلا يُؤْذَن. فقلت : لو أتيتُ المسجدَ يومَ الجمعة فتحفَّظتُ من كلام عمرَ شيئا ! . فأتيت المسجد فأنا أوّل مَنْ حفظ كلامه، سمعته يقول فى خطبة له : لكل سَفَرٍ زادٌ لا محالة ، فتزوّدوا من الدنيا الى الآخرة التَّقْوَى، وكونوا كمن عايَن ما أعدَّ اللهُ له من ثوابه وعقابه، فعمِل طلبًا لهذا وخوفًا من هذا . ولا يَطُولَنّ عليكم الأَمَدُ فتَقْسُوَ قلوبكم، وتنقادوا

١٥ لعدوِّكم . واعلموا أنه إنما يطمئنّ بالدنيا من وَثِق بالنَّجاة من عذاب الله فى الآخرة . فأمّا مَنْ لا يُداوِى جُرْحًا إلا أصابه جُرْحٌ من ناحيةٍ أخرى، فكيف يطمئنّ بالدنيا ! أعوذ بالله أن آمُرَكم بما أَنْهَى نفسى عنه فتَخْسَرَ صَفْقتى ، وتَبْدُوَ عَيْلَتى ، وتظهرَ مَسْكَنتى يومَ لا يَنْفع فيه إلا الحقُّ والصدق . فارْتَجَّ المسجدُ بالبكاء ، وبكى عمر حتى بُلَّ ثوبُه، حتى ظننّا أنه قاضٍ نَحْبَه . فبلغتُ الى صاحبىَّ فقلت : جَدِّدا لعمر

٢٠ من الشِّعر غيرَ ما أعددناه، فليس الرجلُ بدُنْيوِىّ . ثم إن مَسْلَمة استأذن لنا يومَ جُمُعة بعد ما أُذِن للعامّة . فدخلنا فسلّمْنا عليه بالخلافة فردَّ علينا . فقلت له :

١٥٣/٨

يا أميرَالمؤمنين، طال الثَّوَاء وقلّت الفائدة وتحدّثتْ بجفائك إيّانا وفودُ العرب. فقال: ياكثيِّر، أمَا سمعتَ الى قول الله عزّ وجلّ فى كتابه «إنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» أَفَمِنْ هؤلاء أنت؟ فقلت له وأنا ضاحك: أنا ٱبن سبيلٍ ومُنقَطَعٌ به. قال: أو لستَ ضيفَ أبى سَعيد؟ قلت بَلَى. قال: ما أحسَب مَنْ كان ضيفَ أبى سعيد ٱبنَ سبيلٍ ولا مُنقَطَعًا به. ثم ٱستأذنتُه فى الإنشاد، فقال: قل ولا تقل إلّا حقًّا، فإنّ الله سائلك. فقلت:

وَلِيتَ فلم تَشْتُم عليًّا ولم تُخِف * بَرِيًّا ولم تَتْبَع مقالة مُجْرِمِ
وقلتَ فصدَّقتَ الذى قلتَ بالذى * فعلتَ، فأضحَى راضيًا كلُّ مسلمِ
ألا إنّما يَكْفِى الفتى بعد زَيْغه * من الأَوَدِ الباقى ثِقَافُ المُقَوِّمِ
لقد لبِستْ لُبْسَ الهَلُوكِ ثيابَها[(1)] * وأَبْدَتْ لك الدنيا بكفٍّ ومِعْصَمِ
وتُومِضُ أحيانًا بعينٍ مَرِيضةٍ * وتَبْسِمُ عن مثل الجُمانِ المنظَّمِ
فأعرضتَ عنها مشمئِزًّا كأنّما * سَقَتْك مَدُوفًا[(2)] من سِمامٍ وعَلْقَمِ
وقد كنتَ من أجبالها فى مُمَنَّعٍ * ومن بحرها فى مُزْبِدِ الموج مُفْعَمِ
وما زلتَ سبّاقًا الى كلّ غايةٍ * صعِدتَ بها أعلى البناء المقدَّمِ
فلما أتاك المُلكُ عفوًا ولم يكن * لطالبِ دنيا بعده من تكلُّمِ
تركتَ الذى يَفْنَى وإن كان مُونِقًا * وآثرتَ ما يبقى برأيٍ مصمِّمِ
فأضررْتَ بالفانى وشمَّرتَ للذى * أمامَك فى يومٍ من الهَوْلِ مُظلِمِ
ومالك أن كنتَ الخليفةَ مانعٌ * سوى الله من مالٍ رَغِيبٍ ولا دمِ

(1) الهلوك من النساء: الفاجرة المتساقطة على الرجال. وفى الأصول: «لبس الملوك بيابها». وظاهر أنه تحريف. (2) مدوفا: مخلوطا. وأكثر ما يستعمل هذا اللفظ فى الدواء والطيب. والسمام: السم.

سَمَا لكَ همٌّ فى الفؤاد مؤرِّقٌ * صَعِدتَ به أعلى المعالى بسُلَّم

فما بين شرق الأرض والغرب كلِّها * مُنَادٍ ينادى من فصيح وأعجم

يقول: أميرَ المؤمنين ظلمتَنى * بأخذ لدينارٍ ولا أخذ درهم

ولا بسط كفٍّ لامرئٍ ظالمٍ له * ولا السفك منه ظالماً ملءَ محجم

فلو يستطيع المسلمون تقسَّموا * لك الشَّطرَ من أعمارهم غيرَ نُدَّم

فعِشْتَ به ما حجَّ لله راكبٌ * مُغِذٌّ مُطيفٌ بالمَقام وزَمْزَم

فأَرْبِحْ بها من صَفْقةٍ لمُبَايِع * وأَعْظِمْ بها أَعْظِمْ بها ثم أَعْظِم

فقال لى: يا كثيِّر، إن الله سائلك عن كل ما قلتَ. ثم تقدّم اليه الأحوص فاستأذنه فقال: قل ولا تقل إلا حقّا، فإن الله سائلك. فأنشده:

وما الشعرُ إلّا خطبةٌ من مؤلِّف * بمنطقِ حقٍّ أو بمنطقِ باطل

فلا تَقْبَلَنْ إلّا الذى وافق الرِّضا * ولا تَرْجِعنَّا كالنساء الأرامل

رأيناك لم تَعْدِلْ عن الحقّ يَمْنَةً * ولا يَسْرةً فعلَ الظَّلوم المجادل

ولكن أخذتَ القَصْدَ جهدَك كلَّه * وتَقْفُو مثالَ الصالحين الأوائل

فقلنا ولم نَكْذِبْ بما قد بَدَا لنا * ومَنْ ذا يَرُدُّ الحقَّ من قول عاذل

ومَنْ ذا يردُّ السَّهمَ بعد مُروقِه[(1)] * على فُوقِه إن عارَ[(2)] من نَزْع نابل

ولولا الذى قد عوَّدتْنا خلائفٌ * غَطَاريفُ كانت كالليوث البواسل

لَمَا وَخَدَتْ شهراً برَحْلِي جَسْرةٌ * تَفُلُّ مُتونَ البِيدِ بين الرَّواحل

ولكن رجَوْنا منك مثلَ الذى به * صُرِفنا قديماً من ذويك الأفاضل

(1) كذا فى أ. وفى سائر الأصول: «صدوفه» وهو تحريف. (2) السهم العائر: الذى لا يدرى من أين أتى. وأنشد أبو عبيدة:

أخشى على وجهك يا أمير   عوائرا من جندل تعير

وفى الأصول: «عاد» بالدال وهو تحريف.

فإن لم يكن للشعر عنـدك موضعٌ * وإن كان مثلَ الدُّرّ من قول قائلِ
وكان مُصيبًا صادقًا لا يَعيبه * سوَى أنه يُبْنَى بناءَ المنازل
فإنّ لنا قُرْبَى ومَحْضَ مَوَدَّةٍ * وميراثَ آباءٍ مَشَوْا بالمَناصل
فذادُوا عدوَّ السِّلْم عن عُقْر دراهم * وأرْسَوْا عَمُودَ الدِّين بعد تمَايُل
فقبلَك ما أعطَى الهُنَيْدةَ[1] جِلَّةً * على الشعر كَعْبًا من سَديسٍ و بازل
رسولُ الإله المصطفَى بنُبُوَّةٍ[2] * عليه سلامٌ بالضُّحَى والأصائل
فكلّ الذى عدّدتُ يَكْفيك بعضُه * ونَيْلُك خيرٌ من بحور السوائل

فقال له عمر : يا أحوصُ ، إنّ الله سائلُك عن كلّ ما قلت . ثم تقدّم اليه نُصَيْب فآستأذن فى الإنشاد، فأبى أن يأذن له وغضب غضبًا شديدا ، وأمره باللَّحاق بدابِق[3] . وأمر لى وللأحوص لكلّ واحد بمائة وخمسين درهما .

وقال الرِّياشيّ فى خبره : فقال لنا : ما عندى ما أُعطيكم ، فآنتظروا حتى يَخْرُج عطائى فأُواسيكم منه . فآنتظرناه حتى خرج ، فأمر لى وللأحوص بثلثمائة درهم ، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهما . فما رأيت أعظمَ بَركةً من الثلاثِ المائةِ التى أعطانى ، اِبتعتُ بها وَصيفةً فعلَّمتُها الغِناء فبعتُها بألف دينار .

خبر دكين الراجز معه

أخبرنى عمِّى عبد العزيز بن أحمد قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدائنيّ قال :

(١) هنيدة : اسم للمائة من الإبل خاصة ، وقيل اسم للمائة من الإبل وغيرها . ويريد بكعب كعب بن زهير . والسديس من الإبل مادخل فى السنة الثامنة . والبازل الذى فطر نابه أى آنشق ، وذلك فى السنة التاسعة . (٢) المعروف المحفوظ فى كتب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنشده كعب بن زهير قصيدته اللامية «بانت سعاد» ووصل فيها إلى قوله :

إن الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

ألقى عليه بردة كانت عليه ، بذل له فيها معاوية عشرة آلاف درهم ، فقال : ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا . فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم .
(٣) دابق : قرية قرب حلب بينها و بين حلب أربعة فراسخ .

قال دُكَيْنٌ الراجز : امتدحتُ عمرَ بن عبد العزيز وهو والى المدينة، فأمر لى بخمسَ عشرةَ ناقةً كرائمَ ، فكرهتُ أن أَرْمِىَ بهنّ الفجاج ، ولم تَطِبْ نفسى ببيعهنّ . فقدمتْ علينا رُفْقةٌ من مصر ، فسألتُهم الصُّحْبةَ ، فقالوا : ذاك إليك ، ونحن نخرج الليلةَ . فأتيتُه فودّعتُه وعنده شيخان لا أعرفهما . فقال لى : يا دُكَيْنُ ، إن لى نفسا تَوّاقة ، فإن صِرْتُ إلى أكثر مما أنا فيه فأْتِنِى ولك الإحسان . قلت : أَشْهِدْ لى بذلك . قال : أُشْهِدُ اللهَ به . قلت : ومِنْ خَلْقه ؟ قال : هذين الشيخين . فأقبلتُ على أحدهما فقلت : من أنت أعرفك ؟ قال : سالم بن عبد الله بن عمر . فقلت له : لقد آستسمنت الشاهد . وقلت للآخر : من أنت ؟ قال : أبو يحيى مولى الأمير. فخرجتُ إلى بلدى بهنّ ، فرمَى الله فى أذنابهنّ بالبَرَكة حتى آعتقدتُ[1] منهن الإبلَ والعَبيد . فإنّى لبصَحْراء فَلْجٍ[2] إذا ناعٍ يَنْعَى سليمانَ . قلت : فمن القائمُ بعده ؟ قال : عمرُ بن عبد العزيز . فتوجّهتُ نحوَه ، فلقينى جريرٌ منصرفاً من عنده . فقلت : يا أبا حَزْرة ، من أين؟ فقال : من عند من يُعطِى الفقراء ، ويمنع الشعراء . فآنطلقتُ فإذا هو فى عَرْصة دار وقد أحاط الناسُ به ، فلم أخلُص اليه فناديتُ :

يا عُمَرَ الخيراتِ والمَكارمِ * وعُمَرَ الدَّسائعِ[3] العظائمِ

إنى آمرؤٌ من قَطَنِ بن دارِمِ * طلبتُ دَيْنِى من أخى مَكَارِمِ

إذ تَنْتَحِى والليلُ غيرُ نائم[4] * عند أبى يَحْيَى وعند سالمِ

فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ، لهذا البدوىّ عندى شهادة عليك . فقال : أعرِفُها ، ادْنُ يا دُكَيْنُ ، أنا كما ذكرتُ لك ، إن نفسى لم تنل شيئا قطُّ إلا تاقت

---

(١) اعتقد الشىء : اشتراه أو اقتناه .

(٢) فلج : واد بين البصرة وحمى ضرية .

(٣) الدسائع : الشمائل أو العطايا .

(٤) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصول : « إذ تنتحى والله غير نائم » .

لما هو فوقه ، وقد نلتُ غاية الدنيا فنفسى تتوق إلى الآخرة ، والله ما رَزَأْتُ من أموال الناس شيئا ، ولا عندى إلا ألف درهم ، فخذ نصفَها . قال : فوالله مارأيت ألفا كان أعظمَ بركةً منه . قال : ودُكَين الذى يقول :

إذا المرءُ لم يَدْنَس من اللُّؤم عِرْضُه * فكلُّ رداءٍ يَرتديه جميلُ
وإن هو لم يَرْفع عن اللؤم نفسَه (١) * فليس إلى حُسْنِ الثَّناء سبيلُ

زهده بعد أن ولى الخلافة

أخبرنى الحَرَمىّ عن الزُّبَير عن هارون بن صالح عن أبيه قال :

كنّا نعطى الغَسَّال الدراهمَ الكثيرة حتى يَغسِلَ ثيابَنا فى أثر ثياب عمر بن عبد العزيز من كثرة الطِّيب فيها يعنى المِسْكَ . قال : ثم رأيت ثيابَه بعد ذلك وقد وَلِىَ الخلافة فرأيتُ غيرَ ما كنتُ أعرف .

حبه آل البيت

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا الرِّيَاشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ عن نافع بن أبى نُعَيْم قال :

قدِم عبد الله بن الحسن بن الحسن على عمر بن عبد العزيز فقال : إنك لا تُغْنِم أهلَك شيئا خيرًا من نفسك فارجِعْ ، وأتبعَه حوائجَه .

قال الرِّياشىّ وحدّثنا نصر بن علىّ قال حدّثنا أبو أحمد محمد بن الزُّبَير الأَسَدىّ عن سعيد بن أَبَان قال :

رأيت عمر بن عبد العزيز آخذًا بُسُرّة عبد الله بن حسن وقال : أُذْكُرْها عندك تَشْفَعْ لى يومَ القيامة .

(١) المعروف أن هذين البيتين للسموءل بن عادياء اليهودى . ويروى ، كما فى الحماسة والأمالى لأبى على القالى ، صدر البيت الثانى :

* وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها *

حدّثني أبو عُبَيْد الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا الفَضْل بن الحسن المصريّ قال حدّثنا عبد الله بن عمر القَوَارِيريّ قال حدّثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أَبَان القُرَشيّ قال:

دخل عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السّنّ وله وَفْرَةٌ[1]، فرفع مجلسَه وأقبل عليه وقضَى حوائجَه، ثم أخذ عُكْنَةً من عُكَنِه فغمزها حتى أَوْجعه وقال له: أُذكُرْها عندك للشّفَاعة. فلمّا خرج لامَه أهله وقالوا: فعلتَ هذا بغلام حديث السنّ! فقال: إن الثِّقَةَ حدّثني حتى كأنّي أسمعه مِنْ في رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنما فاطمةُ بَضْعةٌ منّي يسرُّني ما يسرُّها" وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حيّة لسرَّها ما فعلتُ بآبنها. قالوا: فما معنى غَمْزِك بطنَه وقولِك ما قلتَ؟ قال: إنه ليس أحدٌ من بني هاشم إلّا وله شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا.

أكرم يزيد بن عيسى لأنه مولى عليّ

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ قال أخبرني يزيد بن عيسى بن مُورِق قال:

كنت بالشام زمنَ وَلِيَ عمرُ بن عبد العزيز، وكان بخُنَاصِرَةَ[2]، وكان يعطي الغرباءَ مائتيْ درهم. قال: فجئتُه فأجِدُه متّكئًا على إزار وكساء من صوف. فقال لي: ممّن أنت؟ قلت: من أهل الحجاز. قال: من أيّهم؟ قلت: من أهل المدينة. قال: من أيّهم؟ قلت: من قريش. قال: من أيّ قريش؟ قلت: من بني هاشم. قال: من أيّ بني هاشم؟ قلت: مولى عليّ. قال: مَنْ عليٌّ؟ فسكتُّ. قال: مَنْ؟! فقلت: ابنُ أبي طالب. فجلس وطرح الكساء ثم وضع يده على صدره وقال: وأنا والله مَوْلَى عليّ، ثم قال: أَشْهَد على عددٍ ممّن أدرك النبيّ صلى

(١) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس. (٢) خناصرة: بليدة من أعمال حلب.

الله عليه وسلم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه" . أين مُزَاحِم[(1)]؟ كم تُعْطى مثلَه ؟ قال : مائتى درهم . قال : أعطِه خمسين دينارا لولائه من علىّ . ثم قال : أفى فَـرْضٍ أنت ؟ قلت لا . قال : وٱفْرِضْ له ، ثم قال : اِلْحَقْ ببلادك فإنه سيأتيك إن شاء الله ما يأتى غيرَك .

سمى عمـر بن على نحله غلامه مورقا

قال أبو زيد فحدّثنى عيسى بن عبد الله قال حدّثنى أبى عن أبيه قال قال أبى : ٥

وُلِد لى غلامٌ يومَ قام عمر بن عبـد العزيز، فغدوتُ عليـه فقلت له : وُلِد لى فى هذه الليلة غلام . فقال لى : ممّن ؟ قلت : من التَّغْلَبية. قال: فهَبْ لى ٱسمَه . قلت نعم. قال : قد سَمَّيتُه ٱسمى ونحلتُه غُلامِى مُورِقًا ، وكان نُوبيًّا فأعتقه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك؛ فولدُه اليومَ مَوَالينا .

كان يكرم عبدالله ابن الحسن

أخبرنى محمد بن العبّاس قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عيسى بن عبـد الله قال ١٠ أخبرنى موسى بن عبد الله بن حسن عن أبيه قال :

كان عمر بن عبد العزيز يرانى إذا كانت لى حاجةٌ أتردّد إلى بابه . فقال لى : ألم أقلْ لك : إذا كانت لك حاجةٌ فٱرفَعْ بها إلىّ ! فوالله إنى لأستحيى من الله أن يراك على بابى .

لم يفد من ولايته شيئا وخلف ولده فقـــراء

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانِىّ قال حدّثنى العُمَرِىّ عن العُتْبِىّ عن أبيه قال : ١٥

لمـّا حضرتْ عمرَ بن عبـد العزيز الوفاةُ جمع ولدَه حولَه ، فلمـا رآهم ٱستعبَر ثم قال : بأبى وأُمّى من خلّفتُهم بعدى فقراء! . فقال له مَسْلَمة بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين، فتَعَقَّبْ فعلَك وأَغْنِهم، فما يمنعك أحدٌ فى حياتك ولا يرتجعه الوالى بعدك . فنظر اليه نظرَ مُغْضَب متعجِّب فقال : يا مَسْلَمة، منعتُهم إيّاه فى حياتى وأَشْقَى به

(١) هو مزاحم بن أبى مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز .

بعد وفاتى! إن ولدى بين رجلين: إمّا مطيعٌ لله فالله مصلِحٌ له شأنه ورازقُه ما يكفيه، أو عاصٍ له فما كنتُ لأعينَه على معصيته . يا مَسْلَمة، إنى حضرتُ أباك لمّا دُفن فحملتْنى عينى عند قبره فرأيته قد أفْضَى الى أمرٍ من أمر الله راعَنى وهالَنى، فعاهدتُ الله ألّا أعمَلَ بمثل عمله إن وَلِيتُ، وقد آجتهدتُ فى ذلك طولَ حياتى، وأرجو أن أُفْضِىَ إلى عفوٍ من الله وغُفْران . قال مَسْلَمة: فلمّا دُفن حضرتُ دفنَه، فما فُرِغ من شأنه حتى حملتْنى عينى، فرأيتُه فيما يرَى النائم وهو فى رَوْضةٍ خَضْراءَ نَضِرةٍ فَيْحاء وأنهارٍ مُطَّرِدةٍ وعليه ثيابٌ بِيضٌ؛ فأقبل علىّ فقال : يا مَسْلَمة، لمثل هذا فليعمَلِ العاملون . هذا أو نحوَه، فإن الحكاية تزيد أو تنقص .

١٥٧ / ٨

رثاه مسلمة بن عبد الملك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ عن يحيى بن سَعِيد الأُمَوِىّ قال :

لمّا مات عمر بن عبد العزيز وقف مَسْلَمة عليه بعد أن أُدْرِج فى كفنه فقال : رحمك الله يا أمير المؤمنين! فقد أورثْتَ صالحينا بك اقتداءً وهُدًى، وملأْتَ قلوبَنا بمواعظك وذِكرِك خَشْيةً وتُقًى، وأثَّلْتَ لنا بفضلك شرفًا وفخرا، وأبقيتَ لنا فى الصالحين بعدَك ذِكْرا .

كتابه الى أسارى قسطنطينية

أخبرنى الحسن قال أخبرنا الغَلَابىُّ عن آبن عائشة عن أبيه :

أنّ عمر بن عبد العزيز كتب الى الأسارَى بقُسْطَنْطِينيّة : أمّا بعدُ، فإنكم تَعُدُّون أنفسكم أسارَى ولستم أسارَى . معاذَ الله! أنتم الحُبَساء فى سبيل الله . وآعلموا أنّى لستُ أَقْسِم شيئًا بين رعيّتى إلّا خصَصْتُ أهلَكم بأوفرِ ذلك وأطيبِه . وقد بعثتُ اليكم خمسةَ دنانير، خمسةَ دنانير . ولولا أنّى خَشِيتُ إن زدتُكم أن يَحبِسه عنكم

طاغيةُ الرُّوم لزِدْتُكم . وقد بعثتُ اليكم فلانَ بن فلان يُفادِى صغيرَكم وكبيرَكم ، ذَكَرَكم وأُنثاكم ، حُرَّكم ومملوكَكم بما يسأل ، فأَبْشِروا ثم أَبْشِروا .

كتاب الحسن البصرى له وردّه عليه

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم قال زعَم لنا سليمانُ بن أَرْقَم قال :

كتب الحسن البصرىّ الى عمر بن عبد العزيز ، وكان يكاتبه ، فلما ٱستُخلِف كتب اليه : "من الحسن البصرىّ الى عمر بن عبد العزيز". فقيل له : إن الرجل قد وَلِىَ وتغيَّر . فقال : لو علمتُ أنّ غير ذلك أَحَبُّ اليه لاتّبعتُ محبّته . ثم كتب : "من الحسن بن أبى الحسن الى عمر بن عبد العزيز . أما بعد ، فكأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تَزَلْ" . قال : فمضيتُ اليه بالكتاب فقدمت عليه به . فإنى عنده أتوقّع الجواب إذ خرج يومًا غيرَ يومِ جُمُعة حتى صَعِد المنبرَ وٱجتمع الناس ، فلما كثُروا قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنكم فى أسلاب الماضين ، وسيَرِثُكم الباقون حتى تصيروا إلى خير الوارثين . كلَّ يومٍ تجهِّزون غاديًا الى الله ورائحًا ، قد حضر أجلُه ، وطُوِى عملُه ، وعاين الحساب ، وخلع الأسلاب ، وسكن التراب ، ثم تَدَعونه غيرَ مُوَسَّد ولا مُمَهَّد . ثم وضع يديه على وجهه فبكى مَليًّا ثم رفعهما فقال : يأيها الناس ، مَنْ وصل الينا منكم بحاجته لم نَألُه خيرا ، ومَنْ عجَز فوالله لَوَدِدتُ أنه وآلَ عمر فى العجز سواء . قال : ثم نزل . فأرسل إلىّ فدخلتُ اليه ، فكتب : " بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعدُ ، فإنك لستَ بأوّل مَنْ كُتِب عليه الموت ، وقد مات . والسلام" .

آخر خطبة له

أخبرنى ٱبن عمّار قال حدثنى سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنا أبو مُطَرِّف المُغيرة بن مُطَرِّف عن شُعَيب بن صَفْوان عن أبيه :

أنّ عمر بن عبد العزيز خطب بخُناصِرَةَ خطبةً لم يخطُب بعدها، حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنكم لم تُخْلَقوا عبثًا ولم تُتْرَكوا سُدًى؛ وإن لكم مَعادًا يتولّى الله فيه الحكم فيكم والفصلَ بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وَسِعَتْ كلّ شيء، وحُرِم الجنّةَ التى عَرْضُها السماواتُ والأرضُ. وآعلموا أنّ الأمان غَدًا لمن حَذِر اللهَ وخافه، وباع قليلًا بكثير، ونافدًا بباق، وخوفًا بأمانٍ. ألا تَرَوْنَ أنكم فى أسلاب الهالكين وسيَخْلُفها من بعدكم الباقون، وكذلك حتى تُرَدُّوا الى خير الوارثين. ثم إنكم فى كلّ يوم وليلة تُشَيِّعون غاديًا الى الله ورائحا، قد قضى نَحْبَه، وآنقضى أجلُه، ثم تضعونه فى صَدْعٍ من الأرض فى بطن لَحْد، ثم تَدَعُونه غيرَ موسَّدٍ ولا ممهَّد، قد خلَع الأسلاب، وفارق الأحباب، ووجّه للحساب، غنيًّا عما ترك، فقيرًا الى ما قدّم. وآيْمُ الله إنى لأقول لكم هذه المقالةَ ولا أعلم عند أحدٍ منكم أكثر مما عندى، وأستغفر الله لى ولكم. وما يُبلغنا أحدٌ منكم حاجتَه يسعها ما عندنا إلا سَدَدْنا من حاجته ما قَدَرنا عليه، ولا أحدٌ يتّسع له ما عندنا إلا وَدِدتُ أنه يُبدَأُ بى وبلُحْمَتِى الذين يَلُونَنى حتى يستوىَ عيشُنا وعيشُكم. وآيْمُ الله لو أردتُ غيرَ هذا من عيش أو غَضَارة لكان اللسانُ به منّى ناطقا ذاولا عالما بأسبابه، ولكنه من الله عزّ وجلّ كتابٌ ناطق، وسُنَّةٌ عادلة، دَلّ فيهما على طاعته ونَهَى فيهما عن معصيته. ثم بكى فتلقّى دموعَه بطَرَف ردائه؛ ثم نزل فلم يُرَ على تلك الأعواد بعدُ حتى قبَضه اللهُ اليه. رحمة الله عليه.

اشترى موضع قبره بعشرة دنانير

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنى أبو سَلَمة المَدينىّ عن إبراهيم بن مَيْسَرة: أن عمر بن عبد العزيز اشترى موضع قبره بعشرة دنانير.

وفاته

أخبرنى اليزيدىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى أبو سلمة المدينىّ قال أخبرنى ابن مسلمة بن عبد الملك قال حدّثنى أبى مسلمة قال :

كنّا عند عمر فى اليوم الذى تُوُفّى فيه أنا وفاطمة بنت عبد الملك ، فقلنا له : يا أمير المؤمنين ، إنّا نرى أنّا قد منعناك النّوم ، فلو تأخّرنا عنك شيئًا عسى أن تنام ! قال : ما أُبالى لو فعلتما . قال : فتنحّيتُ أنا وهى و بيننا و بينه ستر . قال : فما نشبنا أن سمعناه يقول : حىّ الوجوه حىّ الوجوه . فابتدرناه أنا وهى بجئناه وقد أغمض ميّتًا ، فاذا هاتفٌ يهتف فى البيت لا نراه : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فى الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

من أصواته فى سعاد

ومن أصوات عمر فى سعاد

صــــوت

أَلَا يا دِينَ قلبُك من سُلَيْمَى * كما قد دِينَ قلبُك من سُعَادَا

هما سَبَتَا الفؤادَ وأَصْبَتاه * ولم يُدْرِك بذلك ما أرادا

قِفَا نَعرِفْ منازلَ من سُلَيْمَى * دَوَارِسَ بين حَوْمَلَ أو عُرَادَا[1]

ذكرتُ بها الشَّبابَ وآلَ ليلَى * فلم يَرُدِ الشبابُ بها مَرادا

فإن تَشِبِ الذُّؤابةُ أُمَّ زيدٍ * فقد لاقيتُ أيّامًا شِدادا

عروضه من الوافر . الشعر لأشهبَ بنِ رُمَيْلة فيما ذكر ابن الأعرابىّ وأبو عمرو الشّيبانى . وحكى ابن الأعرابىّ أنه سمع بعض بنى ضَبّة يذكر أنها لابن أبى رُمَيْلة الضّبّىّ . والغناء لعمر بن عبد العزيز رَمَلٌ بالوسطى عن الهشامىّ وحَبَش وغيرهما . وفى نسخة عمرو بن بانة الثانية : لخزرج رَمَلٌ بالبنصر .

١٥٩ / ٨

(١) عراد : جبل .

نسب الأشهب بن رُمَيْلة وأخباره

نسبه

رُمَيْـلة أمُّه، وهى أَمَةٌ لخالد بن مالك بن رِبْعِىّ بن سَلْمَى بن جَنْدَل بن نَهْشَل ابن دَارِم بن عمرو بن تميم . وهو الأشهب بن ثَوْر بن أبى حارثة بن عبد الدار بن جَنْدَل بن نَهْشَل بن دارِم فى النَّسَب . قال أبو عمرو : وولدُها يزعمون أنها كانت سبيَّةً من سَبَايا العرب ، فولدتْ لثور بن أبى حارِثة أربعةَ نفر ، وهم رَبَاب ، وحِجْنَاء ، والأشهب ، وسُوَيْد . فكانوا من أشدّ إخوةٍ فى العرب لساناً ويداً ، وأمنعِهم جانبا . وكثُرت أموالهم فى الإسلام . وكان أبوهم ثَوْرٌ ابتاع رُمَيلة فى الجاهليّة، وولدتْهم فى الجاهليّة، فعزُّوا عِزًّا عظيما، حتى كانوا إذا وردوا ماءً من مياه الصَّمّان[1] حظَروا على الناس ما يريدون منه . وكانت لرُمَيْلة قَطيفةٌ حمراء، فكانوا يأخذون الهُدْبَ من تلك القطيفة فيُلقونه على الماء ، أى قد سبقْنا إلى هذا ، فلا يَرِدُه أحدٌ لعزّهم ، فيأخذون من الماء ما يحتاجون اليه ويَدَعون ما يستغنُون عنه . فورَدوا فى بعض السنين ماءً من مياه الصَّمّان وورَد معهم ناسٌ من بنى قَطَن ابن نَهْشَل . وكانت بنو قطن بن نهشل وبنو زيد بن نهشل وبنو مَنَاف بن درام حُلفاءَ . وكانت الأعجازُ حُلفاءَ عليهم، وهم جَنْدَل وجَرْوَل وصخْر بنو نهشل . فأورد بعضُهم بعيرَه فأشرعه حوضًا قد حظَروا عليه . وبلَغهم ذلك فغضِبوا منه وآجتمعوا وأحلافُهم، وآجتمعت الأحلافُ عليهم، فآقتتلوا قتالاً شديدا، فضرب رَبَابُ ابن رُمَيلة رأسَ نُسَيْر بن صُبَيْح المعروف بأبى بَدَّال، وأمُّه بنتُ أبى الحَمَام بن قُرَاد ابن مَخْزوم . وقال رَبَاب فى ذلك :

إخوته وعزهم فى الجاهلية والإسلام

يوم الصمان بينهم وبين أبناء عمومتهم

(١) الصمان : جبل فى أرض تميم .

ضربتُه عَشيّةَ الهـــلالِ * أوّلَ يومٍ عُدّ من شوّالِ
ضرباً على رأس أبى بَدّال * ثُمّتَ ما أُبْتُ ولا أُبالِى
* ألّا يؤوبَ آخرَ اللّيـــالِى *

بجمع كُلّ واحد منهما لصاحبـه . فقالت بنو قَطَن : يا بنى جَرْوَل ويا بنى صَخر ويا بنى مَنَـاف[1] ، ضرب صاحبُكم صاحبَنا ضربةً لا نَدْرى أيموتُ منها أم يعيش ، فأنْصِفونا ؛ فأبى القـومُ أن يفعلوا ؛ فاقتتلوا يومَهم ذلك إلى الليـل . وكان أُبَىّ ابن أَشْيَمَ أخو بنى جَرْوَل وهو سيِّدهم خرج فى حاجة له ، فلقيه بعض بنى قَطَن فأسَره وأتى به أصحابَه . فقال نَهْشَل بن حَرّىّ[2] : يا بنى قَطَن ، أطيعونى اليوم واعصونى أبدا . قالوا : نعم ، فقلْ . فقال : إن هـذا لم يشهد شَرَّكم ولا حربَكم ، ولا يَحِلُّ لكم دمُه ، و إنّ قومه أحْرَى مَنْ يقاتلكم وشَوْكتُهم ؛ فخذوا عليه العهد أن يصرفهم عنكم وخَلُّوا سبيلَه . قالوا : افعَلْ ما رأيتَ . فأتاه نَهْشَل بن حَرّىّ فقال له : يا أبا أَسْماء ، إنّ قومك قـد حالوا بيننا وبين حقّنا وقاتلوا دونه ، وقد أمكننا اللهُ منك ، وأنت والله أَوْفَى دمًا عنـدنا من بنى رُمَيْلة ، فوالله لأقتلنَّك أو تُعطيَنى ما أسألك . قال : سَـلْ . قال : تجْعَل أن تَصْرِفَ بنى جَرْول جميعا ، فإن لم يطيعوك انصرفتَ ببنى أَشْـيَمَ ، فإن لم يطيعوك أتيتَنا . قال نعمْ . فخَلَّى سبيلَه تحت الليل . فأتاهم وهم بحيث يَرى بعضهم بعضا فقـال : يا بنى جَرْوَل انصرفوا ؛ أتعترضـون على قوم يريدون حقَّهم ! أَلَا تَتّقون الله ! والله لقـد أَسَرنى القوم ولو أرادوا قتلى لكان

(١) يلاحظ أن بنى مناف ليســوا حلفاء لبنى جرول و بنى صخر ، و إنما هم حلفاء بنى قطن بن نهشل وبنى زيد بن نهشل . (٢) هو نهشل بن حرىّ بن ضمرة ، كان شاعرا وهو القائل :

إنا بنى نهشل لا ندعى لأب * عنه ولا هو بالأبنـاء يشرينا
إن تبتـدر غاية يوما لمكرمــة * تلق الســوابق منـا والمصلينا

(انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ص ٤٠٤ — ٤٠٥) .

فيه وَفَاءٌ بحقّهم، ولكنّهم يكرَهون حربَكم فلا تَبْغُوا عليهم. فانصرف منهم أكثرُ من سبعين رجلًا. فلما رأى ذلك بنو صخر وبنو جَرْوَل قالوا: والله إنا لنظلم[1] قومنا إن قاتلناهم؛ وانصرفوا، وتخاذل القومُ. فلمـا رأى ذلك الأشهبُ بن رُمَيْـلة قال: وَيْلكم! أفى ضربةٍ من عَصًا لم تصنع شيئا تسفِكون دماءكم! والله ما به من بأس، فأَعْطُوا قومكم حقّهم. فقال حَجْناء ورَبَاب: والله لننْصرفنّ فلنلحَقنّ بغـيركم ولا نُعطى ما بأيدينـا. فجعل الأشهبُ بن رُمَيْلة يقول: وَيْلكم! أتُخَرِّبون دارَ قومكم فى ضربة عصًـا لم تبلُغ شيئا!. فلم يزل بهـم حتى جاءوا برَبَاب فدفعـوه الى بنى قَطَن، وأخذوا منهم أبا بَدَّال وهو المضروب فمات فى تلك الليلة فى أيديهم؛ فكتَموه، وأرسلوا الى عَبّاد بن مسـعود، ومالك بن رِبْعِىّ، ومالك بن عَوْف، والقَعْقاع بن مَعْبـد، فعرَضوا عليهـم الدِّية. فقالوا: وما الدِّية وصاحبُنا حىّ! قالوا: فإن صاحبكم ليس بحىٍّ. فأمْسكوا وقالوا: ننظـر. ثم جاءوا الى رَبَاب فقالوا: أَوْصِنا بمـا بدالك. قال: دَعُونى أُصَلِّى. قالوا: صَلِّ. فصلَّى ركعتين ثم قال: أمَا والله إنّى الى ربّى لذو حاجة، وما منعنى أن أزيد فى صـلاتى إلا أن تَرَوْا أن ذلك فَرَقٌ من الموت، فلْيَضْرِبْنِى منكم رجلٌ شـديد السّاعد حديدُ السيف. فدفعوه الى أبى خُزَيْمة بن نُسَيْر المَكْنِىّ بأبى بَدَّال فضرب عنقه، فدفنوه؛ وذلك فى الفتنة بعـد مقتل عثمان بن عَفّان. فقال الأشهب يرثى أخاه ويلوم نفسَه فى دفعه إليهم لتسكُن الحرب:

أَعَيْنَىَّ قَلَّتْ عَـبْرةٌ مِنْ أخيكما * بأن تسهَرا ليـلَ التّمام وتَجْـزَعا
وباكيةٍ تَبْـكى الرَّبابَ وقائلٍ * جزَى اللهُ خـيرًا ما أعفَّ وأَمْنعا
وأَضْرَبَ فى الهَيْجا إذا حَمِس الوَغَى * وأَطعَمَ إذ أَمْسَى المَرَاضِيعُ جُوَّعا

(١) فى أ، م: «لنضيع».

إذا ما اعترضْنا من أخينا أخاهمُ * رَوِينا ولم نَشْفِ الغَليلَ فينْقَعا

قَرَوْنا دمًا والضّيفُ منتظِرُ القِرَى * ودعوةِ داعٍ قد دعانا فأسمعا

مَرِدْنا[1] وكانت هفوةً من حُلومنا * بثَدْيٍ إلى أولاد ضَمْرةَ أقْطعا

وقد لامنِى قومى ونفسى تَلُومُنى * بما فال رأيِى فى رِبابٍ وضَيَّعا

فلو كان قلبى من حديدٍ أذابَه * ولو كان من صُمِّ الصَّفَا لتصدَّعا ٥

مضى الحديث .

أصوات عمر فى سعاد

ونسختُ من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدّثنى محمد بن أحمد بن يحيى المكّىّ عن أبيه قال :

لِعمرَ بنِ عبد العزيز فى سُعَادَ سبعةُ ألحان .

منها : ١٠

يا سُعادُ التى سَبَتْنِى فؤادى * ورُقَادى هَبِى لعينى رُقادِى

ولحنُه رَمَلٌ مطلَق .

ومنها :

حظُّ عينى من سُعَاد * أبدًا طولُ السُّهَاد

ولحنه رَمَلٌ بالسبّابة فى مجرى البِنصر . ١٥

ومنها :

سبحان ربِّى بَرَا سُعادَا * لا تعرِف الوصلَ والودادا

ولحنُه خفيفُ رَمَلٍ[2] .

(١) مرد الصبى ثدى أمه : مرسه .

(٢) فى جـ : «خفيف ثقيل» . ٢٠

ومنها :

لَعَمْرِى لئن كانت سعادُ هى المُنَى * وجنَّةَ خُلْدٍ لا يُمَلُّ خلودُها

ولحنُه ثقيلٌ أوّل .

ومنها :

٥ أسُعادُ جُودِى لا شَقِيتِ سُعَادا * وأجْزِى مُحِبَّكِ رأفةً ووِدادَا

ولحنُه خفيفُ رَمَلٍ .

ومنها :

* ألمَّا صاحِبَىَّ نَزُرْ سُعادَا *

ومنها :

١٠ * ألَا يا دِينَ قلبُكَ من سُلَيْمَى *

وقد ذكرتُ طريقتهما .

وقد رُوِى عن عمر بن عبد العزيز حديثٌ كثيرٌ وفقهٌ ، وحمَل عنه أهلُ العلم .

كان محدّثا وفقيها وراويا

أخبرنا محمد بن جرير الطَّبَرِىّ قال حدّثنا عِمْران بن بَكّار الكَلَاعىّ قال حدّثنا خالد بن علىّ قال حدّثنا بَقِيَّةُ بن الوليد عن مبشِّر بن إسماعيل عن بشر بن عمر بن

١٥ عبد العزيز عن أبيه عمر عن جدّه عبد العزيز عن معاوية بن أبى سُفْيان قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مَنْ أحبَّ أن تَمْثُلَ له الرجالُ قِيامًا فليتبوّأْ مقعدَه من النار" .

أخبرنى محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرفىّ وعمّى قالا حدّثنا العَنَزِىُّ قال حدّثنى وَزير بن محمد أبو هاشم الغَسّانىّ قال حدّثنى محمد بن أيّوب بن سعيد السُّكَّرىّ عن عمر بن

٢٠ عبد العزيز عن أمّه عن أبيها عاصم بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نِعْمَ الإدَامُ الخَلُّ" .

غناء يزيد بن عبد الملك

وممن حُكى عنه أنه صنَع فى شعره غناءً يزيدُ بن عبد الملك، ولم يأت ذلك بروايةٍ عمّن يحصِّل قولَه كما حُكى عن عمر بن عبد العزيز، وإنما وُجد فى الكتب أنه صنَع لحنًا فى شعره، وذكره من لا يُوثق به، ولم نَرْوِه عن أحد فلم نأت بأخباره ها هنا مشروحةً، وأتيت بها فى أخباره مع حَبَابةَ بحيث يصلح . وأما اللحن الذى ذُكر أنه صنعه فهو : ٥

صـــوت

أبلغ حَبَابةَ أَسْقَى رَبْعَهَا المطرُ * ما للفؤاد سوى ذكراكُمُ وَطَرُ

إن سار صَحْبِيَ لم أَمْلَكْ بذكركُمُ * أو عرّسوا فهمومُ النفسِ والفِكَرُ

فى هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ يقال إنه ليزيد بن عبد الملك . وذكر ابن المكّىّ أنه لحبابة . ١٠

وحُكى عن الهَيْثم بن عَدِىّ أن يزيد بن عبد الملك لمّا رأى حَبَابةَ تعلّقها ولم يقدِر على ٱبتياعها خوفا من أخيه سليمان أو من عمر بن عبد العزيز، وقال فيها هذين البيتين وهو راحل عن الحجاز، وغنّاه فيهما مَعْبد، فوصله بعد ذلك بما كان يُغْنيه، وأخذتْه حَبَابةُ وغيرُها عنه . وذكر الهشامىّ أنه مما لا يُشَكّ فيه من غناء معبد . وقد مضت أخبار يزيد بن عبد الملك وحَبَابةَ فى صدر هذا الكتاب فاستُغْنِيَ عن إعادتها هنا . ١٥

غناء الوليد بن يزيد

وممن غنَّى منهم الوليد بن يزيد .

وله أصوات صنَعها مشهورةٌ، وقد كان يَضْرِب بالعود ويُوقِع بالطبل ويمشى بالدُّفّ على مذهب أهل الحجاز .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى عبدالله بن أبى سعد عن القِطرانىّ عن محمد بن جَبْر قال حدّثنى مَنْ سمع خالدَ صامةَ يقول : ٢٠

١٦٢
٨

كنت يوما عند الوليد بن يزيد وأنا أغنّيه :

* أراني الله يا سَلْمَى حياتى *

وهو يشرب حتى سَكِر . ثم قال لى : هات العودَ ، فدفعتُه إليه ، فغنّاه أحسنَ غناء ، فنفِسْتُ عليه إحسانَه ، ودعوت بطبل فجعلت أُوقِع عليه وهو يَضْرِب حتى دفع العودَ وأخذ الطّبْل فجعـل يُوقِع به أحسنَ إيقاع ، ثم دعا بدُفٍّ فأخذه ومشى به وجعل يغنّى أهزاجَ طُوَيْس حتى قلت قد عاش ، ثم جلس وقد ٱنبَهَر . فقلت : يا سيّدى ، كنت أَرى أنك تأخذ عنّا ونحن الآن نحتاج الى الأخذ عنـك ! فقال : ٱسكت وَيْلَكَ ! فوالله لئن سمع هذا منك أحدٌ ما دمتُ حيًّا لأقتلنّك . فوالله ما حكيته عنه حتى قُتل .

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال أخبرنا أبو أيّوبَ المَدِينىّ قال ذكَر أبو الحسن المَدائنى أن يحيى مولى العَبَلات المعروف بفيل وهو الذى غنّى :

* أَزْرَى بنا أننا شالتْ نَعامتُنا *

كان مقيمًا بمكة . فلمّا قدِمها الوليد بن يزيد سأل عن أحسن النـاس غناءً وحكايةً لابن سُرَيج ؛ فقيل له : فيل . فدعاه وقال له : امش لى بالدُّفّ ، ففعل . ثم قال له الوليد : هاته حتى أمشىَ به ، فإن أخطأتُ فقوِّمْنى . فمشى به أحسنَ من مِشية فيل . فقـال له يحيى : جُعلت فداءك ! إيذَنْ لى حتى أختلفَ اليك لأتعـلّمَ منك .

فمن مشهور صنعته فى شعره :

وَصَفْراءَ فى الكأس كالزعفرانْ * سـباها التُّجِيبىُّ من عَسْقَلانْ

تُرِيكَ القَـذاةَ وعَرْضُ الإناء * سِـتْرٌ لها دونَ لَمْسِ البَنانْ

لحنه فيه خَفيفُ رَمَلٍ . وفيه لأبى كامل ثانى ثقيلٍ بالسّبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق و يونس . ولعمرَ الوادىّ فيه ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن يونس والهِشامىّ . وقد مضت أخباره مشروحة فى المـائة الصوت المختارة .

غناء الواثق

وممن دُوِّنت صنعتُه من خلفاء بنى العبّاس الواثق بالله .

ولم نعلمه حُكى ذلك عن أحد منهم قبله إلّا ما قدّمنا سوءُ العهدة فيه عن ابن خُرداذْبَة ، فإنه حَكى أن للسَّفّاح والمنصور وسائرهم غِناء وأتى فيها بأشياءَ غَثَّةٍ لا يحسُن لمحصِّلٍ ذكرها .

غنى الواثق فى شعر لأبى العتاهية بحضرة إسحاق ووصله

وأخبرنى يحيى بن محمد الصُّولِىّ قال حدّثنى أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : ٥

دخلتُ يوماً دارَ الواثق بغير إذْن إلى موضع أمَرَ أن أدخله إذا كان جالسا ، فسمعت صوت عود من بيت وترنّماً لم أسمع أحسنَ منه قطّ ، فأطْلَعَ خادمٌ رأسَه ثم ردّه وصاح بى فدخلت فإذا الواثق ، فقال : أىَّ شىء سمعتَ ؟ فقلت : الطَّلاقُ لازمٌ لى وكلُّ مملوك لى حرٌّ لقد سمعتُ ما لم أسمع مثلَه قطّ حُسْنا ! فضحك فقال : ١٠ وما هو! إنما هذه فضلة أدب وعلم مدحه الأوائل وآشتهاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورَحِمَهم والتابعون بعدهم وكثُر فى حَرَم اللهِ ومُهَاجَر رسولِ الله . أتحبّ أن تسمعه منّى؟ قلت : إى والذى شرّفنى بخطابك وجميل رأيك . فقال : ياغلام ، هاتِ العود وأَعْطِ إسحاق رِطْلًا . فدفع الرِّطلَ إلىّ وضرب وغنّى فى شعرٍ لأبى العتاهية بلحنٍ صنعه فيه : ١٥

أضحتْ قبورهمُ من بعـــد عِزِّهمُ * تَسْفِى عليها الصَّبَا والحَرْجَفُ الشَّمَلُ
لا يَدْفَعــون هَوَامًا عن وجوههمُ * كأنهـــمْ خَشَبٌ بالقاع مُنْجَدِلُ

١٦٣ / ٨

فشرِبتُ الرِّطلَ ثم قمتُ فدعوتُ له ، فأجلسنى وقال : أتشتهى أن تسمعه ثانيـةً ؟ فقلت : إى والله ، فغنّانيه ودعا لى برِطْل ، ففعلت كما فعلت ثانيةً ثم ثالثةً ، وصاح ببعض خَدَمه وقال له : احملْ إلى إسحاق ثلثمائة ألف درهم . ثم قال : يا إسحاق ، ٢٠

قد سمعتَ ثلاثة أصوات وشربت ثلاثة أرطال وأخذتَ ثلثمائة ألف درهم ، فآنصرِف إلى أهلك ليُسَرُّوا بسرورك ؛ فآنصرفت بالدراهم .

صنع مائة صوت ليس فيها صوت ساقط

أخبرني محمد قال سمعت أحمد بن محمد بن الفُرَات يقول سمعتُ عَرِيبَ تقول: صنع الواثقُ مائةَ صوتٍ ما فيها صوتٌ ساقطٌ . ولقد صنع في هذا الشعر :

هــل تعلمين وراء الحبّ منزلةً * تُدْنِي إليــكِ فإنّ الحبَّ أقصاني ٥

هذا كتابُ فتًى طالتْ بَلِيَّتُـه * يقــول يا مُشْتَكَى بَثّي وأحزاني

لحنًا من الرَّمَل تَشبَّه فيه بصنعة الأوائل .

نسـبة هـذا الصـوت

الشعر ليعقوب بن إسحاق الرَّبَعِيّ المخزوميّ . والغناء للواثق رَمَلٌ بالوسطى من رواية الهشاميّ . ١٠

أخبرني محمـد بن العبّاس اليَزيديّ والحَرَميُّ بن أبي العَلاء وعليّ بن سليمان الأخفش قالوا حدّثنا أحمد بن يحيي ثَعْلَب قال قال الزُّبَير بن بَكّار :

كتب آبن أبي مَسَرَّةَ المَكّيّ الى أهل المدينة ببيتين وهما :

هــذا كتابُ فتًى طالتْ بَلِيَّتُه * يقول يا مُشْـتَكَى بَثِّي وأحزاني

هل تعلمين وراءَ الحبِّ منزلةً * تُدْني اليكِ فإنّ الحبَّ أقصاني ١٥

قال الزُّبَير : وكنتُ غائبًا ، فلما قدِمت قال لي أهل المدينــة ذلك . فقلت لهم : أيكتُب اليكم صاحبكم يعاتبكم فلا تُجيبونه ! .

شعر يعقوب بن إسحاق الربعي

أنشدني يعقوب بن إسحاق الرَّبَعِيُّ المخزوميّ لنفسه :

قال الوُشاةُ لهنـــدٍ عن تَصَارُمِنَا * ولستُ أنسَى هوى هندٍ وتنساني

يعقــوبُ ليس بمتبولٍ ولا كَلِفٍ * وَيْحَ الوُشـاةِ فإنّ الداء أضناني ٢٠

مابى سوى الحبّ من هندٍ و إن بَخِلتْ * حُبّى لهنــدٍ بَرى جسمى وأبلانى
قد قلتُ حين بدا لى بُخْلُ سيِّدتى * وقــد تتابع بى بَثّى وأحــزانى
هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً * تُدْنِى اليــكِ فانّ الحبَّ أقصانى
قالت نعم قلتُ ما ذاكم أسيِّدتى * وطاعةُ الحبِّ تَنْفِى كلَّ عِصْيان
قالت فدَعْنا بلا صُرْمٍ ولا صِــلَةٍ * ولا صدودٍ ولا فى حال هِجْــران ٥
حتى يَشُــكَّ وُشاةٌ قد رَمَوْكَ بنا * وأعلنــوا بك فينا أىَّ إعــلان

غناؤه فى شعر لذى الرمة

ومن غنــاء الواثق بالله :

صـــوت

خليلىَّ عُوجَا من صدور الرَّواحِل * بجَــرْعاءِ حُزْوَى وآبكيا فى المنازِلِ
لعلّ آنحــدارَ الدمع يُعْقِب راحةً * من الوَجْدِ أو يَشْفِى نَجِىَّ البَــلابِلِ ١٠

١٦٤ / ٨

الشعر لذى الرُّمّة . والغناء للواثق بالله رَمَلٌ مطلَق فى مجرى الوسطى عن الهشامىّ . ولإسحاق فيهما رَمَلٌ بالسبَّابة فى مجرى البنصر . ولحنُ الواثق منهما الذى أوّلهُ البيت الثانى وهو اللحن المحثوث المُسْجَح وله رَدّةٌ فى "لعلّ" . ولحنُ إسحاق أوّلُه البيتُ الأوّل ثم الثانى وهو أشدُّهما إمساكًا وفيه صِياح .

غنى إسحاق الموصلى بحضرته صوتا أخذته عنه شاجى فأجازه

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينىّ قال ١٥ حدّثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعِىّ قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ : أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهرىّ وقد كان تكلّم له فى حاجة فقُضِيتْ . فقال له : أعطاك الله أيها الأمير ما لم تُحِطْ به أُمْنِيّة ولم تَبلُغْه رغبة . قال : فآشتهى هذا الكلامَ فاستعاده فأعدتُه . قال : ثم مكثنا ما شاء الله ؛ وأرسل الواثق إلى محمد ابن إبراهيم يأمره بإشخاصى اليه فى الصوت الذى أمرنى أن أتغنّى فيه وهو : ٢٠

* لقد بَخِلتْ حتى لَوَ آنّى سألتُها *

فأمر لى بمـائة ألف درهم . فأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنيهم يقدِر على أن يأخذ هـذا الصوت منّى . فلما طال مُقامى قلت : يا أمير المؤمنين، ليس أحد من هؤلاء المغنّين يقدِر على أن يأخذ هذا الغِناء منّى . فقال لى : ولِمَ وَيْحَك ؟ قلت : لأنى لا أصحِّحه ولا تسخو نفسى لهم به . فما فعلتَ يا أمير المؤمنين فى الجارية التى أخذتَها منّى ؟ (يعنى شَجَا، وهى التى كان أهـداها إلى الواثق وعَمِل لهـا المُصَنَّف الذى فى أيدى الناس لإسحـاق) . قال : وكيف ؟ فقلت : لأنها تأخذه منّى وأطيبُ به لهـا نَفْسا ، وهم يأخذونه منها . قال : فأمَر بهـا فأُخرِجتْ وأخذتْه على المكان . فأمر لى بمـائة ألف درهم أُخرى ، وأذِن لى فى الانصراف . وكان إسحـاق بن إبراهيم الطاهرىّ حاضرًا عنده ، فقلت له عنـد وَداعى إيّاه : أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحِطْ به أُمْنِيّة ولم تبلُغه رغبة . فالتفت إلىّ إسحاق ابن إبراهيم فقال لى : وَيْحَكَ يا إسحاق ! تعيد الدعاء! فقلت: إى والله أعيده قاصٌّ أنا أو مُغَنٍّ . فانصرفتُ إلى بغـداد وأقمتُ ، حتى قـدِم إسحاقُ بجثته مسلَّمـًا . فقال : وَيْلَكَ يا إسحاق ! أتدرى ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنـده ؟ قلت : لا ، أيها الأمير . قال : قال لى : وَيْحكَ ! كنّا أغْنَى الناسِ عن أن نبعَث إسحاقَ على لحننا فيُفْسِدَه علينا . هذه رواية أبى أيّوب .

تقـدير إسحـاق لغناء الواثق

قال أبو أحمد يحيى بن علىّ بن يحيى وأخبرنى أبى رحمه الله عن إسحاق أنه قال: لمّـا صنعتُ لحنى فى :

* خليلىّ عُوجَا من صـدور الرواحل *

غنّيتُه الواثقَ فاستحسنه وعجِب من صحّة قسمته ، ومكث صوتَه أيّاما ثم قال لى : يا إسحـاق ، قد صنعتُ لحنـًا فى صوتك وفى إيقاعه، وأمر فغُنِّيتُ بِه ، فقلت :

يا أمير المؤمنين، بَغَّضتَ إلىَّ لحنى وسمَّجتَه عنـدى . وقد كنتُ آستأذنته مرّاتٍ فى الآنحدار إلى بغداد بعد أن ألقيت اللحنَ الذى كان أمرنى بصنعه فى :

* لقـد بَخِلتْ حتى لَوَ آنى سألتها *

فمنعنى ودافعنى بذلك . فلما صنع لحنه الرَّمَل فى :

* خليلىَّ عُوجَا ،ن صدور الرّواحل *

قلت له : يا أمير المؤمنين، قد والله آقتصصتَ وزدتَ ؛ فأَذِنَ لى بعد ذلك . قال أبو الحسن علىُّ بن يحيى قلت لإسحـاق : فأيُّهما أجود الآن لحنُك فيـه أو لحنه ؟ فقال : لحنى أجود قسمةً وأكثر عملًا ، ولحنه أظرف ، لأنه جعل رَدَّتَه من نفس قسمته، فليس يقدِر على أدائه إلا متمكِّنٌ من نفسه . قال أبو الحسن : فتأملت اللحنين بعـد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق . قال وقال لى إسحاق : ما كان يحضُر مجلسَ الواثق أعلمُ منه بالغناء .

١٦٥/٨

فأمّا نسبة هذين الصوتين، فإن أحدهما قد مضى ومضت نسبته ، والآخر :

صـــوت

أيا مُنْشِرَ الموتى أَقِــدْنى من التى * بها نَهِلتْ نفسى سَــقامًا وعَلَّتِ

لقــد بَخِلتْ حتى لَوَ آنّى سألتُهـا * قَذَى العين من ضاحى التُّراب لضَنَّتِ

الشعر لأعرابىٍّ رواه إسحاق عنـه ولم يذكر آسمه، والنـاس يَغْلَطون فينسُبونه الى كثيِّر ويظنُّونه من قصيدته التى أوّلها :

خليلىَّ هــذا رَسْمُ عَزّةَ فآعْقِـلَا * قَلُوصَيْكما ثم آبكِـيا حيث حَلَّتِ

وهذا خطأ ممن قال ذلك . والغناء للواثق ثانى ثقيل بالوسطى . ولإسحاق فى البيت الثانى وبعده بيت ألحقه به ليس من الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالسبَّابة فى مجرى الوسطى . والبيتُ الذى ألحقه إسحاق به من شعره :

فإن بَخِلتْ فالبخلُ منها سَجِيــةٌ * وإن بَذَلتْ أعطتْ قليلًا وأَكْدَتِ

كان يعرض غناءه على إسحاق فيدلى فيه برأيه

أخبرنى عمّى رحمه الله قال حدّثنى أبو جعفر بن الدِّهْقانة النّديم قال :

كان الواثق إذا أراد أن يَعْرِض صنعتَه على إسحاق نسبها الى غيره وقال : وقع الينا صوتٌ قديم من بعض العجائز ما سمعه أحدٌ، ويأمر مَنْ يغنّيه إيّاه. وكان ٥ إسحاق يأخذ نفسَه فى ذلك بقول الحق أشدَّ أَخْذٍ ، فإن كان جيّدًا من صناعته قرّظه ووصفه وآستحسنه ، وإن كان مُطَّرحا أو فاسدا أو متوسّطا ذكر ما فيه . فربّما كان للواثق فيه هَوًى فيسألُه عن تقويمه وإصلاح فَسَاده ، وربما آطّرحه بقول إسحاق فيه؛ الى أن صنع لحنًا فى قول الشاعر :

لقــد بَخِلتْ حتى لَوَ آنّى سألتُها * قَذَى العين من ضاحى التراب لضَنّتِ

١٠ فأُعْجِبَ به وآستحسنه ، وأمر المغنّين فغنَّوْا فيه ، وأمر بإشخاص إسحاقَ اليه من بغداد ليسمعه . فكاده مخارق عنده وقال : يا أمير المؤمنين ، إن إسحاق شيطانٌ خبيث داهية ، وإن قولك له فيما تصنعه : هذا صوت وقع الينا ، لا يخفى عليه به أنّ الصوت لك ومن صَنْعتك ولا يُوقِعُ فى فهمه أنه قديم ، فيقولُ لك وبحضرتك ما يُقارب هواك ، فاذا خرج عن حضرتك قال لنا ضدَّ ذلك . فأَحْفَظَ الواثقَ قولُه

كاد عنده مخارق لإسحاق بغناء وأصلحت بينهما فريدة

١٥ وغاظه ، وقال له : أريد على هذا القول منك دليلا . قال : أنا أُقيم عليه الدليل إذا حضر . فلما قَدِم به وجلس فى أوّل مجلس آندفع مُخَارِق يغنّى لحنَ الواثق :

* لقد بَخِلتْ حتّى لَوَ آنّى سألتُها *

فزاد فيه زوائدَ أفسدتْ قِسْمتَه فسادًا شديدًا وخفيتْ على الواثق لكثرة زوائد مُخارِق فى غنائه . فسأله الواثق عنه ؛ فقال : هذا غناء فاسدٌ غيرُ مَرْضِيّ عندى .

١٦٦ / ٨

٢٠ فغضب الواثق وأمر بإسحاق فسُحِب حتى أُخرِجَ من المجلس . فلما كان من الغد

قالت فَريدة للواثق : يا أمير المؤمنين، إن إسحاق رجل يأخذ نفسَه بقول الحق فى صناعته على كل حالٍ ساءتْه أو سَرَّتْه ، لا يخاف فى ذلك ضررًا ولا يرجو نفعاً ؛ وما لك منه عوض . وقد كاده مخارقٌ عندك فزاد فى صدر الصوت من زوائده التى تَعْرِف، وتركه فى المصراع الثانى على حاله ، ونقَص من البيت الثانى، وقد تبيّنتُ ذلك . وأنا أعرِضه على إسحاق وأغنّيه إيّاه على صِحّته ، وآسمَعْ ما يقول . وما زالت تَلْطُف للواثق حتى رضِى عنه وأمر بإحضاره . فغنّتْه إيّاه فَريدةُ كما صنعه الواثق . فلمّا سمِعه قال : هذا صوتٌ صحيحُ الصَّنْعةِ والقسمةِ والتجزئة ، وما هكذا سمعته فى المرة الأولى . ثم أخبر الواثقَ عن مواضع فَساده حينئذ ، وأبان ذلك له بما فهِمه . وغنّتْه فَريدة عدّةَ أصوات من القديم والحديث كلُّها يقول فيها بما عنده من مدحٍ لبعضها وطعنٍ على بعض . فآستحسن الواثقُ ذلك وأجازه يومئذٍ وحَباه ، وجفا مُخارِقًا مدّةً لِما فعله به .

أخبرنى جَحْظة قال حدّثنى آبن المَكّىّ عن أبيه قال :

كان الواثقُ إذا صنع شيئا من الغناء أخبر إسحاقَ به وعَرَضه عليه حتى يُصلح ما فيه ثم يُظهِرَه .

وقد أخبرنى الحسن بن علىّ عن يزيد بن محمد المهلّبىّ بهذا الخبر فذكر نحو ما ذكرتُه هاهنا وفى ألفاظه آختلاف . وقد تقدّم ذكره[1] وابتدأناه فى أخبار إسحاق .

والأبيات الثانية التى غنّى فيها الواثقُ وإسحاق أنشَدَنيها علىُّ بن سليمان الأخفش وعلىّ بن هارون بن علىّ بن يحيى جميعا عن هارون بن علىّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاقَ لأعرابىٍّ ، وأنشَدَناها محمدُ بن العبّاس اليَزيدىّ قال أنشدنى أحمد بن يحيى ثَعْلَب لبعض الأعراب :

(١) راجع جـ ٥ ص ٣٦٠ — ٣٦١ من هذه الطبعة .

أَلَا قاتل اللهُ الحمامـــةَ غُـــدْوةً * على الغصن ماذا هَيَّجتْ حين غَنَّتِ

فغنّتْ بصــوتٍ أعجمىٍّ فهيَّجتْ * هَوَاىَ الذى كانت ضُلوعى أكَنَّت

فلو قَطَرتْ عينُ آمرِئٍ من صَبابةٍ * دمًا قطَــرتْ عينى دمًا وألَمَّتِ

فمــا سكتتْ حتى أوَيتُ لصوتهــا * وقلتُ أرى هــذى الحمامةَ جُنَّتِ

٥ ولى زَفَــراتٌ لو يَدُمْنَ قتلْنَنِى * بشــوقٍ إلى نادى التى قد تولَّتِ

إذا قلتُ هذى زفرةُ اليوم قد مضتْ * فمَنْ لى بأُخرَى فى غدٍ قــد أظَلَّتِ

أيا مُنْشِرَ المــوتَى أعِنِّى على التى * بهــا نَهِلَتْ نفسى سَــقامًا وعَلَّت

لقــد بَخِلَتْ حتى لَوَ آنّى سألتُهــا * قَذَى العين من سافِى(١) الترابِ لضَنَّتِ

فقلتُ آرْحَــلَا يا صاحبَىَّ فليتَنِى * أرى كلَّ نفس أُعطِيَتْ ما تمنَّت

١٠ حلَفتُ لهــا بالله ما أُمُّ واحــدٍ * إذا ذكــرتْه آخرَ الليـــل أنَّتِ

وما وَجْدُ أعرابيّـــةٍ قَذَفتْ بهــا * صُروفُ النَّوَى من حيثُ لم تكُ ظَنَّت

إذا ذكرتْ ماءَ العِضاهِ وطِيبَـــه * وبطن الحَصَى من بطن خَبْتٍ أرَنَّتِ

بأعظمَ من وجدى بها غيرَ أننى * أُجَمْجِمُ أحشــائى على ما أجَنَّت

غناه إسحاق فوصله وشــعره فيـــه ١٦٧/٨

أخبرنى جَحْظةُ وآبن أبى الأزهر ويحيى بن علىّ والحسين بن يحيى قالوا جميعا ١٥ أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه، وقــد جمعتُ رواياتِهم فى هذا الخبر وزدتُ فيــه ما نقصه كل واحد منهم حتى كمَلت ألفاظه، قال :

ما وصلنى أحد من الخلفاء بمثل ما وصلنى به الواثق، وما كان أحد منهم يُكرمنى إكرامَه . ولقد غنّيتُه لحنى :

لعلَّكَ إن طالتْ حيــاتُك أن تَرَى * بِلادًا بهــا مَبْدًى لليـــلَى ومَحْضَرُ

٢٠ (١) ويروى : « ضاحى التراب » (راجع ص ٢٨٠ س ١٥) .

فآستعاده منّى ليلةً[1] لا يشرَب على غيره، ثم وصلنى بثلثمائة ألف درهم. ولقد قَدِمتُ عليـه فى بعض قَدَماتى، فقال لى : وَيْحَكَ يا إسحاق ! أمَا آشتقتَ إلىّ ! فقلتُ : بَلَى والله يا سـيِّدى ! وقلت فى ذلك أبياتا إن أمرتَنى أنشـدتُها . قال : هاتِ ؛ فأنشـــدتُه :

أشكو إلى الله بُعْدى عن خليفته * وما أقاسيه من هَمٍّ ومن كِبَر

لا أستطيع رَحيلًا إن هَمَمتُ به * يومًا إليـه ولا أقوَى على السـفر

أنوى الرحيـلَ إليه ثم يمنَعــنى * ماأَحْدثَ الدهرُ والأيّامُ فى بصرى

ثم آستأذنتُه فى إنشاد قصيدةٍ مدحته بها فأذن لى؛ فأنشدتُه قصيدتى التى أقول فيها :

لمّا أمرتَ بإشخاصى إليك هَوَى * قلـبى حَنينًا الى أهـلى وأولادى

ثم آعتزمتُ فـلم أَحْفِـلْ ببَيْنِهمُ * وطابت النفسُ عن فَضْلٍ وحَمّاد

كم نعمــةٍ لأبيك الخـيْرِ أفردنى * بهـا وخَصَّ بأخرى بعد إفرادى

فـلو شـكرتُ أيادِيكم وأَنْعُمَـكم * لمَـا أحاط بها وصفى وتَعْـدادى

لأشـكرنَّك ما غار النجـومُ وما * حَدَا على الصُّبْح فى إثر الدُّجَى حاد

قال علىّ بن يحيى خاصّةً فى خبره : فقال لى أحمد بن إبراهيم : يا أبا الحسن، أَخْبِرْنى لو قال الخليفةُ لإسحاق : أَحضِرْ لى فَضْلًا وحَمّادا أليس كان يفتضح إسحاق! (يعنى من دَمَامة خِلْقتهما وتخلُّف شاهِدِهما) .

خرج معه إسحاق الى النجـف، وشـــعره فيها وفى حنينه الى ولده

قال إسحـاق : ثم آنحـدرتُ مع الواثق الى النَّجَف، فقلت : يا أمير المؤمنين، قد قلتُ فى النَّجَف قصيدةً . فقال : هاتِها ؛ فأنشدتُه قولى :

يا راكبَ العِيسِ لاتَعْجَلْ بنا وقِفِ * نُحَىِّ دارًا لسُـعْدَى ثم نَنصرف

(١) فى حـ : « جمعة » .

لم يَنْزِلِ الناسُ فى سهلٍ ولا جبلٍ * أَصْفَى هواءً ولا أَغْذَى من النَّجَفِ
حُفَّتْ ببرٍّ وبحـــرٍ فى جوانبهـا * فالبرُّ فى طَرَفٍ والبحـرُ فى طَرَفِ
ما إن يزال نســيمٌ من يمـانيةٍ * يأتيـك منهـا بَرِيَّا رَوْضـةٍ أُنُفِ

حتى ٱنتهيت الى مديحه فقلت وقد ٱنتهيتُ إلى قولى فيه :

٥ لا يَحْسَبُ الجـودَ يُفنِى مالَه أبدًا * ولا يرى بَذْلَ ما يَحْوِى من السَّرَفِ

فقال لى: أحسنتَ ياأبا محمد! فكّانى، وأمر لى بألف درهم. وٱنحدرنا الى الصالحيّة التى يقول فيها أبو نُوَاس :

* فالصالحيّةُ من أَكْنافِ كَلْوَاذا (1) *

وذكرتُ الصبيان وبغداد فقلت :

١٠ أتَبْكِى على بغــدادَ وهى قريبــةٌ * فكيف إذا ما ٱزددتَ منها غدًا بُعدا
لَعَمْرُكَ ما فارقتُ بغــدادَ عن قِـلًى * لَوَ ٱنَّا وجدنا من فراقٍ لهـا بُدّا
إذا ذَكَرتْ بغـدادَ نفسى تَقَطَّعتْ * من الشوق أو كادت تموت بها وجدا
كفى حَزَنًا أن رُحْتَ لم تستطع لها * وَدَاعًا ولم تُحْـــدِثْ لساكنها عهـدا

فقال لى : يا موصلىّ، لقد ٱشتقتَ الى بغداد ! فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين،

١٥ ولكنى ٱشتقتُ إلى الصبيان، وقد حضرنى بيتان . فقال هاتِهما . فقلت :

حَنَنتَ الى الأُصَيْبِيةِ الصِّغارِ * وشاقكَ منهــمُ قُرْبُ المَزَارِ
وكلُّ مُفارِقٍ يزداد شــوقاً * اذا دنت الدِّيارُ من الديار

فقال لى : يا إسحاق، سِرْ إلى بغداد فأقم شهرا مع صِبيانك ثم عُدْ إلينا، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم .

١٦٨ / ٨

٢٠ (1) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٥٧ ج ٥ من هذه الطبعة .

امتياز إسحاق على المغنين فى مجلسه

أخبرنى جَحْظة عن آبن حَمْدون: أن إسحاق كان يحضُر مجالس الخلفاء اذا جلسوا للشُّرْب فى جملة المغنّين وعُوده معه الى أيام الواثق، فإنه كان إذا قَدِم عليه يحضُر مع الجلساء بغير عُود، ويُدْنيه الواثق ولا يُغَنِّى حتى يقول له: غَنِّ، فإذا قال له غَنِّ جاءوه بعُودٍ فغنّى به، وإذا فَرَغ رُفِع العود من بين يديه إكراماً من الواثق له.

برز إسحاق عليه فى لحن اشتركا فيه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن وَسْوَاسة بنِ الموصلىّ عن حَمّاد بن إسحاق قال: ٥

كتب حَمْدون بن إسماعيل إلى أبى: إن أمير المؤمنين الواثق يأمرك أن تصنع لحنا فى هذا الشعر:

* لقد بَخِلَتْ حتى لَوَ آنّى سألتُها *

وقد كان الواثق غنّى فيه غناءً أعجبه؛ فغنّى فيه أبى. فلما سمعه الواثق قال: أفسد علينا إسحاق ما كنّا أُعْجِبنا به من غنائنا. قال حَمّاد: ثم لم أعلم أن أبى صنع بعده غناءً حتى مات. ١٠

ومن مشهور أغانى الواثق:

صـــوت

سقَى العَلَمَ الفردَ الذى فى ظِلَالِه * غزالان مكحولانِ مؤتلفان
أرَغْتُهما خَتْلاً فلم أستطعهما * ورَمْياً ففاتانى وقد رَمَيانى(١) ١٥

ولحنُه فيه من الثقيل الأوّل. ولإسحاق فيه رَمَلٌ.

قصة لأعرابى عاشق مع إسحاق ابن سليمان بن على

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال أخبرنى محمد بن منصور بن عُلَيّة القُرَشىّ قال أخبرنى جعفر بن عُبَيد الله بن جعفر الهاشمىّ عن إسحاق بن سليمان بن علىّ قال:

(١) ويروى: «وقد قتلانى» (انظر الصفحة الآتية). ٢٠

لقيتُ أعرابياً بالسُّمَيَّة(١) فصيحا، فآستخففتُه وتأمّلته فاذا هو مُصْفَرٌّ شاحب ناحل الجسم، فآستنشدته فأنشدنى الشيءَ بعد الشيء على آستكراهٍ منّى له. فقلت له: ما بالُك؟ فوالله إنك لفصيح! فقال: أمَا ترى الجبلين؟ قلت بلَى. قال: فى ظِلالهما والله ما يمنعنى من إنشادك ويَشْغَلُنى ويُذْهلنى عن الناس. قلت: وما ذاك؟ قال: بنتُ عمٍّ لى قد تيّمتْنى وذهبتْ بعقلى، والله إنه لتأتى علىّ ساعاتٌ ما أدرى أفى السماء أنا أم فى الأرض، ولا أزال ثابتَ العقل ما لم يُخامِرْ ذكرُها قلبى، فاذا خامره بَطَلتْ حواسّى وعزَب عنّى لُبّى. قلت: فما يمنعك منها؟ أقلّةُ ما فى يدك؟ قال: والله ما يمنعنى منها غيرُ ذلك. قلت: وكم مهرُها؟ قال: مائةُ ناقة. قلت: فأنا أدفعها إليك إذًا لتدفعها اليهم. قال: والله لئن فعلتَ ذلك إنك لأعظم الناس علىّ منّةً. فوعدتُه بذلك وآستنشدتُه ما قال فيها، فأنشدنى أشياءَ كثيرةً منها قوله:

سقى العَلَمَ الفردَ الذى فى ظلاله * غزالانِ مكحولانِ مؤتلفانِ

البيتان. فقلت له: يا أعرابىّ، والله لقد قتلتَنى بقولك «ففاتانى وقد قتلانى» وأنا برىءٌ من العبّاس ان لم أقُمْ بأمرك. ثم دعوتُ بمركوب فركبتُه وحملتُ معى الأعرابىَّ، فصِرْنا الى أبى الجارية فى جماعة من أهلى وموالىّ حتى زوّجتُه إيّاها وضمِنتُ عنه الصَّداقَ وآشتريت له مائة ناقة فسُقْتُها عنه، وأقمتُ عندهم ثلاثاً ونحَرتُ لهم ثلاثين جَزُورا، ووهبت للأعرابىّ عشرةَ آلاف درهم وللجارية مثلَها، وقلت: آستعينا بهذا على آتّصالكما وآنصرفتُ. فكان الأعرابىّ يطرُقنا فى كلّ سنة وآمرأته معه فأهَبُ له وأَصِلُه وينصرف.

(١) السمية: جبل، كما فى معجم البلدان لياقوت.

غناؤه فى شعر حسان

ومن أغانيه — أخبرنى به ذُكَاء وجه الرُّزَة عن أحمد بن أبى العَلَاء عن مُخَارِق وأنه أخذه عنه — :

صـــوت

إنّ التى عاطيتَها فرددتُها * قُتِلتْ قُتِلْتَ فهاتِها لم تُقْتَلِ

كلتاهما حَلَبُ العَصير فعاطِنى * بزجاجةٍ أرخاهما للمَفْصِلِ ٥

يروى : "كلتاهما جَلَبُ العصير" و "حَلَبُ العصير" ، ويروى : "للمَفْصِل" و "للمِفْصَل" . والمَفْصِل : الواحد من المفاصل ، والمِفْصَل هو اللسان . ذكر ذلك علىّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن الحسن الأحول عن ابن الأعرابى .

الشعر لحسّان بن ثابت . والغناء للواثق خفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر . وفيه لإبراهيمَ الموصلىّ رَمَلٌ مطلَقٌ فى مجرى الوسطى . وهذه الأبيات من قصيدة حسّان ١٠ المشهورة التى يمدح بها بنى جَفْنة ، وأولها :

* أسألتَ رسمَ الدار أم لم تسألِ *

وهى من فاخر المَديح ، منها قوله :

أولادُ جَفْنةَ عند قبر أبيهمُ * قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المُفْضِلِ

يَسْقُون مَنْ وردَ البَرِيصَ(١) عليهمُ * بَرَدَى يُصفَّق بالرَّحيق السَّلْسَلِ ١٥

بِيضُ الوجوهِ كريمةٌ أنسابُهم * شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأوّلِ

يُغْشَوْن حتى ما تَهِرُّ كلابُهم * لا يَسألون عن السَّواد المُقْبِلِ

تفسير القاضى عبيد الله بن الحسن لهذا الشعر

نسخت من كتاب الشّاهينىّ : حدّثنى ابن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنى أحمد بن عبد الملك بن أبى السَّمَّال السَّعْدىّ قال حدّثنى أبو ظَبْيانَ الحِمّانىّ قال :

(١) البريص : اسم غوطة دمشق . و بردى : نهر دمشق . ٢٠

اجتمعتْ جماعةٌ من الحيّ على شراب لهم، فتغنّى رجل منهم بشعر حسّان :

إنّ التى عاطيتَنى فرددتُهـا * قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتِها لم تُقتَلِ

كلتاهما حَلَبُ العَصيرِفعاطِنى * بزجاجةٍ أرخاهما للمَفْصِـلِ

فقال رجل من القوم : ما معنى قوله « إن التى عاطيتَنى » بجعلها واحدة، ثم قال : « كلتاهما حلب العصير » بجعلهما ثنتين ؟ فلم يعلم أحد منّا الجـواب . فقال رجل من القـوم : امرأتُه طالقٌ ثلاثًا إن بات أو يسألَ القاضيَ عُبَيـدَ الله بن الحسن عن تفسير هذا الشعر . قال أبو ظَبْيانَ : فحدّثنى بعض أصحابنـا السعديّين قال : فأتيناه نتخطّى اليه الأحيـاءَ حتى أتيناه وهو فى مسجده يصـلّى بين العِشاءين . فلمـا سمع حِسَّنا أَوْجز فى صلاته، ثم أقبـل علينا وقال : ما حاجتُكم ؟ فبدأ رجل منّا كان أحسنَنا بَقيّةً[1] فقال : نحن، أعزّ الله القاضيَ، قومٌ نَزَعْنا اليك من طَرَف البَصْرة فى حاجةٍ مهمّة فيهـا بعضُ الشيء . فإن أذِنتَ لنـا قلنا . قال : قولوا . فذكر يمينَ الرجل والشـعرَ . فقال : أمّا قولُه « إن التى ناولتَنى[2] » هى الخمـرة . وقوله : «قُتِلتْ» يعنى مُزِجتْ بالمـاء، وقوله : «كلتاهما حَلَب العصير» يعنى به الخمرَ ومِزاجَها، فالخمر عصير العنب، والمـاء عصير السَّحاب؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ انصرفوا اذا شئتم .

غناؤه لحنا على مثال لحن لمخارق

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى أحمد بن يزيد المُهَلَّبىّ عن أبيه قال : غَنّى مُخارقٌ يوماً بحضرة الواثق :

حتى إذا الليلُ خَبا ضوءُه * وغابتِ الجَوْزاءُ والمِـرْزَم[3]

(١) أى أحسننا رأيا وفضلا . وإنما سمى ذلك بقية، لأن الرجل يستبقى مما يخرجه أجوده وأفضله .

(٢) الرواية المتقدمة فى البيت : « ... عاطيتنى » . (٣) الجوزاء : برج فى السماء، سميت بذلك لأنها معترضة فى جوز السماء أى وسطها . والمرزمان : نجمان مع الشعريين .

خرجتُ والوطءُ خَفِيٌّ كما * ينسابُ من مَكْمَنه الأرقمُ

فاستملح الواثقُ الشعر واللحن، فصنع فى نحوه :

قالت إذا الليلُ دَجَا فأْتنا * فجئتُها حين دجا الليلُ

خَفِىَّ وطءِ الرِّجلِ من حارسٍ * ولو درَى حلَّ بىَ الويل

ولحنه فيه من الرَّمَل . وصنع فيه الناس ألحاناً بعده : منها لعَرِيبَ خفيفُ رَمَلٍ ، ٥
ومنها ثقيلٌ أوّل لا أعلم لمن هو؛ وسمعت ذُكَاءَ ومحمد بن إبراهيم قُرَيضاً يغنّيانه وذكرا
أنهما أخذاه عن أحمد بن أبى العَلاء، ولا أدرى لمن هو .

تحدث إسحاق إليه بقصة أعرابىّ عاشق وغنى فى شعره فوصله ووصل الأعرابىّ

حدّثنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثنى
أبى قال :

سرتُ إلى سُرَّمَنْ رأى بعد قدومى من الحجّ ، فدخلتُ إلى الواثق فقال : ١٠
بأى شىء أطرفتنى من أحاديث الأعراب وأشعارهم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين
جلس إلىَّ فتًى من الأعراب فى بعض المنازل، فحادثنى فرأيتُ منه أحلى ما رأيت
من الفِتيان منظرًا وحديثًا وأدباً . فآستنشدته فأنشدنى :

سقَى العَلَمَ الفَرْدَ الذى فى ظِلاله * غزالان مكحولان مؤتلفان

إذا أَمِنَا التفّا بجِيدَىْ تَواصُلٍ * وطَرْفاهما للرَّيْب مُسترِقان(١) ١٥

أرغتُهما خَتْلًا فلم أستطعهما * ورميًا ففاتانى وقد قتلانى

ثم تنفّس تنفُّسًا ظننت أنه قد قطع حَيَازِيمَه . فقلت : مالك بأبى أنت ؟ فقال :
إن لى وراء هذين الجبلين شَجَناً ، وقد حِيل بينى وبين المرور به ونذَروا دمى ،
وأنا أتمتّع بالنظر الى الجبلين تعلُّلا بهما إذا قدم الحاجُّ ، ثم يُحال بينى وبين ذلك .
فقلت له : زِدْنى مما قلتَ فى ذلك . فأنشدنى : ٢٠

(١) الاستراق : اختلاس النظر والسمع ، ومثله التسرق والمسارقة .

إذا ما وردتَ المـاءَ فى بعض أهله * حَضُـورُ فعرِّض بى كأنّك مازحُ
فإنْ سألتْ عنّى حَضُورُ فقُلْ لهـا * به غُبَّرٌ[1] من دائه وهو صـالحُ

فأمرنى الواثق فكتبتُ له الشعرين . فلمّا كان بعدَ أيّام دعانى فقال : قـد صنع بعض عجائز دارنا فى أحد الشعرين لحنًا فآسمَعْه ، فإن آرتضيتَه أظهرناه وإن رأيتَ فيه موضع إصلاح أصلحتَه . فغُنِّى لنا من وراء الستار ، فكان فى نهـاية الجودة ، وكذلك كان يفعل إذا صنع شيئا . فقلت له : أحسن والله صانعُـه يا أميرالمؤمنين ما شاء ! . فقال : بحياتى ؟ فقلت : وحياتِك، وحلفتُ له بمـا وثِق به، وأمر لى برِطْلٍ فشربتُه، ثم أخذ العود فغنّاه ثلاثَ مرات، وسقانى ثلاثة أرطال وأمر لى بثلاثين ألف درهم . فلمـا كان بعـدَ أيّام دعانى فقال : قد صُنِـع أيضا عنـدنا فى الشـعر الآخر، وأمر فغُنِّىَ به ؛ فكانت حالى فيـه مثلَ الحـال فى الأوّل . فلمـا آستحسنته وحلفت له على جـودته ثلاث مرات ، سـقانى ثلاثة أرطال وأمر لى بثلاثين ألف درهم . ثم قال لى : هل قضيتُ حقَّ هـديّتك ؟ فقلت : نعم يا أمـير المؤمنين ؛ فأطال الله بقاءك، وتمّم نعمتك، ولا أفقدنيها منك وبك . ثم قال : لكنك لم تَقْضِ حقَّ جليسك الأعرابىّ ولاسألتَنى مَعُونتَـه على أمره، وقد سبقتُ مسألتَك وكتبت بخبره الى صاحب الحجاز وأمرتُه بإحضاره، وخُطبت المرأةُ له وحُمِـل صداقُها الى قومها عنـه من مالى . فقبّلتُ يده وقلت : السَّـبْقُ إلى المكارم لك، وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس .

---

(١) غبر الشىء : بقيته .

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأغانى :

منها الصوتان اللذان فى الأخبار المتقدّمة .

صـــوت

حتى إذا الليـلُ خَبَا ضوءُه * وغابتِ الجَـوْزاءُ والمِـرْزَمُ

أقبلتُ والوطءُ خَـفِىٌّ كما * ينساب من مَكْمَنه الأرقمُ

ذكر يحيى المكىّ أنّ اللحن لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسبّـابة فى مجرى البِنصر ، وذكر الهشامىّ أنه منحولٌ .

طرب شيخ لسماع مغنية فرمى بنفسه فى الفرات

فأخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّـار وإسماعيلُ بن يونس وغيرُهما قالوا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم عن ٱبن كُنَاسة قال :

اِصطحب شيخٌ مع شَباب فى سفينةٍ فى الفُرَات ومعهم مغنّية . فلمّـا صاروا فى بعض الطريق قالوا للشيخ : معنا جاريةٌ لبعضنا وهى مغنّية ، فأحببنا أن نسمع غناءها فهِبْناكَ ، فإن أذنتَ لنا فعلْنا . قال : أنا أصعَد الى طَلَل[1] السفينة ، فٱصنَعوا أنتم ما شئتم . فصعِد ، وأخذت الجاريةُ عودَها فغنّت :

حتى إذا الصبحُ بدا ضوءُه * وغابت الجَـوْزاءُ والمِـرْزَمُ

أقبلتُ والوطءُ خَـفِىٌّ كما * ينساب من مَكْمَنه الأرقمُ

فطرِب الشـيخ وصاح ثم رمَى بنفسه بثيابه فى الفُرَات ، وجعل يغُوص فى الفرات ويطفو ويقول : أنا الأرقمُ ! أنا الأرقم ! فألقَـوْا أنفسهم خلفَه ، فبعـد لأْيٍ ما ٱستخرجوه ، وقالوا له : يا شيخ ، ما حملك على ما صنعتَ ؟ فقال : إليكم عنّى ! فإنّى والله أعرف من معانى الشـعر ما لا تعرفون . وقال إسمـاعيل فى خبره :

(١) فى الأصول : «ظلال السفينة» بالظاء المعجمة . والتصويب عن كتب اللغة . وطلل السفينة : جلالها ، وهو غطاء تغشى به كالسقف للبيت .

فقلت له : ما أصابك ؟ فقال : دَبّ شيء من قدمى الى رأسى كدَبيب النمل ونزل فى رأسى مثلُه ، فلمّـا وردا على قلبى لم أعقِل ما عملت .

وأمّا ما فى الخبر من الصَّنْعة فى : « قالت إذا الليل دَجَا » فإنّ لحن الواثق هو المشهور، وما وجدتُ فى كتب الأغانى غيرَه ، بل سمعت محمد بن إبراهيم المعـروف بقُرَيض وذُكَاءَ وجهَ الرُّزّة يغنّيان فيـه لحناً من الثقيل الأوّل المذموم؛ فسألتهما عن ٥ صانعه فلم يعرفاه ، وذكرا جميعا أنهما أخذاه عن أحمد بن أبى العَلاء .

١٧٣
٨

علمه بالغناء وعدد أصـواته وذكر المشهور منها

وأخبرنى الصولى عن أحمد بن محمد بن إسحاق عن حمّاد بن إسحاق قال :

كان الواثق أعـلمَ الخلفاءِ بالغنـاء ، وبلغتْ صنعتُه مائةَ صوتٍ ، وكان أحذَقَ مَنْ غنّى بضرب العود . قال : ثم ذكرها فعدّ منها :

١٠ يفرَح النـاسُ بالسّماع وأبكى * أنا حُـزْنًا إذا سمعتُ السَّماعا
ولهـا فى الفؤاد صَـدْعٌ مُقيمٌ * مثلَ صَدْعِ الزُّجاجِ أَعْيا الصُّنّاعا

الشـعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء للواثق خفيفُ ثقيلٍ . وفيـه لأبى دُلَف خفيفُ رَمَلٍ .

ومنهـا :

١٥ ألا أيُّها النفسُ التى كادها الهوى * أفَأنتِ إذا رمتُ السُّـلُوَّ غَرِيمى
أَفِيقِى فقد أفنيتِ صبرى أو اصبِرى * لِمـا قـد لقيتيـه علىَّ ودُومِى

الشعر والغناء للواثق خفيفُ رَمَلٍ .

ومنهـا :

سَقَى العَـلَمَ الفردَ الذى فى ظـلاله * غزالانِ مكحولان مؤتلفان
٢٠ أرغتُهـما خَتْلًا فـلم أستطعْهما * ورميًـا ففاتانى وقـد قتـلانى

الغناء للواثق ثقيلٌ أوّل . وفيه لإسحاق رَمَلٌ وهو من غريب صنعته ، يقال إنه صنعه بالرَّقّة .

ومنها :

كلّ يوم قَطيعةٌ وعِتابُ * ينقضى دهرُنا ونحن غِضابُ

ليت شعرى أنا خُصِصْتُ بهذا * دون ذا الخلق أم كذا الأحبابُ ٥

فآصبِر النفسَ لا تكونَنْ جَزُوعًا * إنما الحبّ حَسْرةٌ وعذاب

فيه للواثق رَمَلٌ، ولزُرْزُور ثقيلٌ أوّل، ولعَريبَ هَزَجٌ .

ومنها :

ولم أر لَيْلَى بعد موقف ساعة * بخَيْف مِنًى ترمى جِمارَ المحصَّبِ

ويُبْدِى الحَصى منها إذا قذفتْ به * من البُرْد أطرافَ البَنان المُخَضَّب ١٠

فأصبحتُ من ليلَى الغَدَاةَ كناظرٍ * مع الصبح فى أعْقاب نجم مغرِّب

ألَا إنما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ * صَدًى أينما تذهبْ به الريحُ يَذْهب

الصنعة فى هذا الشعر ثقيلٌ أوّل وهو لحن الواثق فيما أرى . ونسبه حَبَش ، وهو قليل التحصيل، الى آبن مُحْرِز فى موضع ، والى سُلَيم فى موضع آخر ، و إلى مَعْبد فى موضع ثالث . ١٥

ومنها :

أمستْ وُشَاتُك قد دَبّتْ عقاربُها[1] * وقد رَمَوْكِ بعين الغِشّ وآبتَدروا

تُرِيك أعيُنهم ما فى صدورهمُ * إنّ الصدور يؤدّى غيبَها النظر

الشعر للمجنون . والغناء للواثق ثانى ثقيلٍ . وفيه لمتيَّم ثقيلٌ أوّلُ . وقد نُسب لحنُ كل واحد منهما الى الآخر . ٢٠

---

(١) لو كان : « عقاربهم » لا تحدت الضمائر .

ومنها :

عجبتُ لسَعْى الدهرِ بينى و بينها * فلمّا آنقضى ما بيننا سكَن الدهرُ
فياهجرَ لَيْلَى قد بلغتَ بِىَ المَدَى * وزدتَ على ما لم يكن بلَغ الهجر

الغناء للواثق رَمَلٌ . وفيه لَمعْبِدٍ ثانى ثقيلٍ بالوسطى، ولآبن سُرَيج ثقيلٌ أوّل بالبِنصر ، ولعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ آخر .

١٧٣/٨ ٥

ومنها :

كأنّ شخصى وشخصه حَكَيا * نظامَ نِسْرِينَتَيْن فى غُصُنِ
فليت لَيْلِى وليلَه أبدًا * دام ودُمْنا به فلم نَبِن

الشعر أظنّه لعلىّ بن هِشام أو لُمرَادَ[(١)] . ولحن الواثق فيه ثقيلٌ أوّلُ . وفيه لَعرِيبَ ١٠ ثقيلٌ أوّلُ آخر . وفيه لأبى عيسى بنِ الرشيد ولمتيَّم لحنانِ لم يقع إلىّ جنسُهما .

ومنها :

أهابُك إجلالًا وما بِك قدرةٌ * علىّ ولكن ملءُ عينٍ حَبيبُها
وما فارقتْك النفسُ يا ليلُ أنها * قَلَتْك ولكن قَلّ منك نصيبُها

لحن الواثق فيه ثقيلٌ أوّلُ مطلَق فى مجرى الوسطى . وفيه لغيره لحن .

١٥ ومنها[(٢)] :

فى فمى ماءٌ وهل يَنْ * طِق مَنْ فى فيه ماءُ!
أنا مملوكٌ لمملو * كٍ عليه الرُّقَباءُ
كنت حُرًّا هاشميًّا * فآسترقّتْنى الإماءُ
وسبانى مَنْ له كا * ن على الكُرْه السِّباءُ

(١) مراد : شاعرة على بن هشام وهى التى رثته لما قتله المأمون . (راجع ص ٣٠٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة) .
(٢) فى الأصول : « ومنه » .

٢٠

أَحْمَــدُ اللهَ على ما * ساقه نحوِى القضاءُ
ما بعينىَّ دمــوعٌ * أنفد الدمــعَ البكاء

الغناء للواثق رَمَلٌ .

ومنها[1] :

أىُّ عَوْنٍ على الهموم ثلاثُ * مُتْرَعاتٌ[2] من بعــدهنّ ثلاثُ
بعــدها أربعٌ تَمّــةُ عَشْرٍ * لابِطاءٌ لكنهنّ حِثَـاثُ

فيه رَمَلٌ يُنسب إلى الواثق وإلى متيّم .

ومنها[1] :

أيا عَبْرة العينين قــد ظَمِئ الخدُّ * فما لكما من أن تُلِمّــا به بُدُّ
ويا مُقْلةً قد صار يُبْغضها الكَرَى * كأن لم يكن من قبــلُ بينهما وُدّ
لئن كان طولُ العهد أحدث سَلْوةً * فموعدُ بين العينِ والعَــبْرة الوَجْدُ[3]
وما أنا إلّا كالذيــن تُخُرِّمــوا * على أنّ قلبى من قلوبهـــمُ فَرْدُ

الشعر والغناء للواثق رَمَلٌ . وفيــه لأبى حَشيشةَ هَزَجٌ ، ذكر ذلك الهشامىّ الملقّب بالمِسْك ، وأخبرنى جَحْظة أنه للســدود . وأخبرنى جَحْظة أن من صنعة أبى حشيشة فى شعر الواثق خفيفَ رَمَلٍ وهو :

سألتُــه حُوَيْجــةً فأعرضــا * وعَـــلِق القلبُ به ومَرِضَــا
فٱستَلّ منّى سيفَ عزمٍ مُنْتَضَى * فكان ما كان وكابَرْنا القَضَــا

قال : وفى هذا الشعر أيضا بعينه للواثق رَمَلٌ ، ولقَلَمَ الصالحيّة فيه هَزَجٌ . وقد غلِط جَحْظةُ فى هذا الشعر، وهو لسعيد بن حُمَيْد مشهور ، وله فيــه خبر قد ذكرناه فى موضعــه[4] .

---

(١) فى الأصول : « ومنه » . (٢) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « متبعات » .
(٣) الوجد : اللقــاء . (٤) راجع الجزء السابع عشر من الأغانى ص ٢ — ٩ طبع بلاق .

غاضبه خادم له فقال فيه شعرا غنى فيه

١٧٤ / ٨

أخبرنى عمّى عن علىّ بن محمد بن نصر عن جدّه[(1)] ابن حمدون عن أبيه حمدون ابن إسماعيل قال :

كان الواثق يحبّ خادمًا له كان أهدِىَ إليه من مصر، فغاضبه يوما وهجره، فسمع الخادمَ يحدّث صاحبًا له بحديث أغضبه عليه، الى أن قال له : والله إنه ليَجْهَد منذُ أمس على أن أصالحه فما أفعل . فقال الواثق فى ذلك :

ياذا الذى بعذابى ظلّ مفتخرًا * هل أنت إلّا مليكٌ جار إذ قَدَرَا

لولا الهوى لتجازَيْنا على قَدَرٍ * وإن أُفِقْ مرّةً منه فسوف ترَى

قال : وغنّى الواثق وعَلّويه فيه لحنَيْن، ذكر الهِشامىّ أن لحن الواثق خفيفُ ثقيلٍ، وفى أغانى عَلّويه : لحنُه فى هذا الشعر خفيفُ رَمَلٍ .

غنى فى شعر لعلى ابن الجهم

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى ابن أبى العَيْناء عن أبيه عن إبراهيم بن الحسن ابن سَهْل قال :

كنّا وقوفا على رأس الواثق فى أوّل مجالسه التى جلسها لمّا وَلِىَ الخلافة، فقال : مَنْ يُنشدنا شعرًا قصيرا مليحا؟ فحرَصْتُ على أن أعمل شيئا فلم يجئنى، فأنشدته لعلىّ ابن الجَهْم :

لو تنصّلتَ إلينا * لَوَهَبْنا لكَ ذَنْبَكْ

ليتنى أملِك قلبى * مثلما تملِك قلبَكْ

أيّها الواثق باللّـ * ـه لقد ناصحتَ رَبَّكْ

سيّدى ما أبغض العيـ * ـشَ إذا فارقتُ قُرْبَكْ

أصبحتْ حُجّتُك العُلْيـ * ـا وحِزْبُ الله حِزْبَكْ

(1) كذا فى الأصول . والمعروف أن ابن حمدون خال على بن محمد بن نصر لا جدّه . (راجع الاستدراك الأول فى الجزء الخامس ص ٥٣٧ من هذه الطبعة) .

فآستحسنها وقال : لمن هذه؟ فقلت : لعبدك علىّ بن الجَهْم . فقال : خذ ألف دينار لك وله؛ وصنع فيها لحنا كنّا نغنّى به بعد ذلك .

يوم له مع المغنين بسر من رأى

أخبرنى محمد بن يحيى بن أبى عَبّاد قال حدّثنى أبى قال :

لمّا خرج المعتصم إلى عَمُّورِيّةَ آستخلف الواثقَ بسُرَّ مَنْ رأى، فكانت أموره كلُّها كأمور أبيه . فوجّه إلى الجُلَساء والمغنّين أن يُبَكِّروا إليه يوما حُدِّد لهم، ووَجَّه إلى إسحاق، فحضر الجميعُ . فقال لهم الواثق : إنى عزمتُ على الصَّبُوح، ولست أجلس على سرير حتى أختلطَ بكم ونكونَ كالشىء الواحد، فآجلسوا معى حَلْقةً، وليكن كلُّ جليس إلى جانبه مغنٍّ، فجلسوا كذلك . فقال الواثق : أنا أبدأ؛ فأخذ عوداً فغنّى وشربوا وغنّى مَنْ بعده، حتى آنتُهِىَ إلى إسحاق فأُعطِىَ العودَ فلم يأخذه . فقال : دَعُوه . ثم غنَّوْا دَوْرًا آخر . فلما بلغ الغناءُ إلى إسحاق لم يُغَنِّ، وفعل هذا ثلاثَ مرّات . فوثب الواثق فجلس على سريره وأمر بالناس فأُدخلوا، فما قال لأحد منهم : آجلِسْ . ثم قال : علىَّ بإسحاق! . فلما رآه قال : يا خُوزِىُّ يا كلب! أَتَنَزَّلُ لك وأُغَنِّى وترتفع عنِّى! أتُرَى لو أنّى قتلتُك كان المعتصم يُقِيدُنى بك! اِبْطَحوه! فبُطِح فضُرِب ثلاثين مِقْرعةً ضربا خفيفا، وحلف ألّا يُغَنِّىَ سائرَ يومه سواه . فآعتذر وتكلّمت الجماعة فيه، فأخذ العودَ وما زال يغنّى حتى آنقضى ذلك اليومُ، وعاد الواثق إلى مجلسه .

شعره فى خادم يهواه

وجدتُ فى بعض الكتب عن آبن المعتزّ قال : كان الواثق يهوَى خادمًا له فقال فيه :

سأمنع قلبى من مودّةِ غادر * تعبّدنى خُبْثًا بمكرِ مُكاشِر
خطبتُ إليه الوصلَ خِطْبةَ راغبٍ * فَلاحَظَنِى زَهْوًا بطَرْفِ مُهاجِر

قال أبو العبّاس عبد الله بن المعتزّ : وللواثق فى هذا الشعر لحن من الثقيل الأوّل .

١٧٥/٨

ألقى على غلمانه صوتا فأخذوه عنه

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى الحسين بن يحيى أبو الجمار قال حدّثنى عبدُ أمّ غلام الواثق قال :

دعا بنا الواثق مع صلاة الغَداة وهو يَسْتاك فقال : خذوا هذا الصوتَ، ونحن عشرون غلاما كلُّنا يُغَنِّى و يضرب، ثم ألقى علينا :

٥ أشكو الى الله ما ألقَى من الكَمَـدِ * حَسْبِى بربِّى فـلا أشكو إلى أحدِ

فما زال يردّده حتى أخذناه عنه .

نســبة هـــذا الصــوت :

أشكو إلى الله ما أَلْقَى من الكَمَـدِ * حَسْبِى بربِّى فلا أشـكو إلى أحد
أين الزمانُ الذى قد كنت ناعمـةً * مُهَـلَّةً بدُنُوِّى منك يا سَـنَدى
١٠ وأسألُ الله يوماً منـــك يُفْرِحُنى * فقد كَحَلْتِ جُفونَ العـين بالسَّهَد
شوقًا اليـك وما تَدْرِين ما لقيتْ * نفسى عليك وما بالقلب من كَمَـد

الغناء للواثق ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . وفيه لعَريبَ أيضا ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

كان إسحاق يصحح له غناءه

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى محمـد بن أحمد المَكِّىّ قال حدّثنى أبى قال :

١٥ كان الواثق يَعْرِض صنعتَه على إسحاق، فيُصلِح الشىءَ بعد الشىء ممّـا يَخْفَى على الواثق؛ فإذا صحَّحه أخرجه إلينا وسمعناه .

أمر مخارقا وعلويه وعريب أن يعارضوا لحنا له

حدّثنا جَحْظة قال حدّثنى حَمّاد بن إسحاق قال حدّثنى مُخَارِق قال :

لمّـا صنع الواثق لحنَه فى :

حَـوْراءُ مَمْكُورةٌ(١) منعَّمةٌ * كأنما شَفَّ وجهَها نُزُفُ

٢٠ (١) الممكورة : المدمجة الخلق من النساء، وقيل : المستديرة الساقين . وقوله : « كأنما شف وجهها نزف » يريد أنها رقيقة المحاسن وكأن دمها ودم وجهها نزف . والمرأة أحسن ما تكون غب نفاسها لأنه يكون قد ذهب تهيج الدم فتصير رقيقة المحاسن .

وصنع لحنه فى "سأذكر سِرْبًا طال ما كنت فيهم" أمرنى وعَلّويه وعَريبَ أن نُعارض صنعتَه فيهما؛ ففعلنا واجتهدنا ثم غنَّيناه. فضحك فقال: أَمِنّا معكم أن نجد من يبغِّض الينا صنعتَنا كما بغَّض إسحاقُ إلينا "أيا مُنْشِرَ المَوْتى". قال حَمّاد: هذا آخر لحنٍ صنعه أبى، يعنى الذى عارض به لحنَ الواثق فى "أيا مُنْشِرَ المَوْتى".

غناه إسحاق صوتا فتطير به

أخبرنى جَحْظة قال حدّثنى حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخلتُ يومًا إلى الواثق وهو مُصْطَبِحٌ، فقال لى: غَنِّنى يا إسحاق بحياتى عليك صوتا غريبًا لم أسمعه منك حتى أُسَرَّ به بقيَّة يومى. فكأن الله أنسانى الغناء كلَّه إلا هذا الصوت:

يادارُ إن كان البِلَى قد مَحاكْ * فإنه يُعْجبنى أن أراكْ

أَبْكى الذى قد كان لى مَأْلَفًا * فيكِ فآتى الدارَ من أجل ذاكْ

— والغناء فى هذا اللحن للأَبْجَر رَمَلٌ بالوسطى عن ابن المَكِّىّ وهو الصواب، وذكر عمرو بن بانة أنه لسُلَيْم — قال فتبيَّنْتُ الكراهيَةَ فى وجهه، ونَدِمتُ على ما فرَط منِّى. وتجلَّد فشرب رِطلاً كان فى يده، وعدَلْتُ عن الصوت إلى غيره. فكان والله ذلك اليومُ آخرَ جلوسى معه.

غناء المنتصر

ومِمّن حُكى عنه أنه صنَع فى شعره وشعر غيره المنتصرُ

فإنّى ذكرتُ ما رُوى عنه أنه غنَّى فيه على سوء العُهْدة فى ذلك وضَعْف الصنعة، لئلا يَشِذَّ عن الكتاب شىءٌ قد رُوى وقد تداوله الناس. فمما ذُكر عنه أنه غَنَّى فيه:

١٧٦
٨

صوت

سُقِيتُ كأسًا كشَفَتْ * عن ناظرىَّ الخُمُرَا

فنشَّطَتْنِى ولقد * كنتُ حزينًا خاثِرا

الشعر للمنتصر، وهو شعرٌ ضعيفٌ رَكيك إلا أنه يُغَنَّى فيه.

كان متخلفا في قول الشعر ومتقدما في غيره وكان يغني قبل الخلافة

وحدّثني الصُّولِيّ عن أحمد بن يزيد المهلّبيّ عن أبيه قال :

كان طبع المنتصر متخلّفا في قول الشعر وكان متقدّما في كل شيء غيره ؛ فكان إذا قال شعرا صنع فيه وأمر المغنّين بإظهاره ، وكان حسنَ العلم بالغناء . فلمّا ولي الخلافةَ قطع ذلك وأمر بستر ما تقدّم منه . من ذلك صَنْعتُه في شعره وهو من الثقيل الأوّل المذموم :

سُقِيتُ كأسًا كشَفَتْ * عن ناظريَّ الخُمُرَا

قال : ومن شعره الذي غنّى فيه ولحنُه ثاني ثقيل :

صــــوت

متى تَرْفَعُ الأيّامُ مَنْ قد وضعْنَه * وينقادُ لي دهرٌ عليّ جَمُوحُ
أُعَلِّــلُ نفسي بالرجاء وإنني * لأغدو على ما ساءني وأروحُ

قال : وكان أبي يَستجيد هذين البيتين ويستحسنهما . ونذكر هاهنا شيئا من أخبار المنتصر في هذا المعنى دون غيره أُسْوةَ ما فعلنا في نُظَرائه .

أراد الشرب علانية بفناء الناس ليروه فقال شعرا فتفرقوا

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن يحيى بن أبي عبّاد قال حدّثني أبي قال :

أراد المنتصر أن يشرب في الزِّقاق ، فوافَى الناسُ من كل وجه ليَرَوْه ويخدُموه ؛ فوقف على شاطئ دِجْلة وأقبل على الناس فقال :

لَعَمْرِي لقد أَصْحرتْ خيلُنا * بأكناف دِجْلةَ للمَلْعَبِ

— والشعر «بأكناف دجلة للُصعَب» ولكنّه غيّره لأنه تطيّر من ذكر المُصْعَب —

فمَنْ يَكُ منّا يَبِتْ آمناً * ومَنْ يَكُ من غيرنا يهرُبِ

قال : فعُلِم أنه يريد الخَلْوةَ بالنُّدَماء والمغنّين ، فانصرفوا ، فلم يبق معه إلا من يَصلُح للأنس والخدمة .

جفا يزيد المهلبى لاختصاصه بالمتوكل ثم عفا عنه وأكرمه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى أحمد بن يزيد المهلّبىّ قال : كان أبى أخصّ الناس بالمنتصر، وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكّل . فدخل المتوكّل يومًا على المنتصر على غفلة، فسمع كلامه فآستحسنه، فأخذه اليه وجعله فى جُلسائه . وكان المنتصر يريد منه أن يلازمه كما كان، فلم يقدر على ذلك لملازمته أباه؛ فعتَب عليه لتأخّره عنه على ثقةٍ بمودّة وأُنسٍ به . فلما أَفضتْ اليه الخلافة استأذن عليه؛ فحجَبه وأمر بأن يُعتقل فى الدار فحُبِس أكثر يومه . ثم أذِن له فدخل وسلّم وقبّل الأرضَ بين يديه ثم قبّل يده، فأمره بالجلوس؛ ثم آلتفت الى بَنَان بن عَمْرو وقال له : غَنِّ، وكان العود فى يده، :

غدَرْتَ ولم أغدِر وخُنْتَ ولم أَخُنْ * ورُمْتَ بَدِيلاً بى ولم أتبَدَّلِ

— قال : والشعر للمنتصر — فغنّاه بَنَانٌ . وعلم أبى أنه أراده بذلك فقام فقال : والله ما آخترتُ خدمةَ غيرك ولا صرتُ إليها إلا بعد إذنك . فقال : صدقت؛ إنما قلتُ هذا مازحا؛ أتُرانى أتجاوز بك حكمَ الله عزّ وجلّ إذ يقول : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيماً ﴾ .

١٧٧ / ٨

ثم آستأذنه فى الإنشاد فأذن له فأنشده :

أَلَا يا قَومِ قد بَرِح الخفاء * وبان الصبرُ منّى والعزاءُ

تعَجّبَ صاحبى لضياع مثلى * وليس لداء محروم دواء

جفانى سيّدٌ قد كان بَرًّا * ولم أُذنِبْ فما هذا الجفاء

حَلَلْتُ بداره وعلمتُ أنّى * بدار لا يَخِيبُ بها الرجاء

فلمّا شاب رأسى فى ذَرَاه * حُجِبتُ بعُقْب ما بَعُد اللّقاء[1]

فإن تَنْأَى[2] سُتورُ الإذن عنّا * فما نأتِ المحبّةُ والثناء

(١) كذا فى أ . وفى سائر الأصول : «ما بعد الرخاء» وهو تحريف . (٢) فى حـ : «تنى» .

وإن يكُ كادنى ظلمًا عدوٌّ * فعند البحث ينكشف الغطاء
ألم تر أن بالآفاق منّا * جماجمَ حشوُ أقبُرِها الوفاء
وقد وصف الزمانَ لنا زيادٌ[1] * وقال مقالةً فيها شفاء
ألا يا رُبَّ مغمومٍ سيَحْظَى * بدولتنا ومسرورٍ يُساء
أمنتصرَ الخلائف جُدْتَ فينا * كما جادت على الأرض السماء
وَسِعْتَ الناسَ عدلًا فاستقاموا * بأحكامٍ عليهنّ الضياء
وليس يفوتنا ما عشتَ خيرٌ * كفانا أن يطول لك البقاء

قال : فقال له المنتصر : والله إنك لمن ذوى ثقتى وموضعُ اختيارى ، ولك عندى الزُّلْفَى، فطِبْ نفسًا . قال ووصلنى بثلاثة آلاف دينار .

شعر الحسين بن الضحاك فيه

١٠ حدّثنى الصولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد الكِنْدىّ قال :

لمّا وَلِىَ المنتصرُ الخلافةَ دخل عليه الحسين بن الضحّاك فهنّاه بالخلافة وأنشده :

تجدّدتِ الدنيا بمُلْكِ محمدِ * فأهلًا وسهلًا بالزمان المجدَّدِ
هى الدولة الغرّاء راحتْ وبكّرتْ * مُشَهَّرَةً[2] بالرُّشْد فى كل مَشْهَدِ
لَعَمْرِى لقد شدّتْ عُرَا الدّينِ بَيْعةٌ * أعزّ بها الرحمنُ كلَّ موحّدِ
١٥ هَنَتْك أميرَ المؤمنين خلافةٌ * جمعتَ بها أهواءَ أُمّة أحمدِ

قال : فأظهر إكرامَه والسرورَ به، وقال له : إن فى بقائك بهاءً للملك، وقد ضَعُفْتَ عن الحركة، فكاتِبْنى بحاجاتك ولا تَحْمِلْ على نفسك بكثرة الحركة، ووصله بثلاثة آلاف دينار ليقضىَ بها دينًا بلغه أنه عليه .

---

٢٠ (١) يريد زياد ابن أبيه وهو معروف .
(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « مشمرة » .

قال: وقال الحسين بن الضحّاك فيه وقد ركب الظهورَ ورآه الناسُ، وهو آخر شعر قاله :

ألا ليتَ شعرى أبَدْرٌ بَدَا * نهارًا أم المَلِكُ المنتصرْ
إمامٌ تَضَمَّنُ أثوابُه * على سَرْجه قمرًا من بَشَرْ
حَمى اللهُ دولةَ سلطانِه * بجُنْد القضاء وجُنْد القَدَر ٥
فلا زال ما بَقِيتْ مدّةٌ * يروح بها الدهرُ أو يَبْتكِرْ

قال : وغنّى فيه بَنَانٌ وعَرِيبُ .

١٧٨ / ٨

شعر يزيد المهلبى فيه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى أحمد بن يزيد المهلّبىّ قال : أوّل قصيدة أنشدها أبى فى المنتصر بعد أن وَلِىَ الخلافةَ :

لِيَهْنِكَ مُلْكٌ بالسعادة طائرُهْ * مَوَارِدُه محمودةٌ ومَصَادِرُهْ ١٠
فأنت الذى كنّا نُرَجّى فلم نَخِبْ * كما يُرْتجى من واقع الغيث باكره
بمنتصرٍ بالله تَمّتْ أمورُنا * ومَنْ ينتصرْ بالله فاللهُ ناصره

فأمر المنتصرُ عَرِيبَ أن تغنّىَ نشيدًا فى أوّل الأبيات وتجعلَ البَسيط فى البيت الأخير، فعملتْه وغنّتْه به .

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى أحمد بن يزيد قال: صلّى المنتصرُ بالناس فى الأضحَى ١٥ سنة سبع وأربعين ومائتين، فأنشده أبى لمّا آنصرف :

ما آستشرف الناسُ عيدًا مثلَ عيدهمُ * مع الإمامِ الذى بالله ينتصرُ
غَدَا بجمعٍ كجُنْح الليل يقدُمه * وجهٌ أغرُّ كما يجلو الدُّجَى القمرُ
يؤُمُّهم صادعٌ بالحق أحكمَه * حزمٌ وعلمٌ بما يأتى وما يَذَرُ
لو خُيِّر الناسُ فآختاروا لأنفسهم * أحظَّ منك لما نالوه ما قدَروا ٢٠

قال : فأمر له بألف دينار، وتقدّم الى آبن المكّىّ أن يُغَنِّىَ فى الأبيات .

غناه بنان بن عمرو بشعر مروان وأمره ألا يغنى فى شعر آل أبى حفصة

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى قال حدّثنى بَنَانُ بن عمرو المغنّى قال : غنّيتُ يومًا بين يَدَى المنتصر :

هــل تَطْمِسون من السماء نجومَها * بأكُفِّكم أو تســتُرون هِلالَهــا

فقال لى : إيّاكَ وأن تغنّىَ بحضرتى هــذا الصوتَ وأشباهَه ، فمــا أُحِبُّ أن أغنَّى إلّا[1] فى أشعار آل أبى حَفْصةَ خاصّة .

غناء المعتز بالله

وممن هــذه سبيلُه فى صنعة الغِناء المعتزُّ بالله :

فإنى لم أجد له منهــا شيئا إلا ما ذكره الصُّولىّ فى أخباره ؛ فأتيت بما حكاه للعلّة التى قدّمتُها من أنّى كرِهتُ أن يُخِلَّ الكتاب بشىء قد دوّنه الناس وتعارفوه . فمّا ذكر أنه غنّى فيه :

صــــوت

لَعَمْرِى لقد أَصْحرتْ خيلُنا * بأكنــاف دِجْلَةَ للمُصْعَبِ

فمَنْ يَكُ منّــا يَبِتْ آمنًــا * ومن يَكُ من غيرنا يَهْــرُبِ

الشعر لعَدِىّ بن الرِّقاع ، والغِناء للمعتزّ خفيفُ رَمَلٍ . وهذه الأبيات من قصيدة لعدىٍّ يقولهــا فى الوقعة التى كانت بين عبــد الملك بن مَرْوانَ والمُصْعَب بن الزُّبَير بطَسُّوجِ[2] مَسْكِن ، فقُتل فيهــا مصعبٌ بقرية من مَسْكِن يقال لهــا دَيْرُ الجاثَلِيق ، وذكرتْه الشعراءُ فى هذه الأبيات :

لَعَمْرِى لقد أَصْحرتْ خيلُنا * بأكناف دِجْــلةَ للمُصْعَبِ

---

(١) لعله : « فمــا أحب أن أغنى فى أشعار الخ » بحذف « إلا » ؛ لأن هذا البيت من قصيدة مشهورة لمروان بن أبى حفصة مطلعها :

طرقتك زائرة فحى خيالها * بيضاء تخلط بالجمال دلالها

(٢) الطسوج : القرية أو الناحيــة . وطسوج مسكن : بالعراق . ودير الجاثليق يقع من طسوج مسكن غربى دجلة قرب بغداد من آخر السواد وأوّل أرض تكريت .

يهزّون كلّ طويل القنا * ة لَدْنٍ ومعتدلِ الثّعلبِ[1]

فِداؤك أُمّى وأبناؤُها * وإن شئتَ زدتُ عليها أبى

وما قلتُها رهبةً إنما * يَحُلّ العقابُ على المُذْنِبِ

اذا شئتُ نازلتُ مُسْتقتِلًا * أُزاحِمُ كالجمل الأجربِ

فمن يَكُ منّا يَبِتْ آمِناً * ومن يَكُ من غيرنا يهرُبِ

١٧٩ / ٨

٥

(١) الثعلب هنا : رأس الرمح .

أخبار عَدِىّ بن الرِّقَاع ونسبه

نسبه

هو عَدِىّ بن زيد بن مالك بن عَدِىّ بن الرِّقَاع بن عَصْر بن عَكّ[1] بن شَعْل[2] بن معاوية بن الحارث وهو عاملةُ بن عَدِىّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَد. وأُمُّ معاوية ابنِ الحارث عاملةُ بنت وَديعةَ من قُضَاعة، وبها سُمُّوا عاملةَ . ونَسَبه الناسُ إلى الرِّقَاع، وهو جدُّ جدّه، لشهرته؛ أخبرنى بذلك أبو خَليفةَ عن محمد بن سَلّام . ٥

شاعر أموى اختص بالوليد ابن عبد الملك

جعله ابن سلام فى الطبقة الثالثة

وكان شاعرا مقدّما عند بنى أُمَيّة مَدّاحا لهم خاصًّا بالوليد بن عبد الملك . وله بنت شاعرة يقال لها سَلْمَى، ذكر ذلك ٱبن النَّطّاح . وجعله محمد بن سَلّام فى الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام . وكان منزله بدمشق . وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم . وقد تعرَّض لجرير وناقضه فى مجلس الوليد بن عبد الملك، ثم لم تتمّ بينهما مُهاجاةٌ، إلّا أنّ جريرا قد هجاه تعريضاً فى قصيدته : ١٠

* حَىِّ الهِدَمْلَةَ[3] من ذات المَوَاعِيسِ *

ولم يصرِّح لأن الوليد حلَف إن هو هجاه أَسْرجَه وأَلْجَمه وحمله على ظهره، فلم يصرِّح بهجائه .

ما جرى بينه وبين جرير فى حضرة الوليد بن عبد الملك

أخبرنى أبو خَليفةَ إجازةً قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال أخبرنى أبو الغَرّاف قال : دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة وعنده عَدِىّ بن الرِّقَاع العاملىّ . ١٥ فقال الوليد لجرير : أتعرف هذا ؟ . قال : لا يا أمير المؤمنين . فقال الوليد :

---

(١) كذا فى الأصول . وفى شرح القاموس مادة (رقع) : « عدى » . وفى المقتضب لياقوت (ص ٧٩) : « عدة » . (٢) كذا فى شرح القاموس والاشتقاق لابن دريد والمقتضب . وفى الأصول : « شغل » بالغين المعجمة، وهو تصحيف . (٣) الهدملة والمواعيس : موضعان .

هـذا عدىّ بن الرِّقَاع . فقال جرير : فشَرُّ الثياب الرِّقاعُ ، قال : ممّن هو ؟ قال : العاملىّ . فقال جرير : هى التى يقول [فيها] الله عزّ وجلّ ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾ . ثم قال :

يُقَصِّر باعُ العاملىِّ عن النَّـدَى * ولكنّ أَيْرَ العامـلىِّ طـويلُ

فقال له عَدِىّ بن الرِّقَاع :

أأُمُّكَ كانت أخـبرتْك بطُوله * أم آنت آمرؤٌ لم تَدْرِ كيف تقول

فقـال لا ! بل أدرى كيف أقول . فوثَب العاملىّ الى رِجْل الوليد فقبّلها وقال : أجِرْنى منه . فقال الوليد لجرير : لئن شتمتَه لأُسْرِجنَّك ولألجمنّك حتى يركبَك فيعيِّرَك الشعراءُ بذلك . فكنَّى جريرٌ عن آسمه فقال :

إنى إذا الشاعر المغرورُ حَرَّبنى * جارٌ لقبرٍ على مَرَّانَ[1] مَرْمُوس

قـد كان أشْـوَس آباءٍ فورّثنا * شَغْبًا على الناس فى أبنائه الشُّوس[2]

أقْصِرْ فإنّ نِزارًا ان يفاضـلَها[3] * فرعٌ لئيمٌ وأصـلٌ غيرُ مغروس

وآبن اللَّبُون إذا ما لُزَّ فى قَرَنٍ * لم يَستطِعْ صَوْلةَ البُزْلِ القَنَاعِيس

أخبرنى أحمـد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَـبّة قال قال أبو عُبَيدة :

دخل جريرٌ على الوليد بن عبد الملك وعنـده عدىُّ بن الرِّقَاع العاملىّ . فقال له الوليد : أتعرف هذا؟ قال : لا ، فمن هو ؟ قال : هذا آبن الرِّقَاع . قال : فشرُّ الثياب الرِّقاع ، فممّن هو؟ قال : من عاملةَ . قال : أمن التى قال الله تعالى فيها : ﴿عَامِلَةٌ

(١) أراد قبر تميم بن مر بمرّان على أربع مراحل من مكة الى البصرة . وحربنى : أغضبنى ، يقال : منه حرب الرجل يحرب حربا (من باب فرح) . (٢) الشوس (بالتحريك) : التكبر والنظر بمؤخر العين .

(٣) كذا فى ديوانه المخطوط . وفى أكثر الأصول : « لن يفاخركم » . وفى س : « لن يفاخرهم » .

١٨٠ / ٨

ناصبةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيةً ﴾ ! . فقال الوليد: والله لَيَركبَنّك ! لِشاعرنا ومادحنا والراثى لأمواتنا تقول هذه المقالة ! يا غلام علىّ بإكافٍ[(1)] ولجام . فقام اليه عمر بن الوليد فسأله أن يُعفيَه فأعفاه . فقال : والله لئن هجوته لأفعلنّ ولأفعلنّ . فلم يصرّح بهجائه وعرّض ، فقال قصيدته التى أوّلها :

* حَىِّ الهِدَمْلَةَ من ذاتِ المَوَاعِيس *

وقال فيها يعرّض به :

قد جَرَّبَتْ عَرَكِى فى كلِّ مُعْتَرَكٍ * غُلْبُ الأُسـودِ فما بالُ الضَّغَابِيسِ[(2)]

فصل جرير شعر كثير فى مجلس بعض الخلفاء

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنى الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى سليمان ابن عَيّاش السَّعْدىّ قال :

ذُكِر كثيّر وعدىّ بن الرِّقاع العاملىّ فى مجلس بعض خُلفاء بنى أُميّة ، فٱمترَوْا فيهما أيُّهما أشعر وفى المجلس جرير . فقال جرير : لقد قال كُثَيِّر بيتًا هو أشهر وأعرَف فى الناس من عَدِىّ بن الرِّقاع نفسه ؛ ثم أنشد قول كثيّر :

أأن زُمّ أجمالٌ وفارق جيرةٌ * وصاح غرابُ البين أنت حزينُ

قال : فحلف الخليفة لئن كان عدىُّ بن الرِّقاع أعرَفَ فى الناس من بيت كثيّر لَيُسْرِجَنّ جريرًا ولَيُلْجِمَنَّه ولَيَرْكَبَنّ عَدِىَّ بن الرِّقاع على ظهره . فكتب إلى واليه بالمدينة : إذا فرغتَ من خطبتك فَسَلِ الناسَ من الذى يقول :

أأن زُمّ أجمالٌ وفارق جيرةٌ * وصاح غرابُ البين أنت حزين

وعن نسب ٱبن الرِّقاع . فلمّا فرَغ الوالى من خطبته قال : إنّ أمير المؤمنين كتب إلىّ أن أسألكم من الذى يقول :

* أأن زُمّ أجمالٌ وفارق جيرةٌ *

(1) الإكاف : برذعة الحمار . (2) الغلب : جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة . والضغابيس : جمع ضغبوس وهو الضعيف .

قال : فابتدروا من كل وجه يقولون : كثيِّر كثيِّر . ثم قال : وأمرنى أن أسأل عن نسب ٱبن الرِّقاع ؛ فقالوا : لا ندرى ؛ حتى قام أعرابىٌّ من مؤخّر المسجد فقال : هو من عاملة .

نقد محمد بن المنجم بيتا من شعره

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه قال قال لى محمد بن المنجِّم : ما أحدٌ ذُكر لى فأحببتُ أن أراه فإذا رأيته أمرتُ بصَفْعه إلا عَدِىَّ بن الرِّقاع . قلت : ولِم ذلك ؟ قال : لقوله :

وعلمتُ حتى ما أُسائل عالمًا * عن علم واحدةٍ لكى أزدادَها

فكنت أَعْرِض عليه أصنافَ العلوم ، فكلما مَرّ به شىء لا يُحسنه أمرتُ بصفعه .

جاءه شعراء ليعارضوه فردت عليهم بنته فأفحمتهم

حدّثنى إبراهيم بن محمد بن أيُّوبَ قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم قال :

كان عدىٌّ بن الرِّقاع ينزل بالشام ، وكانت له بنت تقول الشعر . فأتاه ناس من الشعراء ليُماتنوه(١) وكان غائبًا ؛ فسمعت بنتُه وهى صغيرة لم تبلُغْ دَوْرَ وَعيدهم ، فخرجتْ اليهم وأنشأتْ تقول :

تجمّعتُم من كل أَوْبٍ وبَلْدةٍ * على واحدٍ لا زلتمُ قِرْنَ واحدِ

فأفحمتْهم .

كان من أوصف الشعراء للطية

وقال عبد الله بن مُسْلِم :

ومما يَنفرد به و يقدّم فيه وصفُ المطيّة ؛ فإنه كان من أوصف الشعراء لها .

استحسن أبو عمرو شعره

حدّثنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنا محمد بن عبّاد بن موسى قال : كنت عند أبى عمرو أَعْرِض أو يَعْرِض عليه رجلٌ بحضرتى من شعر عَدِىّ بن الرِّقاع ، وقرأتُ أو قرأ هذه الأبيات :

---

(١) ماتنه فى الشعر : عارضه .

لولا الحياءُ وأنّ رأسى قد عَسَا[(١)] * فيـه المَشيبُ لزُرْتُ أمّ القاسمِ

وكأنهـا وَسْـطَ النساء أعارَها * عينيه أَحْـورُ من جآذرِ جاسِم

١٨١ / ٨

وَسْنانُ أَقْصدَه النُّعاسُ فرَنَّقتْ * فى عينه سِـنَةٌ وليس بنـائم

فقـال أبو عمرو : أحسنَ والله ! . فقال رجل كان يحضُر مجلسه أعرابىٌّ كأنه

مدنىّ : أمَا والله لو رأيتَه مشبوحاً بين أربعـةٍ وقُضْبانُ الدِّفْلَى[(٢)] تأخذه لكنتَ أشدَّ ٥

له ٱستحسانا . يعنى اذا كان يُغَنَّى به على العود .

استحسن أبو عبيدة بيتا له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمـد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى

عبد الله بن أبى سعد عن علىّ بن المغيرة قال :

كان أبو عُبَيدة يستحسن بيت عدىّ بن الرِّقَاع :

وَسْنانُ أَقْصدَه النُّعاس فرَنَّقتْ * فى عينه سِـنَةٌ وليس بنـائم ١٠

جدًّا ويقول : ما قال أحد فى مثل هذا المعنى أحسن منه فى هذا الشعر ، وفى هذا

الشعر غناء، نسبتُه :

صـــوت

لولا الحياءُ وأن رأسىَ قد عَسَا * فيـه المَشيبُ لزُرتُ أمّ القاسِم

وكأنّهـا وَسْـطَ النساء أعارَها * عينيه أَحْـورُ من جآذرِ جاسِم ١٥

وَسْنانُ أَقْصدَه النُّعاسُ فرَنَّقَتْ * فى عينه سِـنَةٌ وليس بنـائم

أَلِمْ على طَلَلٍ عَفَـا مُتقـادِمِ * بين الذُّوَيب[(٣)] وبين غَيْب النَّاعِمِ

(١) عسا : اشـتد . (٢) الدفلى : نبت مرّ زهره كالورد الأحمر وحمـله كالخروب .

(٣) كذا فى معجم البلدان فى الكلام عن الذويب وغيب الناعم . وفى الأصـول : « الركيك »

وهو تحريف . والذويب : ماء بنجدلبنى دهمان بن نصر بن معاوية . وذكر ياقوت أن غيب الناعم موضع ٢٠

فى شعر عدى بن الرقاع ، وذكر البيت .

عروضه من الكامل . الجاذر : جمع جُؤذُر وهى أولاد البقر الوحشيّة . وجاسمٌ : موضع . ويُروى فى هـذا الشعر "عاسم" مكان "جاسم" . والوَسْنانُ : النائم ، والوَسَنُ النوم، الواحدة منه سِنَة . والتَّرْنيق : الدنُوُّ من الشىء يريد أن يفعله ، يقال : رَنَّقت العُقابُ لصيدها إذا دَنَتْ منـه ، وترنيقُها أيضا أن تُقَصِّر عن الخَفَقان بجَناحيها . ويقال : طيرٌ مرنِّقة إذا جاءت تطير ثم أرادت الوقوعَ ومدَّتْ أجنحتَها فلم تَخْفُقْ وترجّحتْ . ويقال للقوم إذا قصَّروا فى سيرهم ، وللسابح إذا قصَّر فى الخفْق بيديه ورجليه : قد رنَّقوا ترنيقا . الشـعر لعدِىِّ بن الرِّقَاع . والغناء لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبَّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاقَ ، وفيه ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر يُنسب إليه أيضا ، وذكر الهِشامىّ أنه من منحول يحيى بن المكِّىّ إليه .

استحسن أبو عمرو شعره واستحسن مدنى الغناء به

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله المعروف بالحَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرو قال :

كنت عند أبى ورجلٌ يقرأ عليه شعر عَدِىّ بن الرِّقَاع . فلما قرأ عليه القصيدة التى يقول فيها :

لولا الحياءُ وأنّ رأسِىَ قد عَسَا * فيـه المَشيبُ لزرتُ أمَّ القاسم

قال أبى : أحسن والله عَدِىُّ بن الرِّقَاع ! . قال: وعنده شيخ مَدَنِىّ جالس ، فقال الشـيخ : والله لئن كان عَدِىٌّ أحسن لَمَا أساء أبو عَبّاد . قال أبى : ومن هو أبو عبّاد ؟ قال: مَعْبَد . والله لو سمعتَ لحنه فى هـذا الشعر لكان طربُك أشـدَّ واستحسانُك له أكثرَ . فجعل أبى يضحك .

مدح عبيدة بن عبد الرحمن حين عزله الوليد بجفاه الوليد ثم رضى عنه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمـد بن بَحْر عن محمد بن سَلَّام قال :

عزل الوليدُ بن عبد الملك عُبَيْدَةَ بن عبد الرحمن عن الأُرْدُنّ وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال للمتوكّلين به : من أتاه متوجّعًا وأَثْنَى عليه فأْتُونى به . فأتى عَدىُّ ابن الرِّقاع ، وكان عُبَيْدة إليه محسنا ، فوقف عليه وأنشأ يقول :

١٨٢ / ٨

فما عزلوك مسبوقًا ولكن * إلى الخيرات سَبّاقًا جَوَادَا

وكنتَ أخى وما ولدتْك أُمّى * وَصُولًا باذلًا لى مستَرادا

وقد هِيضتْ لنَكْبتك القُدَامَى * كذاك الله يفعل ما أرادا

فوثب المتوكّلون به اليه ، فأدخلوه إلى الوليد وأخبروه بما جَرى . فتغيّظ عليه الوليد وقال له : أتمدح رجلًا قد فعلتُ به ما فعلت ! . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كان إلىّ مُحْسنا ، ولى مُؤْثِرا ، وبى بَرًّا ، ففى أىّ وقت كنت أُكافئه بعد هذا اليوم ! . فقال : صدقتَ وكَرُمتَ ! فقد عفوتُ عنك وعنه لك ! فخُذْه وٱنْصرِفْ . فٱنصرَف به إلى منزله .

عدّه جرير أنسب الشعراء لشعرله

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال حدّثنى أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال : قال نوح بن جَرير لأبيه : يا أبتِ ، مَنْ أنْسَبُ الشعراء؟ قال له : أتَعْنِى ما قلتُ؟ قال : إنّى لست أُريد من شعرك إنما أُريد من شعر غيرك . قال : ابنُ الرِّقَاع فى قوله :

لولا الحياء وأنّ رأسىَ قد عَسَا * فيه المَشيب لزُرْتُ أُمَّ القاسم

الثلاثةَ الأبياتِ . ثم قال لى : ما كان يُبالِى أن لم يقل بعدها شيئا .

عجب جرير من توفيقه فى تشبيه دقيق

أخبرنى الحسن بن علىّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنىّ قال :

قال جَرير : سمعت عَدِىَّ بن الرِّقَاع يُنشد :

* تُزْجِى أَغَنَّ كأنّ إبرَةَ رَوْقِه[1] *

(١) الروق : القرن .

فرحِمتُه من هذا التشبيه فقلت : بأىِّ شىء يُشَبِّهه تُرَى ! فلما قال :

* قلمٌ أصاب من الدَّواةِ مِدادَها *

رحِمتُ نفسى منه .

تابع روح بن زنباع ثم خالفه وتابع ناتل بن قيس فى نسبهم

أخبرنى اليزيدىّ قال حدّثنى عمِّى عُبيد الله عن ابن حَبيبَ عن أبى عُبَيْدة قال :

مال رَوْح بن زِنْباع الجُذَامىّ إلى يزيد بن معاوية لمّا فصَل بين الخطبتين فقال : يا أمير المؤمنين ، أَلْحِقْنا بإخوتنا من مَعَدٍّ فإنا مَعَدِّيُّون ، والله ما نحن من قَصَب الشأم ولا من زعاف اليمن (١) . فقال يزيد : إن أجمع قومُك على ذلك جعلناك حيث شئتَ . فبلغ ذلك عَدِىَّ بن الرِّقاع فقال :

إنّا رَضِينا وإن غابت جماعتُنا * ما قال سيِّدُنا رَوْح بن زِنْباع

يرعَى ثمانين ألفًا كان مثلُهمُ * ممّا يُخالِف أحيانًا على الرّاعى

قال : فبلغ ذلك ناتِلَ بن قَيْس الجُذَامىّ ، فجاء يركُض فرسَه حتى دخل المقصورةَ فى الجمعة الثانية . فلمّا قام يزيد على المنبر ، وثَب فقال : أين الغادر الكاذب رَوْح ابن زِنْباع ؟ ! فأشاروا إلى مجلسه . فأقبل عليه وعلى يزيد ثم قال : يا أمير المؤمنين ، قد بلغنى ما قال لك هذا ، وما نعرف شيئا منه ولا نُقِرُّ به ، ولكنّا قوم من قَحْطان يَسَعُنا ما يسعهم ويَعْجَز عنّا ما يعجز عنهم . فأمسك رَوْح ورجع عن رأيه . فقال عَدِىُّ ابن الرِّقاع فى ذلك :

أضلالُ ليلٍ ساقطٍ أكنافُه * فى الناس أعْذَرُ أم ضلالُ نهارِ

قَحْطانُ والدُنا الذى نُدْعَى له * وأبو خُزَيْمةَ خِنْدِفُ بن نِزار

(١) كذا فى الأصول . ولعله «من رعان اليمن» أى جبالها أو «من زعانف اليمن» .

أنبيـــع والدّنا الذى نُدْعَى له * بأبى مَعَاشِرَ غائبٍ مُتَــوارِى
تلك التجارةُ لا زَكاةَ لمثلهـا * ذهبٌ يبـاع بآنُكٍ[1] وإبار

١٨٣/٨

فقال له يزيد : قَبُِرتَ يا بن الرِّقاع . قال : إنَّ نائلًا واللهِ علىّ أعزُّهما سُخْطًا ، وأنصحُهما لى ولعَشيرتى . قال أبو عُبَيدة : الإبار : جمع إِبْرة .

ما كان بينه وبين ابن سريج فى حضرة الوليد ابن عبد الملك

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم :

أن الأحوص وابن سُرَيج قَدِما المدينـةَ[2]، فنزلا فى بعض الخانات لِيُصْلِحا من شأنهما ، وقد قدم عَدِىُّ بن الرِّقاع وكانت هذه حالَه ، فنزل عليهما . فلما كان فى بعض الليل أفاضوا فى الأحاديث ، فقال عَدِىُّ بن الرِّقاع لابن سُرَيج : والله لخروجُنا كان إلى أمير المؤمنين أَجْدَى علينا من المُقام معك يا مولى بنى نَوْفَل . قال : وكيف ذلك؟ قال : لأنك تُوشِك أن تُلْهِيَنا فتشغلَنا عمّا قصدنا له . فقال له ابن سُرَيج : أوَ قِلّةَ شكرٍ أيضا ! . فغضب عَدِىٌّ وقال : إنك لتَمُنُّ علينا أن نزلنا عليك ؛ وإنى أُعاهد اللهَ ألّا يُظِلَّنِى وإياكَ سقفٌ إلا أن يكون بحضرة أمير المؤمنين . وخرج من عندهما . وقدم الوليد من باديته فأذن لهما فدخلا . وبلغه خبر ابن الرِّقاع وما جرى بينه وبين ابن سُرَيج ؛ فأمر بابن سُرَيج فأُخْفِىَ[3] فى بيت ودعا بعَدِىٍّ فأدخله ، فأنشده قصيدةً امتدحه بها . فلمـا فرغ ، أومأ إلى بعض الخَدَم فأمر ابنَ سُرَيج فغنّى فى شـعر عَدِىّ بن الرِّقاع يمدح الوليدَ :

عرَف الديارَ توَهُّمـا فاعتادها[4] * من بعـد ما شَمِل البِلَى أبلادَها

(١) الآنك : الرصاص . (٢) كذا فى الأصول . والأحرى أن تكون «دمشق» إذ المعروف أن دمشق كانت عاصمة ملك بنى أمية التى كان يقصد اليها الروّاد والوافدون وبها ينزلون .
(٣) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : «فأدخل» . (٤) اعتادها : أعاد النظر اليها مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها . وشمل : عم . والأبلاد : الآثار .

فطرِب عَدِىٌّ وقال : لا والله ما سمعتُ يا أمير المؤمنين بمثل هـذا قطُّ ولا ظننت أن يكون مثلُه طِيبًا وحُسْنًا، ولولا أنه فى مجلس أمير المؤمنين لقلتُ طائفٌ من الجنّ . أيأذن لى أمير المؤمنين أن أقول ؟ قال : قل . قال : مثلُ هـذا عند أمير المؤمنين وهو يبعث إلى آبن سُرَيج يتخطّى به قبائلَ العـرب فيقال : ابنُ سُرَيج المغنِّى مولى بنى نَوْفَل بعث أمير المؤمنين اليه ! . فضحك ثم قال للخادم : أَخرِجْه فخرج . فلما رآه عدِىٌّ أَطْرَق خَجِلًا ثم قال : المعذرةَ إلى الله و إليك يا أخى، فمـا ظننتُ أنك بهذه المنزلة ، و إنك لحَقِيقٌ أن تُحْتَمَل على كل هفوة وخطيئة . فأمر لهم الوليد بمـال سَوِّى بينهم فيه، ونادمهم يومئذ إلى الليل .

نسبة هذا الصوت المذكور فى هذا الخبر وسائرِ ما مضى فى أخبار عَدِى قبله من الأشعار التى فيها غناء :

صـــــوت

عرَف الدِّيارَ تَوَهُّمًا فآعتادها * من بعد ما شمِل البِلَى أبلادَها

إلّا رَوَاكِدَ كلُّهن قد آصطلَى * حمراءَ أَشْعـل أهلُها إيقادَها

عروضه من الكامل . الشعر لعَـدِىّ بن الرِّقَاع . والغناء لآبن مُحْرِز خفيفُ ثقيل أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

الخمـــه كثـــير فى حضرة الوليـــد ابن عبـــد الملك

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنى أحمـد بن الهَيْثَم بن فِراس قال حدّثنى العُمَرِىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىٍّ قال :

أَنْشَد عَدِىٌّ بن الرِّقَاع الوليدَ بن عبد الملك قصيدتَه التى أوّلُها :

* عرَف الديارَ تَوَهُّمًا فآعتادها *

وعنده كثيِّر وقد كان يَبْلُغه عن عَدِىٍّ أنه يطعن على شعره و يقول: هذا شعر حجازىٌّ مَقْرورٌ إذا أصابه قُرُّ الشام جمَد وهلَك . فأنشده إيّاها حتى أتى على قوله :

١٨٤ / ٨

وقصــيدةٍ قد بِتُّ أجمع بينها * حتى أقوِّمَ مَيْلَهـا وسِـنَادَها[1]

فقال له كثيِّر : لو كنتَ مطبوعا أو فصيحا أو عالما لم تأتِ فيها بميلٍ ولا سِنَاد فتحتاج إلى أن تقوِّمها . ثم أنشد :

نَظَرَ المثقِّف فى كُعوب قَنَاته * حتى يُقِـيمَ ثِقافُـه مُنْآدَها

٥ فقال له كثيِّر : لا جَرَمَ أنّ الأيام إذا تطاولتْ عليها عادت عوجاءَ ، ولَأن تكونَ مستقيمةً لا تحتاج الى ثِقَافٍ أجودُ لها . ثم أَنْشد :

وعلِمتُ حتى ما أُسائل واحدًا * عن علم واحدةٍ لكى أزدادَها

فقال كثيِّر : كذَبتَ وربِّ البيت الحرامِ ! فليمتحنْك أميرُ المؤمنين بأن يسألك عن صِغار الأمور دون كِبارها حتى يتبيَّنَ جهلك . وما كنتَ قطُّ أحمقَ منك الآنَ حيث تظنّ ١٠ هذا بنفسك . فضحك الوليد ومَنْ حضر، وقُطِع بعدىِّ بن الرِّقاع حتى ما نطَق .

---

(١) يريد بالسناد هنا عيبا فى الشعر . والسناد فى اصطلاح العروضيين هو اختلاف الحرف الذى قبل الردف بالفتح والكسر . والردف هو حرف اللين الذى قبل الروىّ . (انظر الكلام عليه فى العقد الفريد ج ٣ ص ٢٢٢ — ٢٢٣ طبع بلاق ، واللسان مادة «سند») .

أخبار المعتز فى الأغانى ومع المغنّين وما جرى هذا المجرى

شعره فى جارية يهواها

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى علىّ بن محمد بن نصر(١) قال حدّثنى جدّى حمدون بن إسماعيل قال :

اصطبح المعتزّ فى يوم ثُلَاثاء ونحن بين يديه ثم وثب فدخل ، وآعترضته جارية كان يحبّها ولم يكن ذلك اليوم من أيامها فقبّلها وخرج؛ فحدّثنى بما كان وأنشدنى لنفسه فى ذلك :

صوت

إنى قَمَرتُكَ يا سؤلى ويا أملى * أمرًا مُطاعًا بلا مَطْلٍ ولا عِلَلِ
حتّى متى ياحبيبَ النفس تَمطُلنى * وقد قَمرتكَ(٢) مرّاتٍ فلم تَفِ لى
يومُ الثلاثاء يومٌ سوف أشكره * إذ زارنى فيه مَنْ أهوى على عَجَلِ
فلم أَنَلْ منه شيئا غيرَ قُبْلته * وكان ذلك عندى أعظمَ النَّفَلِ

قال : وعُمِل فيه لحن خفيف وشربنا عليه سائرَ يومنا . الغناء فى هذه الأبيات لعَرِيبَ رَمَلٌ عن الهشامىّ . ولأبى العُبَيْس فى الثالث والرابع هَزَجٌ .

طارحه بنان المغنى فى بيت من الشعر وتغنى فيه

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى أحمد بن يزيد المهلّبىّ قال حدّثنى أبى قال :

كان المعتزّ يشرب على بستان مملوء من النمّام(٣) وبين النمّام شقائق النعمان ، فدخل اليه يونس بن بُغَا وعليه قَبَاءٌ أخضر؛ فقال المعتزّ :

---

(١) فى الأصول : « محمد بن على بن نصر » . وقد تقدّم هذا الاسم غير مرة كما أثبتناه .

(٢) كذا فى ١، م . وفى سائر الأصول : «قصدتك» .

(٣) النمام : نبت ورقه كالسذاب عطرىّ قوىّ الرائحة . سمى بذلك لسطوع رائحته .

صـــــوت

شبّهتُ حُمرةَ خدّه فى ثوبه * بشـقائق النُّعمان فى النمّـامِ

ثم قال : أجيزوا . فآبتدر بَنَانُ المُغَنِّى ، وكان ربّما عبث بالبيت بعد البيت، فقال :

والقَدُّ منه إذا بدا فى قَرْطَقٍ (١) * كالغصن فى لِينٍ وحسن قَوامِ

٥ فقال له المعتزّ : فغَنّ فيه الآن ، فعمِل فيه لحنا . لحنُ بَنَانٍ فى هذين البيتين من خفيف الثقيل الثانى وهو الماخُورِىّ .

أخبر بسوء حال أم يونس بن بغا ففتر المجلس ثم عاد أحسن مما كان

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى محمد بن يحيى بن أبى عبّاد قال حدّثنى عمر بن محمد بن عبد الملك قال :

شرب المعتزّ و يونس بن بُغَا بين يديه يَسْقيه والجلساءُ والمغنُّون بين يديه وقد أَعَدّ

١٠ الخِلَعَ والجوائز، إذ دخل بُغَا فقال : يا أمير المؤمنين، والدة عبدك يونسَ فى الموت وهى تُحِبّ أن تراه ؛ فأذِن له فخرج . وفَتَر المعتزُّ ونَعَس بعده، وقام الجلساء وتفرّق المغنُّون، الى أن صُلّيت المغرب، وعاد المعتزّ إلى مجلسه، ودخل يونس و بين يديه الشموع . فلما رآه المعتزّ دعا برِطْلٍ فشربه وسقى يونسَ رِطْلًا وغنَّاه المغنُّون، وعاد المجلس أحسنَ ما كان ؛ فقال المعتزّ :

١٨٥ / ٨

صـــــوت

١٥
تَغيبُ فــلا أَفْرَحُ * فليتَـك ما تَبْرَحُ
وإنْ جئتَ عذّبتَنِى * بأنّك لا تَسْـمحُ
فأصبحتُ ما بين ذَيْـ * ـنِ لى كبـد تُجْـرَحُ
على ذاك يا سـيِّدى * دُنُوُّك لى أصـلَحُ

٢٠ ثم قال : غنُّوا فيـه ، فجعلوا يفكِّرون . فقال المعتزُّ لسليمان بن القَصّار الطُّنبورِىّ : وَيْلَكَ ! ألحانُ الطُّنْبور أملَح وأخفّ فغَنّ فيه أنت؛ فغنّى فيه لحنا؛ فدفع اليه دنانير

---

(١) القرطق : قباء ذو طاق واحد (معرب) .

الخَريطة وهى مائة دينار مكيّة ومائتان مكتوبٌ على كلّ دينار منها «ضُرب هذا الدينار بالجَوْسَق بخريطة أمير المؤمنين المعتزّ بالله[(1)]» ثم دعا بالخِلَع والجوائز لسائر الناس، فكان ذلك المجلس من أحسن المجالس .

لحنُ سليمانَ بن القَصّار فى هذه الأبيات رَمَلٌ مطلَق .

لما قتل بغا هنأه الناس بالظفر

حدّثنى الصُّولِىّ قال حدّثنى محمد بن عبد السميع الهاشمىّ قال حدّثنى أبى قال : لمّا قُتل بُغَا[(2)] دخلنا فهنّأنا المعتزّ بالظَّفَر، فاصطبح ومعه يونس بن بُغَا، وما رأينا قطُّ وجهين اجتمعا أحسنَ من وجهيهما . فما مضت ثلاثُ ساعات حتى سكِر، ثم خرج علينا المعتزّ فقال :

ما إنْ تَرَى مَنْظَراً إن شئتَه حسنًا * إلّا صَريعًا يُهَادَى[(3)] بين سُكْرَين

سُكْرِ الشراب وسكرٍ من هَوَى رَشَأٍ * تخاله والذى يَهْواه غُصْنين

ثم أمر فتغنّى فيه بعضُ المغنّين .

قصة المعتز ويونس ابن بغا مع ديرانى

حدّثنى الصُّولِىّ قال حدّثنى أحمد بن محمد بن إسحاق الخُرَاسانىّ قال حدّثنى الفضل بن العباس[(4)] بن المأمون قال :

---

(١) لعله : «لخريطة أمير المؤمنين» أى ضربت لخزانته الخاصة .

(٢) هو أحد قواد الأتراك المبرزين وقد اشترك فى قتل المتوكل بدسيسة من ابنه المنتصر، وكان يتولى الحرس ليلة قتل فسهل للقتلة الدخول القصر . خدم عدة خلفاء فى الدولة العباسية . وجفاه المعتز فوكل به وليدا المغربى فقتله غيلة وحمل رأسه اليه، فوهبه عشرة آلاف دينار وخلع عليه خلعة، ونصب رأسه بسامرا ثم ببغداد . (راجع الطبرى القسم الثالث ص ١٤٥٨ — ١٤٦١، ١٦٩٤ — ١٤٩٧) .

(٣) جاء فلان يهادى بين اثنين مهاداة (بالبناء للفعول) : جاء يتمايل . (٤) كذا فى مسالك الأبصار (ج ١ ص ٢٨٢ طبع دار الكتب المصرية) ومعجم البلدان فى كلامهما عن دير مرماو — وفى معجم البلدان : « دير مرمارى » بياء — وفى الأصول : « العباس بن المفضل بن المأمون » . وذكر اليعقوبى فى تاريخه أن المأمون خلف من الولد الذكور ستة عشر وذكر منهم «العباس» و «الفضل» .

كنت مع المعتز فى الصيد، فانقطع عن الموكب وأنا ويونس بن بُغا معه، ونحن بقرب قَنْطرة وَصيف[1]، وكان هناك دَيْرٌ فيه دَيْرانِىٌّ يعرفنى وأعرفه، نظيفٌ ظريفٌ مليحُ الأدب واللفظ. فشكا المعتزُّ العطشَ. فقلت: يا أمير المؤمنين، فى هذا الدير دَيْرانِىٌّ أعرفه خفيفُ الروح لا يخلو من ماء بارد، أفترى أن نميلَ اليه؟ قال نعم. فجئناه فأخرج لنا ماءً باردًا، وسألنى عن المعتزِّ ويونس فقلت: فَتيانِ من أبناء الجُنْد، فقال: بل مُفْلِتَانِ من حُورِ الجَنّة. فقلت له: هذا ليس فى دِينك. فقال: هو الآن فى دِينى. فضحك المعتزّ. فقال لى الدَّيْرانِىُّ: أتأكلون شيئا؟ قلت نعم. فأخرج شطيرات وخبزًا وإدامًا نظيفا، فأكلنا أطيبَ أكل، وجاءنا بأطراف أُشْنانٍ[2]. فآستظرفه المعتزُّ وقال لى: قل له فيما بينك وبينه: مَنْ تحبّ أن يكون معك من هذين لا يفارقك. فقلت له، فقال: "كلاهما وتمرا"[3]. فضحك المعتزُّ حتى مال على حائط الدَّيْر. فقلت للدَّيْرانِىّ: لا بدّ من أن تختار. فقال: الآختيار والله فى هذا دَمَار، وما خلق الله عقلا يميّز بين هذين. ولحقهما الموكب، فآرتاع الدَّيْرانِىُّ. فقال له المعتزّ: بحياتى لا تنقطع عما كنا فيه، فإنى لِمَنْ ثَمَّ مولًى ولِمَنْ هاهنا صَديق. فمَزَحْنا ساعةً، ثم أمر له بخمسمائة[4] ألف درهم. فقال[5]: والله ما أقبلها إلا على شرط. قال: وما هو؟ قال: يجيب

(١) كذا فى جـ ومسالك الأبصار. وفى سائر الأصول: «منظرة وصيف». (٢) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «بأظرف إنسان» وهو تحريف. (٣) فى مسالك الأبصار: «فقال: كلاهما» بدون «وتمرا». و«كلاهما وتمرا» مثل قاله عمرو بن حمران وقد مر به رجل أضر به العطش والسغوب وبين يديه زبد وتامك وتمر. فقال له الرجل: أطعمنى من هذا الزبد والتامك. فقال عمرو: «نعم كلاهما وتمرا» فصارت مثلا فى زيادة الاكرام. أى لك كلاهما وأزيد تمرا. ويروى «كليهما وتمرا» بالنصب على تقدير فعل محذوف أى أطعمك. (٤) فى مسالك الأبصار: «بخمسين ألف درهم». (٥) فى الأصول: «فقبلها فقال ...الخ» بزيادة كلمة «فقبلها». وظاهر أنها من زيادات النساخ، اذ يأباها سياق الكلام، وليست موجودة فى مسالك الأبصار.

أمير المؤمنين دَعْوتى مع من أراد . قال : ذلك لك . فٱتّعدْنا ليوم جئناه فيه ، فلم يُبْقِ غايةً ، وأقام للمَوْكب كلِّه ما ٱحتاج اليه ، وجاءنا بأولاد النصارى يخدُمونا . ووصلَه المعتزّ يومئذ صِلةً سنيّةً ، ولم يزل يعتاده ويُقيم عنده .

ولى الخلافة وله سبع عشرة سنة ، وشعره فى ذلك

حدثنى الصُّولىّ قال حدّثنا عبد الله بن المعتزّ قال :

٥ بُويع للمعتزّ بالخلافة وله سبعَ عشرةَ سنةً كاملةً وأشهرٌ . فلما ٱنقضت البَيْعة قال :

تَوَحَّدنى الرحمنُ بالعِزِّ والعُلَا * فأصبحتُ فوق العالمين أميرَا

هكذا ذكر الصُّولىّ فى قافية الشعر . ووجدته فى أغانى بَنَانٍ مرفوعَ القافية ، وله فيه صنعة . ولعلّ المعتزّ قال البيت ، فأضاف بَنَانٌ اليه آخرَ وجعل المخاطبة عن نفسه للمعتزّ فقال :

١٠ صوت

تَوَحَّدكَ الرحمنُ بالعز والعُلَا * فأنت على كل الأنام أميرُ

تُقاتِلُ عنك التُّرْكُ والخُزْرُ كلُّها * كأنّهمُ أُسْدٌ لهنّ زئيرُ

الغناء لبَنانٍ [الحَنّانِ][1] خفيفُ ثقيلٍ وخفيفُ رملٍ . ومما قاله المعتزّ وغنّى فيه قولُه — ذكر الصُّولىّ أن عبد الله بن المعتزّ أنشده إيّاه لأبيه — :

١٥ صوت

ألَا حَىِّ الحبيبَ فَدَتْه نفسى * بكأسٍ من مُدامةِ خانِقِينا[2]

فإنّى قد بَقِيتُ مع الليالى * أُقاسِى الهَمَّ فى يده سِنينا

الغِناء فيه لِعَريبَ خفيفُ رَمَلٍ ، ولبَنَانٍ هَزَجٌ .

(١) زيادة عن حـ . (٢) خانقين : بلدة من نواحى السواد فى طريق همذان من بغداد .

وممّن ذُكر أن له صنعةً من الخلفاء المعتمِد .

غناء المعتمد

قال محمد بن يحيى الصُّولىّ ذكر عبد الله بن المعتزّ عن القاسم بن زُرْزُور أن المعتمِد ألْقَى عليه لحناً صنعه فى هذا الشعر وهو :

ليس الشَّفِيعُ الذى يأتيكَ مُؤْتزِرا * مثلَ الشَّفِيع الذى يأتيكَ عُرْيانَا

الشعر للفرزدق . والغناء للمعتمِد، ولحنُه فيه خفيفُ ثقيلٍ . هذه حكاية الصُّولىّ .
٥
وفى غناء عَرِيبَ : لهـا فى هذا البيت خفيفُ ثقيلٍ . ولا أعلم لِمَنْ هو منهما على صحة ، إلا أنّ المشهور فى أيدى النـاس أنه لعَرِيبَ . ولم أسمع للمعتمِد غناءً إلا من هذه الجهة التى ذكرتُها .

ذكر أخبار الفرزدق فى هذا الشعر خاصة دون غيره

لأنّ أخباره كثيرة جدا ، فكرهت أن أثبتها هاهنا فى غناء مشكوك فيه ، فذكرت نسبه وخبره فى هذا الشعر خاصة ، وأخباره تأتى بعد هذا فى موضع مفرد يتسع لطول أحاديثه

نسبه

الفرزدق لقبٌ غلب عليه . وآسمه هَمّام بن غالب بن صَعْصَعة بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سُفْيان بن مُجاشِع بن دارِم بن مالك [بن حَنْظَلة بن مالك] بن زيد مَناةَ بن تَميم . ٥

هو وجرير والأخطل أشعر طبقات الاسلاميين

وهو وجرير والأخطل أشعرُ طبقات الإسلاميّين والمقدَّمُ فى الطبقة الأولى منهم . ١٨٧ ٨ وأخباره تُذكر مفردةً فى موضع آخر يتّسع لها ، ونذكر هاهنا خبره فى هذا المعنى . فأخبرنى خبَره فى ذلك جماعة . فممّن أخبرنى به أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة ، وأخبرنى به أبو خَليفة إجازةً عن محمد بن سَلّام ، وأخبرنى به محمد ١٠ ابن العباس اليَزيدىّ عن السُّكَّرىّ عن محمد بن حَبيبَ عن أبى عُبَيْدة وآبن الأعرابىّ ، قال عمر بن شَبَّة خاصّة فى خبره حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنى أبى :

حديث الفرزدق والنوار وذمه بنى قيس وزهيرا وبنى أم النسير لمعاونتهم إياها

أنّ عبد الله بن الزُّبَير تزوّج تُماضِرَ بنت منظور بن زَبّانَ ، وأُمُّها مُلَيْكة بنت خارجةَ ابن سِنان بن أبى حارثة ، فخاصم الفرزدقُ امرأتَه النَّوَارَ الى آبن الزُّبير . هكذا ذكر محمد بن يحيى ولم يذكر السببَ فى الخصومة ، وذكرها عمر بن شَبَّة ولم يَرْوِها عن أحد ، ١٥ وذكرها آبن حَبيبَ عن أصحابه ، وذكرها أبو غَسّان دَمَاذٌ عن أبى عُبَيْدة : أن رجلا من بنى أُميّة خطَب النَّوَارَ بنت أَعْيَنَ المُجَاشعيّة ، فرَضِيَتْه وجعلتْ أمرَها الى الفرزدق . فقال لها : أشْهِدى لى بذلك على نفسك شهودا ففعلتْ ، وآجتمع الناس لذلك . فتكلّم الفرزدق ثم قال : اشهَدوا أنّى قد تزوّجتها وأصدقتها كذا وكذا ، فانا آبن عمّها

وأحقّ بها . فبلغ ذلك النّوار فأبتْه وٱستترتْ من الفرزدق وجزعتْ ولجأتْ الى بنى قيس بن عاصم المِنْقَرىّ . فقال فيها :

بَنِى عاصمٍ لا تُلْجِئوها فإنكم * مَلاجئُ للسَّوْءات دُسْمُ العمائم[1]

بنى عاصمٍ لو كان حيًّا أبوكمُ * لَلامَ بَنِيه اليومَ قيسُ بن عاصم

٥ فقالوا : والله لئن زدتَ على هذين البيتين لنقتلنّك غيلةً . فنافرتْه الى عبد الله بن الزُّبَير وأرادت الخروج اليه ؛ فتحامَى الناسُ كِراءها . ثم إن رجلا من بنى عَدِىٍّ يقال له زُهَير بن ثَعْلَبة وقوماً يُعْرَفون ببنى أُمّ النُّسَيْر أَكْرَوْها ؛ فقال الفرزدق :

ولولا أن تقول بنو عَدِىٍّ * أليستْ أُمّ حَنْظَلةَ النَّوارُ

أتتكم يا بنى مِلْكانَ عنّى * قوافٍ لا تُقَسَّمها التِّجارُ[2]

١٠ يعنى بالنّوار هاهنا بنتَ جُلٍّ بنْ عَدِىّ بن عبد مَنَاة[3] وهى أُمّ حَنْظَلةَ بن مالك بن زيد مَنَاةَ وهى إحدى جَدّاته . وقال فيها أيضا :

سَرَى بالنَّوار عَوْهَجِىٌّ يَسُوقه[4] * عُبيدٌ قَصيرُ الشِّبْر[5] نائى الأقارب

تؤمّ بلادَ الأمن دائبةَ السُّرَى * إلى خير والٍ من لُؤَىّ بن غالب

فدونكَ عِرْسِى تبتغى نَقْضَ عُقْدتى[6] * وإبطالَ حقّ باليمين الكواذب

١٥ (١) دسمت عمائمهم ، أى وسخت وقذرت .

(٢) لعله يريد أن التجار يروونها كلها فى رحلاتهم لا ينقصون منها شيئا لجودتها ، فلا يختارون بعضها دون بعض لأنها كلها جيدة مختارة . (٣) كذا فى شرح القاموس مادة «جلل» والنقائض ص ٨٠٤ وفى الأصول : «حل» بالحاء المهملة وهو تصحيف . (٤) عوهجى : طويل العنق . يريد جملا . (٥) كذا فى أ ، م والنقائض . وقصير الشبر : متقارب الخطو . ونائى الأقارب : غريب بعيد عن أهله .

٢٠ وفى سائر الأصول : «السير» بالسين المهملة وهو تصحيف . (٦) كذا فى النقائض ، وقد ورد فيها البيت هكذا :

فدونك عرسى تبتغى نقض عهدتى * وإبطال حق بالمنى والأكاذب

وفى الأصول : «فدونك أرشا» وهو تحريف .

وقال أيضا :

ولولا أنّ أمّى من عَدِىٍّ * وأنى كارهٌ سُخْطَ الرِّباب

إذًا لأتَى الدواهِى من قَرِيبٍ * جزاءٌ غيرُ مُنْصَرِف العقاب[1]

وصُلْتُ على بنى مِلْكَانَ مِنِّى * بجيش غيرِ مُنْتَظَرِ الإياب[2]

وقال لزهير أيضا :

لبئس العِبْءُ يحمله زُهَيرٌ * على أعجازِ صِرْمَتِه نَوارُ[3]

لقد أهْدتْ وليدتُنا اليكم * عوائرَ[4] لا تقسِّمها التِّجار

وقال لبنى أمّ النُّسَيْر :

لَعَمْرِى لقد أرْدَى النَّوارَ وساقها * الى الغَوْرِ أحلامٌ خِفافٌ عقولُها

أطاعت بنى أُمِّ النُّسَيرِ فأصبحتْ * على قَتَبٍ يعلو الفَلاةَ دليلُها

وقد سَخِطتْ مِنِّى النَّوارُ الذى ارتضَى * به قبلها الأزواجُ خاب رَحيلُها

وإن امرأً أمسَى تخبِّبَ زوجتى * كماشٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتبيلها[5]

ومن دونِ أبوالِ الأسود بَسالةٌ * وبَسْطةُ أيدٍ يمنَع الضَّيمَ طُولُها

وإنّ أميرَ المؤمنين لعالمٌ * بتأويل ما أوْصَى العبادَ رسولها

فدونكها يابنَ الزُّبيرِ فإنها * مولَّعةٌ يُوهِى الحجارةَ قِيلُها

استشفعت النوار الى ابن الزبير بامرأته فاستشفع هو بابنه حمزة

فلما قدمتْ مكّةَ نزلت على بنت منظور بن زَبَّانَ ، واستَشفعتْ بها إلى زوجها عبدِ الله ، وانضمّ الفرزدق الى حمزة بن عبد الله بن الزُّبير، وأمُّه بنت منظورٍ هذه، ومدحه فقال :

---

(١) كذا فى النقائض . وفى الأصول : «الزواهر» وهو تحريف . (٢) لعله يريد أنه يغزو ويحتل فلا يعود ولا ينتظر إيابه . (٣) الصرمة : القطعة من الإبل نحو الثلاثين . (٤) عوائر : سوائر . يريد قصائده . (٥) كذا فى جـ واللسان مادة « بول » أى يأخذ بولها فى يده . وفى الأصول : «يستغيلها» بالغين المعجمة ، وهو تحريف .

أصبحتُ قد نزلتْ بحمزةَ حاجتى * إنّ المنوَّه بآسمه الموثوقُ

الأبياتَ . وقال فيه أيضا :

يا حمزَ هل لك فى ذى حاجة غَرِضتْ[(١)] * أنضاؤه بمكانٍ غيرِ ممطورِ

فأنت أحْرَى قريشٍ أن تكون لها * وأنت بين أبى بَكْرٍ ومنظور

بين الحَوَارِىِّ والصِّدِّيقِ فى شُعَبٍ * نَبَتْنَ فى طيِّب الإسلامِ والخِيرِ

هذه الأبيات كلُّها من رواية أبى زيد خاصّةً . قالوا جميعا : وقال فى النَّوَار :

هَلُمِّى لآبن عمِّك لا تكونى * كمختارٍ على الفرسِ الحمارا

وقال فيها أيضا :

تُخاصِمُنى النَّوَارُ وغاب فيها * كرأس الضَّبِّ يلتمس الجرادا

قال أبو زيد فى خبره خاصّة : فجَعَل أمرُ الفرزدق يضعُف وأمرُ النَّوَار يَقْوَى .

وقال الفرزدق :

أمّا بَنُوه[(٢)] فلم تُقْبَلْ شفاعتهم * وشُفِّعت بنتُ منظورِ بنِ زَبَّانَا

صوت

ليس الشَّفيعُ الذى يأتيك مُؤْتزِرًا * مثلَ الشَّفيع الذى يأتيك عُرْيانَا

— غنّت فى هذا البيت عَرِيبُ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالبنصر — فبلغ آبنَ الزُّبير هذا فدَعا النَّوَار فقال : إن شئتِ فَرَّقت بينكما وقتلتُه فلا يهجونا أبدا ، وإن شئتِ سيَّرتُه إلى بلاد العدوّ . فقالت : ما أُريد واحدةً منهما . قال : فإنه آبنُ عمِّك وهو فيكِ راغب ، أفأزوِّجه إيّاكِ ؟ قالت نعم . فزوّجه إيّاها . فكان الفرزدق يقول : خرجنا متباغضَيْن ورجعنا متحابَّيْن .

(١) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «عرضت» بالعين المهملة . وغرض بالمكان : مل وضجر . والأنضاء : جمع نضو وهو المهزول من الإبل . (٢) كذا فى جـ والنقائض . وفى سائر الأصول : «بنوك» .

هدده ابن الزبير وعيره جلاء قومه تميم عن البيت فقال فى ذلك شعرا

١٨٩ / ٨

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عمر بن شَبة قال قال عثمان بن سليمان :

شَهِدتُ الفرزدق يوم نازَع النَّوارَ فتوجّه القضاءُ عليه ، فأشفق من ذلك وتعرّض لآبن الزُّبير بكلام أغضبه، وكان آبن الزُّبَير حديدًا . فقال له آبن الزُّبَير : أيا ألأمَ الناس! وهل أنت وقومُك إلا جاليةُ العرب! وأمر به فأُقيم . وأقبل علينا فقال : إن بنى تَميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فآستلبوه، وأَجْمعت العربُ عليها لما آنتهكتْ مالم يَنْتهكه أحد قطُّ فأَجْلَتْها من أرض تِهامة. فلما كان فى طائفة من ذلك اليوم لقينى الفرزدق فقال : هِيهِ! أيعيِّرنا آبنُ الزُّبَير جَلاءنا[1] عن البيت! اِسمعْ! ثم قال :

فإن تَغْضَبْ قريشٌ ثم تغضبْ * فإنّ الأرض ترعاها[2] تميمُ

هُمُ عَدَدُ النجوم وكلُّ حىٍّ * سواهم لا تُعَدُّ لهم نجوم

فلولا بنتُ مُرٍّ[3] من نزارٍ * لمَا صحَّ المَنابتُ والأديم

بها كثُر العَديدُ وطاب منكم * وغيرُكُمُ أحَذُّ[4] الرِّيش هِيم

فمهلًا عن تذلُّل مَنْ عَزَزْتُم * بخُولَتِه وعَزَّ به الحَميم

أعبدَ الله مهلًا عن أذاتى * فإنّى لا الضعيف ولا السَّؤُوم

ولكنّى صَفاةٌ لم تُؤَبَّس[5] * تَزِلُّ الطيرُ عنها والعُصُوم[6]

(١) فى الأصول : « أيعيرنا ابن الزبير بجلائنا » وهى لغة رديئة . (٢) كذا صححها الأستاذ الشنقيطى فى نسخته . وفى جـ : « ترغبها » وهو تصحيف عن « ترعيها » . وفى سائر الأصول : « ترضاها » وهو تحريف . (٣) كذا صححها الأستاذ الشنقيطى . وفى الأصول : « نبت » وهو تصحيف . (٤) أحذ الريش : قصيره . والهيم : العطاش . ولعله يكنى بذلك عن الضعف والذلة . (٥) كذا فى جـ ونسخة الشنقيطى . وتؤبس : تكسر . وفى سائر الأصول : « تؤنس » بالنون ، وهو تصحيف . (٦) لعله جمع عصم (بالضم) الذى هو جمع عصماء . والعصم الظباء .

أنا ٱبن العاقرِ الخُورَ[1] الصَّفَايَا * بصَوْءَرَ[2] حيث فُتِّحت العُكُوم[3]

وذكر الزُّبَير بن بَكّار عن عمه أن عبد الله بن الزُّبَير لمّا حكم على الفرزدق قال : إنما حكمتَ عليَّ بهذا لأفارقها فتثب عليها ؛ وأمر به فأُقيم ، وقال له ما قال فى بنى تميم . قال : ثم خرج عبد الله بن الزُّبَير الى المسجد فرأى الفرزدق فى بعض طرق مكة وقد بلغته أبياته التى قالها ، فقبض ٱبن الزُّبَير على عنقه فكاد يَدُقُّها ، ثم قال :

لقد أصبحتْ عِرْسُ الفرزدق ناشزًا * ولو رضيتْ رُمْحَ ٱستِه[4] لٱستقرّتِ

قال الزُّبير : وهذا الشعر لجعفر بن الزُّبَير .

ما كان بينه وبين ابن الزبير بعد قوله ماحاجتك بها وقد كرهتك

أخبرنا أبو خَليفة قال أخبرنا ٱبن سَلّام قال أخبرنا إبراهيم بن حَبيب الشَّهيد قال : قال ابن الزُّبَير للفرزدق : ماحاجتُك بها وقد كرِهتْك ! كُنْ لها أكرَه وخلِّ سبيلَها . فخرج وهو يقول : ما أمرنى بطلاقها إلا ليَثِبَ عليها . فبلغ ذلك ٱبنَ الزُّبَير فخرج وقد ٱستهلّ هلال ذى الحِجّة ولبِس ثيابَ الإحرام يريد البيتَ الحَرام ، فألفَى الفرزدقَ بباب المسجد عند الباعة ، فأخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسه بين ركبتيه وقال :

لقد أصبحتْ عِرْسُ الفرزدقِ ناشزًا * ولو رضيتْ رُمْحَ ٱستِه لٱستقرّتِ

قال الزُّبَير : وهذا البيت لجعفر بن الزبير .

(١) كذا صححها الأستاذ الشنقيطى . والخور : جمع خوّارة ، وهى الغزيرة اللبن من النوق والشاء ، على غير قياس . وفى جـ : « الجول » . والجول : الجماعة من الابل . وفى سائر الأصول : « الحور » بالحاء المهملة وهو تصحيف .
(٢) صوءر : ماء لكلب فوق الكوفة مما يلى الشام ، وهو الماء الذى تعاقر عليه غالب بن صعصعة أبو الفرزدق وسحيم بن وثيل الرياحى ، وكان قد عقر غالب ناقة وفرقها على بيوت الحى ، وجاء الى سحيم منها بجفنة ، فغضب سحيم وردها فقام وعقر ناقة ؛ فعقر غالب أخرى ، وتعاقرا حتى أقصر سحيم .
(٣) العكوم : جمع عكم ، وهو العدل (بكسر العين) أو الكارة وهى وعاء الثياب والطعام . لعله يريد أنه ينهب ما تحمله هذه النوق ثم يذبحها .
(٤) رمح الاست : الكناية فيه واضحة .

هجاه جعفر بن الزبير فنهاه أخوه عن ذلك

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى عن أبيه قال :

لمّا قال الفرزدق فى ابن الزّبير :

أمّا بنوه فلم تُقْبَل شفاعتُهم * وشُفِّعتْ بنتُ منظورِ بن زَبَّانَا

قال جعفر بن الزّبير :

ألاّ تِلْكُمُ عِرْسُ الفرزدقِ جامحًا * ولو رضيتْ رمحَ آستِه لآستقرّتِ

فقال عبد الله بن الزّبير: أتُجْزِرُنا كلبًا[1] من كلاب بنى تميم ! لئن عُدْتَ لم أُكَلِّمك أبدا .

قال : وتُماضِرُ التى عَناها الفرزدقُ أُمُّ خُبَيْب وثابتٍ آبنَىْ عبد الله بن الزّبير . وماتت عند عبد الله، فتزوّج أُختها أمَّ هاشم فولدتْ له هاشما وحَمْزة وعَبّادا .

قال : وفى أمّ هاشم يقول الفرزدق يستعينها على آبن الزّبير ويشكو طولَ مُقامِه :

تروّحتِ الرُّكبانُ يا أُمَّ هاشم * وهُنّ مُناخاتٌ لهنّ حَنينُ

وخُيِّسْنَ[2] حتى ليس فيهنّ نافقٌ * لبَيْعٍ ولا مركوبهنّ سَمِينُ

قال : وهذا يدلّ على أن النَّوار كانت استعانتْ بأُمّ هاشم لا بتُماضِرَ .

لما أذنت النوار فى تزويجها منه استعان فى مهرها سلم بن زياد فأعانه

فلما أَذِنتِ النَّوارُ لعبد الله فى تزويجها بالفرزدق حكم لها عليه بمهر مثلها عشرةِ آلافِ درهم . فسأل : هل بمكة أحد يُعينه ؟ فَدُلّ على سَلْم بن زِياد ، وكان آبنُ الزّبير حَبسه ، فقال فيه :

دَعِى مُغْلِقِى الأبوابِ دون فَعالهم * ومُرِّى تَمَشَّىْ بى ــ هُبِلْتِ ــ الى سَلْمِ

الى من يَرى المعروفَ سَهْلًا سبيلُه * ويفعل أفعالَ الكرام التى تَنْمِى

(١) يقال : أجزرت القوام اذا أعطيتهم شاة يذبحونها . يريد : أتعرض أعراضنا للفرزدق ينهشها .

(٢) خيسن : لم يسرّحن .

ثم دخل على سَلْم فأنشده . فقال له : هى لك ومثلها نفقتُك، ثم أمر له بعشرين ألفا فقبَضها . فقالت له زوجته أُمُّ عثمان بنتُ عبدِ الله بن عثمانَ بنِ أبى العاصى الثَّقفيّة : أتُعطى عشرين ألفا وأنت محبوس ! فقال :

ألَا بَكَرت عِرْسِى تَلُوم سَفاهةً * على ما مضَى منّى وتأمر بالبخل

فقلت لها والجودُ منّى سجيّةٌ * وهل يمنع المعروفَ سُؤّالَه مثلى

ذَرِينى فإنّى غيرُ تاركِ شِيمتِى * ولا مُقْصِرٍ عن السَّماحةِ والبَذْل

ولا طاردٍ ضَيْفِى إذا جاء طارقًا * فقد طرَق الأضيافُ شَيْخَىَ من قبلى

أأبْخَل ! إنّ البخل ليس بمُخْلِدٍ * ولا الجُود يُدْنِينى الى الموت والقتل

أبِيعُ بنى حَرْبٍ بآل خُوَيْلِدٍ (١) * وما ذاكَ عند الله فى البيع بالعدل

وأشْرِى (٢) ابنَ مروان الخليفةَ طائعًا * بَنْجْلِ بنى العوّام! قُبِّح من نَجْل

فإن تُظْهِروا لى البخلَ آلَ خُوَيلدٍ * فما دَلُّكم دَلِّى ولا شَكْلُكم شكلى

وإن تَقْهَرونى حيث غابت عَشيرتى * فمن عَجَبِ الأيام أن تَقْهَروا مثلى

لم تحسن النوار عشرته فتزوّج عليها حدراء بنت زيق ومدحها وذم النوار

قال دَمَاذُ فى خبره : ثم اصطلحا و رضيتْ به، وساق إليها مهرَها ودخل بها وأحبلها قبل أن تخرج من مكة ثم خرج بها وهما عَدِيلان فى مَحْمِل. فكانت لا تزال تُشَارُّه وتخالفه، لأنها كانت صالحةً حسنة الدِّين وكانت تكره كثيراً من أمره . فتزوّج عليها حَدْراء بنت زِيق بن بِسْطام بن قيس بن مسعود بن قَيْس بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمّام بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان، فتزوّجها على مائة من الإبل . فقالت له النَّوارُ : وَيْلَكَ ! تزوّجتَ أعرابيّةً دقيقة السّاقين بَوّالة على عَقِبَيْها على مائة بعير! . فقال الفرزدق يفضّلها عليها و يُعيّرها أنها كانت تربّيها أَمَةٌ :

(١) خويلد : هو الجد الثانى لابن الزبير . (٢) أشرى : أبيع .

لجَارِيةٌ بين السَّلِيلِ عُروقُها * وبين أبي الصَّهْباءِ(١) من آل خالد
أحقُّ بإغلاء المُهُور من التي * رَبَتْ وهي تَنْزُو في حُجور الولائد

ومدحها أيضا فقال :

١٩١ / ٨

عَقيلةٌ من بنى شَيْبانَ ترفعها * دَعائمُ للعُلاَ من آل هَمّام
من آل مُرّةَ بين المُستضاء بهم * من رَهْطِ صِيدٍ مَصَاليتٍ وحُكّام
بين الأحاوص(٢) من كَلْبٍ مُرَكَّبُها * وبين قيس بن مسعودٍ وبِسْطام

وقال أيضا يمدحها ويعرِّض بالنّوار :

لَعَمْرِى لأعرابيّةٌ فى مَظَلّة(٣) * تَظَلّ بأعلى(٤) بيتها الرِّيحُ تَخْفُقُ
كأُمّ غزالٍ أو كَدُرّة غائص * إذا ما أتَتْ مثلَ الغَمامة تُشْرِق
أحَبُّ إلينا من ضِنَاكٍ(٥) ضِفَنّة * إذا وُضِعتْ عنها المراوحُ تَعْرَق

فقال بعض باهِلةَ(٦) يُجيبه :

أعوذ بالله من غُولٍ مُغَوِّلةٍ * كأنّ حافرَها فى الحدّ ظُنْبوبُ(٧)
تَسْتَرْوِحُ الشاةَ من مِيلٍ اذا ذُبِحتْ * حُبَّ اللِّحامِ كما يَسْتَرْوِحُ الذِّيبُ

هاجاه جرير بإغراء النوار

وأغْضب الفرزدقُ النَّوارَ بمدحه إيّاها، فقالت: والله لأُخزِيَنّكَ يا فاسق ! وبعثتْ الى جرير بجُاءها؛ فقالت : ألا تَرى ما قال لى الفاسق ! وشكتْ اليه . فقال :

(١) أبو الصهباء : يعنى بسطام بن قيس . والسليل : هو السليل بن قيس أخو بسطام .
(٢) الأحاوص : عوف وعمرو وشريح وربيعة ، أولاد الأحوص بن جعفر بن كلاب .
(٣) المظلة (بفتح الميم وكسرها) : الخباء الكبير . (٤) فى حـ والنقائض : «بروق بيتها» . والروق من البيت : رواقه أى شقته التى دون الشقة العليا . (٥) الضناك (بكسر الضاد) : الضخمة من النساء . والضفنة (بكسر الضاد وفتح الفاء وكسرها وتشديد النون) : الحمقاء مع عظم خلق .
(٦) هو عبد الله بن الحجاج بن عبد الله المعروف بالأصم الباهلى . (٧) فى حـ والنقائض : «فى حد ظنبوب» . والظنبوب : حرف الساق اليابس من قدم . وبعده فى النقائض :

وركبتاها سلاح ما يقوم لها * إلا الشياطين فى تلك الأعاريب

فلا أنا مُعطِي الحُكْمِ عن شِفِّ[1] مَنْصِبٍ * ولا عن بناتِ الحَنْظَلِيِّين راغِبُ

وهنّ كماء المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى * وكانت مِلاحًا غيرَهُنّ المشارِبُ

لقد كنتَ أهلًا أن تَسُوقَ دِيَاتِكم[2] * الى آل زِيقٍ أن يَعِيبَك عائبُ

وما عَدَلَتْ ذاتُ الصَّلِيبِ[3] ظعينةً * عُتَيْبَةُ والرِّدْفانِ منها وحاجبُ

ألَا رُبَّما لم نُعْطِ زِيقًا بحُكْمِه * وأدّى الينا الحُكْمَ والغُلُّ[4] لازِبُ

حَوَيْنا أبا زِيقٍ وزِيقًا وعَمَّه * وجَدَّةُ زِيقٍ قد حوتْها المَقَانِبُ[5]

فأجابه الفرزدق بقصيدة منها :

ألستَ إذ القَعْساءُ[6] أَنْسَلَ[7] ظهرُها * الى آل بِسْطامِ بن قيس بخاطبِ

---

(١) الشف (هاهنا) النقصان ، وقد يكون الشف الفضل أيضا . (النقائض ص ٨٠٧) .

(٢) أى لقد كنت أهلا أن يعيبك عائب لأجل سوقك الديات الى آل زيق . والمراد بالديات المائة من الإبل التى ساقها الفرزدق مهرا الى آل زيق . (٣) ذات الصليب : يريد بها حدراء ، وذلك أن أجدادها كانوا نصارى فعيره ذلك . وظعينة : امرأة . والأصل فى الظعينة المرأة تكون على البعير ، ثم استعمل العرب الظعينة حتى صيروا المرأة ظعينة بغير بعير . وعتيبة : يريد عتيبة بن الحارث بن شهاب ابن عبد قيس بن كباس بن جعفر بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وقد رأس وكان فارس مضر فى زمانه . وحاجب : هو حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم . والردفان هما : عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع ، وعوف بن عتاب بن هرمى . والردف : الذى يردف الملك يعادله فى ركوبه ويجلس فى مجلسه اذا قام من مجلسه . (عن النقائض ص ٨٠٨ الى ٨٠٩ ببعض تصرف) .

(٤) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « والنعل » وهو تحريف . ولا زب : لازم .

(٥) المقانب : جمع مقنب ، وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة . (٦) القعساء من النساء : الداخلة الصلب العظيمة البطن . وانما عنى هاهنا أتانا . يعنى أن بنى كليب قالوا لجرير : مالك وقد حسنت حال أعيارك لا تأتى آل بسطام فتخطب اليهم كما فعل الفرزدق . (النقائض ص ٨١٣) . (٧) كذا فى النقائض . وأنسل ظهرها أى طرت فسقط وبرها القديم ونبت وبر جديد وذلك لسمنها . وفى الأصول : « أنحل ظهرها » .

فنَلْ مثلَها من مثلهم ثم لُمْهمُ * بمالك من مالٍ مُرَاحٍ وعازب
فلو كنتَ من أكفاء حَذْراءَ لم تلُمْ * على دَارِمِيٍّ بين لَيْلَى وغالب
وإنى لأخشى إن خطبتَ إليهمُ * عليك التى لاقى يَسَارُ الكواعب

— يَسَارٌ كان عبدا لبنى غُدَانة، فأراد مولاته على نفسها، فنهته مرّةً بعد مرة، وألحّ فوعدته، فجاء فقالت له : إنى أريد أن أبخّرك فإن رائحتك متغيِّرة؛ فوضعتْ تحته مِجْمرةً وقد أعدَّتْ له حديدةً حادّة، فأدخلتْ يدها فقبضتْ على ذكره وهو يرى أن ذلك لشىء، فقطعتْه بالمُوسَى؛ فقال : «صبرًا على مجامر الكرام» فذهبتْ مثلًا — عاد الشعر :

ولو قبِلوا منّى عَطيّةَ سُقْتُه * الى آل زِيقٍ من وَصيفٍ مُقاربِ(١)
همُ زوّجوا قبلى ضِرارًا وأنكحوا * لَقيطًا وهم أكفاؤنا فى المَناسب
ولو تُنْكِح الشمسُ النجومَ بناتِها * إذًا لنكحناهنّ قبل الكواكب

وقال جرير :

يازيقُ أنكحتَ قَيْنًا بآسته حُمَمٌ * يازيقُ وَيْحَكَ مَنْ أنكحتَ يازيقُ(٢)
غاب المثنّى فلم يَشْهَدْ نَجِيَّكما * والحَوْفَزانُ ولم يشهدْك مفروق
أين الأُلَى أنزلوا النعمانَ مُقْتَسَرًا * أم أين أبناءُ شَيْبانَ الغرانيقُ
يا رُبَّ قائلةٍ بعد البِناء بها * لا الصِّهْرُ راضٍ ولا ابنُ القَيْنِ معشوق

وقال الفرزدق(٣) لجرير فى هذا :

إن كان أنفُك قد أعياكَ تَحْمِلُه * فاركبْ أتانَك ثم اخطُبْ الى زِيقِ

(١) عطية : هو أبو جرير . والمقارب : الدون، وقيل : هو الوسط بين الجيد والردىء .
(٢) راجع هذا الشعر وشرحه فى ترجمة جرير فى الجزء الثامن من هذه الطبعة ص (٨٥ — ٨٦) .
(٣) فى الأصول : «وقال جرير للفرزدق» وقد صححها كما أثبتناها الأستاذ الشنقيطى فى نسخته .

قال : ولامه الحجّاج وقال : أتزوّجت ٱبنة نَصْرانيّ على مائة ناقة؟! قال : وما هى فى جُود الأمير! قال : فٱشترى الإبلَ وساقها . فلمّا كان فى بعض الطريق ومعه أَوْفَى بن خِنْزير أحدُ بنى التَّيْم بن شَيْبانَ بن ثَعْلبة دليلُه رأى كبشًا مذبوحا ، فقال : يا أوفى ، هلكتْ واللهِ حَدْراءُ ! . قال : مالك بذلك من علم ! . فلمّا بلغ قال له بعض قومها : هذا البيتُ فٱنزل ، وأمّا حَدْراء فهلكتْ . وقد عرفنا الذى يُصيبكم فى دِينكم من ميراثها وهو النصف فهو لك عندنا . فقال : لا والله لا أَرْزَأُ منه قِطْميرا ، وهذه صَدُقَتُها(١) فاقبِضوها . فقال: يا بنى دارِم! والله ما صاهرنا أكرَمَ منكم . قال : وفى هذه القصة يقول الفرزدق :

رأى فى طريقه الى حدراء كبشا مذبوحا فتشاءم بموتها وشعره حين أخبر بوفاتها

عجبتُ لحادينا المقحِّمِ سيره * بنا مُوجَفاتٍ من كَلَالٍ وظُلَّعَا
ليُدْنِيَنا ممن إلينا لقاؤُه * حبيبٌ ومن دارٍ أَرَدْنَا لتجمَعا
ولو يعلم الغيْبَ الذى مِنْ أمامنا * لكرَّ بنا حادى المطيِّ فأَسْرَعا
يقولون زُرْ حَدْراءَ والتُّرْبُ دونَها * وكيف بشيءٍ وصلُه قد تقطَّعا
وما مات عند ٱبنِ المَرَاغة مثلُها * ولا تبعتْه ظاعنًا حيث ودّعا
يقول ٱبنُ خِنْزيرٍ بكيتَ ولم تكن * على ٱمرأةٍ عينًا أخيك لتدْمَعا
وأهونُ رُزْءٍ لٱمرئٍ غيرِ جازِعٍ * رَزِيّةُ مُرْتَجِّ الرَّوادفِ أَفْرعا

وقال ابن سَلّام فيما أخبرنا به أبو خَليفةَ عنه قال حدّثنى حاجب بن زيد وأبو الغَرّاف قالا :

استعان الحجاج فى مهر حدراء فعدله فشفع له عنبسة بن سعيد

تزوّج الفرزدق حَدْراءَ بنت زِيق بن بِسْطام بن قَيْس بن مسعود بن قيس ابن خالد بن ذى الجَدّين وهو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمّام بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان على حكم أبيها ، فاحتكم مائةً من الإبل . فدخل على الحجّاج

(١) الصدقة : المهر .

فعذَله فقال : أتزوّجتَها على حكمها وحكم أبيها مائةَ بعير وهى نصرانية وجئتنا متعرِّضا أن نَسُوقها عنك ! أُخْرُجْ ما لك عندنا شىء ! . فقال عَنْبَسة بن سَعيد بن العاصى وأراد نفعه : أيها الأمير، إنها من حَوَاشِى إبل الصدقة؛ فأمر له بها . فوثب عليه جَرير فقال :

يازِيقُ قد كنتَ من شَيْبَانَ فى حَسَبٍ * يازيقُ وَيْحكَ مَنْ أَنْكحتَ يازيقُ
أَنْكحتَ وَيْحكَ قَيْنًا بِٱستِه حَمَمٌ * يازِيقُ وَيْحَكَ هل بارتْ بكَ السُّوقُ

ثم ذكر باقىَ القصيدة بمثل رواية دَمَاذ .

أراد أن تحمل حدراء فاعتلوا بموتها وشعر لجرير فى ذلك

قال ابن سَلَّام : وأراد الفرزدقُ أن تُحْمَل، فاعتلُّوا عليه وقالوا : ماتت، كراهةَ أن يهتِك جَريرٌ أعراضَهم . فقال جَرير :

وأقْسِم ما ماتتْ ولكنّه التَّوَى * بحَدْراءَ قومٌ لم يَرَوْكَ لها أهلَا
رأوا أن صِهْرَ القَيْنِ عارٌ عليهمُ * وأن لِبِسطامٍ على غالبٍ فضلا
إذا هى حلَّتْ مُسْحلانَ[1] وحاربتْ * بشَيْبان لاقى القومُ من دونها شُغْلا

وحَدْراءُ هذه هى التى ذكرها الفرزدق فى أشعاره . ومن ذلك قوله :

صوت

عزَفْتَ بأعْشاشٍ[2] وما كدْتَ تَعْزِفُ * وأنكرتَ من حَدْراءَ ما كنتَ تعرِفُ
ولَجّ بك الهِجْرانُ حتى كأنّما * ترى الموتَ فى البيتِ الذى كنتَ تَأْلَفُ[3]

عروضه من الطويل . عزَفْتَ عن الشىء انصرفت عنه؛ عزَف يعزِفُ عُزُوفا . الشعر للفرزدق . والغناء لسَلْسَل، ثانى ثقيل بالوسطى . وفيه لحنٌ للغَرِيض من الثَّقيل الأوّل بالبنصر من رواية حَبَش .

(١) مسحلان : موضع فى بلاد بنى يربوع . (٢) أعشاش : موضع فى بلاد بنى تميم لبنى يربوع بن حنظلة . (٣) فى النقائض : «الذى كنت تيلف» وهى لغة تميم .

قصة ما كان بينه وبين ابن أبى بكر ابن حزم حين أنشده من شعر حسان فى المسجد

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليَزِيدىّ قالا حدّثنا أبو سعيد السُّكَّرىّ قال حدّثنا محمد بن حَبِيب وأبو غَسَّانَ دَمَاذٌ عن أبى عُبيدةَ قال قال اليَرْبوعىّ :

قال إبراهيم بن محمد بن سَعْد بن أبى وَقّاص الزُّهْرِىّ : قدم الفرزدقُ المدينةَ فى إمارة أَبَانَ بن عثمان . قال : فإنى والفرزدق وكثِّيرًا لجلوسٌ فى المسجد نتناشد الأشعار، إذ طلع علينا غلامٌ شَخْتٌ[1] آدَمُ فى ثوبين مُمَصَّرين (أى مصبوغين بصُفْرة غير شديدة) ثم قصد نحوَنا حتى جاء إلينا فلم يسلِّم، فقال : أيُّكم الفرزدق ؟ فقلت مخافةَ أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيِّد العرب وشاعرها ! فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا له . فقال له الفرزدق : ومَنْ أنت لا أُمَّ لك ؟ ! قال : رجل من الأنصار ثم من بنى النَّجّار ثم أنا ابن أبى بكر بن حَزْم . بلغنى أنك تزعمُ أنك أشعر العرب وتزعُمُه مُضَر ذلك لك ، وقد قال صاحبنا حَسَّان شعرًا فأردتُ أن أَعرِضه عليك وأؤجِّلك سنةً ؛ فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب وإلا فأنتَ كذّابٌ مُنتحِل . ثم أنشده قول حسّان :

لنا الجَفَنات الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى * وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدةٍ دَمَا
مَتَى ما تَزُرْنا من مَعَدٍّ عِصابةٌ * وغسّانَ نَمْنَعْ حَوْضَنا أن يُهَدَّما

— قيل إن قوله : «وغسان» هاهنا قسمٌ أقسم به، لأن غسّان لم تكن تغزوهم مع مَعَدّ —

أَبَى فعلُنا المعروفَ أن نَنْطق الخَنَا * وقائلُنا بالعُرْف إلّا تَكَلُّما
وَلَدْنا بنى العَنْقاءِ وابْنَىْ مُحَرِّقٍ * فأَكْرِمْ بنا خالًا وأَكْرِمْ بنا ابْنَمَا

(١) الشخت : الدقيق الضامر أصلا لا هزالا .

فأنشده القصيدة الى آخرها وقال له : إنى قد أجّلتك فيها حولًا، ثم ٱنصرف . وٱنصرف الفرزدقُ مُغْضَباً يسحَب رداءه ما يَدْرِى أىَّ طريقٍ يسلكُ، حتى خرج من المسجد . قال : فأقبل كثيِّر علىّ فقال : قاتل الله الأنصارىَّ ! ما أفصحَ لهجتَه، وأوضح حُجّتَه، وأجْوَدَ شعرَه ! . قال : فلم نزل فى حديث الفرزدق والأنصارىّ بقيّةَ يومنا، حتى إذا كان الغدُ خرجتُ من منزلى الى مجلسى الذى كنت فيه بالأمس، ٥ وأتانى كثيِّر فجلس معى . فإنّا لنتذاكر الفرزدقَ ونقول : ليت شعرى ما فعل، إذ طلع علينا فى حُلّةٍ أفْوافٍ[1] يمَانيةٍ مُوَشّاةٍ، له غَديرتان، حتى جلس فى مجلسه بالأمس، ثم قال : ما فعل الأنصارىّ ؟ قال : فنِلْنا منه وشتَمْناه . فقال : قاتله الله ! ما رُميتُ بمثله ولا سمعت بمثل شعره ! فارقتُكما فأتيتُ منزلى فأقبلتُ أُصَعِّدُ وأُصَوِّب فى كلّ فنٍّ من الشعر، فلَكأنّى مُفْحَمٌ أولم أقل قطُّ شعرا حتى نادى المنادى بالفجر، فرحلْتُ ١٠ ناقتى ثم أخذت بزِمامها فقُدْتُها حتى أتيتُ ذُباباً[2]، ثم ناديتُ بأعلى صوتى : أخاكم أبا لُبْنَى[3] — وقال سعدان : أبا ليلى ! — فجاش صدرى كما يجيش المِرْجَل، ثم عقَلتُ ناقتى وتوسّدتُ ذراعها، فما قمتُ حتى قلتُ مائةً وثلاثةَ عَشَرَ بيتا . فبينا هو يُنشدنا، إذ طلع علينا الأنصارىّ حتى ٱنتهى إلينا فسلَّم ثم قال : أمَا إنى لم آتِك لأُعْجِلَك عن الأجل الذى وقَّتُّه لك، ولكنّى أحببت ألّا أراك إلا سألتُك عما صنعتَ . فقال : ١٥ اجلس، ثم أنشده :

* عزَفْتَ بأَعْشاشٍ وما كِدْتَ تَعْزِفُ *

فلمّا فرغ الفرزدقُ من إنشاده قام الأنصارىُّ كئيباً . فلمّا توارَى طلع أبوه وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم فى مَشْيَخة من الأنصار، فسلّموا علينا وقالوا :

(١) الأفواف : جمع فوف (بالضم) وهو القطن . (٢) ذباب (رواه الحزامى بكسر أوله ٢٠ والعمرانى بضمه) : جبل بالمدينة . (٣) لم يتقدم فى سند هذا الخبر شخص بهذا الاسم .

١٩٤ / ٨

يا أبا فِرَاس، قد عرفتَ حالَنا ومكانَنا من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ووصيّته بنا. وقد بلغنا أنّ سفيهًا من سُفَهائنا تعرّض لك، فنسألك بالله لمّا حفظتَ فينا وصيّةَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ووهبتَنا له ولم تفضَحْنا . قال إبراهيم بن محمد : فأقبلتُ أكلّمه أنا وكثيِّر، فلما أكثرنا عليه قال : اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشيّ.

قال : وقد كان جرير قال :

ألَا أيُّها القلبُ الطَّروبُ المُكَلَّفُ * أفِقْ رُبّما يَنْأى هواكَ ويُسْعِفُ

ظَلِلتَ وقد خَبَّرْتَ أن لستَ جازعاً * لِرَبْعٍ بسُلْمانَيْنِ(١) عينُك تَذْرِفُ

فجعل الفرزدقُ هذه القصيدة نَقيضة لها .

نسبة ما في هذا الخبر من الأصوات

١٠ منها :

صـــوت

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى * وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدةٍ دما

وَلَدْنا بني العَنْقاءِ وابْنَيْ مُحَرِّقٍ * فأكْرِمْ بنا خالاً وأكرم بنا ابْنَمَا

عروضه من الطويل . الشعر لحسّان بن ثابت . والغناء لمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ أوّل

١٥ بالبنصر عن عمرو بن بانة .

ما كان بين النابغة وحسان بسوق عكاظ حين مدح النابغة الخنساء

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثني محمد بن سَعْد الكُرَانيّ عن أبي عبد الرحمن الثّقفي، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرنا إبراهيم بن أيّوب الصائغ عن ابن قُتَيبة :

(١) سلمانان (بضم أوّله وتكرير النون) : اسم موضع، تضاف إليه البرقة المعروفة ببرقة سلمانين .

٢٠ (راجع معجم البلدان في سلمانين وبرقة سلمانين) .

أن نابغــةَ بنى ذُبْيانَ كان تُضرَب له قُبّة من أَدَم بسُوق عُكاظ يجتمع اليه فيها الشعراء؛ فدخل اليــه حَسّان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعرَه وأنشدته الخَنْساءُ قولَها :

* قَذًى بعينِك أم بالعين عُوّارُ *

حتى انتهتْ الى قولها :

وإنّ صخرًا لَتأتمُّ الهُداةُ به * كأنه عَــلَمٌ فى رأســه نار

وإنّ صخرًا لمولانا وسيّدُنا * وإن صخرًا إذا نَشْتُو لَنحّار

فقال : لولا أن أبا بَصير أنشدنى قبلكِ لقلت، إنك أشعر الناس ! أنت واللهِ أشعر من كل ذات مَثانة[1] . قالت : والله ومن كلِّ ذى خُصْيتين . فقال حَسّان : أنا والله أشعر منكِ ومنها . قال : حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :

لنا الجَفَناتُ الغُرّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى * وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْــدةٍ دَمَا

ولَدْنا بنى العَنْقاء وٱبنَىْ محــرِّقٍ * فأكْرِمْ بنا خالًا وأَكْرِمْ بنا ٱبْنَمَا

فقال : إنك لشاعر لولا أنك قلّلتَ عدد جِفانك وفخَرْتَ بمن وَلَدتَ ولم تَفْخَرْ بمن ولَدك . وفى رواية أخرى : فقال له : إنك قلت «الجَفَنات» فقلّلتَ العدد ولو قلت «الجِفان» لكان أكثرَ . وقلت «يلمعن فى الضُّحَى» ولو قلت «يَبْرُقْنَ بالدُّجَى» لكان أبلغ فى المديح لأن الضيف بالليل أكثر طُروقًا . وقلت «يَقْطُرْنَ من نجــدة دما» فدلّلْتَ على قلة القَتْلِ ولو قلت «يَجْرِينَ» لكان أكثرَ لانصبابِ الدّم . وفخَرْتَ بمن ولَدْتَ ولم تفخَرْ بمن ولَدَك . فقام حَسّان منكسرا منقطعا .

مما يغنّى فيه من قصيدة الفرزدق الفائية قولُه :

صــــوت

تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسيرُون خَلْفَنا * وإن نحن أَوْمَأْنا الى الناس وَقَّفُوا

فيه رَمَلٌ بالوسطى؛ يقال : إنه لابن سُريج، وذكر الهشامىّ أنه من منحول يحيى المكّىّ .

[1] المثانة : المراد بها هنا موضع الولد من الأنثى .

انتحل بيتا لجميل

أخبرنا الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى أبو مَسْلَمة موهوبُ بن رَشِيد الكِلَابىّ قال:

وقف الفرزدق على جَمِيل والناس مجتمعون عليه وهو يُنْشِد:

تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسِيرُون خَلْفَنا * وإن نحن أَوْمَأْنا الى الناس وَقَفُوا

٥ فأَشْرع اليه رأسه من وراء الناس وقال: أنا أحقّ بهذا البيت منك. قال: أَنْشُدك اللهَ يا أبا فِرَاس! فمضى الفرزدقُ وآنتحله.

عرض هو وكثير كل منهما للآخر أنه سرق بيتا من جميل

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنى الزُّبَير قال حدّثنى أبى عن جَدّى: أنّ الفرزدق لقى كثيّرا فقال له: ما أشعرك يا كثيّر فى قولك:

أُريد لأنسى ذكرَها فكأنّما * تَمَثَّلُ لى لَيْـلَى بكلّ سبيل

١٠ فعرّض له بسرقته إيّاه من جَميل:

أُريد لأنسى ذكرها فكأنّما * تَمَثَّلُ لى لَيْلَى على كلّ مَرْقَبِ

فقال له كثيّر: أنت يا فرزدق أشعر منّى فى قولك:

تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسِيرُون خَلْفَنا * وإن نَحْنُ أَوْمَأْنا الى الناس وَقَفُوا

— قال: وهذا البيت لجميل سرقه الفرزدق — فقال الفرزدق لكثيّر: هل كانت

١٥ أُمُّك تَرِدُ البصرةَ؟ قال: لا! ولكن أبى كان نَزِيلًا لأُمّك.

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز ابن عِمْرانَ عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شِهاب عن طَلْحةَ بن عبد الله بن عَوْف قال: لقى الفرزدق كثيّرا بقارعة البَلاط وأنا وهو نمشى؛ فقال له الفرزدق: يا أبا صَخْر! أنت أنسبُ العرب حيث تقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما * تمثّل لى ليلى بكلّ سبيل

قال : وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول :

١٩٦ / ٨

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا * وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا

— قال عبد العزيز : وهذان البيتان جميعا لجميل، سرق أحدهما الفرزدق ، وسرق الآخر كثيّر — فقال له الفرزدق : يا أبا صخر، هل كانت أمّك ترد البصرة ؟ قال : لا ! ولكن أبى كان كثيرا يردها . قال طلحة : فوالذى نفسى بيده لقد تعجّبت من كثيّر وجوابه ، وما رأيت أحدا قطّ أحمق منه ؛ لقد دخلت عليه يوما فى نفر من قريش ، وكنّا كثيرا نهزأ به ، وكان يتشيّع تشيّعا قبيحا ، فقلنا له : كيف تجدك يا أبا صخر ؟ فقال : بخير ، هل سمعتم الناس يقولون شيئا ؟ قلت : نعم ! يتحدّثون أنك الدجّال . قال : والله إن قلت ذلك إنّى لأجد فى عينى هذه ضعفا منذ أيام ! .

وبجرير قصيدة يناقض بها هذه القصيدة فى أوّلها غناء نسبته :

ألا أيّها القلب الطّروب المكلّف * أفق ربّما ينأى هواك ويسعف

ظللت وقد خبّرت أن لست جازعا * لربع بسلمانين عينك تذرف

الشعر لجرير . والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفىّ ثانى ثقيل بالبنصر، عن عمرو بن بانة . وقال حبش : فيه ثقيل أوّل بالوسطى . وليس ذلك بصحيح .

رجع الحديث الى سياقة حديث الفرزدق والنّوار :

تزوّج وهيمة بنت غنيم اليربوعية

قال دماذ : وتزوّج الفرزدق على النّوار امرأة من اليرابيع ، وهم بطن من النّمر ابن قاسط حلفاء لبنى الحارث بن عباد القينىّ ، وقد انتسبوا فيهم . فقالت له النّوار : وما عسى أن تكون القينيّة ؟ ! فقال :

أرتكَ نجومَ اللَّيلِ والشمسُ حيَّةٌ[1] * زِحامُ بناتِ الحارث بن عُبَاد

نساءٌ أبوهنّ الأغرُّ ولم تكن * من الحُتِّ[2] فى أجبالها وهَدَادِ[3]

ولم يكن الجَوْفُ[4] الغموضُ مَحَلَّها * ولا فى الهِجَاريِّين رَهْطِ زياد

أبوها الذى أدْنَى النَّعامةَ بعدما * أبتْ وائلٌ فى الحرب غيرَ تَمادِ

— يعنى بأبيها الذى أدنى النعامةَ الحارثَ بن عُبَاد، وأراد قوله :

* قرِّبا مَرْبَطَ النَّعامةِ منِّى * —

عدلتُ بها مَيْلَ النَّوار فأصبحتْ * مُقارِبةً لى بعد طول بِعادِ

وليست وإنْ أُنْبِئْتُ أنِّى أحِبُّها * الى دارميّات النِّجار جيادِ

وقال أبو عُبَيْدة حدّثنى أَعْيَن بن لَبَطَة قال : تزوّج الفرزدق، مُضَارَّةً للنَّوار، امرأةً يقال لها رُهَيْمة بنت غُنَيم بن دِرْهَم من اليَرابيع، قوم من النَّمِر بن قاسط فى بنى الحارث ابن عُبَاد . وأمّها الحُمَيْضة[5] من بنى الحارث . فنافرته الحميضة فٱستعْدتْ عليه . فأنكرها الفرزدق وقال : أنا منها برىء؛ وطلَّق ٱبنتها وقال :

إنّ الحميضة كانت لى ولابنتها * مثلَ الهَرَاسةِ[6] بين النَّعل والقَدَمِ

اذا أتتْ أهلَها منِّى مُطَلَّقةً * فلن أُرُدَّ عليها زَفْرةَ النَّدمِ

---

(١) فى ديوانه : «أراك» . وفى النقائض : «سوف يريك النجم» . (٢) الحت : قبيلة من كندة . (٣) هداد : حى من اليمن . (٤) الجوف : المطمئن من الأرض . ويحتمل أن يكون الغموض بفتح الغين صيغة مبالغة من غمض المكان اذا تطامن وخفى . ويحتمل أن يكون جمع غمض، وهو المكان المنخفض المطمئن . وانما وصف المفرد بالجمع لارادة الجنس، كما يقال الدينار الصفر، والدرهم البيض . ومنه قول الفرزدق نفسه على رواية الأغانى كما تقدّم فى صفحة ٣٢٥ من هذا الجزء :

* وإبطال حقى باليمين الكواذب *

(٥) فى النقائض ص ٥٩٥ : «الخميصة» بالخاء المعجمة والصاد المهملة . (٦) الهراسة : واحدة الهراس، وهو شوك كأنه حسك .

مضى الحديث . ولم اجد لأحدٍ من الخلفاء الذين ذكرتُهم والذين لم أذكرهم ، بعد الواثق ، صَنْعةً يُعتَدُّ بها إلا المعتضدَ ، فإنه صنَع صنعةً متقنة عجيبة ، أَبَرَّت[1] على صنعة سائر الخلفاء سوى الواثق ، وفَضَل فيها أكثرَ أهل الزمان الذى نشأ فيه . وإنما ذكرتُ صنعة مَنْ بينهما ، لأنها قد رُويتْ ، فأمّا حقيقة الغِناء الجيِّد فليس بينهما مثلُهما . وذكر عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر صنعةَ المعتضِد فقرَّظها ، وقال : لم أجد لحنًا قديمًا قد جمع من النَّغَم ما جمعه لحن ابن مُحْرِز فى شعر مُسافِر ابن أبى عمرو وهو :

يا مَنْ لِقَلْبٍ مُقْصِرٍ * تَرَكَ المُنَى لفَواتها

فإنه جمع من النغم العشر ثمانيا ، ولحن ابن مُحْرِز أيضا فى شعر كثيِّر :

توهَّمتُ بالخَيْف رَسْمًا مُحِيلَا * لعزَّةَ تَعْرِفُ منه الطُّلُولا

وهو أيضا يجمع ثمانيا من النَّغَم . وقد تلطَّف بعضُ مَنْ له دُرْبةٌ وحِذْقٌ بهذه الصناعة حتى جمع النَّغَم العشرَ فى هذا الصوت الأخير متوالية ، وجمعها فى صوت آخر غيرَ متوالية ، وهو فى شعر ابن هَرْمة :

فإنّكِ إذ أطمعتِنِى منكِ بالرضا * وأيأستِنِى من بعد ذلك بالغضبْ

وأعجبُ من ذلك ما عمله أمير المؤمنين المعتضد بالله ؛ فإنه صنع فى رَجَز دُرَيْد بن الصِّمّة "يا ليتنِى فيها جَذَعْ" لحنًا من الثقيل الأوّل يجمع النَّغَم العشرَ ، فأتى به مستوفَى الصنعة مُحْكَمَ البناء ، صحيحَ الأجزاء والقِسْمة ، مُشبعَ المفاصل ، كثيرَ الأدوار ، لاحقًا بجيِّد صنعة الأوائل . وإنما زاد فضلُه على من تقدّمه لأنه عمله فى ضرب من الرجز

(١) كذا فى جـ . وأبرت : علت . وفى سائر الأصول : «أبرزت» وهو تحريف .

قصير جدًّا، وٱستوفَى فيه الصنعة كلّها على ضيق الوزن، فصار أعجب مما تقدّمه؛ إذ تلك عُمِلتْ فى أوزان تامّة وأعاريضَ طِوال يتمكّن الصانع فيها من الصنعة ويقتدر على كثرة التصرُّف؛ وليس هذا الوزنُ فى تمكُّنه من ذلك فيه مثلَ تلك .

نسبة هذا اللحن

صوت

٥

يا ليتنى فيها جَذَعْ * أَخُبُّ فيها وأَضَعْ [1]
أَقُود وَطْفاءَ الزَّمَعْ [2] * كأنها شاةٌ صَدَعْ [3]

الشعر لدُرَيْد بن الصِّمّة. والغِناء للمعتضد، ولحنُه ثقيلٌ أوّل بمجمع النَّغَم العشَر .

---

(١) الجذع : الصغير السن . والخبب والوضع : نوعان من السير . (٢) الزمع : هنات شبه أظفار الغنم فى الرسغ، فى كل قائمة زمعتان كأنما خلقتا من قطع القرون، أو الزمعة : الشعرة المدلاة فى مؤخر رجل الشاة والظبي والأرنب . ووطفاء : كثيرة الشعر سابغته . يريد فرسا هذه صفتها .
١٠
(٣) الصدع من الأوعال والظباء والإبل والحمر : الفتى الشاب القوى منها .

فهرس

الجزء التاسع من كتاب الأغانى

التراجم التى فى هـذا الجزء

فهـــــرس الشـــــعراء

فهـــرس رجال السـنـد

(ب)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

فهــرس المغنين

(غ)

(ف)

(ق)

(م)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس رواة الألحان

(١) ورد فى هــذا الجزء ص ١٥١ س ٩ باسم : « أحمد بن عبيد الله » وقد مر باسم بن أحمد بن عبيد فيما مر من الأجزاء .

فهرس الأعلام

(خ)

(د)

(ش)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

فهرس الأمم والقبائل والأرهاط والعشائر ونحوها

(ب)

فهرس الأماكن

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

فهـــــرس الكتب

(ل)

(م)

(ن)

(و)

فهرس القوافى

صدر البيت	قافيته	بحره	ص : س
ولا	الرباب	وافر	٣٢٦ : ٢
فى	الجوب	كامل	٢٣٠ : ٢
[illegible]	الثعلب	«	٢٣٠ : ٤
[illegible]	الأنصاب	«	٢٤٢ : ٨
[illegible]	العجب	منسرح	٤٨ : ٣
كل	خضابْ	خفيف	٢٩٤ : ٤
بجمال	الأرصاب	«	١٣٢ : ١٤
[illegible]	السكاب	«	١٧٤ : ٧، ١٧٧ : ١٢
إن	الخضاب	«	١٧٧ : ١
لعمرى	للعب	متقارب	٣٠١ : ١٧
لعمرى	للعصب	«	٣٠٥ : ١١

(ت)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص : س
وإن	خويتُ	طويل	١٨٠ : ٦
إذا	ودعوتُ	«	١٩٣ : ١٨
كأن	زلّت	«	٢٧ : ١٧
بكفها	استقلّت	«	٢٩ : ١٣
[illegible]	وسلّت	«	٢٨٠ : ١٤
خليلىّ	حلّت	«	٢٨٠ : ١٨
[illegible]	وأكدت	«	٢٨١ : ١
[illegible]	لقنّت	«	٢٨١ : ٩
ألا	[illegible]	«	٢٨٣ : ١
لقد	لاستقرت	«	٣٢٩ : ٦ و١٣
ألا	لاستقرت	«	٣٣٠ : ٦
رقيت	رقيتُ	وافر	١١٩ : ١٩
ألا	مصمتاتِ	«	١٤ : ١

(ت)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص : س
لقد	حياةِ	وافر	٢٠٦ : ١٦
ألا	فراتا	«	٢٣٢ : ١٣
يا من	لفواتها	مجزوء الكامل	٤٧ : ٩، ٣٤٤ : ٨
كتطرد	مثناتها	«	٤٨ : ٥
ماتت	الفوتِ	منسرح	٢١٩ : ٦

(ث)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص : س
أى	ثلاثُ	خفيف	٢٩٦ : ٥
أعاذل	الرائثِ	متقارب	١٤٧ : ١٠

(ج)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص : س
وأشعث	منضجِ	طويل	١٦٥ : ١٣
إذا	الداجْ	سريع	٢٣٢ : ١٩

(ح)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص : س
لعمرى	أبرحُ	طويل	١٣٨ : ٧، ١٤٩ : ٦
غراب	تصيحُ	«	١٤٩ : ١٤
إذا	مازحُ	«	٢٩١ : ١
متى	جموحُ	«	٣٠١ : ٩
ألا	الذرارحِ	«	٣٢ : ١٦
تعارض	النواكحِ	«	١٦٣ : ٨
دان	بالراحِ	بسيط	٤٥ : ٨
أتى	بالنجاحِ	وافر	٢٣٥ : ١٣
هل	جماحْ	رجز	١١١ : ٦
يا	تباريحا	سريع	١٣٤ : ١٨
تغيب	تبرحُ	متقارب	٣١٩ : ١٦
وإنى	شحاحا	«	٤٣ : ١٩، ٤٤ : ٦

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
رب	مثعنجرة	مجزوء الرجز	١٠٠ : ٦	
سقيت	الخمرا	»	٣٠٠ : ١٩، ٣٠١ : ٦	
تطرد	بقر	رمل	١١١ : ١٣	
ضوء	نار	خفيف	١٠٦ : ١٠، ١٣٢ : ٢٠	
وكذاك	والآثار	»	١٣٣ : ٨	
أيها	الأوطارا	»	٦٣ : ٨	
وتبرد	العبيرا	متقارب	١١١ : ١٥	
فلا	أنسر	»	٧١ : ٢٠	
ألا	المنتصر	»	٣٠٤ : ٣	
	(س)			
يمينا	النكس	طويل	٤١ : ١٠	
لقد	أبؤسا	»	١٠٠ : ٣	
وبدلت	أبؤسا	»	١٠٠ : ١١	
إني	مرموس	بسيط	٣٠٨ : ١٠	
قد	الضغابيس	»	٣٠٩ : ٧	
إذا	النفوسا	متقارب	١٠٥ : ٦	
	(ص)			
كلا	ناقصا	طويل	١١٠ : ٥	
تبيتون	خمائصا	»	١٢١ : ٦	
	(ض)			
أجامل	مراضها	طويل	١٧٣ : ٨	
وإيس	فياض	بسيط	٢٣٢ : ١٥	
	(ع)			
هل	لقانع	طويل	٦٦ : ١٦	
وإني	مطمع	»	٦٧ : ٩	

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
فما	الأصابع	طويل	٧٣ : ١٥	
أرقت	الروادع	»	٨٧ : ١١	
أبوك	راضع	»	١٠٨ : ٩	
أمن	مرجع	»	١٢٨ : ١٢، ١٣١ : ١٧	
ألا	ترجع	»	١٩١ : ١٢	
ألبنى	ما أتوقع	»	٢٠٢ : ١١	
أبائنة	طامع	»	٢١٣ : ٣	
سقى	وربيع	»	٢١٤ : ٩	
ألا	واقع	»	٢١٦ : ١٥	
أتبكى	طائع	»	٢١٧ : ٤	
تقطع	يتقطع	»	٢٢٤ : ٩، ٢٢٥ : ٧	
إذا	أطالعه	»	١٤٧ : ١٤	
إذا	طلوعها	»	٢٠٢ : ٤	
لقد	فالنقع	»	٢٣٩ : ١٤، ٢٤١ : ١٥	
إذا	مقطعا	»	١٧٤ : ٣	
لقد	مقنعا	»	١٩٦ : ٢٠	
أعيني	وتجزعا	»	٢٧١ : ١٨	
عجبت	وظلعا	»	٣٣٥ : ٩	
سميت	زنباع	بسيط	٢٣١ : ٦	
لا	مناع	»	٢٣١ : ٨	
إنا	زنباع	»	٣١٤ : ٩	
ألم	بالكراع	وافر	٤٧ : ١٧	
ألا	القلاع	»	١٩٢ : ٥	
ياليتني	وأضع	مجزوء الرجز	٦٠ : ٣، ٣٤٥ : ٦	
الله	وأتبع	منسرح	٦٤ : ١٥	

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
يالهف	الحلاحلا	رجز	٨٨ : ١٦
من	أضلّ	رمل	١١٣ : ٣
قالت	الليلُ	سريع	٢٩٠ : ٣
سلمى	منزلا	«	٢٤٩ : ١١
استأثر	الرجالا	منسرح	١١٣ : ٤
إن	مهلا	«	١٢٥ : ١
إن	عطبول	خفيف	٢٢٩ : ١
ولقد	البلابل	مجزوء الخفيف	١٢٧ : ١٨
دولة	الدول	«	٦١ : ٨
توهمت	الطلولا	متقارب	٣٤٤ : ١٠
أرقت	الجبل	«	٨٨ : ٩
ألا	وحلالها	«	٩٦ : ٢
ألا	سربالها	«	٩٦ : ٧

(م)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
لقد	وأرقم	طويل	٧ : ١٢
قصير	قائم	«	١١ : ٣
تحدثنا	حالم	«	٥٢ : ١٣
هريرة	واجم	«	٦٠ : ١٥ ، ١٠٦ : ١٣
كتمت	ظلم	«	١٤٩ : ٩
ألا	ملهم	«	١٥٠ : ٢
إلى	يتيم	«	١٩٨ : ١٥
نفسي	غريمها	«	٢٥ : ١٠ ، ٢٨ : ١
من	ظالم	«	١٥ : ١٤
فإنك	العمائم	«	٤٣ : ١٦ ، ٤٤ : ٣
بسيف	ظالم	«	١١٩ : ١٧
وليل	العجم	طويل	٢٢٣ : ٧
وليت	مجرم	«	٢٥٨ : ٨
ألا	غريمي	«	٢٩٣ : ١٥
بني	العمائم	«	٣٢٥ : ٣
دمي	سلم	«	٣٣٠ : ١٧
ألا	حما	«	٥٠ : ١٧ ، ٥٢ : ١٥ ، ٥٤ : ١٦
تعلم	ابنما	«	٥٩ : ١
ألا	دارما	«	٩٠ : ٢
ألم	فتصرما	«	٢٣٨ : ٦
ألما	تصرما	«	٢٤٠ : ٤
لنا	دما	«	٣٣٧ : ١٤ ، ٣٣٩ : ١٢ ، ٣٤٠ : ١١
دين	كالسقم	مديد	٢٤٣ : ٥
حبا	يضطرم	بسيط	١٣٦ : ١٥
عقيلة	همام	«	٣٣٢ : ٤
أطال	جذام	وافر	٢٣٠ : ١٢
فإن	تميم	«	٣٢٨ : ٩
كأني	شمام	«	٩٤ : ٩
عفت	الرسوم	«	١٥٠ : ١٣
علام	أمامي	«	١٦٩ : ٢
رضي	جذام	«	٢٣٠ : ١٥
ألا	المقاما	«	١٤ : ٧
وأذكن	كراما	«	١٢٣ : ١٢
أبني	صرم	مجزوء الوافر	٢٤٣ : ١٦
وتظل	ملثوم	كامل	١٢٣ : ٨

فهــــــرس أنصاف الأبيات

مرتبــة حسب أوائل كلماتها

فهرس أيام العرب

فهرس الأمثال

فهـــرس الموضـــوعات

أخبار الأعشى ونسبه

نسب عمرو بن سعيد بن زيد وأخباره

ذكر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ونسبه

ذكر الحارث بن خالد ونسبه

أغانى الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم

ذكر عمر بن عبد العزيز وشىء من أخباره

نسب الأشهب بن رميلة وأخباره

أخبار عدىّ بن الرقاع ونسبه

أخبار المعتز فى الأغانى ومع المغنين وما جرى هذا المجرى

ذكر أخبار الفرزدق

إصـــلاح خـــطأ

وقع أثناء الطبع بعض أخطاء مطبعية نذكرها هنا ليستدركها القرّاء فى النسخ التى وقعت فيهـا :

صفحة	سـطر	خـطأ	صـواب
١٣	١٢	عمـر	عمـرو
١١٦	هامش	جـئى	جـنى
١١٨	١١	يحيى بن أبى سعيد الأموى	يحيى بن سعيد الأموى
١٢٠	هامش	ابن علاثة	ابن علاثة
١٢٨	١٢	آمن	أمن
١٤٠	١٠	بن الزبير	ابن الزبير
١٧٠	هامش	لطيفة لأعرابى	لطيفة لعراقى
١٧٥	١٤	أبو أيوب المدنى	أبو أيوب المدينى
٢٥١	١٩	محمد بن الحسين الكاتب	محمد بن الحسن الكاتب
٢٦٢	١٣	حواجـه	حوائجـه
٢٦٤	هامش	نحـله	ونحـله
٢٧٦	٥	يحيى بن محمد الصولى	محمد بن يحيى الصولى
٢٧٦	٧	الـوائق	الـواثق

* * *

انتهى الجـــزء التـاسع من كتاب الأغانى

ويليه الجـــزء العـاشر

وأوّله دُرَيْد بن الصِّـــمّة

(مطبعة الدار ٤١/١٩٣٥/٢٣٠٠)

